



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.ir

# تعمير القلوب

إلى الأذهان

أبو الله العظيم الإمام

السيد محمد باقر الصدر

(عقل الله متناه)

الجهد الأول

الطبعة الأولى

1401

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# تقريب القرآن الى الازهان

كاتب:

محمد الحسينى الشيرازى

نشرت فى الطباعة:

ايمان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٧	تقريب القرآن الى الازهان المجلد ١
٧	اشارة
٧	المقدمة
٧	اشارة
٩	كيفية الإعجاز
١١	الإعجاز لغة و اصطلاحا
١٢	بعض مزايا القرآن الكريم
١٤	الشيعة و الاهتمام البالغ بالقرآن الكريم
١٦	القرآن و أهل البيت عليهم السلام
٢١	أهل البيت عليهم السلام عدل القرآن
٢١	فيمن نزل القرآن
٢٥	لمحة تاريخية عن علوم القرآن
٢٩	بعض مفترى الشيعة
٣١	علم التفسير أساس علوم القرآن
٣٣	أنواع التفسير
٣٤	الطريقة الجديدة في تفسير القرآن الكريم
٣٥	القرآن يفشره الزمان
٣٧	هذا التفسير
٤٠	السيد صاحب التفسير أعلى الله مقامه
٤٩	المصادر
٥١	مقدمة
٥١	المدخل

- ٥١ ..... كتاب كل عصر و مصر
- ٥٥ ..... تطبيق الفكر و العمل على القرآن
- ٥٧ ..... فلسفة كاملة عن الحياة
- ٥٩ ..... ١ سورة الفاتحة مكية- مدنية/ آياتها (٧)
- ٦٠ ..... ٢ سورة البقرة مدنية/ آياتها (٢٨٧)
- ١٤٢ ..... ٣ سورة آل عمران مدنية/ آياتها (٢٠١)
- ١٩٦ ..... ٤ سورة النساء مدنية/ آياتها (١٧٧)
- ٢٦٣ ..... ٥ سورة المائدة مدنية- آياتها ١٢١
- ٢٩٩ ..... تعريف مركز القائمية باصفهان للتمريبات الكميبيوتريية

## تقريب القرآن الى الازهان المجلد ١

## إشارة

سرشناسه : شيرازى، محمد

عنوان و نام پديد آور : تقريب القرآن الى الازهان / محمد شيرازى

مشخصات نشر : قم: ايمان، [ ١٣٩٣ ] .

مشخصات ظاهري : ١٦٨ ص .

عنوان ديگر : تقريب القرآن الى الازهان

موضوع : تفاسير شيعه

موضوع : تفاسير -- قرن ١٤

رده بندي كنگره : BP٩٨/ح٤٦٤٦١٥٧٠٤٢١٥١٣٠٠

رده بندي ديويي : ٢٩٧/١٧٩

شماره كتابشناسي ملي : م٦٥-٢١٧٦

## المقدمة

## إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أنزل القرآن و جعله شفاء و رحمة للمؤمنين، و الصلاة و السلام على أشرف الخلق و سيد الأنبياء و المرسلين، سيدنا و مولانا أبى القاسم محمّد و على آله الغرّ الميامين أهل بيت الوحي، و موضع الرسالة، و مختلف الملائكة، و مهبط الذكر و التنزيل، خزّان العلم، و منتهى الحلم، و أصول الكرم، و قادة الأمم، و أولياء النعم، و عناصر الأبرار، و دعائم الأخيار، و أبواب الإيمان، و أمناء الرحمن، و سلاله النبين، و صفوة المرسلين، و عتره خيرة ربّ العالمين.

و بعد:

فحيث إنّ الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الرسل بشرا يوحى إليهم كانت الحاجة إلى آيات و دلائل تبين صدقهم فيما يبلغون عن ربهم، و يهدون، و يعلمون. من هنا كانت المعجزة قرينة الرسالة، و لولا المعجزة لأشكل الأمر على الناس، و خالط الشكّ اليقين، و التبس الصدق و الكذب، و بالتالى تشوّشت أفكار الناس فى تمييز الصادق من الكاذب، و النبى من المنتحل.

و من هنا فإنّ الظاهر أنّه لم يرد لفظ المعجزة كاصطلاح إلّا فى الفترة

تقريب القرآن إلى الازهان، ج ١، ص: ٦

المتأخّرة عن رسول الوحي صلّى الله عليه و آله و سلّم بعد نزول القرآن، و إنّما عبر عنها فى الآيات و الروايات بالآية تارة قل إنّما الآيات عند الله «١» و بالبينه تارة قد جاءكم بينة من ربكم «٢» و بالبرهان تارة ثلثة فدانك بزهانان من ربك إلى فرعون «٣» و بالسلطان رابعة فأتونا بسلطان مبين «٤» لما فى هذه الألفاظ من اندماج بين وحي اللفظ و بصيرة العقل و قوّة الحجّة و منطق البرهان، فتحاكى وجدان الإنسان و قلبه و عقله و فطرته و بصره و بصيرته بما يقطع أمامه سبل الشكّ، و يزيح ظلمات الوهم.

فآيات علائم و دلالات ظاهرة، كما أنّ دلالاتها واضحة سواء كانت دلالة عقلية أو حسية، و البرهان إظهار للحجّة بموازين العقل و

الحكمة، و هو أوكد الأدلة المحفزة لكوامن الصدق و التصديق؛ لذلك يقتضى الصدق لا محالة، و السلطان لما فيه من سلطنة و هيمنة على القلب و العقل تدعو إلى الإيمان، و تدفع الشكوك و الأوهام، و لا يبعد أن تكون الآية لعموم الناس؛ لأنّ الحب طريقهم إلى الإيمان و اليقين غالباً، و البيئنة فى مواقع إظهار ما يخفى على الناس معرفته، و البرهان لمن كان من أهل العقول و الأفكار، و السلطان لتسلطه على أهل العلم و الحكمة من الناس. هذا من حيث خصوصيات كل لفظ منها.

و أمّا من حيث الهدف و المضمون فالجميع يشترك فى تصديق النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و تثبيت حقائنه دعواه، و استقامه طريقه، و صحه أهدافه و نواياه.

و لعلّ من هنا اتفقت الكلمة على انحصار طريق معرفة صدق دعوى الأنبياء عليهم السّلام بظهور المعجز على أيديهم كما يظهر من أقوال المحققين كقولهم: «و طريق معرفة صدقه ظهور المعجزة على يده». «٥»

(١) الأنعام: ١١٠.

(٢) الأعراف: ٧٤.

(٣) القصص: ٣٣.

(٤) إبراهيم: ١١.

(٥) تجريد الاعتقاد: ٢١٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧

و عليه فإنّ طريق التصديق بالنبوة و الإيمان بها ينحصر بالإعجاز الذى يظهره النبى صلى الله عليه و آله و سلم شاهدا مطابقا لدعواه. و لعلّ هذا هو المرتكز فى أذهان البشر و فطرتهم كسبيل قد يعد وحيدا، أو الأكثر قوّة، و الأسرع أثرا فى التصديق و الإيمان؛ و لذا كان أوّل نداء يطلقه الكافرون فى مواجهة دعوات الرسل و الأنبياء عليهم السّلام هو المطالبة بإظهار الآيات و المعاجز، و كلّ قوم كانوا يطلبون من رسولهم ذلك حتّى و إن أقروا بغيره من الأنبياء السابقين.

قال تعالى: بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتِرَاءُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ «١».

ففى الوقت الذى أثبتت الآية التقارن التام بين رسالات الرسل و الآيات البيئنة كشفت عن إيمان اللاحقين بدعوات السابقين حتّى و إن كذبوا من أرسل إليهم من الأنبياء، فطالبوهم بإظهار الآيات.

و كانت هذه الآيات هى الحجّة التى تنهض للمطالبيين الصادقين فى دعواهم لجذبهم إلى الإيمان، كما تثبت على المعاندين لو أصروا و ظلّوا فى غيهم يعمهون.

و لعلّ ممّا يشهد لذلك آيات متضافرة فى الكتاب العزيز، بعضها يثبت وقوع الإعجاز مقارنا لدعوى النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و بعضها يبيّن نوع الإعجاز و تفاصيل حدوثه.

و ربّما يعدّ من الأولى قوله سبحانه: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْتَمَنَّا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ «٢».

فهى فى الوقت الذى تثبت دلائل الأنبياء الكافية فى اليقين و الإيمان

(١) الأنبياء: ٦.

(٢) الروم: ٤٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٨



تهدّد المنكرين الذين عاصروا الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعايشوه بمصير يشبه مصير السابقين في مواقفهم من الرسل، وقد جمعت هذه الآيات مع الآيات التي في سياقها قبلا وبعدا بين الدلائل المادّية والمعنوية، فحيث تحدّثت ما قبلها عن آية الرياح و ما لها من آثار هائلة و نافعَة تقوم عليها حياة الناس حيث إنَّها:

١- تأتي لهم بالسحاب المثقل بالغيث الذي يسقى الأرض العطشى، فينبت رزقهم و كلاً مواشيهم.

٢- توازن حرارة الجو فتعطيهم برودة في المناطق الحارّة و دفئا في الباردة.

٣- تنقى الهواء و الفضاء من الأوبئة و الغازات الضارّة.

٤- تلقح الأشجار فتعطي ثمارها، و الأزهار فتعطي أريجها و جمالها، و تنشر البذور من البيادر إلى الأراضي الجرداء فتغدو خضراء ممرعة ترعاها الأغنام و المواشى، و تضيف على الحياة بهجة و روعة.

٥- تحرّك الفلك و السفن في البحار و الأنهار فتربط بين البشر، و تجمع بين حاجاتهم و احتياجاتهم فيتكافلون و يتكاملون و يتعاونون ..

و غيرها من آيات و براهين و دلائل تقوم عليها حياة الناس، و تدلّ على سعة رحمة الله عزّ و جلّ و عميم فضله و خيره و عظم بركته؛ و لذا قال سبحانه بعدها: **وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** «١».

و أمّا الدلائل المعنوية التي هي أيضا من آثار رحمة الله و خيره و بركته فقد جاءت مقارنة لتلك لتشمل كلّ جوانب الإنسان، و تسدّ كلّ احتياجاته الجسديّة و الروحيّة؛ إذ لا يكفي الإنسان أن يعيش ناعما، يبات شبعا،

(١) النحل: ١٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩

و يغدو و فيرا روبا، فإنّ ذلك مهما بلغ و كثر و لذ و طاب لا يسدّ حاجاته الأكبر و الأوسع في تحقيق الآمال، و اللهفة إلى النجاح في مختلف شؤون الحياة، بل لو لا الأمل و النجاح يصبح نهار الإنسان ليلا، و حلوه مرّا؛ لقصور الدنيا بما فيها من شهوات و غرائز و لذات و مطائب عن إشباع روح الإنسان و عقله و فكره، فحتى تتمّ النعمة و تكتمل الحجة و يتمّ البرهان كان لا بدّ من إشعال و قدّه الأمل في قلبه، و إنارة طريقه على المستقبل و الغد الناجح الوفير، فقال سبحانه: **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** «١».

و على خلاف ذلك ما سلاقيه الكفار المعاندون من أيام شديدة و ساعات سوداء مدلهمة، و منها قوله تعالى: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمَّنَّتِهِ فَبِئْسَ خُلُفَ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** «٢» و المستفاد منها هو أنّ لكلّ رسول و نبيّ آية قد أحكمها الله تعالى و تولّاها بالحقّ و الصدق و الثبات في الموقف و الغاية، يمتنع عنها الريب، و لا تخالجها شكوك الشيطان و تشكيكاته، و هذه أيضا تضمّنت آيات الظاهر و الباطن، فالأولى تنسف خطط الشيطان، و تعود بالناس إلى الإيمان، و الثانية تطمئن الرسل بمستقبل مشرق يعيش الناس فيه الإيمان بأصنافه و شعبه.

(١) الروم: ٤٨.

(٢) الحج: ٥٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠

## كيفية الإعجاز

و من الثانية: آيات متضافرة أيضا شرحت بوضوح و دقّة و عمق كيفية الإعجاز و أنحائه لعل منها:

- ١- قوله سبحانه: وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (١) و هي اليد و العصا، و الحجر، و البحر، و الطوفان، و الجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم دلائل خارقة ظاهرة.
- ٢- قوله تعالى: وَ رُسُلًا إِلَىٰ يَبِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ (٢).
- ٣- قوله تعالى: وَ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ. (٣) قوله تعالى: وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَ رَوَاحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ (٤).
- ٥- قوله تبارك و تعالى: قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٥) و غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى قد نصر أنبياءه عليهم السلام بالمعجزة، و لم يوكل عموم الناس الذين يقنعهم بالإيمان عادة الشاهد

(١) الإسراء: ١٠٢.

(٢) آل عمران: ٥٠.

(٣) الأعراف: ٧٤.

(٤) سبأ: ١٣.

(٥) الأنبياء: ٧٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١

المادى الظاهر على صدق الأنبياء أكثر من قدرتهم الروحية و حالاتهم المعنوية و العقلية؛ لأن هذا قد لا يدركه عموم الناس كما لم ينحصر لطفه عز و جل بإخبارات النبى السابق عن ظهور نبى فى اللاحق، و ذكره لعلامات النبوة و سيماء النبى القادم؛ و ذلك لأنه حتى لو وصلت هذه الإخبارات و العلامات للأمم اللاهقة على نحو التواتر إلا أنها قد لا تلزم من لا يتدين بدين أصلا، أو لا يعتقد بنبوة ذلك النبى، فلا تتم الحجته عليه.

و لعل قوله سبحانه فى سورة الحديد: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيُقِيمُوا النَّاسَ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ (١) يحاكي أصحاب العقول المتفتحة و الآراء المتطلعة لجمع الدين بالدنيا و الفكر و التطبيق حتى فى مثل مجالات السياسة و الاجتماع و الاقتصاد و نحوها، حيث جمعت بين ثلاثة دلائل واضحة تشكل العناصر الأساس لقيام أى مجتمع و دولة، و هي:

١- البيئات كحجج على الإيمان ٢- الكتاب كحجج على التقنين و التنظيم ٣- الميزان كحجج على التطبيق و الممارسة ماديا و معنويا. و من الواضح أن كل دولة و أمية تقومان على العقيدة و النظام و السلطة، و يجمعهما الهدف المشترك، و هو العدل، ثم يأتى بعد ذلك الحديد و القوة لحمايتهما من الاستهانة أو الاستلاب، و بهذا بينى الأنبياء عليهم السلام حضارة إنسانية رائعة يسودها الأمن و السلام، و يحكمها العدل و النظام فى شتى المجالات، و قد جمع هذه جميعا القرآن الكريم، فاحتوى كل رسالات الأنبياء و أهدافهم، فوصفه ربّه و منزله:

(١) الحديد: ٢٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٢

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (١) و وصفه من حملة و بلغ به و بشر: «هو الدليل يدل على خير سبيل» (٢) .. و بالتالى فإن كل حرف و كلمة و جملة و آية و سورة بل كل حركة و سكنة و رفع و نصب فيه يدل على إعجاز و إعجاز و علو و

سمو، فهو كما قالوا عنه:

ليست معجزة واحدة فحسب، بل موسوعة معجزات، فاجتماعياته معجزة لعلماء الاجتماع، و سياسياته معجزة للسياسيين، و أخلاقياته معجزة للأخلاقيين، و عسكرياته معجزة للعسكريين، و اقتصادياته معجزة للاقتصاديين، و تربوياته معجزة للتربويين، و أداءه معجزة للأدباء، و لكل اختصاصي معجزة في اختصاصه، بل إن القرآن معجزة لكل إنسان في الجانب المنسجم مع أولويات ذلك الإنسان، فهو معجز بعدد الخلائق، أو ليست الطرق إلى الله سبحانه بعدد أنفاس الخلائق؟ فهو معجزة للناس أجمعين.

و فوق ذلك أنه معجزة الفلسفة، فهو كتاب أعطى الفلسفة الكاملة الصحيحة للبشر، فهو كتاب الكون، بل هو عدل الكون؛ إذ الكون كله كلمة من كلمات الله، و القرآن كلمة أخرى من كلمات الله، فهي و تلك كلمتان مترادفتان، الكون قرآن و لكن بشكل، و القرآن كون و لكن بشكل آخر، و بعد ذلك و قبله فإن من القرآن ما فيه شفاء و رحمة للعالمين، و لا يزيد الظالمين إلا خساراً.

كما ستبقى صور الإعجاز و أشكاله تتجلى في كل عصر، و مع كل جيل مهما نضج البشر، و تنامت عقولهم، و تراكت تجاربهم، و تتورت أفكارهم.

فإن القرآن يفسيّر الزمان كما في بعض الأخبار لا- تنقضي عجائبه، و لا- تنتهي غرائبه؛ لأنه كلام الله سبحانه، و فيض من علمه اللامتناهي، و كلامه عز و جلّ مظهر لعلمه، و علمه مظهر لذاته، و كلها لا متناهية و فوق ما لا يتناهي،

(١) الإسراء: ١٠.

(٢) أصول الكافي: ج ٢، ٥٩٩، ح ٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣

فكيف يدركه بشر، أو يحيط بكنوزه محيط أو عالم؟ و بهذا يظهر مدى التجاني عن الحقيقة الدامغة فيما يدعيه بعض أعداء الإسلام من أن القرآن من صنع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و أن القرآن لم يوح إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم بأكمله، بل كان يوحى إليه رؤى قصيرة و وصايا، و أمثال و قصص ذات مغزى، أو أحاديث في أصول العقيدة.

و يكفيننا في ردّ زعم هؤلاء ما صدع به الحقّ تبارك و تعالى في قوله عزّ من قائل: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿١﴾.

و

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام «و كفى بالكتاب حجيجاً و خصيماً»

«٢».

فإن كلمات القرآن و آياته و حروفه و كل ما فيه ينطق بآئه وحي ممّن خلق الأرض و السماوات العلى، و ما خلقته عقول بشر، أو فاهت به ألسنتهم.

### الإعجاز لغةً و اصطلاحاً

المعجز في اللغة له أكثر من معنى إلّا أن الأقرب منه إلى الفهم العرفي ما ذكر في أقرب الموارد، و هو: أعجز فلان فلانا أي صيره عاجزاً «٣».

لكن في مجمع البحرين فسّره بالمعنى المصطلح، و كأنه تفسير بالمصداق، فقال: المعجز: الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى المقرون بالتحدّي، و قد ذكر المسلمون للنبي صلى الله عليه و آله و سلم ألف معجزة منها القرآن «٤».

و قد فقد عرّف بتعاريف مختلفة بعض الشيء باختلاف قيودها.

(١) العنكبوت: ٥٠.

(٢) نهج البلاغة: ص ١١٢، الخطبة ٨٣.

(٣) أقرب الموارد: ج ٣، ص ٤٨٢، «عجز».

(٤) مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٥، «عجز».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٤

ففي تجريد الاعتقاد: و طريق معرفة صدقه ظهور المعجزة على يده، و هو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفى ما هو معتاد مع خرق العادة و مطابقة الدعوة «١».

و قريب منه ما في مجمع البيان: و حاصله أن يأتي المدعى لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق النواميس الطبيعية و يعجز عنه غيره شاهدا على صدق دعواه «٢».

و ينبغي إضافة قيد التحدي لهذين التعريفين لينطبق على موازين الحد التام المنطقي بدهاه دخول الكرامة و نحوها في التعريف، فلا يصبح حينئذ مائزا بين ما يظهر على أيدي الأنبياء و الأولياء عليهم السلام، و لا يبعد أن تكون جميع هذه التعاريف ناظرة إلى أمر واحد و إن كان ربما لم يستظهر من بيانها، و هو أن المعجز أمر خارق للعادة و ليس لضوابط العقل؛ إذ لا يمكن الجمع بين النقيضين حتى بالإعجاز لامتناع الموضوع.

و عليه فليس الإعجاز في تبديل الممتنع بالذات إلى ممكن، بل هو اختصار مراحل الإمكان الاستعدادي للممكن بإرادة الله سبحانه، أو بقوة النبي المعنوية التي منحها الله سبحانه إياه لإيجاده؛ و لذا يسمي خارقا للعادة، فيمكن إثمار الشجرة غير المثمرة في آن؛ لأن تحقق الاثمار عادة يتوقف على شرائط لا تتحقق عادة إلا بعد مضي زمان، و لكن ربما تحصل هذه الشرائط فورا بالإعجاز، و هذا هو معنى خرق العادة أي المعتاد المألوف في الكون أو عند الناس.

هذا و هناك شروط أخرى ينبغي توفرها في الإعجاز منها: مطابقة المعجزة للدعوى، و أن لا يكون هناك من يعارض مدعى النبوة فيما يتحدى

(١) تجريد الاعتقاد: ص ٢١٤.

(٢) مجمع البيان: ج ١، ص ١٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٥

به، بحيث يستطيع غيره أن يأتي بمثل ما أتى به؛ إذ لا يكون حينئذ ما أتى به ذلك النبي معجزا، و منها غير ذلك مما فصي له علماء الكلام.

### بعض مزايا القرآن الكريم

و لعل من المناسب أن نشير هنا إلى بعض مزايا القرآن الكريم التي اتفق أهل الرأي فيها على أنها إعجاز:

١- أن القرآن الكريم معجز من حيث اختصاصه بمرتبة عليا في الفصاحة و البلاغة خارقة للعادة لا يمكن لأحد أن يأتي بمثلها أو أن يدانيها.

٢- من حيث كونه مركبا من نفس الحروف الهجائية التي يقدر على تأليفها كل أحد و مع ذلك عجز الخلق عن تركيب مثله بهذا التركيب العجيب، و النمط الغريب من قوة اللفظ، و سحر البيان، و دقة المعنى، و سلاسة التعبير، و قوة الترابط بحيث إن كل تغيير أو

تصّرف فيه يخرجته عن عدوبته، ويشير إلى وجود خلل في العبارة.

٣- من حيث امتيازه عن غيره من كلام العرب بامتياز مليح، فإنّ أى كلام فى هذه اللغة مهما كان فصيحاً و بليغاً إذا زين بالقرآن الكريم تجلّد القرآن ممتازاً عنه متفوقاً عليه بما لا يقبل القياس أو التقويم.

٤- من حيث اتّصافه بنظام فريد، و أسلوب و حيد غير معهود فى جميع الأزمنة، لا شعراً و لا نثراً؛ لذلك نسبة أدباء الكفّار إلى السحر؛ و ذلك لأخذه بمجامع القلوب و اتّصافه بالجاذبيّة الخاصّة.

٥- بالرغم من سعة مضامينه و وفرة آياته و كثرة سورته فهو خال عن الاختلال و التناقض و التهافت أ فلا يتدبّرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً (١).

(١) النساء: ٨٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦

فلا- تجد فيه كلمة خالية عن الفصاحة، و لا آية مخالفة لآية أخرى، بل جميعه موصوف بغاية الجودة، و متّصف بما لم تجر بمثله العادة.

٦- من حيث اشتمال القرآن الكريم على أحسن الآداب، و أمتن الحكم، و أكمل المواعظ، و أصوب القوانين، و أتمّ الأحكام فى العبادات و المعاملات و المعاشرات فى أمور الحياة و الأسرة و المجتمع، و فى الحدود و الأقضية فى السفر و الحضر و الأمن و الخوف و السلم و الحرب و العسرة و الغلبة و كلّ ما يحتاجه الإنسان فى أصوله و فروعه بشكل ليس فيه أدنى خلل.

فجعل الله تعالى هذا القرآن مشتملاً على كلّ ما تحتاج إليه الأمم، و هادياً إلى التى هى أقوم، كما جعل بيانه و تبيانه عند مهبط وحيه و خزّان علمه و ترجمانه فى خلقه النبىّ الأمين صلّى الله عليه و آله و سلّم و أهل بيته الأطهار عليهم آلاف التحية و الثناء تكريساً للاقتداء، و تعظيماً للإمامة و ما يترتب عليها من فوائد كبيرة فى دنيا الناس و دينهم.

٧- من حيث ما تضمّنه من الأخبار فى قضايا الأمم السالفة، و خفايا القصص الماضية، و دقائق القرون الخالية، مثل أخبار آدم عليه السّلام و ابنه، و مسائل نوح عليه السّلام، و أمور إبراهيم عليه السلام، و قصّة أصحاب الكهف، و قضايا موسى ..... ممّا لم يطّلع عليها أحد إلا- بعض خواصّ الأخبار و الرهبان الذين لم يكن النبىّ الأعظم صلّى الله عليه و آله و سلّم معاشراً لهم، بل كان بعيداً عن مخالطتهم.

فكتاب كهذا من النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم الذى لم يتعلّم عند أحد يكشف قطعاً عن كونه من الله العالم بجميع الأمور.

علماً بأنّ ما بينه النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم من أخبار القرآن لم يكن اقتباساً من كتبهم، بل نقلاً لحقيقته الأمر و واقعه الموجود عندهم، و إلّا لكانوا يرمونه بالسرقة من كتبهم و هم غير آيين من توجيه التهمة مع توفّر الدواعى الكافية فى ذلك.

٨- من حيث اشتماله على الأخبار عن ضمائر المنافقين و بواطن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧

الكافرين و نوايا المشركين الخفية التى لم يطّلع عليها أحد حتّى إنهم كانوا يحذرون من أن تنزل فيهم آية تفضحهم، و تكشف نواياهم.

بل أخبر عن الأمور المستقبلية و الحوادث المقبلة و الغيب الصادق و النبأ المطابق ممّا لم يطّلع عليه إلّا علّام الغيوب مع كمال المطابقة و الصدق كما فى قوله تعالى: سَيُهْرَمُ الْجَمْعُ وَ يُؤَلَوْنَ الدُّبُرُ (١)، و قوله تعالى لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٢) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

هذا مضافاً إلى إخباراته عن الحقائق العلمية التى لم ينكشف اليسير منها إلّا فى الآونة الأخيرة و القرون المتأخّرة على رغم تطوّر العلوم

و المعارف.

٩- من حيث خواصه المعنوية و خصائصه الذاتية في التأثير على الأرواح، و شفائه للقلوب و الضمائر، و علاجه للأجسام، و طمأنته للقلوب، و بركاته في النفوس، فضلا عن الآثار الوضعية الأخرى التي تلازمه في النظر و القراءة و الاستشهاد و الاحتفاظ و نحو ذلك.

١٠- من حيث طراوته و حلاوته و عدم الملل منه عند تلاوته و قراءته مهما زادت و تكرر، و بعد كل ذلك فإنه لا يخلق على طول الأزمان، و لا يبلى، بل يستفاد منه في كل قراءة جديدة نكتة جديدة، و يجد القارئ المتدبر فيه إلماعات و إشارات و حقائق و لطائف لم تظهر له من قبل، فهو كلام الله البالغ، و حكمه الساطع، و هو نور لا يطفأ، و سراج لا يخبو كما ورد في خطبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة

«٣».

إلى غير ذلك من جهات و أسرار لا يسع المجال لبيانها هنا.

(١) القمر: ٤٦.

(٢) الفتح: ٢٨.

(٣) نهج البلاغة: ص ٣١٥، الخطبة ١٩٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨

### الشيعة و الاهتمام البالغ بالقرآن الكريم

إن القرآن الكريم أحدث في الحياة البشرية أعظم انقلاب و تغيير شمل كل مناحي الحياة، و امتد شعاعه إلى أبعد الأصقاع، و أذهل أقوى الأدمغة، و اكتسح أعظم الحضارات، و أقام فوق ركامها أنظف حضارة و أجمل حياة و أكمل سيادة و سياسة.

هذا و قد كان للشيعة اليد الطولى و السهم العظيم في الاهتمام به، و العمل على دراسته و تفسيره، و بيان معانيه و مضامينه، و اكتشاف أسرار و آياته و بيناته بهدى من أئمتهم عليهم السلام الذين هم عدل القرآن و أهله الذين أنزل القرآن في بيوتهم.

فكتبوا و نشروا و حثوا أيما حث على قراءته و حفظه و نشره و تجويده و الاستناد إليه في كل حقول المعرفة، و كان السبب في اهتمام الشيعة بالقرآن في الدرجة الأولى هو أهمية القرآن نفسه و عظمه أمره، ثم الاقتداء بالنبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و الأئمة من أهل بيته عليهم السلام في ذلك.

فمن ينظر إلى الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام و التي تحدثوا فيها عن القرآن الكريم يواجه عناية بالغة و كبيرة منهم بهذا الكتاب الإلهي الخالد، ثم من يطلع على بقيّة أحاديثهم في شتى جوانب الدين يجدها مليئة بالاستدلالات من القرآن الكريم مما يكشف عن شدة حرصهم على البقاء إلى جانب القرآن و الانطلاق منه و الرجوع إليه، و يشهد بذلك ما ألفه علماء الإمامية سددهم الله تعالى و رواتهم حول فضل القرآن و خصائصه و علومه و مزاياه و في شتى المجالات. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩

ما يلي:

١- كتاب فضل القرآن ليونس بن عبد الرحمن من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.

٢- كتاب فضل القرآن لمحمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هـ.

٣- كتاب نوادر القرآن لعلّي بن إبراهيم بن هاشم في القرن الثالث الهجري.

٤- كتاب فضل القرآن لمحمد بن مسعود العياشي في القرن الثالث الهجري.

٥- كتاب فضائل القرآن لأحمد بن محمد بن عمّار المتوفى سنة ٣٤٦ هـ.

كما عقد جمع من علماء الإمامية أبواباً خاصة حول القرآن في كتب الحديث مثل:

١- كتاب فضل القرآن في الجزء الثاني من (أصول الكافي) للكليني.

٢- كتاب فضل القرآن في الجزء الثاني من موسوعة (من لا يحضره الفقيه).

٣- كتاب القرآن في الجزء الرابع من موسوعة (وسائل الشيعة).

٤- كتاب القرآن في الجزء الأول من (مستدرك وسائل الشيعة).

٥- كتاب القرآن في الجزء الثاني والتسعين من موسوعة (بحار الأنوار).

و هذا يدلّك على مدى اهتمام الشيعة بالقرآن الكريم، كما أنّ التاريخ يشهد لهم مدى تفانيهم و بذلهم لأرواحهم على مدى التاريخ

في سبيل القرآن الكريم و العترة الطاهرة عليهم السلام. و قبل كلّ ذلك كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٠

هو أوّل من سمع القرآن من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم و خالجه آياته، و هو أوّل من جمعه بأمر رسول الله صلّى الله عليه

و آله و سلم و كتب تفسيره و تأويله و شأن نزوله كما في متصافر الأدلّة «١».

أمّا في علوم التفسير فكان الشيعة لهم القدم الأوّل في ذلك، و قد ذكر الشيخ الذهبي من علماء الأزهر في كتابه التفسير و المفسرون

عدداً من ذلك بعد أن استعرض بنحو مجمل من كتب في العصر الإسلامي الأوّل، و عدّ على رأسها تفسير الإمام عليّ بن أبي طالب

عليه السلام، فهو أوّل من كتب في التفسير، ثم قال في كتابه: و قد عدّ السيوطي في الإتقان من اشتهر بالتفسير من الصحابة و سّماهم، و

من سّماهم ابن مسعود، و ابن عباس، و أبي بن كعب، و زيد بن ثابت و غيرهم ... ثم قال: أمّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فهو أكثر

ال خلفاء الراشدين رواية عنه في التفسير «٢».

و في مكان آخر قال: جمع عليّ عليه السلام إلى مهارته في القضاء و الفتوى علمه بكتاب الله، و فهمه لأسراره و خفي معانيه، فكان

أعلم الصحابة بمواقع التنزيل و معرفة التأويل، و قد روى عن ابن عباس أنه قال: ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي طالب

عليه السلام. «٣» و ليس الذهبي منفرداً في هذا القول، فقد ذكر هذا الكثيرون غيره «٤».

أمّا أوّل من صنّف في التفسير فهو ترجمان القرآن عبد الله بن العباس المتوفى سنة ٦٨، ثم تلميذه سعيد بن جبير الذي قتله الحجاج

عام ٩٤ «٥»، و قيل: سنة ٩٥ و كان من المشهورين في التفسير، بل روى عن قتادة أن

(١) انظر تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ٣١٦-٣١٧؛ الذريعة: ج ٤، ص ٢٣١.

(٢) التفسير و المفسرون: ج ١، ص ٦٣-٦٤.

(٣) التفسير و المفسرون: ج ١، ص ٨٩-٩٠.

(٤) بين الجدران: ج ١، ص ١٧-١٨؛ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ج ١١، ص ٥٢.

(٥) الذريعة: ج ٤، ص ٢٣٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢١

سعيداً كان أعلم معاصريه بالتفسير «١». و أسند أبو عمر الكشي في كتاب الرجال عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: سعيد

بن جبير كان يأتّم بعليّ بن الحسين عليه السلام، و كان عليّ بن الحسين عليه السلام يثنى عليه. و ما كان سبب قتل الحجاج له إلّا على





بيتي، ثم أمتي، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله و أهل بيتي»

«٢».

٣- و

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «هم مع القرآن و القرآن معهم لا يفارقونه حتى يردوا على الحوض»

«٣».

و لا يخفى على اللبيب دلالة (المعينة و عدم المفارقة) على التلازم و عدم الافتراق أو الاختلاف في كل شيء حتى يوم القيامة.

(١) مستدرک الوسائل: ج ٧، ص ٢٥٤-٢٥٥، ح ٨١٨١، باب ٤٧ من كتاب الزكاة؛ بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٠٠، ح ٥٩؛ و انظر الإرشاد: ج ١، ص ٢٣٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٦، ص ١٧٠، ح ٢، باب ٢ من أبواب قراءة القرآن.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ١٥٠، ح ١٤٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣

٤- و

عن علي عليه السلام قال: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به و اسألوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا و أنا أعلم

أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل»

«١».

٥- و

عنه عليه السلام قال: «والله ما نزلت آية إلا و قد علمت فيم نزلت و أين نزلت ... إن ربي و هب لي قلبا عقولا و لسانا سؤولا»

«٢».

٦- و

عنه عليه السلام قال: «سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فما من آية إلا و أعلم حيث نزلت بحضيض جبل أو سهل

أرض»

«٣».

٧- و

عن أبي الصباح قال: و الله لقد قال لي جعفر بن محمد عليهما السلام: «إن الله علم نبيه صلى الله عليه و آله و سلم التنزيل و التأويل،

فعلمه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم علينا عليه السلام قال: و علمنا و الله»

«٤».

٨- و

عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبي عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «و الله إنني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره،

كأنه في كفي، فيه خبر السماء و خبر الأرض و خبر ما كان و خبر ما هو كائن. قال الله عز و جل: تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ»

«٥» «٦».

٩- و

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قول الله عز و جل: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» (٧) قال: هم الأئمة عليهم

السّلام»

«٨».

(١) الإتيان في علوم القرآن: ج ٢ ص ١٢٢٧؛ وانظر الغدير: ج ٦، ص ١٩٣؛ بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ١٧٩، ح ٦١.

(٢) المناقب: ج ٢، ص ٤٣؛ الإتيان في علوم القرآن: ج ٢، ص ١٢٢٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ١٩٠، ح ٧٤.

(٤) الكافي: ج ٧، ص ٤٤٢، ح ١٥؛ التهذيب: ج ٨، ص ٢٨٦، ح ١٠٥٢، وسائل الشيعة:

ج ٢٣، ص ٢٢٤، ح ٢٩٤٢٦، باب ١٢ من أبواب كتاب الأيمان.

(٥) النحل: ٩٠.

(٦) أصول الكافي: ج ١، ص ٢٢٩، ح ٤، وفيه «فيه تبيان كل شيء».

(٧) العنكبوت: ٥٠.

(٨) أصول الكافي: ج ١، ص ٢١٤، ح ٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٤

و

في رواية أخرى: «هم الأئمة عليهم السلام خاصة»

«١».

١٠- و

عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام في تفسير قول الله عزّ وجلّ: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ «٢» قال عليه السّلام: «إنما نحن الذين يعلمون، والذين لا يعلمون عدونا، و شيعتنا أولو الألباب»

«٣».

١١- و

عن عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «إنّ الله تبارك و تعالی طهّرنا و عصمنا و جعلنا شهداء على خلقه، و حجّته في أرضه، و جعلنا مع القرآن، و جعل القرآن معنا لا نفارقه و لا يفارقنا»

«٤».

١٢- و

عنه عليه السّلام قال: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن، و فينا معدن الرسالة»

«٥».

١٣- و

عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله تعالى: فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ «٦» قال عليه السّلام: «الذكر القرآن، و نحن أهله»

«٧».

١٤- و

عن أبي عبد الله عليه السّلام في قوله عزّ وجلّ: سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ «٨» قال عليه السّلام: «الثقلان نحن و القرآن»

«٩».

١٥- و

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن»

«١٠».

هذا وقد تواترت الأخبار الدالة على كونهم عليهم السلام عدل القرآن و الثقل الذي أوصى به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، و الدال على تلاحمهم المطلق مع القرآن فكرا و قولا و عملا، بل هم القرآن الناطق الذي لا ينطق عن الهوى، و قد وردت أكثر من ثلاثين رواية بهذا الشأن عن طرفنا، و أكثر من ست عشرة

(١) أصول الكافي: ج ١، ص ٢١٤، ح ٥.

(٢) الزمر: ١٠.

(٣) أصول الكافي: ج ١، ص ٢١٢، ح ١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٣٤٣، ح ٢٦.

(٥) بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ٢٦٩، ح ٥.

(٦) النحل: ٤٤.

(٧) بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١٨١، ح ٣٧.

(٨) الرحمن: ٣٢.

(٩) بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ٣٢٤، ح ٣٧.

(١٠) بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ٢٧، ح ٢٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٥

رواية من طرق العامة تدل على ذلك، كما أورده العلامة البحراني «١» وغيره.

و من هنا اتفق أصحابنا على أن تفسير القرآن لا يجوز إلما بالأثر الصحيح عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم و الأئمة

الطاهرين عليهم السلام، و حرّموا القول فيه بالرأى و الاجتهاد، و هذا ما رواه العامة أيضا

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من فسّر القرآن برأيه و أصاب الحق فقد أخطأ»

«٢» و الظاهر أنهم التزموا به من حيث الكبرى و إن خالف جمع غير قليل من مفسّريهم الالتزام بذلك من حيث الصغرى. خصوصا ما

يتعلق بالآيات الواردة بشأن أهل البيت عليهم السلام و بيان فضائلهم و مقاماتهم الربانية.

و من الواضح أنه لا يجوز أن يكون في كلام الله عزّ و جلّ و حججه المعصومة عليهم السلام تناقض أو تضادّ أو تعارض حقيقي لما

فيه من القبح و نقض الغرض و غيرهما من المحالات.

كيف لا و قد عرفت أنهم عليهم السلام عدله، بل و الناطق من كلماته و آياته، كما أنه الميزان الذي يفصل بين منطقتهم و حديثهم و

منطق و حديث غيرهم، و ممّا يؤكّد ذلك ما

روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الأئمة عليهم السلام: «إذا جاءكم منّا حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله

فخذوه، و ما خالفه فاطرحوه أو ردّوه علينا»

«٣».

و لعلّنا الأعلام في علمي التفسير و الأصول كلام مفصّل في بيان المقصود من التفسير بالرأى و حلّ بعض التشابه البدوي الذي قد

يتصوّره البعض تعارضا واقعا بين الآيات و الروايات بما لا يسعنا المجال لبيانها هنا «٤».

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٩-١٥ و ٢٦-٢٨.

(٢) التبيان: ج ١، ص ٤، مقدّمه المؤلف.

(٣) التهذيب: ج ٧، ص ٢٧٥، ح ١١٦٩.

(٤) من أراد الاطلاع يمكنه مراجعة مجمع البيان: ج ١، ص ٦؛ تفسير الصافي: ج ١، ص ٣٢-٣٥؛ البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ١٧-١٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٦

هذا مضافا إلى ما تواتر نقله في كتب العامة فضلا عن الخاصة من حديث الثقلين الدال على تلاحم القرآن و أهل البيت عليهم السلام، فقد أوردوا في كتبهم من روايته عن الصحابة الذين سمعوه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أكثر من ثلاثين صحابيا، و بقي على ذلك متواترا في كل عصر إلى العصر الحاضر، و نص الحديث هو قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله و عترتي أهل بيتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(١)</sup>.

و لا يخفى أن لفظ العتره و الأحاديث الكثيرة الصحيحة الواردة في تعيين أهل البيت عليهم السلام يعينان المراد من أهل البيت عليهم السلام، فضلا عن دلالة الإجماع و العقل.

و

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا»

مع

قول صلى الله عليه و آله و سلم: «و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»

يعينان الأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام من عتره الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و ذريته كما ذكره العلامة البلاغي (قده) و لعل من دلائل ذلك أيضا إجماع المسلمين على أن من عداهم عليهم السلام ليس معصوما، و لا يتصف بأنه مثل كتاب الله لا يضل من تمسك به. و هذه أسماء الصحابة السامعين لهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ١- عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ٢- عبد الله بن عباس ٣- أبو ذر الغفاري ٤- جابر الأنصاري ٥- عبد الله بن عمر ٦- حذيفة بن أسيد ٧- زيد بن أرقم ٨- عبد الرحمن ابن عوف ٩- ضميرة الأسلمي ١٠- عاصم بن ليلي ١١- أبو رافع ١٢- أبو هريرة ١٣- عبد الله بن حنطب ١٤- زيد بن ثابت ١٥- أم سلمة ١٦- أم هانئ أخت أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ١٧- خزيمه بن ثابت ١٨- سهل بن سعد ١٩- عدى بن حاتم ٢٠- عقبه بن عامر ٢١- أبو أيوب الأنصاري ٢٢-

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ٣٤، ح ٣٣١٤٤، باب ٦ من أبواب صفات القاضي و ما يجوز أن يقضى به؛ و انظر الخصال: ج ١، ص ٦٥، ح ٩٧؛ سنن الترمذي: ج ٥، ص ٦٦٣، ح ٣٧٨٨؛ مسند أحمد: ج ٣، ص ١٤ و ١٧ و ٢٦؛ المستدرک على الصحيحين: ج ٣، ص ١٤٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٧

أبو سعيد الخدری ٢٣- أبو شريح الخزاعي ٢٤- أبو قدامة الأنصاري ٢٥- أبو ليلي ٢٦- أبو الهيثم بن التيهان.

وهؤلاء الذين ذكرنا أسماءهم من بعد أم هانى قد رواه كل منهم منفردا كمن تقدمه، وقاموا فى رحبة الكوفة مع سبعة من قريش، فشهدوا أنهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهؤلاء ثلاثة و ثلاثون، و رواه أبو نعيم الإصبهاني فى كتاب (منقبة المطهرين) مسندا عن جبير بن مطعم، و أسنده أيضا عن أنس بن مالك، و أسنده عن البراء بن عازب، و رواه موقق بن أحمد أخطب خوارزم عن عمرو بن العاص. و قلما يخلو عن رواية هذا الحديث مسندا أو جامع أو كتاب فى الفضائل لأهل السنة من أول ما أخرج الحديث من الحفظ و صدور الحفاظ إلى صحف المحدثين و لا زالت يروى فيها عن صحابى واحد أو أكثر، و ربما روى فى واحد منها عن أكثر من عشرين صحابيا إما مجملا كما فى الصواعق، و إما مسندا مفضلا كما فى كتب السخاوى و السيوطى و السمهودى و غيرهم، و من أراد الاطلاع فليرجع إلى الجزأين المكتوبين فى أسانيد هذا الحديث من كتاب العباة.

كما و رواه الإمامية فى كتبهم و أسانيدهم المتكررة عن الباقر و الصادق و الكاظم و الرضا عليهم السلام، عن آبائهم عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و بالأسانيد الأخر عن أمير المؤمنين عليه السلام و عمر و أبى ذرّ و جابر و أبى سعيد و زيد بن أرقم و زيد بن ثابت و حذيفة بن أسيد و أبى هريرة و غيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما فى غاية المرام «١».

### أهل البيت عليهم السلام عدل القرآن

تضافرت الأدلة من الآيات و الروايات بل و هو ممّا يحكم به العقل أيضا فضلا عن الإجماع أن أهل البيت عليهم السلام عدل القرآن الكريم، و هما القيمتان

(١) انظر علوم القرآن عند المفسرين: ج ١، ص ٢٠٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٨

المتكاملتان و المتلاحمتان فى الجوهر و المضمون، و لا يفصل بينهما مكان أو زمان أو رأى أو مفهوم، و لا يوزعهما فكر أو تطبيق، شعاعان من نور واحد، و طريقان فى هدف واحد، يشتركان معا فى إضاءة عقل الإنسان و روحه و قلبه، و يوجهانه إلى حيث سعاده و بناء حياته و حضارته الحرة الكريمة، فلو لا القرآن لم يكن للحياة هدى، و لا للإنسان رشد، و لا علق فى طرفه نور، و لو لا أهل البيت عليهم السلام لم يكن للرشد مرشد، و لا للعلم معلم أو تعليم، و لا للنور شعاع أو مصباح. فالقرآن أصل العلم، و أهل البيت عليهم السلام معرفته و معدنه و بيانه؛ و لذا كان أكثر ما نزل به القرآن ما يرتبط بهم عليهم السلام من قريب أو بعيد، فبعضه فى ولايتهم و موّدتهم و طاعتهم عليهم السلام، و بعضه فى فضح أعدائهم، و بعضه فى الأحكام و الفضائل التى لا تصل غايتها و لا تقع مقبولة عند الخالق تبارك و تعالى إلا إذا اقترنت بمحبتهم، و وصلت من طرفهم.

### فيم نزل القرآن

١-

عن أبى الجارود قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «نزل القرآن على أربعة أرباع، ربع فىنا، و ربع فى عدونا، و ربع فى فرائض و أحكام، و ربع سنن و أمثال، و لنا كرائم القرآن»

«١».

٢-

عن عبد الله بن سنان قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن القرآن و الفرقان قال: «القرآن جملة الكتاب و أخبار ما يكون، و الفرقان المحكم الذى يعمل به، و كل محكم فهو فرقان»

«٢».

٣- و

عن الأصبع بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «نزل القرآن أثلاثا، ثلث فينا و في عدونا، و ثلث سنن و أمثال، و ثلث فرائض و أحكام»

«٣».

(١) تفسير العياشي: ج ١، ص ٩، ح ١.

(٢) تفسير العياشي: ج ١، ص ٩، ح ٢.

(٣) تفسير العياشي: ج ١، ص ٩، ح ٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩

-٤

عن محمد بن خالد بن الحجاج الكرخي، عن بعض أصحابه رفعه إلى خيثمة قال: قال أبو جعفر: «يا خيثمة، القرآن نزل أثلاثا، ثلث فينا و في أحبائنا، و ثلث في أعدائنا و عدوّ من كان قبلنا، و ثلث سنّة و مثل، و لو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، و لكن القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات و الأرض، و لكلّ قوم آية يتلونّها و هم منها من خير أو شرّ»

«١».

ولا- تنافى بين هذه الأخبار؛ لأنّ بناء هذا التقسيم ليس على التسوية الحقيقية، و لا على التفريق من جميع الوجوه، بل على أصل التصنيف، فإطلاقه لا- ينفي ما عداه لكونه ليس في مقام البيان، و عليه فلا بأس باختلاف الأخبار بالثلاث و الترتيب، و لا بزيادة بعض الأقسام على الثلث أو الربع أو نقصه عنهما، و لا دخول بعضها في بعض.

هذا و قد وردت أخبار جمّة عن أهل البيت عليهم السّلام في تأويل كثير من آيات القرآن بهم و بأوليائهم و أعدائهم، حتّى إنّ جماعة من أصحابنا صنّفوا كتباً في تأويل القرآن على هذا النحو، جمعوا فيها ما ورد عنهم عليهم السّلام في تأويل آية آية، إمّا بهم أو بشيعتهم أو بعدوّهم على ترتيب القرآن، و قد روى في الكافي و في تفسير العياشي و على بن إبراهيم القميّ و التفسير المسموع من الإمام أبي محمد الزكي أخبار كثيرة من هذا القبيل «٢»، منها ما

رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله تعالى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٤) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٥) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ «٣». قال: «هي الولاية لأمر المؤمنين عليه السلام»

«٤».

و

في تفسير الصافي نقلا عن العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي

(١) تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠، ح ٧.

(٢) انظر علوم القرآن عند المفسرين: ج ١، ص ٢٠٩.

(٣) الشعراء ١٩٤-١٩٦.

(٤) أصول الكافي: ج ١، ص ٤١٢، ح ١. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٠

جعفر عليه السلام قال: «يا أبا محمّد، إذا سمعت الله ذكر قوما من هذه الأئمة بخير فحننهم، وإذا سمعت الله ذكر قوما بسوء ممّن مضى فهم عدوّنا»

«١».

و

فيه عن عمر بن حنظله عن أبي عبد الله عليه السلام سأله عن قول الله تعالى: قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

«٢».

قال: فلما رأني أتتبع هذا وأشابهه من الكتاب قال: «حسبك كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته، مثل هذا فهو في الأئمة عنوا به»

«٣».

وقد أشار الفيض الكاشاني (قدّس سرّه) إلى بعض السرّ فيه في تفسيره، فقال: إنّه لما أراد الله أن يعرف نفسه لخلقه ليعبدوه، و كان لم يتيسر معرفته كما أراد على سبب الأسباب إلّا بوجود الأنبياء والأوصياء؛ إذ بهم تحصل المعرفة التامة والعبادة الكاملة دون غيرهم، و كان لم يتيسر وجود الأنبياء والأوصياء إلّا بخلق سائر الخلق ليكون أنسا لهم، و سببا لمعاشهم؛ فلذلك خلق سائر الخلق، ثم أمرهم بمعرفة أنبيائه وأوليائه ولايتهم، و التبرّي من أعدائهم، و ممّا يصدّهم عن ذلك، ليكونوا ذوى حظوظ من نعيمهم، و وهب الكلّ معرفة نفسه على قدر معرفتهم بالأنبياء والأوصياء؛ إذ بمعرفتهم إياهم يعرفون الله، و بولايتهم إياهم يتولّون الله، فكلّ ما ورد من البشارة والإنذار والأوامر والنواهي والنصائح والمواعظ من الله سبحانه فإنّما هو لذلك، و لما كان نبينا سيّد الأنبياء و وصيه سيّد الأوصياء لجمعهما كمالا سائر الأنبياء والأوصياء و مقاماتهم مع مالهما من الفضل عليهم و كان كلّ منهما نفس الآخر صحّ أن ينسب إلى أحدهما من الفضل ما ينسب إليهم لاشتماله على الكلّ، و جمعه لفضائل الكلّ، و حيث كان الأكمل يكون الكامل لا محالة؛ و لذلك خصّ تأويل الآيات بهما، و بسائر أهل البيت عليهم السلام الذين هم منهما ذريّة بعضها من بعض، و جرى بالكلمة الجامعة التي هي الولاية فإنّها مشتملة

(١) تفسير الصافي: ج ١، ص ٢٣-٢٤.

(٢) الرعد: ٤٤.

(٣) تفسير الصافي: ج ١، ص ٢٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١

على المعرفة والمحبّة والمتابعة و سائر ما لا بدّ منه في ذلك.

و أيضا فإنّ أحكام الله سبحانه إنّما تجرى على الحقائق الكليّة و المقامات النوعيّة دون خصائص الأفراد والآحاد، فحيثما خوطب قوم بخطاب أو نسب إليهم فعل دخل في ذلك الخطاب و ذلك الفعل عند العلماء و أولى الألباب كلّ من كان من سنخ أولئك القوم و طينتهم، فصفوة الله حيثما خوطبوا بمكرمة أو نسبوا إلى أنفسهم مكرمة يشمل ذلك كلّ من كان من سنخهم و طينتهم من الأنبياء والأولياء و كلّ من كان من المقربين، إلّا مكرمة خصّوا بها دون غيرهم، و كذلك إذا خوطبت شيعتهم بخير أو نسب إليهم خير أو خوطب أعداؤهم بسوء و نسب إليهم سوء يدخل في الأوّل كلّ من كان من سنخ شيعتهم و طينته محبيهم، و في الثاني كلّ من كان من سنخ أعدائهم و طينته مبغضهم من الأوّلين و الآخرين؛ و ذلك لأنّ كلّ من أحبّه الله و رسوله أحبّه كلّ مؤمن من ابتداء الخلق إلى انتهائه، و كلّ من أبغضه الله و رسوله أبغضه كلّ مؤمن كذلك، و هو يبغض كلّ من أحبّه الله تعالى و رسوله، و كلّ مؤمن في العالم قديما أو حديثا إلى يوم القيامة فهو من شيعتهم و محبيهم، و كلّ جاحد في العالم قديما أو حديثا إلى يوم القيامة فهو من مخالفهم و

مبغضهم.

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في كلام الصادق عليه السلام في حديث المفضل بن عمر، وهو الذي رواه الصدوق طاب ثراه في كتاب علل الشرائع بإسناده عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بم صار علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنة والنار؟ قال: «لأن حبه إيمان، وبغضه كفر، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان، وخلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة، والجنة لا يدخلها إلا أهل محبته، والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه». قال المفضل: يا ابن رسول الله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبونه وأعداؤهم يبغضونه؟ فقال «نعم» قلت: فكيف ذلك؟ قال: «أما علمت أن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٢

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خبير: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله تعالى ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ما يرجع حتى يفتح الله على يده؟» قلت: بلى. قال: «أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أوتى بالطائر المشوى قال: اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير وعني به عليا؟» قلت: بلى. قال:

«يجوز أن لا يحب أنبياء الله ورسوله وأوصياؤهم عليهم السلام رجلا يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله؟» فقلت: لا. قال: «فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أممهم لا يحبون حبيب الله وحبيب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأنبيائه؟» قلت: لا. قال: «فقد ثبت أن جميع أنبياء الله ورسوله وجميع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب عليه السلام محبين، وثبت أن المخالفين لهم كانوا له لجميع محبته مبغضين» قلت: نعم. قال: «فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين، فهو إذا قسيم الجنة والنار».

قال المفضل بن عمر، فقلت له: يا ابن رسول الله، فرجت عني فرج الله عنك فزدني مميا علمك الله تعالى، فقال: «سل يا مفضل» فقلت: أسأل يا ابن رسول الله فعلي بن أبي طالب عليه السلام يدخل محبه الجنة وبغضه النار أو رضوان وملك؟ فقال: «يا مفضل، أما علمت أن الله تبارك وتعالى بعث رسوله وهو روح إلى الأنبياء وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفى عام؟» قلت: بلى. قال: «أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته وأتباع أمره، ووعدهم الجنة على ذلك، وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟» فقلت: بلى. قال: «أفليس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضامنا لما وعد وأوعد عن ربّه عز وجل؟» قلت: بلى. قال: «أوليس علي بن أبي طالب عليه السلام خليفته وإمام أمته؟» قلت: بلى. قال: «أوليس رضوان وملك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبته؟» قلت: بلى. قال: «فعلي بن أبي طالب عليه السلام إذا قسيم الجنة والنار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورضوان وملك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مفضل، خذ هذا فإنه من مخزون العلم ومكنونه لا تخرجه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣

إلا إلى أهله»

«١»

عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام عن الحسن بن عليّ عليهما السلام أنه قال «من دفع فضل أمير المؤمنين عليه السلام فقد كذب بالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وسائر كتب الله المنزلة، فإنه ما نزل شيء منها إلا وأهم ما فيه بعد الأمر بتوحيد الله تعالى والإقرار بالنبوة الاعتراف بولاية عليّ والطيبين من آله عليهم السلام»

«٢»

و

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ما قبض الله نبيا حتى أمره أن يوصى إلى عشيرته من عصبته، وأمرني أن أوصى،



فقلت: إلى من يا رب؟ فقال:

أوص يا محمّد إلى ابن عمّك عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فإنّي قد أثبتّه في الكتب السالفة، و كتبت فيها أنّه وصيّك، و على ذلك أخذت ميثاق الخلائق و موثيق أنبيائي و رسلي. أخذت موثيقهم لي بالربوبيّة، و لك يا محمّد بالنبوّة، و لعليّ بن أبي طالب بالولاية

«٣».

و

عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السّلام في رواية طويلة قال: «فحنّ أوّل خلق الله و أوّل خلق عبد الله و سبّحه، و نحن سبب خلق، و سبب تسييحهم و عبادتهم من الملائكة و الآدميين، فبنا عرف الله، و بنا وخرّد الله، و بنا عبد الله، و بنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه، و بنا أثاب من أثاب، و بنا عاقب من عاقب، ثمّ تلا قوله تعالى: وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصّٰفُّوْنَ (١٦٦) وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ «٤». و قوله تعالى: قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعٰبِدِيْنَ «٥».

فرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أوّل من عبد الله تعالى، و أوّل من أنكر أن يكون له ولد و شريك، ثمّ نحن بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم

«٦».

فظهر من جميع ما ذكر أنّ حقيقة الدين و روح الأحكام معرفتهم

(١) تفسير الصافي: ج ١، ص ٢٤-٢٦.

(٢) تفسير الإمام العسكري: ص ٨٣، ح ٤٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ٢٧٢، ح ١١.

(٤) الصافات: ١٦٦-١٦٧.

(٥) الزخرف: ٨٢.

(٦) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٠، ح ٣١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٤

و ولايتهم، و جميع الخلق راجع إليهم، فجميع آيات الكتاب تكون فيهم و ما يتعلّق بهم و بشؤونهم في دلالة اللفظيّة أو اللبّيّة أو النقليّة، فتأمل.

### لمحة تاريخيّة عن علوم القرآن

لقد أدركت الطلائع المؤمنة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أهميّة العلم، و وعّت أنّ الشخصية الإسلاميّة عمادها الأساس هو التوحيد، و أنّ طريق التوحيد هو العلم، فانبرت للعلم تهله، و تترتاد رياضه، و طلبت العلم ليهديها إلى حقائق الكون، و لتبلغ المراتب السامية في مدارج الرقي الحضاري، و تنافست في مصداق قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَشْتَرِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١). و تسابقت كسبا للدرجات العليا عند الله تعالى، و نيلا للرفعة و المنزلة السامية لديه ... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (٢).

و فهم المسلمون الأوائل البون الشاسع بين الجهل و العلم في اعتبارات القرآن حين ثقفوا قوله تعالى: كَذٰلِكَ يَطۡعُ اللَّهُ عَلٰى قُلُوْبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ «٣» في الوقت الذي أشاد الله تعالى بشهادة أهل العلم على وحدانيته: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُو

الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «٤».

و لقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ النمير العذب و السلسل الرقراق لمختلف العلوم و المعارف، فأحاط به جمع من الصحابة الأجلاء، يقتبسون منه سناء العلم، و يستضيئون بهداه.

غير أن هذه العلوم القرآنية لم تدون جميعها عند تدوين القرآن في العهد الرسالي؛ و ذلك لأسباب عديدة عد بعضها منها ما يلي:

(١) الزمر: ١٠.

(٢) المجادلة: ١٢.

(٣) الروم: ٦٠.

(٤) آل عمران: ١٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٥

١- وجود الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ بين المسلمين يوضح لهم ما أشكل عليهم فهمه، و يبصرهم بحقائق التفسير، و يوجههم نحو المقاصد القرآنية، فهو ... يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ ... «١».

٢- قدرتهم على الفهم المباشر و الاستيعاب الصحيح، لفصاحتهم و بلاغتهم العربية الأصيلة؛ و لأن القرآن الكريم: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٤) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٥) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ «٢».

٣- لعسر الكتابة و ندرة أدواتها و قلّة الكتاب للتعلّم و التعليم، و بعد أن اختار الله سبحانه و تعالى الصادق الأمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ إلى جواره تبارى المسلمون الغيارى على الدين في تدوين العلوم و تصنيفها حسبما توفرت لديهم من الوسائل و الأدوات، و لعلّ من أهمّ الأسباب التي دفعتهم إلى التدوين:

أ- الرغبة في أن يكونوا مصاديق تتحقّق فيهم إرادة الله الأزلية في حفظ القرآن و تخليده بالبحث فيما احتواه من علوم و ما تضمّنه من معارف لما يترتّب على ذلك من هداية و تعليم و تربية.

ب- خدمة الأئمة الإسلامية جيلا بعد جيل بإشاعة العلم بينها، و نقله لها دون خطأ أو اشتباه بتدوينه، لا سيّما بعد أن اختلط العرب بغيرهم من الأعاجم.

ج- تزكية ما لديهم من العلم بنشره بين المسلمين، فإنّ في نشره زكاة له.

د- نيل الثواب العظيم في طلب العلم و نشره و ترويجه، حيث رفع الله سبحانه درجات العلماء في الدنيا و الآخرة، و جعل طلب العلم في أعلى مراتب المستحبات و المندوبات، و في بعض مراتبه من أهمّ الفرائض

(١) آل عمران: ١٦٥.

(٢) الشعراء: ١٩٤-١٩٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦

و الواجبات، كما ظلّ أهل العلم بأجنحة ملائكته، و سخرهم للاستغفار عنهم و الدعاء لهم كما هو في متصافر الأخبار على تفصيل لا يسعنا المجال لبيان.

هذا و قد كان مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام الرجل الأوّل، و المحرّز لقصب السبق في مضمار تدوين القرآن و تفسيره و بيان علومه.

قال في الإتقان: أخرج ابن داود من طريق ابن سيرين قال: قال عليّ عليه السّلام: «لما مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ

آليت ألا آخذ عليّ ردائي إلّا لصلاة جمعه حتّى أجمع القرآن».

و كذلك ابن الضريس في فضائله، و ابن أشتة في المصاحف من وجه آخر، و فيه أنه كتب فيه النسخ و المنسوخ «١». و الجدير بالذكر أنّ جمع مولانا أمير المؤمنين القرآن لا يعنى أنّه لم يكن مدوّنا، بل كان مدوّنا في الرقاع و العسب و نحوها، و قام أمير المؤمنين عليه السّلام بتدوينه مصحفا، و ذلك بترتيب (الجذاذات) المدوّن عليها و توحيدها. و المشهور أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام أمر أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) بوضع بعض قواعد اللّغة حفاظا على سلامتها، فكان عليه السّلام أوّل من وضع الأساس لعلم إعراب القرآن.

و أمّا في مضممار التفسير فقد جاء: أمّا الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم عليّ بن أبي طالب، و الرواية عن الثلاثة نزره جدّا «٢».

و عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن علي بن أبي طالب أنّه قال: «و الله ما نزلت آية إلّا و قد علمت فيما أنزلت و أين أنزلت، إنّ ربّي

(١) الإتقان في علوم القرآن: ج ١، ص ١٨٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ج ٢، ص ١٢٢٧. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٧

و هب لي قلبا عقولا و لسانا سؤولا»

«١».

و عن الأصمغ بن نباته أنّه عليه السّلام قال في خطبة له: «سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي فلق الحبّة و برأ النسمه، لو سألتموني عن آية آية لأخبركم بوقت نزولها، و فيم نزلت، و أنبأتكم بناسخها من منسوخها، و خاصّها من عامّها، و محكمها من متشابهها، و مكّيها من مدنيها»

«٢».

و عن ابن الطفيل قال: شهدت عليّا يخطب و هو يقول: «سلوني ...

فو الله ما من آية إلّا و أنا أعلم أ بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل»

«٣».

و فتق الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام سائر العلوم القرآنية و صنّفها، فلقد أملى ستين نوعا من أنواع علوم القرآن، و ذكر لكلّ نوع مثلا- يخصّه، و هو في كتاب نرويه عنه من عدّة طرق موجود بأيدينا إلى اليوم، و قد أخرج به تمامه العلّامة المجلسي «٤» (قده) في الجزء الأربعين من بحار الأنوار.

و ليس عجبا أن ينال الإمام عليّ عليه السّلام هذه المرتبة، و أن يدخر هذه الكنوز العلميّة، و أن يبلغ هذا الشأن؛ لأنّه العلم الهادي و الحجّة في الخلق.

و من هنا يرى البعض أنّه لا يصحّ فيه ما اشتهر قوله: إنّّه عليه السّلام أوّل الصحابة إسلاما، و أقدمهم إيمانا- لأنّ عليّا عليه السّلام هو وصيّ رسول ربّ العالمين، و حجّة الله على خلقه، ولد مؤمنا مسلما معينا من قبل الله تعالى للوصيّة و الخلافة و الإمامة قبل أن يخلق الله الخلق- إلّا على نحو الإضافة أو المجاز على ما هو المستفاد من بعض الروايات، كما أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم كان

(١) المصدر نفسه.

(٢) الإرشاد: ج ١، ص ٣٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ١٧٩، ح ٦١.

(٤) هو المحدث الكبير محمد باقر بن محمد تقى الأصفهاني المشهور بالمجلسي (١٠٣٧-١١١٠ هـ).

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨

نبيًا قبل أن يخلق في الحياة الدنيا، و من تلك الأحاديث و الروايات التي ذكرت و هي صريحة في عموم أخذ الميثاق للجميع بالنبوة و الولاية في عالم الذر «١».

الحديث الشريف: «كنت نبيًا و آدم بين الماء و الطين»

«٢».

و في آخر: «كنت حيًا و آدم بين الماء و الطين»

«٣» و كذلك

الحديث القدسي: «لولاك لما خلقت الأفلاك»

«٤». إلى غيرها من الروايات و الأحاديث المعتمدة.

و قد ورد في كتاب «إليا» و الذي نشرته دار المعارف الإسلامية في لاهور في باكستان في تموز عام ١٩٥١ م تحت عنوان «أسماء مباركة توصل بها نوح عليه السلام» حيث عثر العلماء السوفيت في منطقة «وادي قاف» على خشبة قديمة قالوا: إنها تعود إلى سفينة نوح عليه السلام مكتوب عليها مجموعة من الحروف باللغة السامانية، و هي أقدم لغات العالم، و ترجم حروف هذه اللوحة إلى اللغة الإنجليزية العالم البريطاني «إيف ماكس» أستاذ الألسن القديمة في جامعة مانشستر، و لا يخفى أن «إيليا» و «شبر» و «شبير» هي أسماء باللغة السامانية، و معناها بالعربية «علي» و «حسن» و «حسين» و قد

جاء في دعاء النبي نوح عليه السلام بعد ترجمته: «إلهي بلطفك و رحمتك و بالذوات المقدسة محمد إيليا شبر شبير فاطمة خذ بيدي، فإن هؤلاء الخمسة عظماء يجب احترامهم، و من أجلهم خلق الله تعالى هذه الدنيا، إلهي فأمدني ببركة أسمائهم و أنت قادر على هدايتنا جميعا»

«٥».

إن أمير المؤمنين عليه السلام كان حافظا و مستودعا لعلوم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيث قال عليه السلام: «كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كل يوم دخلة، و كل ليلة دخلة، فيخيلني فيها أدور معه حيثما دار، و قد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم

(١) انظر أصول الكافي: ج ٢، ص ٨، ح ١ و ٢.

(٢) عوالي اللآلي: ج ٤، ص ١٢١، ح ٢٠٠.

(٣) عوالي اللآلي: ص ١٢٤، ح ٢٠٨.

(٤) مفاتيح الغيب: ص ١٤.

(٥) موسوعة أهل البيت (ع) الكونية: ج ١، ص ٢٣٣. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٩

أنه لم يصنع ذلك بأحد غيري ... و كنت إذا سألته أجابني، و إذا سكتت و فريت مسألتي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم آية من القرآن إلا- أقرأنيها و أملاها علي، فكتبتها بخطي، و علمني تأويلها و تفسيرها، و ناسخها و منسوخها و

محكمها و متشابهها، و خاصّها و عامّها، و دعا الله أن يؤتيني فهمها و حفظها»

«١».

و

عن عبد الله بن مسعود قال: استدعى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عليا عليه السلام فخلا به، فلما خرج إلينا سألتناه: ما الذى عهد به إليك؟ فقال عليه السلام: «علمنى ألف باب من العلم، فتح لى كل باب ألف باب»

«٢».

و لقد أبان القرآن الكريم عن منزلة أمير المؤمنين عليه السلام و مقامه فى آية المباهلة فى قوله تعالى: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ «٣».

فقد أجمع المفسرون على أن المقصود من الأبناء فى الآية الشريفة هم الحسنان عليه السلام، و النساء فاطمة عليها السلام، و الأنفس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و عليّ عليه السلام إلى غيرها من الآيات الشريفة و الروايات المتواترة كما فى حديث الثقلين «٤» و المنزلة «٥».

(١) الخصال: ج ١، ص ٢٥٧.

(٢) الإرشاد: ج ١، ص ٣٤.

(٣) آل عمران: ٦٢.

(٤)

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «إنى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتى أهل بيتى، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» انظر مسند أحمد: ج ٣، ص ١٤.

(٥)

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدى» انظر الكافي: ج ٨، ص ١٠٧، ح ٨٠. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٠.

### بعض مفسرى الشيعة

من الصحابة الأوائل فى التفسير و التأويل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ت ٥٦٨ هـ). و هو أول من أملى فى تفسير القرآن الكريم، و قد حكى عن أبى الخير قوله فى طبقات المفسرين عند ذكره ابن عباس: فهو ترجمان القرآن و حبر الأمة، و رئيس المفسرين «١». و قال الزركشى: و صدور المفسرين من الصحابة علىّ ثم ابن عباس، إلا أن ابن عباس كان قد أخذ عن عليّ عليه السلام «٢». و قال أيضا كان لعلّى عليه السلام فيه - التفسير - اليد السابقة قبل ابن عباس، و هو القائل: «لو أردت أن أملى وقر بعير عن الفاتحة لفعلت».

و قال ابن عطية فأما صدر المفسرين و المؤيد فيهم فعلى بن أبى طالب، و يتلوه ابن عباس رضى الله عنهما «٣».

و

قد ورد أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم دعا لابن عباس بقوله «اللهم فقّهه فى الدين»

«٤» فخرج بحرا فى العلم و حبرا للأمة.

و من المفسرين جابر بن عبد الله الأنصارى (ت ٧٤ هـ) الذى عدّه أبو

(١) انظر تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ٣٢٢، الذريعة: ج ٤، ص ٢٣٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ج ٢، ص ١٥٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ج ١، ص ٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٨٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤١

الخير في طبقات المفسرين من الطبقة الأولى «١»، ومنهم عبد الله بن مسعود، ومنهم الصحابي الجليل أبي بن كعب، وهو أول من صنّف في فضائل القرآن، وهو سيّد القراء، وعده أبو الخير في الطبقة الأولى من المفسرين، وهو ممّن جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم «٢»، ومنهم سعيد ابن جبير التابعي، وهو أعلم التابعين في التفسير، وقال قتادة: كان سعيد ابن جبير أعلمهم بالتفسير «٣»، وقال خصيف فيه: كان من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيّب، وبالحدّ عطاء، وبالاحلال والحرام طاووس، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كلّ سعيد بن جبير «٤».

ومنّ اهتموا بعلوم القرآن وعنوا بها: أبان بن تغلب (ت ١٤١ هـ)، فهو أول من صنّف في القراءة، ودون علمها، وأول من صنّف في معاني القرآن، وأول من صنّف في غريب القرآن، ومنهم طاووس بن كيسان (ت ١٠٦ هـ)، وهو من أصحاب الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام، عده ابن تيمية من أعلم الناس بالتفسير، ومنهم محمد بن السائب الكلبى من أصحاب الإمام محمد الباقر عليه السلام، وهو أول من صنّف في أحكام القرآن (ت ١٤٦ هـ)، وهو صاحب التفسير الكبير، ومنهم أبو حمزة الثمالى صاحب الإمام زين العابدين عليه السلام وقد ذكر تفسيره ابن النديم.

ومن المشاهير المهتمين بعلوم القرآن الفراء يحيى بن زياد فقد صنّف في معاني القرآن، ومنهم عليّ بن إبراهيم القمى، وله كتاب تفسير القرآن،

(١) انظر تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ٣٢٣.

(٢) انظر تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ٣١٩-٣٢٣.

(٣) انظر تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ٣٢٢ فما بعدها؛ مجمع البيان: ج ١، ص ٧؛ التفسير والمفسرون: ج ١، ص ١٠٢-١٠٣.

(٤) التفسير والمفسرون: ج ١، ص ١٠٢-١٠٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢

وعليه المعول إلى اليوم؛ لأنه تفسير بالمأثور عن أهل البيت عليهم السلام، عاصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهو من أعيان القرن الثالث.

ومنهم محمد بن أحمد بن جنيد، وهو من الفقهاء الأعظم، ألف في الفقه المقارن، وهو أول من صنّف في أمثال القرآن. ذكر ابن النديم في الفهرست ما لفظه: كتاب الأمثال لابن الجنيد. وله مصنّفات كثيرة، وهو من معاصري والد الشيخ الصدوق، ومنهم العياشى محمد بن مسعود، فله ما يقرب من مائتي مصنّف، منها كتاب التفسير المعروف بـ «تفسير العياشى».

والحسن بن عليّ بن فضال، له كتاب «الناسخ والمنسوخ» وكان من خواص الإمام الرضا عليه السلام، وتوفّي سنة (٢٢٤ هـ) ومحمد بن العياش بن عليّ المعروف بابن الحريّام، له في كلّ علوم القرآن كتب مفردة، وله كتاب «ما نزل في أهل البيت عليهم السلام من القرآن» وهو ألف ورقة.

ومنهم أبو عليّ الكوفى (ت ٣٤٦ هـ) له كتاب «فضائل القرآن» ومنهم ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) وتفسيره مشهور باسمه.

و منهم ابن عقدة أبو العباس، و هو وحيد دهره في حفظ الحديث (ت 333 هـ) له كتاب في تفسير القرآن من طريق أهل البيت عليهم السلام.

و في هذا القرن ازداد ازدهار المؤلفات، و كثرت المصنّفات، فظهر منها «البرهان في علوم القرآن» و «البيان في علوم القرآن» للشيخ المفيد محمّد بن النعمان (ت 409 هـ) و قيل (ت 413 هـ) و كتاب «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للسيد الشريف الرضى (ت 406 هـ) و كتاب «التبيان في تفسير القرآن» للشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (385-460 هـ) و منهم الشيخ رشيد الدين محمّد بن عليّ بن شهر آشوب (ت 588 هـ) له كتاب «أسباب النزول» و كتاب «متشابه القرآن»، و منهم الشيخ أبو الفتوح الرازي له كتاب «روض الجنان في تفسير القرآن» في عشرين مجلداً، و منهم أمين الدين الطبرسي (ت 548 هـ) و قيل (ت 561 هـ) صاحب «مجمع البيان في تفسير القرآن» (1).

ثم استمرّ العلماء في إغناء المكتبة الإسلامية بصنوف المؤلفات و الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم أمثال زبدة البيان للمقدّس الأردبيلي، و كنز العرفان للفاضل المقداد، و تفسير الصافي للفيض الكاشاني، و الميزان للسيد الطباطبائي، و غيرها الكثير الكثير المصنّف في هذا الشأن بنحو جامع شامل أو مختصّ بباب أو مجال من المجالات. و لا يزال البحث و التأليف مستمراً في أصقاع العالم الإسلامي، و العلماء عاكفين على دراسة ما في القرآن الكريم من أصناف المعارف و العلوم، حيث ظهرت بدائع المؤلفات و نفائس المصنّفات التي كشفت عمّا في القرآن الكريم من ذخائر و كنوز المعرفة و العلم، و هو يمدّ البشريّة بأنوار الهداية و الرشاد، و يدلّهم على الطريق المستقيم و الحياة الحرّة السعيدة الكريمة.

## علم التفسير أساس علوم القرآن

التفسير في اللغة الكشف و الإظهار و الإبانة، و في الاصطلاح بيان معاني الآيات القرآنيّة و شأنها و ظروفها بلفظ يدلّ عليه دلالة ظاهرة (2).

و أما التفسير بوصفه علماً فهو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم بوصفه كلاماً لله تعالى (3). فالنظر في القرآن الكريم من حيث كونه كلاماً له دلالة و معنى و لله تعالى فيه غرض و قصد، و من أجل بيان هذه الدلالة و شرح المعنى و إيضاح القصد و الإفصاح عن الغرض نشأ علم التفسير الذي تكفّل بتلك الغايات.

(1) لمزيد الاطلاع راجع كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام؛ مجمع البيان لتفسير القرآن، مقدّمه الكتاب.

(2) أنظر لسان العرب: ج 5، ص 55، «فسر»؛ مجمع البيان: ج 1، ص 1، كلمة في التفسير؛ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ج 11، ص 47.

(3) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ج 11، ص 49.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 44

و لعلّ على هذا المعنى جاء قوله سبحانه: وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (1) و بذلك يختلف عن التأويل؛ لأنّ التأويل من الأول؛ أي الرجوع إلى الأصل كما في مفردات الراغب (2)، و التفسير أعمّ منه، كما و أنّ أكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ و التأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا، كما أنّ التفسير أكثره يستعمل في المفردات بينما التأويل في الجمل، مضافاً إلى أنّ التأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهيّة، بينما التفسير قد يستعمل في الأعمّ، و لا يخفى عليك أنّ تفسير القرآن و العلم بتأويله من أشرف الصناعات و أسمى المعارف، و ذاك لما ثبت في المنطق من أنّ الصناعات الحقيقيّة إنّما تتشرف بأحد ثلاثة أمور:

الأول: شرف موضوعاتها، و هو المشهور الغالب في مختلف العلوم، كما قالوا بأشرفية علم الكلام على الفقه، و الثاني على الأصول؛ لكون الأول يبحث في موضوع المبدأ و المعاد، و هما يعودان إلى الخالق تبارك و تعالى، و في العرف يقولون: الصياغة أشرف من الدباغة؛ لأن موضوعها الذهب و الفضة، و هما أشرف من جلد الحيوان المذكى أو الميتة الذي هو موضوع الدباغة.

الثاني: شرف أغراضها و غاياتها، كما شرف علم الطب على غيره؛ لكونه يهدف إفادة صحة الإنسان و سلامته، و الإنسان أشرف مخلوقات الله سبحانه، و كما شرف علم الفقه على غيره؛ لكونه يهدف الرفعة بالإنسان إلى الكمالات المعنوية العالية. و فيه قد قيل: موضوعه فعل المكلفيناغايته الفوز بعليينا «٣».

الثالث: شرف معلومه، و بعضهم أضاف شدة الحاجة إليه؛ لوقوع مسائله كثيرا في محل حاجة العالم و استفاد أغراضه.

(١) الفرقان: ٣٤.

(٢) مفردات الراغب: ص ٩٩، «أول».

(٣) انظر الذريعة: ج ٧، ص ٢١٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٥

و هذا ما حازه جميعا علم التفسير؛ و ذلك لأن موضوعه كلام الله سبحانه و تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، و معدن كل فضيلة، و مخزن العلوم و المعارف، و غرضه هداية الناس إلى التي هي أقوم في الدنيا و الآخرة.

كما أن معلومه ما أودعه الله سبحانه من قوانين و معان و أسرار في عالمي التكوين و التشريع، فعلم التفسير هو من أجل العلوم قدرا؛ لأنه الموصل إلى فهم مراد الباري عزّ و جلّ في كتابه، و معرفة أحكامه في وحيه و تنزيله، و ما فرضه على عباده، و هذه الغاية من أشرف الغايات و أحسن الطرق لنيل السعادات.

هذا و قد نشأت للتفسير أساليب و مذاهب، و دوت للمفسرين شرائط و آداب، و صار المفسرون طبقات.

و لأهمية الدور الذي يمارسه علم التفسير صار هذا العلم أساسا لكافة العلوم و أهمها، و ما من علم إلا و يعول عليه، و لقد بين العلماء الشروط التي يجب توفرها في العالم ليكون قادرا على التفسير، و لعل من أهمها ما يلي:

١- اللغة: ليعرف بها شرح المفردات و مدلولاتها بحسب الوضع، فلا يكفي معرفة اليسير منها.

٢- النحو: بما أن المعنى يتغير و يختلف باختلاف الإعراب فلا بد من وجود الإعراب لتحديد المعنى المراد من التركيب بناء على معرفة إعرابه.

٣- التعريف: و به يعرف المفسر أبنية الكلم و موازيناها و صيغها، فإذا وجد كلمة مهمة استطاع تصريفها، فاستطاع معرفة مادتها و معناها.

٤- الاشتقاق: و هو معرفة المصدر الذي صدرت عنه الكلمة، فالاسم إذا كان من مادتين مختلفتين اختلف معناه باختلافهما، كالمسيح مثلا: أ هو من السياحة أم من المسح؟.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٦

٥- علوم البلاغة: و بها يعرف المفسر طريق المعاني، و خواص التراكيب.

٦- علم القراءات: و به يعرف كيف ينطق بالقرآن، و به كذلك يرجح بعض وجوه التفسير المحتملة على بعض آخر؛ لتواتر قراءة، أو شهرتها، أو شذوذها.

٧- أصول الدين: و هي قواعده المتعلقة بذات الله و صفاته و أفعاله و الإيمان به و ما إلى ذلك، و بهذا العلم يستدل المفسر على ما يستحيل بحقه تعالى، و ما يجب، و ما يجوز.



- ٨- أصول الفقه: و به يستطيع أن يدرك وجه الاستدلال على الأحكام فيه.
- ٩- أسباب النزول: إن معرفة أسباب النزول توضّح إلى حد بعيد مرامي تلك الآية و مدلولها.
- ١٠- الناسخ و المنسوخ: يعلم به الآيات المحكّمة و الآيات المنسوخة و ما بطل العمل به و ما بقى و هكذا.
- ١١- الحديث النبوي: و ما حديث الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم إلّا تفسير للقرآن و الشريعة، فكم من حديث فسّر القرآن، و كم من مغلق فتحه.
- ١٢- علم الموهبة: و هو علم يورثه الله لمن عمل بما علم، كما ربّما يستفاد من بعض الأخبار.
- ١٣- علم المنطق: و هو علم مهمّ للغاية يحتاجه المفسّر طريقا إلى الفهم الصحيح، لكونه ضابطا للتفكير.
- إضافة إلى كلّ هذا يجب أن يكون المفسّر أديبا، ذكيا، واسع العقل، كبير القلب، تقيا، صالحا، يخشى الله في السرّ كما يخشاه في العلانية؛ لأنّ هذه تهيب في نفسه الاستعداد لشروق الروح و صفاء الضمير، فيفيض الباري تقريبا القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٧
- عزّ و جلّ عليه من أنواره و عناياته و ألطافه.

## أنواع التفسير

- ربما ينقسم التفسير إلى نوعين أساسيين:
- الأول: تفسير لفظي لا يتجاوز غالبا حلّ الألفاظ و إعراب الجمل و بيان ما يحتويه نظم القرآن من نكات بلاغية و إشارات فنية، و هذا النوع أقرب إلى التطبيقات اللغوية و البلاغية منه إلى التفسير و بيان مراد الله سبحانه من هداياته.
- الثاني: تفسير المعنى و هو يجاوز اللغة، و يجعل هدفه الأعلى تجلية معاني القرآن و تعاليمه، و حكمه الله تبارك و تعالى فيما شرّع للناس في كتابه العزيز على وجه يزكّي الأرواح، و يفتح القلوب، و يرفع النفوس إلى الاهتداء بهديه، و هذا هو الأصل فيه.
- هذا و للمفسّرين في مساعيهم مذاهب مختلفة ترجع إلى اختلاف الهدف أو الجهة التي أراد كلّ مفسّر أن يستنطق القرآن و يستهدى بهديه فيها، و لعلّ من أبرز هذه المذاهب ما يلي:
- ١- التفسير بالمأثور ٢- التفسير بالدراية، و المراد بالدراية هنا الاجتهاد بعد معرفة المفسّر كلام العرب و أساليبهم في القول، و بعد وقوفه على أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و نحوها من مسائل و فنون مختلفة.
- ٣- التفسير الباطني ٤- التفسير العقلي الفلسفي أو الكلامي ٥- التفسير الفقهي ٦- التفسير العلمي، و يقصد به التفسير الذي يتحدّث عن تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨
- الاصطلاحات العلمية في القرآن، و يجتهد في استخراج مختلف العلوم و الآراء القائمة على الأسس الفلسفية منها، أو العلوم التجريبية.
- ٧- التفسير الاجتماعي ٨- التفسير الأدبي ٩- التفسير التدبري الذي يعتمد غالبا على الفهم العميق و الإدراك المركز لمعاني الألفاظ القرآنية بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية و فهم دلالاتها فهما عميقا و دقيقا، ثم ربطها بواقع الحياة البشرية، و فهم أبعادها و جوانبها المختلفة في الآمال و الآلام و الطموحات و المشاعر و التفكّرات.
- ١٠- التفسير الشمولي، و هو الذي يجمع بين كلمات الله سبحانه و كلمات حججه الطاهرة عليهم السلام بما لهما من ظلال و تطابق و تكامل في آن واحد، و يجعل من كلّ منهما ميزانا و مفسّرا للآخر؛ لأنّ القرآن و السنّة نور واحد و رسالته واحدة تجلّى أحدهما في كلمات الوحي الإلهي و الآخر في كلمات رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و الأئمة الطاهرين عليهم السلام.
- مضافا إلى اعتماده في ذلك على تجارب الحياة و عبقرية البشر و طاقاته العقلية و تدبره في مختلف المسائل و الشؤون؛ و ذلك للتطابق الجوهرى بين النقل و العقل لكونهما يرجعان إلى خالق واحد و نظام واحد و رؤية واحدة.

و بالتالى فإن ما يبينانه من مفاهيم و معان هي عين الحق و الصواب لا يخالجه خطأ أو جهل أو قصور، و لعل هذا أفضل أنواع التفسير و أكمله و أدقه لما له من خصوصية فهم القرآن في أصل معناه أو حدوده أو مصداقه الأكمل على ميزان أهل البيت عليهم السلام و رؤيتهم، كما أن القرآن الميزان الذى يميز كلامهم عليهم السلام من غيره المشتبه على الناس فى السند أو فى الدلالة، و هذا ما قد نجده جلياً فى تفسير المرجع الدينى الإمام السيد محمد الحسينى الشيرازى (أعلى الله مقامه) حيث جمع بين اللغة و العقل و النقل الوارد عن المعصومين عليهم السلام فى فهم معانى الآيات و كشف مضامينها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٩

هذا و لا يخفى عليك أن إعجاز القرآن لا ينحصر بألفاظه و ظواهره، بل فى رموزه و إشارات و لطائفه و حقائقه، ففى كل سورة بحار من المعارف، و تتجلى فى كل آية منه أنوار من الحقائق و الهدايات، و كيف لا- يكون كذلك و قائله عز و جل لا نهاية لعلمه و كماله، و لا حد لعظمته و جلاله، و ما حصل من التحديدات إنما هو من مقتضيات الاستعدادات لطفًا بالعباد، لا أن يكون تحديداً منه. و ربّما يتوصل من يراجع مختلف أنحاء التفاسير أنه فسّر كل صنف من العلماء القرآن بما هو المأنوس عندهم، فالفلاسفة و المتكلمون فسّروه بمذاهبهم من الآراء الفلسفية و الكلامية، و العرفاء و الصوفية على طريقتهم، و الفقهاء فسّروا ما يرتبط بغرضهم فى فقه الأحكام و المسائل، و المحدّثون فسّروه بخصوص ما ورد من السنّة الشريفه من الآيات، كما أن الأدباء فسّروه من زاويتهم الأدبية، و هكذا أهل المعارف و العلوم الإنسانية و الطبيعية.

و مع كل ذلك يظهر العجب فى أنه كلما كثر فى هذا الوحي المبين و النور العظيم من هذه البيانات و التفاسير فهو على كرسى رفعة لا ينقص، و جماله يزداد على مر العصور تلاًؤاً و جلالاً، فما نجده من مزايا و خصوصيات لبعض التفاسير إنما هي قضية نسبية تعتمد على ذكاء المفسّر وسعة اطلاعه و طول باعه فى العلوم المختلفة، و هذا ما امتاز به الإمام الشيرازى (قدس سرّه)؛ إذ له فى كل فن معرفة، و له فى مختلف مجالات الثقافة و الفكر رؤية و منهج، و من هنا كانت له إشراقات و إلماعات ربّما لم يصل إليها قبله مفسّر أو يسبقه إليها ذهن عالم أو أديب، كما ستجد ذلك جلياً من خلال مطالعتك لهذا السفر القيم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠

### الطريقة الجديدة فى تفسير القرآن الكريم

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ٩٩

إنّ مفسّرى القرآن و بالأخصّ القدامى منهم أبلوا بلاء حسناً فى تفسير الآيات الشريفه المتعلقة بالعقائد و الأحكام، و خصوصاً مواضيع التوحيد و الشرك و النبوة و الإمامة و نحوها، و التى تشكّل جوهر الإسلام، و العنصر الذى اتّفقت عليه الشرائع الإلهية، لكن الملاحظ أنّ منهج القدماء قام على أساس التسلسل السورى فى القرآن؛ إذ أخذوا فى تفسيرهم سورة بسورة و آية بآية؛ لذلك لم يبحثوا مجموع الآيات الواردة حول موضوع واحد دفعةً واحدةً إلّا نادراً، مما أدّى إلى توزيع الكثير من المضامين و المعانى فى الشىء الواحد على مختلف السور و الآيات، فصار الطالب يحتاج إلى المزيد من الجهد و التّبع حتّى يحصل على الحقيقة كاملةً جليّةً على الرغم من وجود نقاط قوّة عديدة فى هذا النهج.

أمّا طريقة التفسير الجديدة فهى جاءت تكملةً لجهود المتقدّمين و إعناء لتجاربههم و دراساتهم لتعطى لنا صورةً بالغة الوضوح و مكتملةً لما أعدّه السابقون من المفسّرين، و هذا التفسير يسمّى «التفسير الموضوعى» و هو يعنى بتفسير آيات القرآن الكريم حسب الموضوعات و المفاهيم، أى حسب التّبويب و التقسيم الموضوعى للقرآن الكريم.

و تتلخّص هذه الطريقة فى جمع الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد فى مكان واحد، ثمّ تصنيفها على حسب التسلسل الموضوعى، ثمّ القيام بعملية جمع بين الأصناف لاستنباط نظرة واحدة متكاملة و فكرة جامعة شاملة من مجموع هذه الآيات، خصوصاً أنّ القرآن

الكريم تبيانا لكل شىء (١) كما أننا نستفيد فائدة أخرى من هذا الجمع لمجموع الآيات المتعلقة بموضوع معين بالإضافة إلى فائدة الوقوف على النظرة القرآنية المتكاملة، و هي أننا

(١) النحل: ٩٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١

ربما يصعب علينا فهم آية ما من الآيات، أو معرفة الهدف منها لابتعادنا عن عصر الوحي و عدم اطلاعنا على ملابسات نزول تلك الآية بنحوها الكامل و القرائن الحالية أو المقامية و نحوها السائدة في المجتمع الإسلامي آنذاك، فيأتي أسلوب «جمع الآيات إلى جانب بعضها» ليساعدنا على رفع بعض الغموض و إزالة شىء من الإبهام، و تنكشف لنا بسبب هذا الجمع ملامح الحقيقة من خلال غيوم الاحتمالات و سحب الأوهام التي قد تكتنف آية من الآيات؛ و لهذا قيل: «إن القرآن يفسر بعضه بعضا»

و (١)

ورد عن مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام تأكيد لذلك: «كتاب الله تبصرون به و تنطقون به، و تسمعون به، و ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض»

(٢).

هذا و التفسير الشريف الذي نتحدث عنه و إن كان قد جرى طرق القدامى في نهجه و طريقته إلا أنه حاول فيه المصنّف (أعلى الله مقامه) أن يقترب بعض الشىء إلى الطريقة الجديدة، فسعى إلى إيجاد ربط بين الآيات المختلفة، و أشار إلى الجهات الأخرى المكتملة لمعاني الآيات المفسّرة في موردها، و في بعضها أشار إلى عنوانها، و بذلك يكون قد سهّل على القارئ الوصول إلى بعض الحقيقة كاملة، و كان موفقا في ذلك؛ لأن من أصعب ما يجده الكاتب في مثل هذا النوع من الكتابات أن يجمع المعاني المتعددة في عبارة موجزة و مختصرة، خصوصا و أنه يفسر القرآن.

## القرآن يفسره الزمان

إنّ تطور الزمن و تقدّم العلوم أكسب المحقّقين و المفكرين نمطا جديدا من الرؤية، حيث تتأكد هنا أهميّة و ضرورة التفسير الموضوعي، فقد أصبح كلّ فريق من هؤلاء المفكرين و المحقّقين و بالاعتماد على هذا النوع من التفسير يستخرج من القرآن الكريم مفاهيم و أمورا علمية جديدة تطابق

(١) بحار الأنوار: ج ٥٤، ص ٢١٨، تبيين.

(٢) نهج البلاغة: ص ١٩٢، الخطبة ١٣٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢

اختصاصه، فالاستفادة من القرآن الكريم على الأصعدة الاجتماعية و السياسية و الأخلاقية في تصاعد و اتّسع مستمرين.

و قد استخرج المحقّقون الإسلاميون المعاصرون بفضل ما أوتوا من الطرق الحديثة المبتكرة في البحث العلمي و الدراسة و التحليل حقائق مهمّة من القرآن الكريم ربما لم تخطر على بال المفكرين و المحقّقين القدامى، فأضافوا على علوم القرآن الكثير، كما اكتشفوا من المعاني و المضامين الشىء الكثير.

إنّ القرآن الكريم كتاب أبدى خالد ينطوى على أبعاد مختلفة، و بطون متنوّعة، بحيث يمكن للعقل البشرى المتطوّر أن يكتشف في

كلّ مرّة معنىً جديداً فيه، و بحيث يمكن لدارسيه من أهل التحقيق أن يكتشفوا في كلّ عصر بعداً جديداً من أبعاده في شتى مجالات المعارف الإنسانية، و من هنا اتّفتحت الكلمة على أن الاستفادة من القرآن الكريم لا تنحصر بالعرفاء و الفقهاء و الفلاسفة و أرباب العلوم القديمة و الإلهيات خاصّة.

إنّ استنباط نكات دقيقة و جديده من القرآن من قبل علماء الطبيعة و الرياضيين و رواد العلوم الإنسانية كعلم النفس و علم الاجتماع و علم فلسفة التاريخ خير دليل و أفضل شاهد على أنّ هذه المعجزة الخالدة تنطوي على بطون عديدة و أبعاد متنوعه، و أنّها تتّسع لمفاهيم واسعة كثيرة يضيق عن استيعابها أو تحصيلها أيّ تصوّر بشري و ذهن إنساني و برنامج ثقافي عادي مهما ادّعى من الشموليّة و الغزارة و الإحاطة.

إنّ مرور الزمن و تقدّم العلوم لم يمنح علماء الطبيعة و حدّهم إمكانيّة استنباط حقائق و أبعاد مهمّة و جديده عن القرآن في حقول علوم الطبيعة و خلقه الإنسان و الأرض و السماء و غيرها من الظواهر الطبيعيّة، بل و مكّنا المفسّرين أيضاً من استخراج حقائق مهمّة و جديده من هذا السفر الإلهي الخالد جنباً إلى جنب مع توسّع العلوم و اتّساع نطاق المعارف و تفتّحها و ظهور المناهج العلميّة الإنسانيّة الجديده.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣

و الآن نحن نشاهد شروع التحقيقات العلميّة حول القرآن من طريق أجهزة الحاسوب (الكمبيوتر) و قد كشفت للأجيال الحاضرة و القادمة الكثير من الحقائق و الآفاق التي عجز العقل و الذهن البشري العادي عن اكتشافها و التوصل إليها بمجرّده، فبواسطة هذا الجهاز العجيب تمكّن العلماء من إزالة الكثير من نقاط الإبهام التي دارت سابقاً حول مضامين بعض الآيات و الروايات بسبب قصور الناس عن دركها، و سيأتي زمان أيضاً يفسّر لنا الكثير من الغوامض فيهما التي ربّما تصوّرها بعض الناس أنّها شيء من الغريب أو المستهجن، فإنّ للقرآن الكريم معاني و درجات و صوراً و حقائق، و حينما يتّصل عقل الإنسان بنور الوحي يزداد انشراحاً و بهاءً و تألقاً و معرفة، فتفتح له من العلم أبواب و أبواب.

قال سبحانه و تعالى: «و تِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُظْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» (١) و قال عزّ من قائل: «هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (٢) و

جاء في الحديث الشريف عن الصادق عليه السلام «كثره النظر في العلم يفتح العقل»

و (٣)

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «سلوني عن القرآن فإنّ في القرآن علم الأولين و الآخرين، لم يدع لقائل مقالاً، و لا يعلم تأويله إلّا الله و الراسخون في العلم»

و (٤)

روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إنّ الله تعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأُمّة إلّا أنزله في كتابه، و بيّنه لرسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم»

«٥» لكن المشكلة في البشر أنفسهم لعجزهم و قصورهم أو تقصيرهم في الإمعان فيه و اكتشاف أسرارهم و غوامضهم، لكن كلما سعى البشر في فهمه و دراسته وصل إلى

(١) العنكبوت: ٤٤.

(٢) الجاثية: ٢١.

(٣) بحار الأنوار: ج ١، ص ١٥٩، ح ٣٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ١٧٩، ح ١١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ٨٤، ح ١٦؛ تفسير الصافي: ج ١، ص ٥٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤

مطلوبه؛ لأن القرآن كتاب هدى و نور، و من الهدى الإيصال إلى المطلوب.

و لعلّ ممّا يؤيّد ذلك ما ورد في بعض الأخبار من أنّ القرآن الكريم يفسّره الزمان، و الذي قد يكون من معانيه أمور:

١- أنّ القرآن الكريم صالح لكلّ عصر و زمان، و يتناسب مع أيّ تطوّر حضارى و علمى و تاريخى، بل هو الأساس فى دعم أيّ حضارة و أيّ مدنيّة مؤمنة بأهداف إنسانية، و يعطيها الروح و الديموميّة.

٢- أنّ تطوّر العلم و التكنولوجيا الحديثة كشف الكثير من الحقائق القرآنيّة، و لعلّ من ذلك أنّ الشمس ورتدت فى القرآن الكريم (٣٣) مرّة و بمعان فلكية رائعة تحكى الحقيقة العلميّة بكلّ وضوح، و لعلّ أهمّها تلك الآيات التى تتحدّث عن حركتها أو حركاتها الكثيرة و بأسلوب علمى جمالى يخلب الألباب ... و تلك الآيات التى تتحدث عن هرم الشمس و شيخوختها و موتها فى آخر الأمر كبقية المخلوقات التى نشرها الله تعالى فى كونه الكبير ... ورتدت الشمس كما ورتدت بقية الأجرام الكونيّة و الظواهر السماويّة الأخرى ضمن أسلوب و هدف القرآن ككلّ، و هو الهداية و إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم و الحياة؛ و لأنّ القرآن ليس كتابا علميا خاصا لم يتعرّض إلى قهرها، و لا إلى حجمها، و لا إلى كثافتها، و لا إلى درجة حرارتها أو جاذبيتها، و لا لأى رقم علمى محدّد ممّا تعرّض له الدراسات الكونيّة المعاصرة. و لكن يمكن لقارئ القرآن و الباحث فى الآيات الكونيّة أن يحصل على معلومات ممتازة عن الشمس لكن فى حدود، و يمكن أن يأتى باحث آخر و يلتقط معلومات أخرى و ضمن حدود معيّنّة أخرى، و يبقى الباحثون الجادون غائصين فى بحر القرآن كلّ يلتقط ما يستطيع من لآئنه، مستفيدين من علوم عصرهم، فهى أضواء إضافية تنير الطريق للغوص فى طرق الشمس و الآيات الكونيّة الأخرى الزاخرة فى القرآن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٥

الكريم (١). فإنّ ما يتوصّل إليه العلماء فى مجال الفلك فى هذا العصر الحديث المليء بالاكتشافات الباهرة حول هذا الجرم السماوى هو يؤكّد و يؤيّد يوما بعد آخر ما ذكره ديننا الإسلامى حول الشمس فى جميع خصوصياتها.

٣- أنّ عقول البشر فى تطوّر و نمو، و الحياة سائرة نحو المزيد من العلم و المعرفة، و التجارب تتراكم على كشف الكثير من الأسرار، و كلّما تطوّر الإنسان توصّل إلى مراق و آفاق جديدة فى القرآن لم يكن قد وصلها من قبل، بل لم يكن يدركها لقصوره و عجزه، فكّلما تطوّر الزمن و تطوّر معه الإنسان توصّل إلى حقائق و أبعاد جديدة فى فهم الآيات، و استنار بهديها، فكّل جيل منهم يختلف عن السابق كما سيختلف عن اللاحق حتّى تكتمل العلوم باكمال الإنسان فى عصر ظهور ولى الله الأعظم (عجل الله فرجه الشريف)، فحينئذ يصل إلى درجات سامية من المعرفة و الفهم و الإدراك.

### هذا التفسير

مهما كانت الدوافع الكامنة وراء كتابة التفسير و ضمن الشروط التى ذكرناها فيما تقدّم و التى يجب أن تتوفّر فى المفسّر فإنّ ما كتب فى هذا المجال يعدّ إنجازا علميا له خصائصه و مميزاته، حيث إنّ كلّ تفسير كتب- و ضمن الشروط الموضوعيّة و المقرّرة لذوى الاختصاص- يضيف معلومات جديدة و فئا و ذوقا آخر لهذا العلم الذى لا ينضب، لكن تبقى لمن اتّخذ أهل البيت عليهم السلام نهجا و طريقا و مدرسة و تألقا و علوا و ارتفاعا فيما يستنبط من آراء و يبنى من أفكار و يؤسّس من رؤى السمة العليا فى ذلك، و هذا ما اتّسم به السيّد الراحل أعلى الله مقامه، و تميّزت به كتبه الوفيرة، و خصوصا هذا

(١) موسوعة أهل البيت الكونية: ج ٢، ص ٣٥٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦

التفسير، حيث زانته من ضمن ما زانته اعتماده المطلق على ما ورد منهم عليهم السلام، مسلماً لهم، منقاداً إليهم فيما يقولون و يعملون و يهدّبون، و هذه سمة لا ينالها إلاّ الفائزون الناجحون، و العالمون الصادقون؛ لأنهم صلوات الله عليهم باب الله الذي منه يؤتى، و هم عيبة علمه، و حبله المتين، و صراطه المستقيم، و عندهم عليهم السلام جوامع الكلم و العلم كما ورد عن ابن عباس أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «أعطاني الله خمسا، و أعطى عليا خمسا، أعطاني جوامع الكلم، و أعطى عليا جوامع العلم»  
«١».

و

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنا أهل بيت عندنا معادل العلم و أبواب الحكم و ضياء الأمر»  
«٢».

و

عن الصادق عليه السلام قال: «عندنا أهل البيت أصول العلم و عراه و ضياؤه و أواخيه»  
«٣» «٤».

فالاعتماد عليهم صلوات الله عليهم يكشف الكثير من الحقائق و المعارف مع تطوّر الزمن و الاكتشافات؛ حيث أشاروا صلوات الله عليهم و بينوا جميع الأمور للبشريّة، و بقى علينا أن نجد أكثر و نسعى لإظهار هذه الحقائق و الاغتراف من منهلهم العذب، و هذا لا يأتي إلاّ بالمعرفة التامة لأهل البيت عليهم السلام، معرفة المؤمنين بهم و بمقاماتهم السامية و المستسلمين في مدرستهم بكل خشوع و انقياد؛ و ذلك لأنّ العلم نور يقذفه الله سبحانه في قلب من يشاء، و ليس ذلك إلاّ من تنور بمحبّتهم عليهم السلام، و تواضع لعظمتهم، و اقتدى بهم، و تعلّم في مدرستهم، و قد ورد عن الصادق عليه السلام: «فمن عرف

(١) بحار الأنوار: ج ٨، ص ٢٨، ح ٣١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ٣٠، ح ٤٢.

(٣) الأخيّة و الآخيّة- بالمد و التشديد- واحدة الأواخي: عود يعرض في الحائط، و يدفن طرفاه فيه، و يصير وسطه كالعروة تشدّ إليه الدابّة. أي بنا يشدّ و يستحكم أمر الدين و لا يفارقنا علمه. انظر لسان العرب: ج ١٤، ص ٢٣، «أخا»؛ بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢١٤، ح ٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ٣١، ح ٤٤. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧

من أمة محمّد صلى الله عليه و آله و سلم واجب حقّ إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه، و علم فضل طلاوة إسلامه؛ لأنّ الله تبارك و تعالى نصب الإمام علما لخلقه، و جعله حجّة على أهل موادّه و عالمه، و ألبسه الله تاج الوقار، و غشاه من نور الجبار، يمدّ بسبب إلى السماء ... إلى أن قال: حجج الله و دعائه و رعاته على خلقه، يدين بهديهم العباد، و تستهلّ بنورهم البلاد، و ينمو ببركتهم التلاد ... فليس يجهل حقّ هذا العالم إلاّ شقى، و لا يجحده إلاّ غوى، و لا يصدّ عنه إلاّ جرى على الله جلّ و علا»  
«١».

و

في حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال «يا سلمان، من عرفهم حقّ معرفتهم و اقتدى بهم ... فهو و الله منّا، يرد حيث نرد،

و يسكن حيث نسكن ...»

«٢» و إلى ذلك

أشار الإمام الصادق عليه السّلام بقوله: «ما جاءكم منّا ممّا يجوز أن يكون في المخلوقين و لم تعلموه و لم تفهموه فلا تجحدوه، و ردّوه إلينا»

«٣».

و

عن الإمام الباقر عليه السّلام «هم و الله نور الله الذي أنزل، و هم و الله نور الله في السماوات و في الأرض»

«٤».

و

عن أبي ذرّ (رضوان الله عليه) قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول «خلقت أنا و عليّ بن أبي طالب من نور واحد»

«٥».

و

في رواية أنّهم جميعا عليهم السّلام من نور الله الأعظم

«٦».

كما أنّ علمهم عليهم السّلام و ورثه من النّبىّ الأعظم صلّى الله عليه و آله و سلّم، فعن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم «إنّ عليّ بن أبي طالب كان هبة الله

(١) أصول الكافي: ج ١، ص ٢٠٣-٢٠٥، ح ٢.

(٢) إلزام الناصب: ج ٢، ص ٣٣٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٣٦٤، ح ١.

(٤) أصول الكافي: ج ١، ص ١٩٤، ح ١.

(٥) بحار الأنوار: ج ١٥، ص ١١، ح ١٢.

(٦) انظر إرشاد القلوب: ج ٢، ص ٤٠٤. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٨

لمحمّد، و ورث علم الأوصياء و علم من كان قبله»

«١».

و

عن أبي عبد الله عليه السّلام في حديث جاء فيه «و ربّ الكعبة و ربّ البيت - ثلاث مرّات - لو كنت بين موسى و الخضر عليهما السّلام لأخبرتتهما أنّي أعلم منهما، و لأنبأتهما بما ليس في أيديهما؛ لأنّ موسى و الخضر عليهما السّلام أعطيا علم ما كان و لم يعطيا علم ما هو كائن، و أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أعطى علم ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة، فورثناه من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم وراثته»

«٢».

فمن هنا كانت مدرسة أهل البيت عليهم السّلام هي الأولى و الأخيرة في هداية البشر و نقلهم إلى شاطئ الأمان، و التاريخ هو خير

دليل و شاهد على ذلك.

و أعظم مدرسة للإسلام كانت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام حيث كانت جامعة كبرى شملت كل العلوم و الفنون و المعارف، و قد خرّجت الكثير من العلماء الذين قدّموا للبشرية و الحضارة الإنسانية بكل إخلاص و تفان الشيء الكثير.

و الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام هو سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام، و قد تهيأت له عليه السلام الظروف السياسية في نشر علومهم و تأسيس دعائم العلم في مختلف المجالات حتى أقام تلك الجامعة العظيمة التي لا زالت إلى يومنا هذا تخرّج الفطاحل من العلماء ممن ينتسبون إليها.

فإنّ الذي يتتبع كتب الرجال و تاريخ الأعلام يجد أنّ لعلماء الشيعة الذين ورثوا علوم أهل البيت عليهم السلام دوراً أساسياً و مهماً في تأسيس فنون المعرفة، حيث تقدّموا في تأسيس العلوم في الصدر الأوّل، و برعوا، و سادوا في حضارتهم و علمهم على جميع المعاهد و الجامعات، و علومهم مبنية على أسس الأخلاق و مكارمها التي ورثوها عن آل محمّد صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين. و كما يقال: إنّ المحروم من حرم منهم عليهم السلام.

(١) أصول الكافي: ج ١، ص ٢٢٤، ح ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٧، ص ١٤٤-١٤٥، ح ٣٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩

### السيد صاحب التفسير أعلى الله مقامه

إنّ الأمم الحية و الشعوب اليقظة في كلّ عصر من عصور التاريخ و على امتداد الأرض المعمورة تعرف بتقديرها للعلم و احترامها للعلماء و الأخذ عنهم و الاعتراف من مناهلهم العذبة الروية، فهم المقياس الحقّ لحياة الأمم و الشعوب أو موتها. و أمّتنا الإسلامية أشرف الأمم، و يزخر تاريخها بالمكانة السامية التي يحتلّها العلماء في نفوس الناس، و المنزلة الرفيعة التي بلغوها في قلوبهم، و بالأخصّ العلماء الذين تخرّجوا من تلك المدرسة العظيمة التي بنى أساسها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، كما و نجد القرآن الكريم يعطي العلماء منزلة تجعلهم في مصافّ الملائكة المنزهين فيقول:

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) كما نراه جلّ و علا يمنحهم منزلة الخشية منه سبحانه و تعالى على سبيل الحصر، فيقول جلّ و علا: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٢).

و هو بعد هذا و ذاك يرفعهم درجات فيقول: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (٣) إلى كثير من الآيات القرآنية التي تكشف عن مكانة العلماء عند الله سبحانه و تعالى.

و هكذا برز العلماء، و خرّجت الحوزات العلميّة المقدّسة الفطاحل منهم الذين تركوا آثاراً و تراثاً استقوه من فكر و نهج أهل البيت عليهم السلام، ينير البشرية جمعاء، و من بين هؤلاء النوادر الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم و علمهم صاحب هذا التفسير العظيم «تقريب القرآن إلى الأذهان» المرجع الديني الكبير الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) فاطر: ٢٩.

(٣) المجادلة: ١٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠



درجاته)، المولود في عام ١٣٤٧ هـ و المتوفى في شوال عام ١٤٢٢ هـ، فهو (رضوان الله عليه) من أجلى مصاديق

قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم «إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء»

«١» وما ذاك إلا لأن العالم في الأئمة كالروح من الجسد، وما هو إلا المثل الصالح في زهده و ورعه و تقواه و السمات الإسلامية الفاضلة و الصفات الحميدة، جليل القدر، عالى المنزلة، جمع إلى جانب العلم الغزير الأخلاق الفاضلة، و السلوك الحسن، و السيرة العطرة، و حب الناس، و علو الهمة، و مكارم الأخلاق.

و بعد ذلك كله فهو حامل هموم المسلمين و هدفية الإسلام، و قرنها بشجاعه و إقدام فائقين يعجز عن بلوغهما الأبطال الأشاوس في مختلف المجالات و الأصعدة. لقد تميّز الإمام الشيرازي (قدس سرّه) بفكره المعطاء الغنى المختصر بالتجارب، و المفعم بالنضج و النظرة الواقعية إلى الأمور، و الأصيل المستلهم من الكتاب الكريم و السنة المطهرة، و الذى يعالج شتى القضايا الحيوية و مشاكل العصر.

و رغم الحياة الصعبة و القاسية جدا التى كان يعيشها الإمام الراحل (قدس سرّه) طوال حياته الشريفة و الظروف التى ألمت به من كل حدب و صوب من البعيد و ربّما القريب كان كما قالوا عنه: نادرة التأليف فى التاريخ و سلطان المؤلفين «٢»، حيث عرف بكثرة الإنتاج و العطاء الفكرى و العلمى و التربوى، حيث تنوّعت مؤلفاته من حيث المادّة العلميّة، و بلغت ألفا و ثلاثمائة كتاب و كتيب و موسوعة، فشملت الفقه و الأصول و الفلسفة و الكلام و البلاغة و النحو و سائر العلوم الحوزوية من جهة، و السياسة و الاقتصاد و الاجتماع و النفس و الحقوق و الإدارة و القانون و البيئة و الأخلاق و التاريخ و الطبّ و إدارة

(١) أصول الكافي: ج ١، ص ٣٨، ح ٢.

(٢) لقب أطلقه عليه الاتحاد العام للكتاب العرب بدمشق الشام خلال الحفل التأسيسي الذى أقيم فى سوريا فى الحوزة الزينبية (مجلة النبأ العدد ٦٦-١٤٢٣ هـ ص ١٦٨).

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١

الدولة الإسلامية و سائر العلوم الإنسانية المستحدثة من جهة أخرى، حتى عجزت أصابعه عن الإمساك بالقلم من كثرة ما كتب. فكان أعلى الله مقامه يستعين أحيانا بجهاز التسجيل ليحفظ ما يريد كتابته، ثم بعد ذلك يكتب على الورق، و كان (طاب ثراه) لا يضيّع لحظة واحدة من عمره الشريف دون الاستفادة منها، و لا يبالغ من يقول: إنّه كان يعمل فى اليوم أكثره، و من العمر كلّه أو جلّه؛ إذ كان طاقة متفجرة من النشاط و الحيويّة و العمل، و لا يعرف الكلال أو الملل، و لا يعيقه عن ذلك مرض أو همّ أو ألم، و أرقى ما فى ذلك كلّ أنّه كان مجاهدا مخلصا، و أيبا نزيها، لا يطلب فيما يقدّم أو يعطى و يوجد إلا رضا الله سبحانه و رضا أوليائه الطاهرين عليهم السلام.

و فى ذلك قال عنه أخوه المرجع الدينى سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسينى الشيرازى (دام ظله) الذى رافقه فى جلّ حياته، و شاركه فى همومه و مهامه فى كلمته التى ألقاها بعد رحيله: و كان رحمه الله يمتاز بخصائص جمّة أهمّها خصلتان بارزتان كانتا فى حياته (رضوان الله عليه)، و كنت ألمسهما بشكل دقيق:

الأولى: هى إخلاصه التامّ و المطلق لله تعالى و لأهل البيت عليهم السلام، و خير مثال للواقع العملى لذلك تأسيسه العشرات من المؤسّسات و المساجد و الحسينيات و المدارس و المكتبات و دور النشر و فى مختلف أنحاء العالم، و لم يسمّ أيا من هذه باسمه، و قد أصرّ الكثيرون من الذين تبرّعوا أن يذكروا اسمه، فكان يرفض ذلك رفضا شديدا و يقول: أنا ذاهب و الله سبحانه و أهل البيت عليهم السلام باقون، فالأفضل أن تسمّى هذه المراكز جميعا باسمهم عليهم السلام؛ و لذلك فإنّه قد سمّى جميع هذه المراكز و المؤسّسات و الحسينيات و دور النشر و غيرها بأسماء الله سبحانه و أسماء أهل البيت عليهم السلام.

الثانية: نشاطه المتواصل وروحيته العالية، حيث إنَّ المرحوم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٢

الراحل (قدس سرّه) كان قبل وفاته بلحظات ملئاً بالحيوية والنشاط رغم مرضه، ولم يتوان عن أى شىء، وإذا أردنا تشبيهه بالبركان فإن ذلك فيه خطأ؛ لأنَّ البركان ينفجر ثم يبرد ويهدأ، أما بالنسبة للمرحوم الإمام (قدس سرّه) فقد كان لم يهدأ لحظة، فكان يمسك القلم حتى إبان لحظات عمره الأخيرة، ويستفيد من أى فرصة تسنح له بالتأليف والكتابة وتشجيع الآخرين على أعمال الخير والاستفادة من فرص الحياة، وكان حتى في كتابته يستخدم الدقة في انتخاب نوع القلم الذى يسهل معه الكتابة اختصاراً للوقت «١».

وكان (قدس سرّه) بارعاً بعلوم التفسير، ومطلعاً على ما كتب في هذا المضمار، وقد نقل عن بعض تلامذته «٢» أنه كان حاضراً في مجلس مع الإمام الراحل (قدس سرّه) ووجه إليه أحد الحاضرين سؤالاً مفاجئاً حول تفسير إحدى آيات كتاب الله العزيز، فأجابته الإمام الراحل (قدس سرّه) ذاكراً عشرة آراء لعشرة كتب من أشهر التفاسير الموجودة من دون استعداد أو تحضير مسبق، وقد حدث مثل هذا كثيراً للسيد (قدس سرّه).

وهذا الكتاب الذى بين يديك هو حصيلة جهد مبارك قام به السيد المؤلف (قدس سرّه)، حيث ساهم به في إغناء التراث الحضارى والمكتبة الإسلامية، ولا يبالغ من يقول فيه: إنه قليل النظير في خصوصياته ومزاياه، مما يجعله مصدراً كبيراً، من أهم مصادر التفسير في مختلف شؤون المعرفة، وقد تحدث السيد (قدس سرّه) عن كتابه للمرحوم آية الله السيد أحمد الإمامي (طاب ثراه) قائلاً:

عند ما كنت في كربلاء وحينما كنت مشغولاً في كتابة تفسيري هذا «تقريب القرآن إلى الأذهان» رأيت في المنام نورا يخرج من بيتنا، ويسطع في السماء، وحينما استيقظت أيقنت أن هذا النور هو تفسير القرآن الكريم،

(١) مترجم عن كتاب قصص وخواطر (باللغة الفارسية): ج ١، ص ١٠٨.

(٢) الناقل فضيلة الخطيب الشيخ على حيدر المؤيد دام عزه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٣

ففرحت و سألت الله عزّ وجلّ أن يتقبّل منّي العمل.

قلنا فيما تقدّم: لكلّ تفسير مزاياه و خصوصياته، لكن امتاز هذا التفسير الشريف بجمله أمور قلما حظى بها غيره منها:

أولاً: أنّ السيد المؤلف (قدس سرّه) إضافة لكونه مرجعاً وزعيماً دينياً متميزاً فإنه يعدّ أحد رجالات الفكر المعاصرين الذين نظروا للعالم البشرى في مجالات مختلفة، وطابقت نظيراته ورؤاه الواقع في العديد من الموارد والحقول، وهذا ما يجده المتتبع في كتبه القيمة من رؤى حديثة تتناسب مع التطور الحضارى والفكرى المعاصر، حيث إنه (طاب ثراه) جمع بين الفكر الجديد والقديم في التفسير، فانعكس ذلك على فهمه للآيات الشريفة في بيانه و شرحه لمضامينها، جامعاً بين أصالة الأمس و حداثة اليوم و تطّعات المستقبل، و قد وُفق في ذلك إلى حدّ كبير، وهذا أحد دواعى خلود هذا التفسير و عظمتة التى ستكشفها الأيام.

ثانياً: اعتمد السيد المؤلف (قدس سرّه) بشكل أساسى في تفسيره على منهجية أهل البيت عليهم السلام، و على الأخبار والآثار المروية عنهم عليهم السلام، فنأى بعيداً عن شبهة التفسير بالرأى، و نزه كلام الله عن آراء البشر.

ثالثاً: وضوح فى الرؤية و نضوج فى الأفكار، و ردّ للشبهات التى أثرت أو قد تثار بما يملأ الخافقين علماً و يقينا هنا و هناك، و خصوصاً ما يتعلّق بالآيات الواردة بشأن أهل البيت عليهم السلام.

رابعاً: أنّ أسلوب الكتاب و طريقة بحثه تمتاز بأنّها بعيدة عن العبارات المنمّقة و الاصطلاحات المعقّدة، حيث إنّ بين المعانى بأسهل الألفاظ و الكلمات، كما أنّ امتاز بالاختصار و شمولية المطلب، و هذه الصفات جعلته سهل الفهم على جميع المستويات، فكان سهلاً ممتنعاً على ما يعبرون، ممياً سمح لكلّ بيت و أسرة مهما كان مستواها و مستوى أفرادها أن تتخذة منارا و معلماً و مربياً يغنيها عن

الكثير من المصادر والكتب.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤

خامسا: التعرض في تفسير الآيات الكريمة إلى الدقائق العلمية والأحكام المتعلقة بها و بيان مفرداتها بشكل دقيق و مفصل، كما أنه اعتمد على جانب التدبر في الآيات و استنباط النتائج و قراءة ما وراء الألفاظ بالاعتماد على نهج أهل البيت عليهم السّلام، و هذه سمّة هامة قلما أتسم بها تفسير.

سادسا: الربط الوثيق بين القرآن و الحياة في مختلف المجالات الشخصية و العامّة و العبادة و الاجتماعيّة و السياسيّة و الاقتصاديّة و غيرها، و هذه محاولة كبيرة تعيد الناس إلى القرآن، كما ترتفع بتعامل الناس معه إلى ما أراه الله سبحانه له أن يكون نورا و هدى و قائدا و مرشدا و مربيا و معلما في مختلف المجالات و الأصعدة، حيث دعا السيّد المؤلّف (قدس سرّه) إلى:

١- الأمة الواحدة لتحرير بلاد المسلمين من التفرقة العنصرية و القوميّة و الإقليميّة مستندا في ذلك إلى قوله تعالى: إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (١) و قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ (٢) و علل أفضليّة الأمة الإسلاميّة و أسباب رقيها بخصال ثلاث هي:

أ- الأمر بالمعروف ب- النهي عن المنكر ج- الإيمان بالله سبحانه إيمانا صحيحا.

بلحاظ أن المجتمع إذا خلا عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يهوى نحو السفلى؛ لما جبل عليه من الفساد و الفوضى و الشغب، فإذا تحلّى

(١) الأنبياء: ٩٣.

(٢) آل عمران: ١١١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥

المجتمع بهذين الأمرين أخذ يتقدّم نحو مدارج الإنسانيّة و الحضارة الحقيقيّة حتى يصل إلى قمة البشريّة، و بلحاظ أن الصحيح رأس الفضائل لكونه إدراكا لأعظم حقيقة كونية من جهة، و لكونه محفزا شديدا نحو جميع أنواع الخير، و منفرا قويا من جميع أصناف الشر من جهة أخرى، و هذه في مجموعها تكوّن أهمّ العناصر التي تقوم عليها سعادة البشريّة و أمنها و سلامها.

٢- الأخوة الإسلاميّة ليزيد في أواصر المجتمع الواحد، و يرفع الحواجز الطبقيّة أو الفئويّة و نحوها، مستندا إلى قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (١) و كذلك قوله سبحانه: فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا (٢).

٣- الحرّيّة الإسلاميّة لكونها غاية البعثة و هدف الرسل و الأنبياء عليهم السّلام، و خصوصا خاتمهم و سيّداهم صلّى الله عليه و آله و سلّم، مستندا إلى قوله تعالى: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ (٣) فَإِنَّ النَّبِيَّ الْأَعْظَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَلَّصَ النَّاسَ مِنْ أَغْلَالِ الْإِسْتِبْدَادِ وَالْجَاهِلِيَّةِ بِصُورِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، وَ فِي هَذَا قَالَ (قُدْسُ سِرِّهِ): أَغْلَالٌ: جَمْعُ غَلٍّ، وَ هُوَ مَا يَقْتَدِرُ الْإِنْسَانُ يَدَهُ أَوْ رِجْلَهُ أَوْ غَيْرَهُمَا، فَإِنَّ مِنْ خَوَاصِّ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ يُطْلَقُ الْحَرِّيَّاتُ الْمَعْقُولَةُ، فَالسَّفَرُ وَالْإِقَامَةُ وَالتَّجَارَةُ وَ الزَّرَاعَةُ وَ الصَّنَاعَةُ وَ الْبَيْعُ وَ الْإِشْتِرَاءُ وَ الْكَلَامُ وَ الْكِتَابَةُ وَ التَّجَمُّعُ وَ غَيْرُهَا كُلُّهَا مَبَاحَةٌ لَا قِيودَ لَهَا إِلَّا بَعْضُ الشَّرَائِطِ الطَّيْفِيَّةِ الَّتِي هِيَ فِي صَالِحِ الْمَجْتَمَعِ وَ الْفَرْدِ، وَ لَا يَعْلَمُ مَدَى ذَلِكَ إِلَّا بِالْمُقَايَسَةِ إِلَى الْأَنْظُمَةِ وَ الْمَنَاهِجِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي كُلُّهَا كَبَتْ وَ اسْتَعْبَادَ وَ اسْتِغْلَالَ (٤).

٤- الشورى على مختلف الأصعدة و المجالات ابتداء من الأسرة إلى

(١) الحجرات: ١١.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) الأعراف: ١٥٨.

(٤) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٩، ص ٦٢، ذيل الآية ١٥٨ من سورة الأعراف.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٦

الدولة و نظام الحكم و بالنحو الإسلامى الخاص، مستندا إلى قوله تعالى:

وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ «١» و قد ردّ الطرق الغربيّة و نحوها القائمة على أساس غير عادل فى الانتخاب «٢».

٥- اللا-عنف طريقا و منهجا للتعامل مع الآخرين من أهل الإسلام أو غيره من الأديان و المذاهب، مستندا لقوله سبحانه: ادْخُلُوا فِي

السَّلَامِ كَافَّةً «٣» و قوله عزّ و جلّ: وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ «٤».

و من الواضح أنّ هذه هى الأسس البارزة لتكوين الحضارة الصحيحة و الدولة الناجحة و المجتمع السعيد. و الظاهر أنّ هذا الربط و

التكامل و التطابق بين القرآن و الحياة العامّة قلّما يلحظ فى كتب التفسير حتّى الجديدة منها.

سابعاً: أنّ من خصائص هذا التفسير كذلك و التى تضى عليه طابعا متميزا آخر هو:

أ- فى تفسيره للكلمات و الحروف المقطعة فى القرآن الكريم، حيث أجرى استقراء لهذه الحروف و قال فى مستهلّ تفسيره عنها: يأتى

زمان يدرك الناس هذا الكثر المعنوى، كما أنّه لا يمرّ زمان إلّا و يدرك الناس كنوزا كونيّة، فإنّ العلوم كلّها قوانين وضعها الله فى

الكون، مثل:

قانون جاذبيّة الأرض، و قانون أرخميدس فى الماء، و قانون الأطياف فى النور و غيرها، و إذا كان رمزا لم يلزم أن يعرفه الكلّ، فإنّ

الرموز بين رؤساء الحكومات و كبار أعضاء الدولة فى صلاح الناس و إن كان كلّ

(١) الشورى: ٣٩.

(٢) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٢٥، ص ٤٧، ذيل الآية ٣٩ من سورة الشورى.

(٣) البقرة: ٢٠٩.

(٤) آل عمران: ١٦٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧

الناس لا يعرفونها، و فى ذلك يقول (قدس سرّه): و هذا رمز بين الله و رسوله و الراسخين فى العلم «١».

و على الرغم من ذلك فإنّه لم يقف عند هذا السرّ العظيم بين الله سبحانه و رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم، بل حاول أن يظهر فى

كلّ مورد من موارده بعض غموضه، أو يسلط الضوء على بعض لغزه، فمثلا- فى سورة يونس: فسّر حروفها المقطعة بالتحدى و

الإعجاز؛ لكون «المر» التى تفتح بها السورة تركّب منها القرآن المعجز، فإنّه من جنس كلام البشر لكنه معجز لا يتمكّن أحد أن يأتى

بمثله، كما أنّ من جنس المعادن و النبات يتركب الإنسان لكن لا أحد يقدر على أن يأتى بمثله، و كذلك جميع صنع الله سبحانه ...

على الاختلاف فى أوائل السور «٢».

و فى سورة هود قال عنها أيضا: إنّها رموز بين الله و الخلق «٣».

و فى سورة يوسف فسّر لها بالأخصّ من ذلك، فقال عنها: رمز بين الله و الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم كالرموز بين رؤساء

الحكومات و سفرائها «٤».

و فى سورة الرعد ذكر أنّ الأقوال فى بيان معانى الحروف فى فواتح السور تبلغ أربعة عشر قولاً «٥»، لكنّه قال (قدس سرّه): الظاهر أنّه

يمكن الجمع بين كثير منها «٦»، و لعلّ جامعها هو الرمزيّة التى مال إليها بين الله و الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، فإنّه المتيقّن من

المعاني.

ب- امتاز تفسيره (قدس سرّه) بالترابط الموضوعى بين معانى الآيات،

- (١) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٢٦، ص ١٨، ذيل الآية ٢ من سورة الأحقاف.
  - (٢) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١١، ص ٦٤، ذيل الآية ٢ من سورة يونس.
  - (٣) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١١، ص ١٦٠، ذيل الآية ٢ من سورة هود.
  - (٤) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١٢، ص ١١٠، ذيل الآية ٢ من سورة يوسف.
  - (٥) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١٣، ص ٧٠، ذيل الآية ٢ من سورة الرعد.
  - (٦) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١٤، ص ١٤، ذيل الآية ٢ من سورة الحجر.
- تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٨

و هذه ميزة قلما فعلها مفسر أو وردت في تفسير إلا في موارد قليلة، فمثلا:

\* الآيات (٢٠٥ - ٢٥٤) من سورة البقرة، تعرّضت إلى مواضع عديدة بعضها يرتبط بأحكام الحجّ، و بعضها بصفات الجاهلين و تعصّب بهم، و بعضها بالمنافقين، و بعضها بالمجاهدين، و بعضها بحركة الأنبياء عليهم السلام في داخل المجتمع و علاقة الناس بهم، و بعضها تعرّض إلى وعود الله سبحانه و تعالى للمؤمنين بدرجات الآخرة، و بعضها إلى أسئلة و جهها المشركون إلى رسوله الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم، و بعضها تضمّن السؤال عن جملة من المحرّمات، و بعضها تعرّض إلى جملة من أحكام الأسرة و أحكام النساء و أحكام الولادة و الإرضاع، و بعضها إلى حقيقة الموت و الحياة، و بعضها إلى القتال و الجهاد في سبيل الله، و بعضها إلى الإنفاق، و بعضها إلى غير ذلك. هذه العناوين و المواضيع المختلفة التي قد لا تتراءى للناظر بدوا بينها ترابط و وثيق يجمعها السيد (قدس سرّه) بسياق واحد، فيجمع سابقها بلحقها و بالعكس حتى يحصل من الكلام حديث عن صورة واحدة بكل ما يحتفّ بها من قرائن و شواهد تكمل المعنى و تثير الغرابة و الإعجاب. «١» و الآيات (٦٣ - ٦٥) من سورة المائدة، تعرّضت إلى صفات المنافقين و أهل الكتاب و آثارهم السلبية على المجتمع، و قد امتاز في تفسيره لها، حيث يوضح ظاهرة الازدواجية الثقافية عندهم، و الصفات الانحرافية الأخلاقية الأخرى، و أوجه التشابه بينهم. و كذلك الربط بين قيام الدول و هزيمتها و قوّة التلاحم و التفاهم و ضعف التفرّق و الاختلاف في آيات سورة الأنفال كقوله سبحانه: **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** «٢» قال (قدس سرّه): إنّ التنازع يوجب تبديد القوى المعنوية بالإضافة إلى تبديده

(١) و لمزيد الاطلاع يمكنك ملاحظة الربط العميق في آيات سورة الحجرات و دور الإيمان في تكوين المجتمع المؤمن. انظر سورة الحجرات: الآية ٢ - ١٩.

(٢) الأنفال: ٤٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٩

و إضاعته للقوى الماديّة، و تذهب ريحكم أي دولتكم، فإنّ الريح بمعناها لغو، و شبّهت بها الدول؛ لأنّ الدولة تشبه الريح لهبوبها و سيطرتها على الأشياء و نفوذ أمرها. يقال: هبت ريح فلان إذا نفذ أمره، و التنازع ليس يقسم القوى إلى سلب و إيجاب فقط، بل فوق ذلك يضعف القوى الإيجابية، فلو فرضنا أنّ طاقة زيد تقدّر بألف مقاتل فإذا خالفه عمرو قدّرت طاقته بخمسائة حتّى إنّ لو كان وحده بدون مخالف لكان قدر على الألف؛ و ذلك لأنّ الخلاف يحدّ من النشاط، و يضعف من القوى، بخلاف التجمّع فإنّه يزيد الطاقة الألفية إلى الألفين؛ و لذا ثبت في علم النفس أنّ الإنسان إذا رأى خلافاً لأفضل أن يصمّ عن المخالف حتّى يبقى على قواه الذاتية، و لا تحدّد من نشاطه الطاقة المناوئة «١».

ومضافا إلى ذلك كله أوجد ترابطا موضوعيا بين تفسير أول سورة و آخر سورة من القرآن الكريم، و الترابط بين السور المتسلسلة و الآيات المتسلسلة يجعل سور القرآن و آياته منظومة واحدة مترابطة كجملته واحدة نظمت في غاية الإعجاز في اللفظ و المعنى و الإحكام و الإتقان «٢».

ثامنا: أورد السيد المؤلف (قدس سرّه) أسباب تسمية السور قبل الشروع في تفسيرها، ثم بين الجو العام للسورة و المحور الكلي الذي تدور حوله آياتها، فعبر عن بعضها أنها بشأن التوحيد، و أخرى بشأن الأسرة، و ثالثة بشأن العقيدة، و هكذا، ثم ذكر مائة و عشرين معنى للبسملة في تفسيره هذا، حيث يضيف إليه امتيازاً بارزاً آخر، فمثلاً: في سورة الحمد فسّرَها بالاستعانة، و في سورة البقرة علّمها بفرض التعليم و التربية على الابتداء في كل عمل أو نشاط بالاسم المبارك؛ لما له من الأثر البالغ في الصبر

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١٠، ص ١٩، ذيل الآية ٤٧ من سورة الأنفال.

(٢) انظر التسلسل و الربط بين سور الممتحنة و الصف و الجمعة و المنافقون و التغابن و الطلاق و التحريم و الملك و القلم و الحاقة، و هكذا بين سور النساء و المائدة و الأنعام و الأعراف و الأنفال و التوبة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧٠

و الاستقامة و النجاح «١». و في سورة الأنفال شرحها بالعلاقة على إحكام ما قبلها و افتتاح ما بعدها من الآيات «٢». و في سورة يونس علّمها بتلطيف الجوّ و إعطاء الإنسان الأمن و الطمأنينة؛ لأنّ الناس اعتادوا أن يروا الظلم و الجور من الكبراء فكيف بأكبر الكبراء؟ لكنه سبحانه ليس كذلك؛ لأنّه رحمان بعباده، رحيم بالمؤمنين منهم، فلا خوف من ظلمه، و لا خشية من جوره «٣».

و في سورة النحل جعلها الحد الفاصل بين الإيمان و الكفر و المؤمن و الكافر، حيث يفتح المؤمن باسم الله خالق كل شيء، الجامع لجميع الصفات الكمالية، خلافاً للكفار و مواليهم، حيث يفتحون كتبهم بشيء في غير لونه، أو يفتحون بأسمى الأصنام، و قد جرت عادة من بهرتهم المدنية الحديثة أن يقتدوا أثر أولئك، فلا يفتحون الكتاب إلّا بالمقدّمه أو الإهداء أو الفصل بدون ذكر لاسم الله سبحانه إطلاقاً «٤».

و في سورة هود علّمها بما في الاسم المبارك من الخواص المعنوية على نفس القارئ، و يجعله في حصن و ثيق من مساوئ الشياطين و فضائل الأخلاق و محاسنها؛ و لذا نرى أنّ سماع اسم المحبوب يزيد الإنسان نشاطاً، كما أنّ سماع اسم المكروه يزيد الإنسان انقباضاً بالإضافة إلى أنّ اسم الله سبحانه يطرد الشياطين، و يوجب عناية الله عزّ و جلّ للذي ذكره، و تركيزاً لصفة الرحمة في نفوس الناس، إنّه هو الرحمن الرحيم، فليخلق الإنسان بأخلاقه سبحانه «٥».

(١) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: تفسير سورة الحمد و البقرة.

(٢) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٩، ص ١٠٩، تفسير سورة الأنفال.

(٣) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١١، ص ٦٣، تفسير سورة يونس.

(٤) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١٤، ص ٦٥-٦٦، تفسير سورة النحل.

(٥) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١١، ص ١٥٩، تفسير سورة هود.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧١

و في سورة الرعد علّل الابتداء بالاسم دون الذات؛ لأنّ الله سبحانه لا يتبدأ به و إنّما يبدأ باسمه. إنّه الله الرحمن الرحيم الذي أظهر صفاته الرحمة و التفضّل لا الانتقام و العقاب و القوّة و العذاب «١».

و في سورة الحجر قال عنها: نستعين بالله الرحمن الرحيم في أمورنا، و نجعله بدء أعمالنا؛ ليكون عوناً لنا في ختم العمل، و أن يطبع

بطابعه، فإن ما لمستَه رحمة الله العظيم لا يكون إلا صالحا باقيا موجبا للسعادة، و لنستمطر شآبيب رحمته فيرحمنا بلطفه و إحسانه «٢».

وهكذا يذكر معاني عديدة لأصل البسمة، أو بياناً لفوائدها و أغراضها، و هذه ميزة أخرى من مزايا هذا التفسير العظيم الذي قلما يحظى بمثله تفسير، حيث يكتفى غالبا بذكر بعض معانيها في أول سورة الحمد ثم يوكل إليه في تفسير سائر السور.

تاسعا: تصدى أعلى الله مقامه للإجابة عن جملة من الشبهات التي قد يثيرها البعض تجاه الإسلام في العقائد أو في الأحكام، و لم يتوقف على بيان المعاني الظاهرة للآيات، و هذا نهج جديد قلما نجده في التفاسير، و هو أن يتخذ المفسر نهج الدفاع و الذود عن الشبهات و إبطال الأدعاءات الباطلة؛ ليجعل من التفسير معلما و مربيا و محاميا في آن معا، فمن باب المثال: في بيان معنى قوله تعالى: **إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ** «٣» تعرّض إلى فلسفة الحكم بنجاسة الكفار، فبينها و اختصرها في أمور ثلاثة:

١- الوقاية الفكرية من الخرافة.

٢- الحماية الاجتماعية من التأثير بسلو كه.

(١) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١٣، ص ٦٩، تفسير سورة الرعد.

(٢) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١٤، ص ١٣، تفسير سورة الحجر.

(٣) التوبة: ٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧٢

٣- تحفيزه لترك عقيدة الكفر و الالتزام بالإسلام.

يقول (قدس سرّه): النجاسة في الشريعة هي القذارة التي توجب الغسل للشئ الذي يباشره برطوبة، و هذه النجاسة قد تكون لأضرار خارجية كالبول و الغائط، و قد تكون لأضرار معنوية كالكافر، فإنه و إن كان نظيف الجسم إلا أن معتقده السخيف أوجب الحكم بنجاسته، و ذلك خير وقاية للمسلمين من أن يعاشروه فيتلوّثوا بعقيدته الفاسدة، فإنهم إذا عرفوه نجسا و إنّه مهما باشر شيئا برطوبة تنجس فوراً منه اجتنبهه في المأكل و الملبس، فلا يتعدى إليهم ما انطوى عليه من العقيدة الباطلة، و هو بدوره إذ يعرف أنه عند المسلمين كذلك لا بدّ و أن يسأل عن السبب، و يريد إزالة هذه الوصمة، و لدى تحقيق ذلك تظهر له خرافة معتقدة مما يسبب تركه له و اعتقاده بالعقيدة الصحيحة.

و هناك بعض المتفلسفين يقولون: كيف يحكم بنجاسة إنسان و لزوم الاجتناب عنه لمجرد انحراف عقيدة و هذا مناف لحرية الآراء؟ و الجواب: أنه كيف يحكم بالاجتناب عن إنسان لمجرد أنه مصاب بالجذام و نحوه لمجرد انحراف مزاج، و هذا مناف لكرامة الإنسان. فإذا كان الخوف على الجسم يبيح الاجتناب فالخوف على الروح أولى بالإباحة «١».

و من ذلك أيضا ما أجاب به أعلى الله مقامه عن بعض مزاعم العامية في فضل الأول استنادا إلى آية الغار من سورة التوبة، و أبطل الدعوى، و علل تصديده لذلك بالدفاع عن حريم القرآن لكيلا يقحم فيه ما ليس منه، و جرّ الآيات إلى الأنظار و الأفكار جزا بدون دلالة أو برهان بعد أن ورد الذمّ لمن فسّر القرآن برأيه «٢».

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١٠، ص ٧٣، ذيل الآية ٢٨ من تفسير سورة التوبة «بتصرف».

(٢) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١٠، ص ٨٩، ذيل الآية ٤٠ من تفسير سورة التوبة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧٣

و في سورة العلق ردّ مزاعم من نسب جمع القرآن إلى الأول و الثالث بما ينفي الشكّ و يزيل الإبهام بعد تصريح القرآن بأن الذي جمعه و ربّه هو رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «١».

عاشرا: و بعد ذلك كله فإن من سمات هذا التفسير الضخم هو التواضع والإقرار بالعجز أمام كتاب الله سبحانه، ابتداء من عنوانه إلى آخر ما ذكر مصنفه الكبير (قدس سره) في هذا المجال.

فعنوانه تقريب القرآن إلى الأذهان و ليس تفسيره، و هو دالّ على إعظام و إجلال و إكبار للقرآن و تنزيه له من أن تناله عقول البشر؛ و لذا هم بحاجة إلى تقريب لما في التقريب من اعتراف بالقصور عن درك معانيه.

و قد تكرر من السيد المؤلف نفسه (قدس سره) في أكثر من مرّة بأنّ ما يذكره من مضامين مجرد معان محتملة و ليست بتفسير «٢»، و هذا منطوق من التزم الحقيقة العارف بقدره الإنسان و حدوده و مدها، و العارف بكلام الله سبحانه اللامحدود في مضامينه و معانيه الذي يستحيل أن يحيط به المحدود، و في مقدّمة مصنفه الشريف هذا قال (قدس سره) في توجيه ما ورد في بعض الأخبار: من أنّ القرآن الكريم له ظاهر و باطن، و لا يعلم تفسيره و لا ظاهره و لا باطنه و لا تأويله إلاّ الله سبحانه... إنّ فهم كلّ ظواهر الأشياء و بواطنها كذلك، فإنّ البشر لا يعلم إلاّ بعض السطحيّات، مثلا ما هي حقيقة اللحم و الدم؟ و ما هي حقيقة الماء و الكهرباء؟ و إلى غير ذلك، فإذا رأى الإنسان سيّارة لا يعلم ما هي؟ فإنّه لا يعلم هل هي حديد أو نحاس (ظاهرها)، و لا يعلم ما ذا في ما كتبتها (باطناتها)، و لا يعلم ما نفعها (تفسيرها)، و لا يعلم إلى أيّ شيء يكون أولّها (تأويلها)، و كذلك القرآن لا يعرف المراد الكامل من

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٣٠، ص ١٨٧-١٨٨، تفسير سورة العلق.

(٢) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٣، ص ٤٩، تفسير سورة آل عمران، حيث قال في معنى (آلم): «تقدّم ما يحتمل أن يكون تفسيراً له».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧٤

ظاهره و لا من باطنه، كما لا يعرف الفائدة الكاملة منه حالا، و لا أول القرآن للمستمسك به و التارك له.

و السؤال هنا: إذا كان لا يعلم ظاهرها و لا باطنها و لا تفسيرها و لا تأويلها فما فائدة ذلك؟

و الجواب: الإشارة و التلميح و إن كانت الحقيقة مخفية.

مثلا: إنك إذا سمعت من إنسان ما لاقاه من الأحوال في حرب ضروس، و أراك بعض التصاوير التي التقطها من تلك الحرب، فإنّ الكلام و الصورة لا شكّ يلمحان إلى حقيقة، لكن هل تدرك بذلك هول تلك الحرب و انفعالات أولئك المحاربين؟ إنّ نسبة ما نفهم من القرآن إلى حقيقته كنسبة الصور و الكلام إلى حقيقة تلك الحرب، و للحرب ظاهر هي المعركة، و باطن هو الاستعمار الذي يريد التسلّط مثلا، و تفسير هو ما تنتجه الحرب الآن من غلاء الأسعار و انسداد الطرق، و تأويل هو ما يترتب من الأثر على هذه الحرب من سقوط إمبراطورية و دخول إمبراطورية أخرى إلى الحياة «١».

أقول: و في الختام فإنّ ما امتاز به تفسير التقريب (تقريب القرآن إلى الأذهان) عن غيره من التفاسير الشيء الكثير. أشرنا نحن إلى بعض مزاياه و خصوصياته، و سيجد القارئ الكريم الكثير منها أثناء تتبّعه و قراءته.

و في الختام أشكر دار العلوم الموقّرة و القائمين عليها على اهتمامها بطباعته طباعةً جديدةً منقّحةً، و أسأل الله سبحانه لها مزيد التوفيق و التسديد في ترويج معارف القرآن و الشريعة الغراء آمين يا ربّ العالمين.

كما و أسأله سبحانه و تعالى أن يتغمّد السيّد مؤلّف هذا السفر القيم برحمته الواسعة، و يجعل القرآن رفيقه و مؤنسه و نوره، و أن يتقبّله منه بقبول

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١، ص ٢٤-٢٦، المدخل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧٥



حسن، و أن يدخره له في ضمن الباقيات الصالحات التي قام بها في دنياه لأخراه، كما و نسأله سبحانه أن يعفو عن زلّاتنا، و يتقبل ما كتبناه في هذه السطور أداء لبعض حقوقه الكثيرة و الكبيرة التي له طاب ثراه في رقابنا، و أن يهدى ثواب ما بذلناه إلى وليه الأعظم و حجّته على الأمم سيّدنا و مولانا صاحب العصر و الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، و أن يرضيه عنّا بحقّ محمّد و آلّه الطاهرين. فاضل الصّفار ٢٠- جمادى الثانية من عام ١٤٢٣ هجرية في جوار عقليّة الرسالة السيّدة زينب عليها و على آبائها آلاف التحيات و الصلوات الحوزة العلميّة الزينبيّة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧٦

## المصادر

- ١- الإتيان في علوم القرآن: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٢- اختيار معرفة الرجال المعروف ب «رجال الكشي»: للشيخ أبي جعفر الطوسي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٤ هـ.
- ٣- الإرشاد: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٤- إرشاد القلوب: لأبي محمد الحسن بن محمد الديلمي، مؤسسة الأعلمي- بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٥- إلزام الناصب: للشيخ علي الزدي الحائري، مؤسسة الأعلمي- بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٦- الأصول من الكافي: لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، دار صعب و دار التعارف- بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ.
- ٧- أقرب الموارد: لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني، دار الأسوة للطباعة و النشر، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ ش - ١٤١٦ هـ ق.
- ٨- بحار الأنوار: للشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء- بيروت، الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧٧
- ٩- البرهان في تفسير القرآن: للسيد هاشم البحراني، مؤسسة الوفاء- بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣ م - ١٤٠٣ هـ.
- ١٠- البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار إحياء الكتب العربيّة- القاهرة، الطبعة الأولى. ١٣٧٦ - ١١
- بين الجدران: للسيد محمد السويج، دار البيان العربي، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ١٢- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: للسيد حسن الصدر، شركة النشر و الطباعة العراقيّة المحدودة.
- ١٣- التبيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- ١٤- تجريد الاعتقاد: للشيخ أبي جعفر محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي، مركز النشر- مكتب الاعلام الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ق.
- ١٥- تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان: لآية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة الوفاء- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ١٦- تفسير الصافي: للفيض الكاشاني، مؤسسة الأعلمي- بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ١٧- التفسير و المفسرون: للدكتور محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثيّة، الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
- ١٨- تفصيل وسائل الشيعة: للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- ١٩- تهذيب الأحكام: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار صعب

- تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧٨  
و دار التعارف- بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ٢٠- الجامع الصحيح «سنن الترمذى»: لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة، المكتبة الإسلامية.  
٢١- خواطرى عن القرآن: للشهيد السيد حسن الشيرازى، دار العلوم- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.  
٢٢- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: لمحسن الأمين، دار التعارف- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.  
٢٣- داستانها و خاطراتى: لآية الله العظمى السيد محمد الحسينى الشيرازى، انتشارات سلسلة، الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ.  
٢٤- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: للشيخ آغا بزرك الطهرانى، مؤسسة إسماعيليان- قم.  
٢٥- علوم القرآن عند المفسرين: لمركز الثقافة و المعارف الإسلامية، مكتب الاعلام الإسلامى، الطبعة الأولى ١٤١٦ ق - ١٣٧٤ ش.  
٢٦- عوالى اللالكلى العزيزية: لمحمد بن على بن إبراهيم الأحسانى، مطبعة سيد الشهداء- قم، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.  
٢٧- الغدير: لعبد الحسين أحمد الأمينى النجفى، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية ١٣٦٦ هـ.  
٢٨- الفروع من الكافى: لأبى جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى الرازى، دار صعب و دار التعارف- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ.  
٢٩- كتاب التفسير: لأبى النصر محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندى المعروف «بالعياشى»، المكتبة العلمية الإسلامية- طهران.  
٣٠- كتاب الخصال: للشيخ الصدوق أبى جعفر محمد بن على بن الحسين ابن بابويه القمى، منشورات جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية- قم.  
تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧٩
- ٣١- لسان العرب: لابن منظور، نشر أدب الحوزة- قم، ١٤٠٥ هـ - ١٣٦٣ ق.  
٣٢- مجمع البحرين: لفخر الدين الطريحي، مؤسسة الوفاء- بيروت، الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.  
٣٣- مجمع البيان: للشيخ أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى، دار إحياء التراث العربى- بيروت، ١٣٧٩ ق - ١٣٣٩ ش.  
٣٤- المستدرک على الصحيحين: لأبى عبد الله الحاكم النيسابورى، دار المعرفة- بيروت.  
٣٥- مستدرک الوسائل: للميرزا حسين النورى الطبرسى، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.  
٣٦- مسند أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل، دار صادر- بيروت.  
٣٧- مفاتيح الغيب: لصدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازى، مؤسسة مطالعات و تحقيقات فرهنگى، الطبعة الأولى ١٣٦٣.  
٣٨- مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهانى، الدار الشامىة- بيروت، و دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.  
٣٩- مناقب آل أبى طالب: لأبى جعفر رشيد الدين محمد بن على بن شهر آشوب السروى المازندرانى، مؤسسة انتشارات العلامة- قم.  
٤٠- موسوعة أهل البيت الكونية: لمجموعه من المؤلفين، بإشراف فاضل الصّفار، سحر للطباعة و النشر- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.  
٤١- نهج البلاغة: ضبط نصه و ابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحى الصالح، دار الكتاب اللبنانى و دار الكتاب المصرى، الطبعة الثانية ١٩٨٠ م.  
تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٨١

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين. لعل سبحانه يوفقني لشرح ألفاظ من القرآن الحكيم، ليسبب تسهلا على الطالب، ويفتح لي سبيل فهم كتابه، الذي هو سبب سعادة الدنيا والآخرة. ويتقبله بقبول حسن، ليكون مصداقا ل: «كتب علم ينتفع بها» في الدنيا، و موجبا للأجر والثواب في الآخرة.

هذا ما يرجوه «محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي» عند افتتاح كتابه التفسير، المسمى ب: «تقريب القرآن إلى الأذهان» والله الموفق، وهو المستعان.

كربلاء المقدسة ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هجرية.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٨٢

## المدخل

## كتاب كل عصر و مصر

قد اشتهر عند أتباع المستعمرين من المسلمين الجدد أصحاب الثقافات الشرقية والغربية، أن القرآن لا يلائم العصر من جهة وجود أحكام فيه تصلح لعهد البداءة، مثل قطع يد السارق و جلد الزاني و رجمه، و تقرير الاستعباد و القصاص و حرمة الربا و المكس و الحريات الكثيرة و الأحكام الخاصة بالمرأة، و من جهة عدم وجود أحكام فيه يتطلبها العصر، مثل أحكام السياسة و الاقتصاد و الأمن و ما أشبه ذلك، ثم قالوا بأن الإسلام حيث ينطلق من القرآن فالقرآن أيضا لا يصلح للعصر الحديث، فاللازم فصل الدين عن الدولة، و هذه الفكرة إن لم تعم كافة المثقفين فهي بلا شك تعم أكثرهم، و حيث أن الاستعمار الفكري يستتبع الاستعمار العسكري، فبلاد الإسلام تعيش في استعمار عسكري صريح أو مغلف، و الواجب الاهتمام لتغيير هذه الفكرة بمختلف وسائل التغيير، فإن الله سبحانه لا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ «١» و إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ «٢» فإنهم إذا لم يغيروا ما بأنفسهم من أسباب الضعف و الانحطاط أراد الله بهم سوءا إرادته تكوينية تابعة لخلق المسببات بعد أسبابها.

(١) الرعد: ١٢.

(٢) الرعد: ١٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٨٣

و الكلام حول رد هذه الإشكالات طويل نكتفي بالتلميح إليه فنقول:

أما الجهة الأولى فيرد على إشكال قطع يد السارق، أن الإسلام لا يقطع يد السارق إلا بعد توفير أوليات العيش المتوسط له، و إذا وفر له أوليات العيش المتوسط فهل الأفضل أن يردعه - إذا سرق - بعقاب صارم يجعل المجتمع في أمن بعد توفر زهاء عشرين شرطا في السرقة يشترط بها القطع؟ أو أن يجسه أو ما أشبه الجبس؟ مما لا يكون رادعا، بل أحيانا يكون مشجعا كما لا يخفى على من طالع أحوال المجتمعات الغربية و الشرقية.

و على إشكال جلد الزاني، إن الإسلام لا يجلد إلا إذا اضطر، و إذا عرفنا أن الإسلام يوفر المناخ الملائم للعفة برفع الاضطرار إلى اقتراف الجنس حراما، كان زنى الرجل أو المرأة خرقا للعفاف الاجتماعي و تعريضا له إلى الانهيار في أقدس روابطه وهدما للعائلة، و أيهما خير العقاب الصارم للمناسبة للذة الزنى - إذ الجلد إيلا م يناسب ما اقترفه الزاني من الإثم - أو عقوبة خفيفة لا تسد هذا الباب

## الخطر؟

أما الرجم فهو للزاني المحصن، و كل إنسان عاقل يعترف بأنه إذا كانت له زوجة يشبعها جنسيا ثم خانتها كان اللازم إنزال أشد العقوبات بحقها، وكذلك العكس و إنما لزم انهيار المجتمع و انهدام العائلة و عدم الأمن و كثرة الطلاق و قلة النكاح و اختلاط الأنساب و كثرة الأمراض الجنسية و توسيع المجال للمستهترين، إلى غيرها من المفاسد التي وقع فيها الشرق و الغرب و قد رفع عقلائهم أصواتهم بوجوب وضع حد لهذه الاستهتارات.

و على إشكال تقرير الاستعباد، إنه أفضل حل لمشكلة أسارى الحرب، بعد الوضوح أن الإمام مخير بين الأسر و بين السجن و بين الفدية و بين الإطلاق كل منها حسب ما يراه من المصلحة، فلنفرض أن المصلحة عدم القتل، لأنه تضييع لقوى بناءة يحتاج إليها المسلمون، و عدم السجن، لأنه إرهاب لكاهل الدولة، و عدم الإطلاق بمال أو بدون مال، لأنه يخشى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٨٤

من تأمرهم على الدولة الإسلامية، فما ذا يكون الحل المعقول غير استعبادهم بتسليمهم إلى سادة يكونون تحت إشرافهم دائما مع عدم إضاعة قدراتهم البناءة؟ و من السهل نقد الإسلام في تقريره قانون الرقة، لكن من المحال إيجاد حل أفضل منه، و لذا نرى أن الذين انتقدوا الإسلام في هذا القانون، لما جاء دور العمل أخذوا يقتلون مناوئينهم بالملايين لا-الألوف، ففرنسا قتلت مليوناً أو مليوني جزائري، و أمريكا قتلت خمسة ملايين فيتنامي، و إنكلترا قتلت عشرين مليون صيني، و ألمانيا قتلت ما يقارب الخمسين مليون في الحرب العالمية الثانية، و روسيا قتلت خمسة ملايين فلاح في نظام المزارع الجماعية- على ما ذكرت كل ذلك الكتب و الجرائد و الإذاعات-.

ثم نظام التعذيب الذي اخترعه الغرب و الشرق أبشع بكثير من نظام الرق بل هو نظام استعباد الشعوب الكامل تحت غطاء الاستعمار مما أوقع العالم كله في دوامة الثورات و الحروب.

و على إشكال القصاص، إنه أمر طبيعي، فهل يشفى غيظ من فقأ عينه عمداً أن يأخذ المال في قبال عينه التالفة؟ و هل من الإنصاف أن يترك مثل هذا الإنسان الجاني يعبث بالمجتمع بدون عقاب صارم يردعه و يردع غيره من العابثين؟ خصوصا إذا كان الجاني غنيا لا يهتم بالمال، فقد أجاز الإسلام ذلك في صورة طلب المجنى عليه، مع إنه أعطى الحق له في أن يعفو، و أن يأخذ الدية مع إعطاء الصلاحية للحاكم الإسلامي في تعزيره بما يؤلمه، لأنه خرق حق الله سبحانه. بما يسمى في الاصطلاح بحق الادعاء العام.

نعم قد لا يكون للقصاص مجال في الحي، أو في الميت، كما في من قطع عضو ميت، حيث أفتى الإمام الصادق عليه السلام بأن ديته كدية الجنين، فيمن قطع رأس ميت- لوضوح اشتراكهما في أنهما إنسانان لا روح لهما-

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٨٥

في قصة مشهورة «١» و حينذاك يرجع الأمر إلى الدية و التعزير إن صدرت الجناية عن عمد، و إلى الدية فقط، إن لم يكن عمد في البين.

و أما إشكال حرمة الربا، فإنه و إن أورد عليها أن الربا حق معقول، لأن أمر صاحب المال دائر بين أن يتاجر بماله فيربح، و بين أن يدفعه قرضا فيربح من ورائه، و لذا قالوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا «٢» لكن هو إشكال غير وارد، لا لما أورد عليه الشيوعيون بأن تجارة غير الدولة سرقة لأتعب العمال، إذ أي حق للتاجر أن يستربح ثم يأخذ لأجل ماله شيئا من أتعب و جهود الكادحين؟ فكل من الربا و الاتجار المربح حرام.

و لا- لما أورد عليه بعض الاقتصاديين الجدد بأن الاتجار مطلقا «سواء كان من الدولة، كما في الشيوعية، أو من غير الدولة، كما في الرأسمالية» حرام، إذ في كلا الحالتين استفاد من لم يتعب ممن تعب فهو سرقة تحت اسم القانون، إذ يرد عليهما أنه لا بد من مخزون مالي للقيام بخدمات المجتمع، و أفضل طريق الخزن هو جمع المال عند التجار لئلا يجتمع المال و السلاح و القوة في مكان، فيكون

الظلم و الديكتاتوريه كما نشاهدهما بأبشع صورهما في البلاد الشيوعيه .. مع لزوم مراقبه الدوله لأجل إعطاء الناس ما يحتاجون من مسكن و أثاث، حتى لا يبقى فقير، و لأجل عدم إفساد الرأسمالي - كما في النظام الإسلامى - .  
بل لأن الربا على إطلاقه ظلم، إذ ليس كل تجارة مربحه، و ليس كل إعطاء للمال يستحق المعطى أن يأخذ شيئاً في مقابل الإعطاء و توضيح ذلك أن لمال التاجر أربع صور:

(١) الكافي: ج ٧ ص ٣٤٩.

(٢) إشارة إلى سورة البقرة: ٢٧٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٨٦

الأولى: أن لا تكون هناك تجارة يتمكن ما له من الثقلب فيها.

الثانية: أن تكون تجارة غير مربحه إطلاقاً، أو مربحه بقدر أقل من التعب، أو بمقدار التعب.

الثالثة: أن يصرف المال في الحوائج الضرورية، لا في التجارة.

الرابعة: أن يصرف المال في تجارة مربحه ربها أزيد من التعب، و الربا أخذ التاجر المال ممن أعطاه المال في كل الصور الأربعة، مع أنه في الثلاثة الأولى ظلم.

أما في الصورة الأولى: فلو صرح أن قول المستشكل «إن أمر صاحب المال دائر بين أن يتاجر بماله فيربح، و بين أن يدفعه قرضاً فيربح» غير تام، إذ المفروض أنه لا يمكن الاتجار بالمال في هذه الصورة.

و أما في الصورة الثانية: فإن المال ربح بقدر التعب - على أحسن الفرضين - و الأحق بهذا الربح من تعب لا من لم يتعب.

و أما في الصورة الثالثة: فإن أخذ التاجر الربح خلاف الإنسانية، لأنه استغلال لحاجة الإنسان في تدميره، فالمفترض أخذ المال لأجل قوته، أو دواء مريضه، فهل يحق لصاحب المال أن يستغل هذه الحاجة في إنماء ماله؟

و تبقى الصورة الرابعة فقط مما يحق لصاحب المال أن يأخذ بعض الربح «أخذاً لأجل وجود المخزون المالى الذى هو لأجل المجتمع أيضاً - كما تقدم -» و حل الإسلام له بالمضاربة التى هى أقرب إلى العدالة بالنسبة إلى التاجر و المضارب، أفضل من الربا الذى قد يكون الترجيح فيه لصاحب المال، و قد يكون الترجيح للعامل و كلاهما اعتباراً لا يقره العقل و المنطق.

و يرد على إشكال حرمة المكس، أن غاية ما يقال لتبرير المكس أمران:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٨٧

الأول: إنه إذا رفع المكس أضر ذلك بالاقتصاد، إذ الدولة تجنى من وراء المكس مقادير كبيرة من المال تساعد في إدارة شؤون الدولة.

الثانى: إنه إذا رفع المكس لزم تحطم الاقتصاد الوطنى، لأن البضائع الأجنبية ترد في البلاد بما يوجب تحطم الاقتصاد، و لا يخفى أن هذين الأمرين و إن تما في الجملة، إلا أن الحرمة الذاتية للمكس لا ترتفع بهما، بل اللازم للدولة الإسلامية أن تلاحظ الأهمية و تأخذ بالأهم في البين، فكل من المكس و تحطم الاقتصاد «المذكور في الأمرين» حرام، فإذا دار الأمر بين الحرامين يجب الأخذ بأقلهما حرمة من باب قاعدة الأهم و المهم.

و منه يعلم أن حرمة المكس ليست مطلقه حتى يستشكل على الإسلام بأنه حرم المكس، و أن الحرمة لا تلائم الدول الحديثه.

و يرد على إشكال الحريات الكثيرة، أن توهم أن الإسلام يعطى حريات تضر بالاجتماع باطل، وجه التوهم أن الإسلام يعطى حرية البناء و حرية الحركة، و حرية السكنى، و حرية التجارة، إلى غير ذلك، و بذلك يختل النظام، فكل أحد يبنى ما يضر الطريق، و كل أحد يترك بدون ملاحظة قوانين المرور، و لمليون مسلم مثلاً، أن يأتوا للسكنى في بلد بحيث يضيق بهم هذا البلد، و للتاجر أن يصدر

كل بضائعه بحيث يقع أهل البلد في ضيق، إلى غير ذلك.

و الجواب: أن الإسلام إنما يعترف بالحرية المسؤولة «أى غير الضارة» لا الحرية غير المسؤولة، فليس لأحد أن يستفيد من الحرية الضارة بالآخرين، و يجب على كل مسلم احترام قوانين الدولة الإسلامية الموضوعه تحت نظر المجتهد الجامع للشرائط و إن أضرت القوانين بمصالحه الخاصة، فإذا رأت الدولة أن استيراد هذه البضاعة مثلا تضر بالاقتصاد الإسلامى فمنعت عن ذلك ليس لأحد أن يستورد هذه البضاعة، إلى غير ذلك.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٨٨

لا يقال: فأى فرق بين مثل قوانين أمريكا، و بين قوانين الدولة الإسلامية، إذ كل منهما توضع حسب المصلحة؟

لأنه يقال: الفرق أن قوانين الدولة الإسلامية توضع فى الإطار الإسلامى، بخلاف قوانين مثل أمريكا، فالفرق بينهما كالفرق بين قوانين أمريكا، حيث توضع فى الإطار الرأسمالى و قوانين روسيا، حيث توضع فى الإطار الشيوعى، مع أن كلتا الدولتين تدعى أنها تلاحظ مصالح بلادها.

و يرد على إشكال الأحكام الخاصة بالمرأة أن المنطق و البرهان دلما على صحة تلك الأحكام الخاصة، بحيث إنها لو تساوت مع الرجل فى الأحكام كان خباله مثل تساويها معه فى خصوصيات الجسم، فكما أنه لو كان كل البشر رجلا كان ذلك من أبشع الفساد، كذلك لو كان كل البشر متساوين فى كل الحقوق و الواجبات كان ذلك من أبشع الفساد، و قد فصلنا بعض أسباب الاختلاف بينهما فى جملة من الأحكام فى كتاب «فى ظل الإسلام» «١» و فى «الفقه: الحكم فى الإسلام» «٢» و غيرهما.

و يرد على إشكال القصاص، أنه حكم إنسانى رادع كما تقدم، و الإنسانية و الردع لا توجدان فى الغرامة و السجن، مع أن الإسلام جعل اختيار العفو و أخذ الغرامة بيد المجنى عليه، رخص القصاص، بما إذا كان الجانى عامدا- كما هو واضح-

أليس من الحق أن جانبا عامدا إذا قطع يد إنسان كان جزاءه أن تقطع يده، فيما إذا أراد المجنى عليه ذلك؟ و إذا لم يكن هذا من الحق، لنا أن نسأل الفرق بين المال و النفس، فإذا أخذ السارق منك دينارا كان لك أن

(١) للمؤلف.

(٢) راجع موسوعة الفقه المجلد ٩٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٨٩

تأخذ منه دينارا، و إن قيل فلما ذا لا يقتص فى العرض؟ فإذا زنى زان بزوجه زيد كان لزيد أن يزنى بزوجه الزانى، قلنا الفرق واضح، إذ يكون ذلك اعتداء على برىء هو زوجة الجانى بخلاف القصاص، فإنه رد اعتداء على نفس المعتدى، هذا كله بالنسبة إلى الجهة الأولى.

أما الجهة الثانية فالقول بأن الإسلام ليس فيه اقتصاد و سياسة و أمن، كلام بلا دليل، فالاقتصاد الإسلامى ليس فيه مضار اقتصاديات الثلاثة الرأسمالية و الشيوعية بفرعيتها الاشتراكية و الفوضوية «التي تدعى أن لكل نتاجه، و من كل عمله» بينما فيه الاقتصاد المعتدل الذى يعطى كل ذى حق حقه، كما أن السياسة فى الإسلام أفضل سياسة، حيث تجمع بين حكم الله سبحانه و الشورى فى انتخاب الحاكم، و الأمن موجود فى الإسلام لا للكبت بل لجمع المعلومات و إرصاد المخربين و إيقاف المفسدين عند حدهم، و قد ذكرنا طرفا من هذه المسائل الثلاثة «الاقتصاد و السياسة و الأمن» فى كتاب «الفقه: الحكم فى الإسلام» و لذا فلا نعيد التفاصيل.

و حيث أن القرآن مصدر لكل هذه الأحكام، حيث بين فيها الخطوط العريضة للحياة السعيدة، فالقرآن هو الكتاب الوحيد الصالح لتطبيقه فى العصر، و كل كتاب و قانون غير القرآن ليس له هذه الصلاحية، و الظاهر أن العالم أخذ أخذًا حثيثًا نحو السير إلى القرآن و أحكامه، لأنه الكتاب الوحيد الصالح للتطبيق بعد أن ظهر فشل ما عداه فى تأمين الحياة السعيدة، فهو مثل الكهرباء بالنسبة إلى

النفطيات، حيث إنها تعطى مكانها للكهرباء- تلقائيا- طال الزمان أو قصر، و لذا قال سبحانه لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ «١».

(١) التوبة: ٣٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩٠

### تطبيق الفكر و العمل على القرآن

يجب تطبيق الفكر و العمل على القرآن، و ذلك بيان مقدمات:

الأولى: إن الله سبحانه خلق الكون الواسع بما فيه الدنيا و الآخرة و الحياة و غير الحياة على كيفية خاصة من الحقائق و الأبعاد و الحدود و المزايا و الخصوصيات و هذا واضح لا يحتاج إلى الدليل.

الثانية: إن القرآن هو الكتاب الوحيد الذى بقى مما أنزله الله سبحانه فى أيدي البشر، أما سائر الكتب المنزلة فقد حرفت و بدلت، كما قال سبحانه: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ «١» و فَتَنُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ «٢» بل قامت الضرورة منا على عدم تمامية الكتب الباقية، كالتوراه و الإنجيل، بالإضافة إلى فقدان بعض الكتب المنزلة من أساسها بحيث لم يبق منها عين و لا أثر، بالإضافة إلى أنه لم يعلم أن سائر الكتب المنزلة كانت لأجل الهداية الكاملة المستوعبة للفكر و العمل بصورة مطلقه.

الثالثة: إن القرآن نزل بقصد توجيه الفكر و توجيه العمل، و المراد بالعمل أعمال الجوارح كلها بما فيها اللسان، و قد دلت الأحاديث المتواترة على أن الهداية خاصة بالقرآن- أن من طلب الهداية فى غير القرآن أضله الله- أى كان ضالا و النسبة إلى الله سبحانه باعتبار أن الآله منه سبحانه، و لذا نسب

(١) المائدة: ١٤.

(٢) المائدة: ١٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩١

كل شيء إلى نفسه.

قال سبحانه: وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ «١».

و قال: يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ «٢».

و قال: أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ «٣».

و قال: كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ «٤».

و قال: وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ «٥» على فرض أن يراد به كل عمل الإنسان حتى المعصية باعتبار أن الآله منه سبحانه- و إنما كان يضل من طلب الهداية فى غير القرآن، لأنه لا هداية فيما عداه، مثل أن يكون الطريق إلى البلد الفلانى خاصا بطريق واحد فيقال: أن من سلك غير هذا الطريق ضل، فإن وجهه أنه لا طريق غيره.

الرابعة: أن ظرفية البشر فى عالم الدنيا ليست أكثر من القرآن، فإنه و إن احتمل أن يكون الكون- بمعناه العام- أكبر من المقدار المذكور فى القرآن، إلا- أن المقدار الذى يستوعبه الإنسان من الكون- استيعابا فى فكره و فى عمله- ليس أكثر مما أرشد إليه فى القرآن، مثلا إذا كانت صحراء بمقدار مائة فرسخ، لكن زيدا لا يتمكن من عمران أكثر من عشرين فرسخا منها، كان مقتضى الحكمة أن يكون المنهاج الذى يضعه ربى زيد بقدر تعميم عشرين فرسخا فقط، إذ الزائد لغو لا يصدر من الحكيم، و يؤيد أوسع الكون عن مقدار ظرفية الإنسان

قوله عليه السلام «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»  
إلا أن يقال أن هذا لا يدل على أوسع الكون عن القرآن، لأن

(١) الأنفال: ١٨.

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) الواقعة: ٦٥.

(٤) النساء: ٧٩.

(٥) الصفات: ٩٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩٢

للقرآن بطوننا، ولأنه لا تفنى غرائبه كما في الحديث، فلعله سبحانه جعله يتدرج في الظهور كما جعل حقائق كونه، في الدنيا وفي الآخرة تتدرج في الظهور.

وكيف كان فيدل على المقدمة الرابعة عدم وجود الهداية في ما عدا القرآن كما نص بذلك متواتر الروايات، فلو كان البشر أوسع للزم وجود الهداية في ما عدا القرآن الأزيد من القرآن لا بد وأن يكون له طريق مستقيم وطريق غير مستقيم، ومعرفة البشر الطريق المستقيم في المقدار الأزيد هداية، والمفروض أنه لا هداية في ما سوى القرآن.

إذا تحققت هذه المقدمات الأربع قلنا: ثبت أن فكر البشر في أحوال المبدأ والمعاد والمعاش بكل أصنافه من عبادة ومعاملة بأقسام المعاملات، وأخلاق وغيرها لا يعدو القرآن كما ثبت أن أعماله بكل أنواعها لا تعدو القرآن، فاللازم تطبيق فكره وعمله في إطار القرآن إذ القرآن مرماه للكون والبشر مأمور بفهم هذا الكون والعمل على طبق ذلك الفهم، فمثلا إذا فرضنا أن المريض كان مأمورا بشفاء نفسه و وصف المرض و وصف الدواء كان مكتوبا بكتاب، وقال الأمر: أفهم داءك و دوائك و أعمل لشفائك، كان اللازم على المريض أن يفهم الكتاب و ألا يبقى مريضا.

و عليه فإذا أفرغ البشر فكره وعمله في إطار القرآن هدى، وإلا ضل عن سواء السبيل، و للتوضيح نقول: حقيقة المبدأ و حقيقة المعاد و حقيقة المخلوقات، أى خلق السماوات والأرض والجبال والرعد والبرق والجنّة والنار والموت والحياة وغيرها، شىء ثابت مسلّم سواء فهمها البشر أم لا.

كما أن سعادة البشر في الصلاة والصيام والزكاة والبيع والنكاح والحرية والحدود والقصاص وغيرها، والواقع في باب الفهم و أسلوب العمل المسعد في باب العمل في القرآن الحكيم، فإن صب البشر فكره في

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩٣

قال فهم القرآن أدرك الحقائق و إن صب البشر عمله في قالب العمل الذى أرشد إليه القرآن سعد، و إلا أخطأ في فكره و شقى في عمله مثلا قال القرآن:

الإله واحد، و قال: أقيموا الصلاة، فإن لم يصب البشر فكره وعمله في هذين، لقال بأن الإله اثنان، و لم يصل، و الأول يوجب انحراف فهمه عن الواقع، و الثانى يوجب شقائه حتى فى الدنيا، لأنه كما قال سبحانه: أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ «١» و قال تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي «٢».

ثم أن هنا ثلاثة أمور:

الأول: إن للقرآن ظهرا و بطننا، و لبطنه بطن و هكذا، و إذا لا-حطنا ذلك فى التكوينات التى خلقها الله سبحانه ظهر نوع شبه لفهم المقصود بذلك، فمثلا التفاح له ظهر هو قشره، و بطن هو لبه، و لبطنه بطن هو نواته، و لنواته بطن هو مخه، و هكذا الإنسان له ظهر هو



جلده المرثى منه، و له بطن هو لحمه، و لبطنه بطن هو القلب و الكبد و الكليئة، و كل بطن بمنزلة مخ النواة، و فى القرآن مثلا- قال سبحانه: وَ تَرَى فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْزَنُونَ «٣» فظهره هؤلاء الثلاثة فى قبال موسى عليه السلام، و بطنه أمثالهم فى قبال محمد صلى الله عليه و آله و سلم ثم أمثالهم فى قبال على عليه السلام و هكذا، و يؤيد هذا المعنى ما ورد من أن القرآن كالشمس تجرى كل يوم، فله انطباق فى كل زمان على أفراد و أعمال و حالات.

ثم أن من الطبيعى أن يكون القرآن كذلك، لأنه كتاب اللفظ فى قبال كتاب الكون، فاللازم انطباق هذا الكتاب على ذلك الكتاب، و إلا لم يكن كامل الانطباق.

(١) الرعد: ٢٩.

(٢) طه: ١٥.

(٣) القصص: ٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩٤

الثانى: ورد بالنسبة إلى بعض أساميه سبحانه أنه لا- يعلم ظاهرها و لا باطنها و لا تفسيرها و لا تأويلها إلا الله سبحانه، كما فى دعاء السمات، و قد يظهر من بعض الروايات أن القرآن كذلك كما ذكر فى قصة بلوهر مع يوزاسف.

و هنا سؤالان:

السؤال الأول: أنه ما معنى ذلك؟

و الجواب: أن فهم كل ظواهر الأشياء و بواطنها كذلك، فإن البشر لا يعلم إلا بعض السطحيات، مثلا ما هى حقيقة اللحم و الدم؟ و ما هى حقيقة الماء و الكهرباء؟ و إلى غير ذلك، فإذا رأى الإنسان سيارة لا يعلم ما هى؟ فإنه لا يعلم هل هى حديد أو نحاس «ظاهرها» و لا يعلم ماذا فى ما كتتها «باطنها» و لا يعلم ما نفعها «تفسيرها» و لا يعلم إلى أى شىء يكون أولها «تأويلها» و كذلك القرآن لا يعرف المراد الكامل من ظاهره و لا من باطنه، كما لا يعرف الفائدة الكاملة منه حالا و لا أول القرآن للمستمسك به و التارك له.

السؤال الثانى: إذا كان لا يعلم ظاهرها و لا باطنها و لا تفسيرها و لا تأويلها فما فائدة ذلك؟

و الجواب: الإشارة و التلميح و إن كانت الحقيقة مخفية، مثلا أنك إذا سمعت من إنسان ما لاقاه من الأهوال فى حرب ضروس، و أراكَ بعض التصاوير التى التقطها من تلك الحرب، فإن الكلام و الصورة لا شك يلمحان إلى حقيقة، لكن هل تدرك بذلك هول تلك الحرب و انفجالات أولئك المحاربين؟ إن نسبة ما نفهم من القرآن إلى حقيقته، كنسبة الصور و الكلام إلى حقيقة تلك الحرب، و للحرب «ظاهر» هى المعركة و «باطن» هى الاستعمار الذى يريد التسلط مثلا، و «تفسير» هو ما تنتجه الحرب الآن من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩٥

غلاء الأسعار و انسداد الطرق و «تأويل» هو ما يترتب من الأثر على هذه الحرب من سقوط امبراطورية و دخول امبراطورية أخرى إلى الحياة.

الثالث: قد ورد فى باب القرآن أنه لا- تنقضى غرائبه و المراد بذلك، إما بعض حقائقه التى لا نعلم بها، أو أن الطريق الذى أرشد القرآن البشر إليه طريق لا تنقضى غرائبه، مثلا أرشد القرآن البشر إلى السير فى الأرض و النظر و العبرة و هكذا يؤدى دائما إلى اطلاع البشر على معلومات جديدة غريبة و اكتشافات حديثة مدهشة، و الله سبحانه العالم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩٦

حيث أن القرآن الحكيم فلسفة كاملة للحياة و لا فلسفة كاملة غيره، لا بد و أن يسيطر على الحياة، إن عاجلاً أو آجلاً، فإنه إنما يسيطر إذا عرف البشر هذين الأمرين:  
إنه فلسفة كاملة و لا فلسفة كاملة غيره:

إذ البشر بحاجة إلى فلسفة كاملة ليسعد، و السعادة هي الغاية المتوخاة لكل بشر، و ليس وراءها مقصد، فإن الذاتى لا يعلل بغيره.  
أما أن القرآن فلسفة كاملة، فلأنه يعطى شؤون الروح، و يعطى متطلبات الجسد و يستند إلى ما لا يتغير، و هذه العناصر الثلاثة هي التى تشكل السعادة الكاملة لأن الإنسان روح و جسد، و لكل واحد منهما متطلبات، ثم إذا كان متطلباتهما غير مستندة إلى قوة أزلية لا تتغير، كانت محللاً للتغيير، مما يسلب الثقة، و سلب الثقة ينتهى إلى الشقاء، فهو مثل أن تراجع طبيياً لا تثق به أو تركب طائرة أو سفينة لا تثق بهما حيث أن فى الكل احتمال العطب الذى يوجب الشقاء النفسى و شقاء النفس كسعادتها، تسريان إلى الجسد للتفاعل بين الروح و الجسد، و لذا كان القلق يوجب قرحة المعدة، و أمراضاً أخرى، و لذا كان أيضاً المرض الجسدى يوجب اضطراب العقل، و منه قيل: «العقل السليم فى الجسم السليم».  
و على هذا فإذا لم تكن المتطلبات مستندة إلى قوة أزلية توجب الثبات و الاستقرار، كان الإنسان يعيش فى ألم و عذاب، و حيث أن من طبيعته

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩٧

الإنسان الفرار من الألم كان لا بد له أن يتطلب فلسفة صحيحة ليدفع بها ألمه، و ينتهى به المطاف إلى فلسفة القرآن، التى هي الفلسفة الصحيحة للكون و الحياة، بكلا شقى الحياة: الروح و الجسد، بالإضافة إلى أنها مستندة إلى الله سبحانه، الذى لم يزل و لا يزال و لا تبدل قوانينه فلن تجد لسنة الله تبديلاً و لن تجد لسنة الله تحويلاً (١).  
إذا ثبت هذا قلنا: أمهات الفلسفات الموجودة فى عالم اليوم خمسة:

١- فلسفة الإسلام، ٢- فلسفة اليهود، ٣- فلسفة النصراني، ٤- فلسفة الرأسمالية، ٥- فلسفة الشيوعية، و ما عدا الإسلام من سائر الفلسفات ليست صالحة للحياة، فلا تبقى إلا فلسفة الإسلام، التى ينتهى البشر فى آخر المطاف إليها.  
و لذا قال سبحانه: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ (٢) فهو بالإضافة إلى كونه غيبياً، يؤيده المنطق و البرهان.  
أما عدم تمكن الفلسفة اليهودية و النصرانية من الصمود أمام الحياة، فلوضوح أنهما مشوبتان بأبشع أنواع الخرافة، و العقل إن سبت ساعة لا- يسبت إلى قيام الساعة، و لذا بمجرد أن ترجم كتابيهما بعض المترجمين، و عرف الغرب و الشرق ما يحتويان من الخرافة لفظوهما، بالإضافة إلى أنهما كانا مصادر لمحاكم التفتيش و ما أشبهها، مما اصطدم بالعلم حين نهوض العلم، فانسحب عن الميدان بعد مجازر بشرية رهيبه- هذا أولاً- بالإضافة إلى أن اليهودية و النصرانية لا تشتملان على قوانين الإنسان فى معاملاته و أحواله الشخصية و سائر شؤونه، بل منطقتهما: «دعوا ما لقيصر لقيصر، و ما

(١) فاطر: ٤٤.

(٢) التوبة: ٣٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩٨

لله لله الذى يعيش تحت مظلتها، لا بد له من وضع قوانين لحياته، و حيث أنها ليست مستندة إلى قوة أزلية لا تصلح للإسعاد «كما تقدم بيان ذلك»، و هذا ثانياً.

و قد ظهرت آثار انهزام اليهودية و النصرانية فى هذا القرن بما لا يرجى فى بقائهما و إن حققتنا آثار الحضارة الحديثة، فالخشبة اليابسة لا تحيي، و إن سقيت بألف كر من الماء.

و أما عدم تمكن فلسفة الشيوعية و الرأسمالية من الصمود أمام الحياة، فلأنهما أولا: ناقصتان من حيث عدم وفائهما بجانب الروح، و إنما تتعرضان لجانب الجسد فقط، و لذا كان الغرب القائل بالروح اضطر إلى التشبث باليهودية و المسيحية لأجل إملاء الروح، و لكنهما لم ينفعا أيضا، لخواء ما فيهما من الروحيات، و أسوأ الاثنتين هي الشيوعية التي لا تعترف بالروح أصلا. و ثانيا: لا يستمدان قوانينهما الجسدية من قوة أزيه، و قد عرفت أن القانون المستمد من الإنسان و نحو الإنسان، مترجج، و لا ينفع استقرار الإنسان و ثقته.

أما أمثال القومية، و البعثية، و الوجودية، و الديمقراطية و الاشتراكية، و نحوها، فهي ليست فلسفات أصلا، و إنما هي فكر منحرفة لبقعة صغيرة من بقع الحياة، فالقومية معناها جمع القوم، و البعثية معناها بعث القوم، و الوجودية إفراط في الفردية مقابل إفراط الماركسية في الدولة، و الديمقراطية حكم الشعب، و الاشتراكية توزيع قسم من الثروة، و من الواضح أن أيها منها ليست فلسفة للحياة، هذا مع الغض مما سبب جملة منها من المآسى للإنسان، إذا .. لم يبق في الميدان إلا القرآن، ففي أي وقت اجتهد حملته في إيصاله إلى العالم، استقبله العالم بكل ترحاب، كما استقبله العالم بكل حفاوة إبان ظهوره.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩٩

## ١ سورة الفاتحة مكية - مدنية / آياتها (٧)

سميت السورة باسم «الفاتحة» لافتتاح المصاحف بكتابتها و لقراءتها في الصلاة فهي فاتحة لما يتلوها من السور و تسمى ب «الحمد» و من أسمائها «سبع المثاني» و «الواقية» و «الكافية» و ذكروا لها أسماء أخرى و هي مكية و قيل إنها مدنية و لعلها نزلت مرة في مكة و مرة في المدينة.

[سورة الفاتحة (١): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أى أستعين بالله، و إنما لم يقل «بالله» تعظيما، فكان الاستعانة بالاسم، و الله علم له سبحانه، و الرحمن الرحيم صفتان تدلان على كونه تعالى عين الرحمة، فلا يرهب جانبه، كما يرهب جانب الطغاة و السفاكين، و تكرير الصفة للتأكيد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ١٤٩

[سورة الفاتحة (١): الآيات ٢ الى ٦]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)

[٢] الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فإنه هو الذى يستحق الحمد، لأن كل جميل منه، و كل خير من عنده، و هو رب العالمين، الذى أوجدهم و رباهم.

و التربية تطلق على الإنشاء و الاستمرار، و العالمين إشارة إلى عوالم الكون، من جن و ملك، و إنسان و حيوان، و نبات و جماد، و روح و جسد، و غيرها.

[٣] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تكرر للتأكيد، لإفادة أن الرب ليس طاغيا، كما هو الشأن فى غالب الأرباب البشرية.

[٤] مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ هو الجزاء، فيوم الدين: «القيامة»، و الله مالك ذلك اليوم، لا يشرك فيه أحد (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) (١).

[٥] إِيَّاكَ نَعْبُدُ أى عبادتنا و خضوعنا لك، و قدم «إياك» لإفادة الحصر.

و إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ أى نطلب الإعانة، فإنه هو الذى بيده كل شىء، فالاستعانة منه، و الإتيان بالتكلم مع الغير، لإفادة كون المسلمين كلهم

منخرطين في هذين السلكين: سلك العبادة لله، و سلك الاستعانة به.  
[٦] اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ غير المنحرف، و الهداية هو إرشاد الطريق،

(١) الأنبياء: ٢٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠١

[سورة الفاتحة (١): آية ٧]

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

فإن الإنسان في كل آن يحتاج إلى من يرشده و يهديه، و إن كان مهديا، و حيث لم يذكر متعلق الصراط المستقيم، دلّ على العموم، فالمسلم يطلب منه سبحانه أن يهديه الصراط المستقيم، في العقيدة، و العمل، و القول، و الرأى، و غيرها.

[٧] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ إنه تفسير ل: «الصراط المستقيم» أى إن الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعمت عليهم، بهدائيتهم

من النبيين و الأئمة عليهم السلام و الصالحين غير المغضوب عليهم فإن من أنعم الله عليه بالهداية، لا يكون مغضوبا عليه و لا الضالين

أى الضال المنحرف عن الطريق، و الضال يمكن أن يكون مغضوبا عليه إذا كان عن تقصير، و يمكن أن يكون غير مغضوب عليه إذا

كان عن قصور، و المسلم يطلب من الله تعالى أن لا يكون من هؤلاء و لا هؤلاء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠٢

## ٢ سورة البقرة مدنية / آياتها (٢٨٧)

[سورة البقرة (٢): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١)

سميت السورة باسم «البقرة» لاشتمالها على قصة البقرة و هى مدنية.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتدأت السورة باسم الله تعالى، لتكرر الاستعانة به، و ليتعلم المسلم كى يتبدى جميع أعماله بهذا الاسم

المبارك، و ليرتكز هذا الاسم الكريم فى الأذهان، فإن للتكرار أثرا بالغا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠٣

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢ الى ٤]

ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْآخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)

[٢] الم أى من جنس هذه الحروف المقطعة: «أ»، «ل»، «م».

[٣] ذٰلِكَ الْكِتَابُ و الإشارة بالبعيد، للإشارة إلى كون القرآن سامى المقام، على المنزلة لا ريب فيه أى ليس محلا للريب، و إن

ارتاب فيه الكفار، كما أن النهار لا ريب فيه، و إن ارتاب فيه السوفسطائيون، و «لا ريب فيه» صفة للكتاب هدى للمتقين صفة بعد

صفه، أى أن هذا القرآن هداية لمن اتقى، و خاف من التردى، فإنه هو الذى يهتدى بالقرآن، و إن كان القرآن صالحا، لأن يهدى

الكل.

[٤] الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ صفة للمتقين، و المراد بالإيمان الاعتقاد به، و الغيب هو الذى غاب عن الحواس الظاهرة، أى ما وراء الطبيعة،

فالروح غيب، و أحوال القبر غيب، و الله سبحانه غيب، و هكذا وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ إقامة الصلاة، الإتيان بها دائما على الوجه المأمور بها،

و لذا تدل على معنى أرفع، من معنى «صل» وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ و الرزق أعم من المأكول، و الملبوس، و المسكون، و العلم و الصحة، و غيرها، و إنفاق كل شيء بحسبه.

[٥] وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠٤

[سورة البقرة (٢): الآيات ٥ الى ٦]

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ فَإِنْ مِنْ شَرَايِطِ الْإِيمَانِ، الْإِيمَانُ بِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) «١» وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ وَ الْيَقِينُ بِالْآخِرَةِ هُوَ الْإِعْتِقَادُ بِهَا، وَالْعَمَلُ بِمَقْتَضَاهَا، وَبَعْضُ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَ إِنْ كَانَتْ دَاخِلَةً فِي «الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ»، لَكِنَّمَا ذَكَرَتْ لِزِيَادَةِ الْإِهْتِمَامِ بِهَا، وَ ذَكَرَ الْخَاصَّ بَعْدَ الْعَامِ.

[٦] أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ أَى عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، وَ هَذِهِ الْبَصِيرَةُ أَتَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ نَاحِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الْبَاصِلُونَ، فَهَمَّ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، وَ فِي الْآخِرَةِ فِي زَمْرَةِ الْبَاصِلِينَ، ثُمَّ أَنَّ الْقُرْآنَ لَمَّا ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ، ثَبَّاهُمْ بِذِكْرِ الْكَافِرِينَ، ثُمَّ ثَلَّثَهُمْ بِذِكْرِ الْمُنَافِقِينَ، فَإِنْ كُلُّ دَعْوَةٍ، لَا بَدَّ وَ أَنْ يَنْقَسِمَ النَّاسُ أَمَامَهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: مُؤْمِنٌ بِهَا وَ كَافِرٌ بِهَا، وَ مُذَبَذَبٌ بَيْنَ ذَلِكَ يَجَامِلُ الطَّرْفَيْنِ.

[٧] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ الْكُفْرُ هُوَ السُّتْرُ، كَأَنَّ الْكَافِرَ يَسْتُرُ الْحَقِيقَةَ، وَ لَا يَبْدِيهَا سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَ الْمُرَادُ بِ«الَّذِينَ كَفَرُوا» هُنَا هُمُ الْمَعَانِدُونَ مِنْهُمْ، لِأَنَّهِمُ الْمَصْدَاقُ الْأَجْلَى لِلْكَافِرِ، وَ إِلَّا فَالَّذِينَ آمَنُوا بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مِنَ النَّاسِ كَانُوا كُفَّارًا ثُمَّ

(١) البقرة: ٢٨٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠٥

[سورة البقرة (٢): آية ٧]

خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)

آمَنُوا، وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمَعَانِدَ يَتَسَاوَى فِي حَقِّهِ الْإِنذَارُ وَ عَدَمُهُ، نَعَمَ يَجِبُ إِذْذَارُهُ إِتْمَامًا لِلْحُجَّةِ، وَ هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، حَتَّى لَا تَذْهَبَ نَفْسُهُ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ.

[٨] خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ طَبْعًا بِالْكَفْرِ، أَى جَعَلَهَا بِحَيْثُ يَصْعَبُ إِيمَانُهَا، لِأَنَّهَا عَادَتِ الْكَفْرَ، وَ عَدَمَ الْإِسْتِمَاعِ إِلَى الْحَقِّ، وَ إِنَّمَا خَتَمَ اللَّهُ، لِأَنَّهَا لَمْ تَقْبَلِ الْهُدَايَةَ، كَمَنْ يَطْرُدُ وَلَدَهُ عَنْ دَارِهِ بَعْدَ مَا أَرشده مَرَاتٍ، فَلَمْ يَفِدْ فِيهِ النَّصِيحَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ «١» أَى بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَ إِنَّمَا فَسَّرْنَا «الْخَتْمَ» بِ«يَصْعَبُ» لِإِدْهَائِهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَ لَوْ كَانَ مُعَانِدًا، لَا يَخْرُجُ عَنْ قَابِلِيَةِ الْقَبُولِ وَ الْإِهْتِدَاءِ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ بِمَعْنَى إِنْهَمَ لَا- يَسْتَفِيدُونَ مِنَ السَّمْعِ، كَالْأَصْمِ، لِأَنَّ فِي سَمْعِهِمْ خَلَلَ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً تُشَبِّهُ لِلْغِشَاوَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ بِالْغِشَاوَةِ الظَّاهِرِيَّةِ، فَكَمَا أَنَّ مَنْ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةٌ، لَا يَرَى الْمَحْسُوسَاتِ، كَذَلِكَ مَنْ يَعَانِدُ يَكُونُ عَلَى بَصَرِهِ مِثْلُ الْغِشَاوَةِ، وَ هُوَ تَنْزِيلٌ لِفَاقِدِ الْوَصْفِ مَنْزِلَةً فَاقِدَ الْأَصْلِ، كَمَا تَقُولُ لِمَنْ لَا يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ، هُوَ جِدَارٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ، فَإِنْ مِنْ يَنْحَرِفُ عَنْ قَوَانِينِ اللَّهِ تَعَالَى، يَكُونُ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى «٢».

(١) النساء: ١٥٦.

(٢) طه: ١٢٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠٦

[سورة البقرة (٢): الآيات ٨ الى ١٠]

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)

[٩] وَ مِنَ النَّاسِ الْمُنَافِقُونَ، وَ هُمُ الْقِسْمُ الثَّلَاثُ، فَهُوَ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ قَوْلًا بِاللَّفْظِ فَقَطْ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ حَقِيقَةً، فَلَا يَعْمَلُونَ أَعْمَالَ الْمُؤْمِنِينَ، وَ إِنْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ أَيْضًا مُتَقِنَةً بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ.

[١٠] يُخَادِعُونَ اللَّهَ أَيْ يَفْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَلَّ الْمَخَادِعَ، الَّذِي يَرِيدُ الْخَدِيعَةَ، فَيُظْهِرُ مَا لَا يَرِيدُهُ، وَ يَرِيدُ مَا لَا يَظْهَرُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَيُرُونَهُمْ خِلَافَ مَا يَضْمُرُونَهُ، لَكِنْ عَمَلُهُمْ هَذَا لَيْسَ خَدَعَةً حَقِيقَةً لِلَّهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمَا يَعْلَمَانِ نَوَايَاهُمَا، فَلَا يَخْدَعَانِ بِهِمْ، بَلْ وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ إِذْ يَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْمُؤْمِنِينَ ظَاهِرًا، وَ لَا يَشْرِكُونَ مَعَهُمْ فِي أَسْرَارِهِمْ، كَمَا لَا يَشْرِكُونَ مَعَهُمْ فِي آخِرَتِهِمْ، فَهُمْ مَخْدُوعُونَ مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّهُمْ خَادِعِينَ وَ مَا يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُمْ خَدَعُوا أَنفُسَهُمْ، لَا أَنَّهُمْ خَدَعُوا اللَّهَ وَ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ لَوْ شَعَرُوا بِأَنَّهُمْ يَخْدَعُونَ أَنفُسَهُمْ، لَمْ يَقْدَمُوا عَلَى مَا ظَنُّوه خَدَعَهُ لغيرهم، وَ الْحَالُ أَنَّهَا خَدَعَهُ لَهُمْ حَقِيقَةً وَ وَاقَعًا.

[١١] فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَإِنْ قَلْبُ الْمُنَافِقِ مَلْتَوَى، وَ نَفْسُهُ مَعُوجَةٌ، لَا تَرِيدُ الْإِسْتِقَامَةَ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا إِذْ نَزَلَتِ الْآيَاتُ، وَ نَصَبَ الرَّسُولَ،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠٧

[سورة البقرة (٢): الآيات ١١ الى ١٣]

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ لَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)

أَوْجِبُ أَنْ يَزِيدُوا فِي التَّوَانِهِمْ، لِثَلَاثٍ: يَسْلُطُ النُّورُ عَلَيْهِمْ، فَيَعْرِفُوا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَيْ مَوْلِمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ أَيْ بِسَبَبِ كَذِبِهِمْ، بِمُخَالَفَةِ ظَاهِرِهِمْ لِباطنهم، فَإِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْكُذْبِ، وَ إِنْ كَانَ كَلَامُهُمْ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ، لَكِنَّهُمْ حَيْثُ أَخْبَرُوا عَنْ إِيْمَانِهِمْ - وَ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ - كَانَ ذَلِكَ كَذِبًا.

[١٢] وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَيْ لِلْمُنَافِقِينَ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ فَإِنَّ النِّفَاقَ يَلْزِمُ الْإِفْسَادَ، إِذْ يَعْمَلُ الْمُنَافِقُ ضِدَّ الدَّعْوَةِ، وَ يُؤَلِّبُ عَلَيْهَا، وَ هُوَ إِفْسَادٌ حِينَمَا تَرِيدُ الدَّعْوَةُ الْإِصْلَاحَ وَ التَّقَدُّمَ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِفْسَادٌ، وَ أَنَّهُمْ بِوَقُوفِهِمْ ضِدَّهَا يَصْلِحُونَ فِي الْأَرْضِ.

[١٣] أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ لِأَنَّهُمْ بِوَقُوفِهِمْ النِّفَاقِي ضِدَّ الْإِسْلَامِ، يَكُونُونَ مُفْسِدِينَ إِفْسَادًا بِالْغَا أَكْثَرَ مِنْ إِفْسَادِ الْكُفَّارِ، وَ لِذَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى هُمُ الْعَدُوُّ (١) عَلَى نَحْوِ الْحَصْرِ وَ لَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، بَلْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صِنْعًا.

[١٤] وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَيْ لِلْمُنَافِقِينَ، وَ الْقَائِلُ هُمُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) المنافقون: ٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٤ الى ١٥]

وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥)

الَّذِينَ لَا- يَخَافُونَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ إِيْمَانًا لَا يَشُوبُهُ نِفَاقٌ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ يَعْنُونَ بِالسُّفَهَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقِيقِيِّينَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ أَيْهٌ سَفَاهَةٌ أَعْظَمُ مِنْ كَوْنِ الْإِنْسَانِ حَائِدًا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ مَعَ كَوْنِهِ مُتَصِفًا بِصِفَةِ النِّفَاقِ الرَّذِيلَةِ وَ لَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ، لِأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ طَرِيقَتَهُمُ النِّفَاقِيَّةَ، أَصْلَحَ الطَّرِيقَ.

[١٥] وَإِذَا لَقُوا مِنْ «لَقَى» أَى التقي المنافقون ب الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا لَهُمْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ أَى أشباههم من المنافقين قَالُوا لَهُمْ إِنَّا مَعَكُمْ يَرِيدُونَ بِذَلِكَ إِرضاء الجانبيين إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ، فى إظهار الإيمان لهم، و هذا هو دليل نفاقهم، و إال لو كان الأمر بالعكس، بأن أظهروا الكفر تقيهُ لم يزيدوا على إظهاره.

[١٦] اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ أَى يفعل لهم فعل المستهزئ، فيجرى عليهم فى الدنيا أحكام الإيمان، و فى الآخرة يجازيهم بجزاء الكفار، و فى بعض الأحاديث إنه يستهزئ بهم فى الآخرة فى النار و يَمُدُّهُمْ إِمداد الله سبحانه و تعالى، بعدم الضرب على أيديهم كما يقال: الملك يمد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٦ الى ١٧]

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧)

قطّاع الطريق حيث لا- يستأصلهم فى طغيانهم يَعْمَهُونَ الطغيان تجاوز الحد، و العمه التحير، فإن المنافق، كالشخص المتحير، و إنما يمدهم الله سبحانه، لأن الدنيا دار اختبار و امتحان، فلا جبر و لا إلهاء.

[١٧] أُولَئِكَ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَكَانَهُمْ أَعْطُوا الْهُدَايَةَ، و أخذوا مكانها الضلالة، أو كأنهم أعطوا أنفسهم بدل الضلالة، بينما كان الذى ينبغي أن يعطوا أنفسهم بدل الهداية، كما قال الشاعر:

أنفاس عمر ك أثمان الجنان فلاتشربى بها لها فى الحشر تشتعل

فَمَا رَبَحَتْ تِجَارَتُهُمْ المعنوية، بل خسروا رأس المال الذى هو أنفسهم و ما كَانُوا مُهْتَدِينَ فى هذه التجارة و الاشتهاء.

[١٨] مَثَلُهُمْ أَى مثل هؤلاء المنافقين كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا اسْتَوْفَدَ بمعنى أوقد، أو بمعنى طلب الوقود الذى هو الحطب و نحوه، و المعنى أشعل ناراً ليستضىء و يدفأ بها فَلَمَّا أَضَاءَتْ النار ما حَوْلَهُ و انتفع بها ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ بأن أرسل ريحا فأتفأها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١٠

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٨ الى ١٩]

صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرِجَعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ رَعِيدٌ وَ بَرَقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَ اللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩)

وَ تَرَكَهُمْ فى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ما حولهم و إنما كان هذا مثلاً لهم، لأن المنافق بإيمانه الظاهرى، يعبد لنفسه سبيل الحياة، و ينور فى طريقه، فإن الإيمان نور، و سبب لهداية الإنسان إلى الحق و العدل و الخير، فإذا قبض الله أرواحهم تركهم، كسائر الكفار فى نار و عذاب، حين يقبض الله أرواح المؤمنين، إلى نور أوسع و رحمة أكبر، فهؤلاء المنافقون:

[١٩] صُمٌّ جمع أصم، لأنهم لا ينتفعون بالحق، فهم و الأصم سواء بُكْمٌ جمع أبكم، و هو الأخرس، لأنهم لا يقولون الحق فهم و الأبكم سواء عُمَىٰ جمع أعمى، لأنهم لا يبصرون الحق، فهم و الأعمى سواء فَهُمْ لَا يَرِجَعُونَ عن غيرهم و ضلالهم، و «ف»، للإشارة إلى أنهم حيث صموا و أبكموا و عملوا لم يرج فيهم الخير، فإنه وَ لَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ «١».

[٢٠] أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ مثال آخر لحال المنافقين، و الفرق بين المثالين، إن المثال الأول، كان مثالا للمنافق نفسه، و هذا المثال مثال الحق الذى يغمر المنافق، لكنه لا ينتفع به و الصيب هو المطر، فالحق الذى يغمر هؤلاء كمطر ينزل من السماء فى ظُلُمَاتٍ ظلمة السحاب و ظلمة المطر، لأنه يحول بين الضياء و بين الأرض، و ظلمة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١١

[سورة البقرة (٢): آية ٢٠]

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

سحاب فوق سحب و رعد و برق من الأمور المخوفة يجعلون أي من ابتلى بهذا الصيب أصابهم في آذانهم من خشية الصواعق فإن الصاعقة إذا نزلت، قرعت الأسماع بصوتها الشديد يذر الموت فإن الصوت الشديد يوجب انخلاع القلب، فيموت الشخص، لكن هؤلاء المنافقين الذين هم كفار في الباطن لا- يظنون أنهم يتمكنون الفرار من بأس الله تعالى و الله محيط بالكافرين إحاطة علم و قدرة.

[٢١] يَكَادُ الْبَرْقُ اللَّامِعُ فِي السَّحَابِ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ أَي أَبْصَارَ مَنْ ابْتَلَى بِالصَّيْبِ، وَ خَطَفَ الْبَصَرَ كَنَاءٌ عَنْ عَمَاهُ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ بَأَنِّ الْبَرْقِ، وَ رَأَوْا طَرِيقَهُمْ مَشَوْا فِيهِ أَي فِي الْبَرْقِ- بِمَعْنَى اسْتِفَادَتِهِمْ مِنْ نُورِهِ فَيَمْشُونَ وَ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ بَأَنِّ لَمْ يَبْرِقْ قَامُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ- أَي وَقَفُوا- وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ بِسَبَبِ صَاعِقَةٍ قَوِيَةٍ فَتَصْمَهُمْ وَ أَبْصَارِهِمْ بِسَبَبِ بَرْقٍ قَوِيٍّ، إِذِ النُّورُ إِذَا قَوِيَ أَوْجَبَ ذَهَابَ الْبَصَرِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَلَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَحْتَمِيَ الْإِنْسَانُ بِأَصْبَعِهِ، أَوْ بِغَمَضِ بَصَرِهِ عَنْ أَنْ يَذْهَبَ بِسَمْعِهِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١٢

[سورة البقرة (٢): آية ٢١]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)

أو بصره، و هذا توضيح المثال بتطبيقه على المورد أن «الصيب» هو الحق النازل على الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و «البرق» هو تقدم المسلمين، و ما يسبب لهم إنارة الطريق، و «الرعد و الصاعقة» إيعادات الرسل، و الأحوال المكتنفة بالدعوة، و المنافقون كمن ابتلى بهذا الصيب في الصحراء، فالحق كالمطر فيه الحياة، لكن فيه ظلمات غلبه الكفار، و ذهاب الأنفس و الأموال و الثمرات، و فيه برق ينير طريق الحياة السعيدة، و فيه رعد و صاعقة مواعيد الرسول، و فضيحة المنافقين، و هؤلاء المنافقون تكاد سرعة تقدم المسلمين، تعميهم، فإن العين إذا نظرت إلى ما لا يسرها اضطربت و دمعت، كلما أضاء لهم، بأن غلبوا في الحرب، و حصلوا على الغنائم، اتبعوا الرسول، و إذا أظلم عليهم، بأن غلب عليهم الكفار، وقفوا و قاموا في مكانهم، لا يعلمون و لا يتقدمون و هم يخافون من الفضيحة، إن نزلت آية في شأن المنافقين، فيجعلون أصابعهم في آذانهم، حتى لا يسمعونها، أو يتغفلون عنها، كي لا يرى أثر الانهزام في وجوههم، فإن الإنسان المجرم إذا سمع ما يمس إجرامه ظهرت الصفرة و آثار الانهزام على وجهه، لكن الله قادر على إماتتهم، كما هو قادر على فضحهم و الذهاب بسمعهم و بصرهم، فليسوا هم في راحة من نفاقهم- كما زعموا- بل هم في أشد ابتلاء و محنة.

[٢٢] يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ كَانَ السَّبَبُ فِي الْخَلْقِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَي خَلَقَكُمْ لِلتَّقْوَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١٣

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٢ إلى ٢٣]

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) وَ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) وَ الْعِبَادَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ «١».

[٢٣] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا كَالْفِرَاشِ الَّذِي يَكُونُ رَاحَةً لِلْبَدَنِ وَ زِينَةً وَ جَمَالًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً أَي مَبْنِيًا، وَ هَذَا يَلْتَمِسُ كَوْنَ السَّمَاءِ طَبَقَةً تَحْتَمُّ الْقَدَائِفَ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنَّ الْبِنَاءَ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ الْمَبْنَى مِنْ جِسْمٍ كَثِيفٍ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً وَ الْمُرَادُ مِنَ السَّمَاءِ هُنَا جِهَةُ الْعُلُوِّ، أَوِ الْمُرَادُ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ فَأَخْرَجَ بِهِ أَي بِسَبَبِ الْمَاءِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَإِذَا كَانَ الْخَلْقُ وَ سَائِرُ النِّعَمِ مِنَ اللَّهِ



سبحانه فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا شُرَكَاءَ مِنَ الْأَصْنَامِ أَوْ غَيْرِهَا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ، وَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ شَرِيكَ.

[٢٤] وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَأْتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مِثْلِهِ أَى مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَنْزِلِ، وَ لَوْ كَانَ قَصْرُ سُورَةٍ نَحْوُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ «٢» أَوْ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ «٣» وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ

(١) الذاريات: ٥٧.

(٢) الإخلاص: ٢.

(٣) الكوثر: ٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١٤

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٤ الى ٢٥]

فَبِإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُنْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)

معكم، أن محمداً صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم ليس بنبي من دُونِ اللهِ أى كائن ما كان غير الله سبحانه، كما يقال ما دون الله مخلوق إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى ريبكم و زعمكم، أن محمداً ليس بنبي، و أن القرآن ليس منزلاً من عند الله تعالى، إذ لو لم يكن محمد صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم نبياً، لكان إنساناً عادياً، فيمكن الإتيان بمثل كلامه.

[٢٥] فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَمْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ وَ لَنْ تَفْعَلُوا هَذَا إِخْبَارٌ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ أَبَدًا، إِذِ الْقُرْآنُ مُعْجَزٌ، فَلَا يُمْكِنُ الْإِتْيَانُ بِمِثْلِهِ فَاتَّقُوا عَاقِبَةَ تَكْذِيبِكُمْ، لِرَسُولِ اللَّهِ، وَ لِكِتَابِ اللَّهِ، الَّتِي هِيَ النَّارُ الَّتِي وَقُودُهَا أَى حَطْبُهَا، وَ مَا يَسْبَبُ إِيقَادَهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ جَمْعُ حَجَرٍ وَ لَعَلَّ الْمُرَادَ بِهَا أَصْنَامُهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ «١» وَ تَخْصِيصُ الْحِجَارَةِ بِالذِّكْرِ لِلتَّهْوِيلِ، إِذِ الْحِجَارَةُ لَا تَفْنَى، فَتَكُونُ النَّارُ دَائِمَةً أُعِدَّتْ هَذِهِ النَّارُ لِلْكَافِرِينَ هَذِهِ عَاقِبَةُ مَنْ يَكْذِبُ.

[٢٦] وَ بَشِّرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ

(١) الأنبياء: ٩٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١٥

وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ الْجَنَّةُ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا بِسْتَانًا ذَاتَ أَشْجَارٍ وَ نَخِيلٍ، تَكُونُ أَرْضُهَا «مِنْ تَحْتِهَا» فَلِأَنْهَارٍ جَارِيَةٍ مِنْ تَحْتِ الْجَنَّةِ عَلَى أَرْضِهَا كُلَّمَا رُزِقُوا أَى رِزْقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا أَى مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا بَانَ أَتَى لَهُمْ بِفَاكِهِةً وَ ثَمَرَةً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ فَإِنَّهُمْ يَأْلَفُونَ تِلْكَ الثَّمَارَ لَمَّا رَأَوْا مِنْهَا فِي الدُّنْيَا، وَ لَيْسُوا كَأَصْحَابِ الْجَحِيمِ الَّذِينَ لَا يَأْلَفُونَ طَعَامَهُمُ الَّذِي مِنْ ضَرِيحٍ، وَ لَا شَرَابَهُمُ الَّذِي مِنْ حَمِيمٍ وَ أُنْتُوا بِهِ أَى بِذَلِكَ الرِّزْقِ مُتَشَابِهًا يَشْبَهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْجُودَةِ وَ الْجَدَّةِ، لَا- كَأَثْمَارِ الدُّنْيَا، بَعْضُهَا نَاضِحٌ، وَ بَعْضُهَا غَيْرُ نَاضِحٍ، وَ بَعْضُهَا جَيِّدٌ، وَ بَعْضُهَا رَدِيءٌ وَ لَهُمْ فِيهَا أَى فِي الْجَنَّةِ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ مِنْ الْقَذَارَاتِ الْخَلْقِيَّةِ، كَالْأَوْسَاحِ وَ الدَّمَاءِ، وَ الْقَذَارَاتِ الْخَلْقِيَّةِ، كَالسَّبِّ وَ الشَّتْمِ وَ الْحَسَدِ، وَ نَحْوِهَا وَ هُمْ فِيهَا أَى فِي تِلْكَ الْجَنَّةِ خَالِدُونَ أَبَدًا لَا- يَمُوتُونَ، وَ لَا- يَتَحَوَّلُونَ عَنْهَا، وَ حَيْثُ قَسَمَ اللَّهُ النَّاسَ إِلَى أَقْسَامٍ ثَلَاثَةً، مُؤْمِنٌ وَ مُنَافِقٌ وَ كَافِرٌ، وَ مِثْلُ الْمُنَافِقِ، ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ عَامَةً بِالْعِبَادَةِ، وَ دَعَاهُمْ إِلَى حُضِيرَةِ الْإِيمَانِ، وَ ذَكَرَ لَهُمْ فَوَائِدَهُ، وَ احْتَجَّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الرِّسَالَةَ، أَجَابَ عَنْ سُؤَالِ سَأَلِهِ الْكُفَّارِ وَ مَنْ إِلَيْهِمْ تَعَنَّتَا،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١٦

[سورة البقرة (٢): آية ٢٦]

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)

و هو: أن الله لما ذا يضرب المثل، كما مثل للمنافق هنا، و مثل في سور أخرى بالعنكبوت و نحوها؟ فإن المثل أوقع في النفوس، و موجب لتقريب المطلب إلى الأذهان.

[٢٧] إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا فَإِنِ الْحَيَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْقَبِيحَةِ، أَوْ نَحْوَهَا، وَ لَيْسَ فِي تَمَثِيلِ اللَّهِ الْكَبِيرِ بِالْأَشْيَاءِ الصَّغِيرَةِ الْحَقِيرَةِ، فِي النَّظَرِ حَيَاءً، أَيْ مِثْلَ كَانَ، وَ هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ «مَا» أَيْ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ، بَعُوضَةٌ وَ هِيَ الْبَقَّةُ فَمَا فَوْقَهَا وَ لَعَلَّ ذِكْرَ الْبَعُوضَةِ هُنَا لِأَنَّهَا أَصْغَرُ حَيَوَانَاتٍ مَتَعَارَفٍ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَيْ الْمَثَلُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ أَتَى بِهِ لُغْرُضَ التَّوْضِيحِ وَ التَّبْيِينِ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَعْتَرِضِينَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا وَ مِثْلًا- تَمَيِّزٌ فِي مَعْنَى «بِهَذَا الْمَثَلِ» وَ لِمَاذَا يَأْتِي اللَّهُ بِهَذَا الْمَثَلِ- غَيْرِ الْمُنَاسِبِ لِجَلَالِ اللَّهِ- فَيُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَ يُوجِبُ انْقِسَامَ النَّاسِ، وَ مِنْ الْمَحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ «يُضِلُّ...» جَوَابًا عَنْ اعْتِرَاضِهِمْ، أَيْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْمَثَلِ الْإِضْلَالُ وَ الْهَدَايَةُ، لَكِنَّهُ يَنَافِي السِّيَاقَ، فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِالْمَثَلِ لَيْسَ ذَلِكَ، وَ إِنَّمَا التَّوْضِيحُ وَ التَّقْرِيبُ وَ مَا يُضِلُّ بِهِ أَيْ بِالْمَثَلِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١٧

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٧ إلى ٢٨]

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)

إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ فَسَقُوا أَيْ خَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ وَ مَقْتَضَى عَقُولِهِمْ، ثُمَّ بَيْنَ الْفَاسِقِينَ بِإِبْرَازِ سَمَاتِهِمْ بِقَوْلِهِ:

[٢٨] الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ الْمِيثَاقُ مَا وَقَعَ التَّوْثِيقُ بِهِ، وَ مِيثَاقُ اللَّهِ هُوَ مَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ مِنَ الْإِيمَانِ، أَوْ هُوَ مَا أَوْدَعَ فِيهِمْ مِنَ الْفِطْرَةِ بِعِرْفَانِ الْحَقِّ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ مِنْ صَلَهِ الْأَرْحَامِ، أَوْ صَلَهِ الرَّسُولِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ وَ النِّفَاقِ وَ إِتْيَانِ الْمَحْرَمَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَعْمَارَهُمْ، فَذَهَبَتْ دُنْيَاهُمْ ضَنْكًا وَ آخِرَتُهُمْ عَذَابًا وَ نَارًا.

[٢٩] ثُمَّ عَادَ سَبْحَانَهُ إِلَى حَالِ الْكَافِرِ، وَ وَجْهَ الْخَطَابِ إِلَيْهِ مُسْتَدْلًا عَلَى بَطْلَانِ كَفْرِهِ بِقَوْلِهِ: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا لَا رُوحَ فِيكُمْ، فَإِنَّ أَسْلَ الْإِنْسَانَ التُّرَابَ، ثُمَّ يَكُونُ نَبَاتًا، ثُمَّ يَكُونُ حَيَوَانًا وَ مَا أَشْبَهَهُ، فَيَأْكُلُهُ الْإِنْسَانُ، فَيَتَوْلَدُ مِنْهُ الْمَنِيُّ، ثُمَّ يَصِيرُ إِنْسَانًا، ثُمَّ يَمُوتُ وَ يَرْجِعُ تَرَابًا، ثُمَّ يَعَادُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْسَانًا فَأَحْيَاكُمْ نَبَاتًا أَوْ حَيَوَانًا أَوْ إِنْسَانًا ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ وَ قَتَ مَوْتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ بَعْدَ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ لِتَسَاقُونَ إِلَى الْمَحَاكِمَةِ الْكُبْرَى، وَ كُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٩ إلى ٣٠]

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)

الرجوع إليه، مع إن الإنسان في جميع الأحوال، بدءًا و ختامًا، تحت سلطة الله و قدرته و علمه، باعتبار محاسبته تعالى للإنسان.

[٣٠] هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ لِمَنْفَعَتِكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَمَنْ خَلَقَهَا غَيْرَهُ، وَ كُونَ الْخَلْقِ لِلْإِنْسَانِ، لَا يَدُلُّ عَلَى تَحْلِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، بَلْ كُلِّ

شئ بحسبه، فالأسماك المحرمة، و الحيوانات المفترسة لتمتع السمع و البصر، لا للأكل و نحوه و هكذا ثم استوى أى توجه بالخلق و الأمر إلى السماء فسواهن سبيح سماوات مدارات للنجوم السيارة، فإن السماء فى اللغة بمعنى المدار- هذا إذا قلنا بالنظر الفعلى حول السماوات- و يؤيده حديث عن الإمام الرضا عليه السلام- كما فى «الهيئة و الإسلام» «١»- وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَلَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، فمن كفر كان الله مطلعاً عليه لا- يفوته ذلك، و لا- يخفى أن خلق الأرض كان أولاً، ثم خلق السماء، ثم دحو الأرض، كما قال (وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) «٢».

[٣١] و حيث ذكر سبحانه قصه خلق السماء و الأرض، و ثم البناء، توجه الحديث إلى من استخلف فيها و أذكر إذ قال رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ مَخْلُوقِينَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى لَا يَرُونَ بِالْعَيْنِ إِلَّا لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ

(١) للعلامة الشهرستاني.

(٢) النزاعات: ٣١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١٩

[سورة البقرة (٢): آية ٣١]

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١)

إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً يُخَلِّفُنِي فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْإِرْشَادِ، وَ هَذَا الْحَوَارِ إِنَّمَا كَانَ لِأَجْلِ إِظْهَارِ كَوَامِنِ، وَ بَيَانِ حَقَائِقِ قَالُوا أ تَجْعَلُ فِيهَا أَى فِي الْأَرْضِ مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ هَذَا اسْتِفْهَامٌ حَقِيقِي، يَرِيدُونَ بِذَلِكَ اسْتِضَاحَ السَّبَبِ، وَ لَعَلَّهُمْ إِنَّمَا عَلِمُوا بِذَلِكَ، لَمَّا كَانُوا يَدْرُونَ مِنْ كَدْرَةِ الْأَرْضِ وَ ثَقَلِهَا الْمَوْجِبَةَ لِلْفَسَادِ وَ التَّكْدَرِ، أَوْ لَمَّا رَأَوْا مِنْ فِعْلِ بَنِي الْجَانِ سَابِقًا وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ فَيُنَا كَفَايَةً، وَ لَيْسَ هَذَا تَرْكِيَةً، بَلْ كَقَوْلِ الْعَبْدِ الْمُطِيعِ لِمَوْلَاهُ: إِنِّي أَقُومُ بِخِدْمَتِكَ فَلَمَّا ذَا تَأْتِي بِغَيْرِي الَّذِي لَا يَقُومُ بِالْوَاجِبِ، وَ مَعْنَى التَّسْبِيحِ التَّنْزِيهِ، وَ كَانَ الْمُرَادُ مِنَ التَّسْبِيحِ بِحَمْدِهِ، التَّنْزِيهِ الْمُقْتَرَنُ بِالْحَمْدِ، مُقَابِلُ التَّنْزِيهِ غَيْرِ الْمُقْتَرَنِ بِهِ، كَتَّنْزِيهِ الْجَوْهَرَةِ الثَّمِينَةِ عَنِ النَّقَائِصِ، لَكِنِ التَّنْزِيهِ فِيهَا لَا يَقْتَرَنُ بِالْحَمْدِ، إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ بِاخْتِيَارِهَا بِخِلَافِهِ تَعَالَى الْمُقْتَرَنُ أَفْعَالِهِ وَ أَعْمَالِهِ بِالْإِرَادَةِ وَ نُقُدُّسُ لَكَ أَى أَنْ تَقْدِيسَنَا وَ تَنْزِيهَنَا لِأَجْلِكَ لَا يَشُوبُهُ رِيَاءٌ وَ سَمْعَةٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي جَوَابِ الْمَلَائِكَةِ السَّائِلِينَ عَنِ السَّبَبِ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ فَإِنْ فِي اسْتِخْلَافِ الْبَشَرِ، مَصَالِحٌ أَهَمُّ مِنَ الْفَسَادِ الْوَاقِعِ مِنْهُمْ، كَمَا أَنَّ اسْتِخْلَافَهُمْ أَهَمُّ مِنْ اسْتِخْلَافِكُمْ فَإِنْ مِنْهُمْ مِنَ الْأَخْيَارِ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ لَا يَلْحَقُهُ الْمَلِكُ الْمُقْرَبُ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ خَلَقَ يَظْهَرُ مِنْ عِظْمَةِ الصَّانِعِ نَوْعًا جَدِيدًا.

[٣٢] و إذا أراد الله تعالى إعلام الملائكة ببعض مزايا البشر، و إنه من جنس

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٢٠

[سورة البقرة (٢): آية ٣٢]

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)

أرفع منهم، علم آدم عليه السلام، علوما يتمكن هو من فهمها و هضمها، بينما لا يقدر الملائكة على ذلك، ثم قال تعالى للملائكة: هل تتحملون مثل ذلك؟ فأبدوا عجزهم، و إذا رأوا من آدم التحمل و القدرة، اعترفوا بالتفوق، و إنه أحق بالخلافة، و توضيح ذلك بمثال أنه إذا كان لإنسان خادم لا يقدر فطرة على بناء دار جميلة، ثم أراد استخدام مهندس، فقال الخادم: لماذا تستخدم غيري و أنا حاضر؟ يقول له السيد: إنى أعلم ما لا تعلم، ثم يستخدم المهندس، و يبين له ما يريده من الدار، فيقدر المهندس من بنائها، بينما لا يقدر الخادم على النزول عند رغبة السيد، و هناك يعترف بالعجز، و أن السيد كان عارفا حيث تركه إلى غيره و علم الله تعالى آدم عليه السلام الأسماء كلها أسماء الأشياء و علائقها، و ذلك يستلزم تعليم المسميات و المعلومات، فإذا علمت أحدا اسم زيد و عمرو و بكر، كان اللازم تعريفهم له أيضا، و لذا قال ثم عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِأَيِّانِ ضَمِيرِ «هم» تغليبا للعقلاء على غيرهم، و العرض على الملائكة

فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ صدقا خبريا يطابق كلامكم الواقع في أنكم كافرين في الاستخلاف، و لعل تعليم آدم كان بالإلهام، و خلق العلم فيه، مما هو قابل له، دون الملائكة، فإنهم لم يكونوا قابلين لهذا العلم و الإلهام، فلا يقال لماذا لم يعلم الله تعالى الملائكة.

[٣٣] قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ مِنْزَعٌ عَنِ الْقَيْحِ وَ الْعَبْثِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٢١

[سورة البقرة (٢): الآيات ٣٣ الى ٣٤]

قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)

لا علم لنا إلا ما علمتنا فليس لنا هذا العلم الذي لآدم مما هو قابل له، و لسنا قابلين له إنك أنت العليم الحكيم و الحكيم هو الذي يفعل الأشياء عن حكمه، بمعنى وضع الأشياء في مواضعها اللاتقة بها.

[٣٤] قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ أَى بِأَسْمَاءِ مَا عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَ عَرَفَتِ الْمَلَائِكَةُ كُونَ قَابِلِيهِ آدَمَ فَوْقَ قَابِلِيَتِهِمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَا غَابَ عَنِ إِدْرَاكِكُمْ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ أَى تَظْهَرُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ مِنْ حَسَدِ بَعْضِكُمْ - وَ هُوَ الشَّيْطَانُ - لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ثُمَّ أَنْ مَقْتَضَى اللَّطْفِ الْعَامِ وَ الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْوَاعَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُمْكِنَةِ، الَّتِي لَا يَمْنَعُ عَنِ خَلْقِهَا مَانِعٌ، وَ لِذَا خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ دُونَ الْبَشَرِ، وَ خَلَقَ بَعْضَ كُلِّ مِنَ الصَّنَفِينَ أَرْفَعُ مِنَ الْبَعْضِ الْآخَرِ، فَلَا مَجَالَ لِلتَّسَاوُلِ، فَلَمَّا ذَا لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْقَابِلِيَةَ الْبَشَرِيَّةَ فِي الْمَلَائِكَةِ؟ وَ ثُمَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ.

[٣٥] وَ أَذْكَرَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ إِمَّا بِأَنْ يَكُونَ هُوَ قَبْلَتَهُمْ وَ يَكُونَ السُّجُودُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ السُّجُودُ لِآدَمَ، وَ لَا دَلِيلَ عَقْلِي عَلَى إِنْهُ لَا يَجُوزُ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، نَعَمْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٢٢

[سورة البقرة (٢): آية ٣٥]

وَ قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كَلَا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ هُوَ الشَّيْطَانُ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ أَى امْتَنَعَ وَ أَنْفَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ الْتَفَاتٍ، كَمَا نَقُولُ نَحْنُ «كَانَ أَبُو جَهْلٍ كَافِرًا» وَ لَيْسَ حِكَايَةُ، عَطْفًا عَلَى «أَبَى» حَتَّى يَسْتَلْزِمَ كُونَهُ كَافِرًا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ.

[٣٦] وَ قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ حَوَاءَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، قَالَ لَهَا ذَلِكَ، بَعْدَ مَا خَلَقَ حَوَاءَ أَيْضًا، خَلَقًا كَخَلْقِ آدَمَ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَ أُمِّ الْجَنَّةِ هُوَ الْبَسْتَانُ، وَ قَدْ كَانَتْ لِلَّهِ تَعَالَى جَنَّةٌ أَسْكَنَهَا آدَمُ وَ حَوَاءُ وَ كَلَا مِنْهَا رَعْدًا أَكَلَا وَ اسْعَا، بَلَا زَحْمَةً وَ تَكَلَّفَ حَيْثُ شِئْتُمَا مِنْ أَطْرَافِ الْجَنَّةِ وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَقَدْ نَهَوَا عَنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، اخْتِبَارًا وَ امْتِحَانًا، وَ كَانَتْ الشَّجَرَةُ عَلَى قَوْلِ جَمْعِ «الْحَنْطَةَ» وَ قَدْ كَانَ النَّهْيُ إِرْشَادِيًّا، كَنَهَى الطَّيِّبَ مَرِيضَهُ أَنْ لَا يَأْكُلَ مَا يَضُرُّهُ، وَ قَدْ كَانَتْ فَائِدَةٌ عَدَمَ أَكْلِهِمَا لَهَا أَنَّهُمَا يَبْقِيَانِ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى وَ أَنْتَ لَا تَطْمَؤُنُ فِيهَا وَ لَا تَضْحَى «١» فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا حَرَّمَ نَفْسَهُ مِنَ الْخَيْرِ، كَانَ ظَالِمًا لَهَا، إِذْ الظلم بمعنى وضع الشيء في غير موضعه، كما إن العدل معناه وضع الشيء موضعه.

(١) طه: ١١٩ و ١٢٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٢٣

[سورة البقرة (٢): الآيات ٣٦ الى ٣٨]

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَى

آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)

[٣٧] فَازْلُزِلْهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا أَى حمل الشيطان آدم و حواء على الزلّة عن الجنّة، بسبب إنه حملهما على الأكل من الشجرة فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا الْخَطَابُ لآدم و حواء و الشيطان، و الهبوط إما حقيقي، إن كان محل أعلى إلى أسفل، أو رتبي بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِن الشَّيْطَانُ عَدُوَّهُمَا، و هما عدوان له و لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ مَحَلَّ القَرَارِ وَ مَتَاعٌ أَى استمتاع إلى حين إلى حين انقضاء الدنيا، أو موت كل أحد، و إذ ارتكب آدم خلاف الأولى بأكل الشجرة، و أهبطه الله تعالى من الجنّة تداركته الرحمة.

[٣٨] فَتَلَقَى أَى أخذ آدم مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ تسبب التوبة و الرجوع عن الزلّة، و كان ذلك بتعليم الله تعالى له أن يجرى تلك الكلمات على لسانه، فَأَجْرَاهَا فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ أَى على آدم إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ أَى كثير القبول للتوبة الرَّحِيمُ بعباده.

[٣٩] قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا إِنَّمَا كَرَّرَ الأَمْرَ بِالهِبْوَطِ تَوْطِئَةً لِمَوْضِعٍ آخَرَ، و هو أمر الهداية، بعد ذكر المقر و المتاع، كما يقال: قلت له اذهب تريح، قلت له اذهب تسلم فَإِمَّا أَصْلُهُ «إِن» الشرطية، و «ما»

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٢٤

[سورة البقرة (٢): الآيات ٣٩ إلى ٤٠]

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بَعَّهْدِكُمْ وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠)

الزائدة، دخلت عليها لتصحح نون التأكيد، يعنى فَإِن يَأْتِيَنَّكُمْ أيها البشر الذى فى صلب آدم مِنِّي هُدًى يهديكم إلى الحق فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الآخِرَةِ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ إِذ الخوف الكامل، إنما يكون من أمر مكروه، و لا يعوض، و كذلك الحزن و مصائب المؤمنين تعوض، فلا خوف كامل منها، و الفرق بين الخوف و الحزن: أن الأول لأمر مترقب، و الثانى لأمر حادث - غالباً - و لا مانع من الخطاب إلى المعدوم إذا كان المقصود منه الوصول إليه بعد وجوده، هذا مع الغض عن عالم الذر، كما لا مانع من الجمع بين «إِن» و «نون التوكيد» إذ المعنى إن أتاكم إتيانا قطعيا مقابل الإتيان المظنون.

[٤٠] وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَلَمْ يَأْمِنُوا بِهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أَبَدًا وَ لَا يَخْفَى أَنْ المَقْصُرُ المَعَانِدُ خَالِدٌ أَبَدًا أَمَا غَيْرُهُ فَيَمْتَحَنُ هُنَاكَ.

[٤١] وَ لَمَّا أتمَّ القرآن الكريم قصّة «آدم» و استخلافه فى الأرض، وجه الكلام إلى «بنى إسرائيل» الذين هم نموذج للجنس البشرى، و قد أتتهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٢٥

[سورة البقرة (٢): آية ٤١]

وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)

الأنبياء عليهم السلام «هدى» و أنعم عليهم الله تعالى، فكفروا بالنعم، و قتلوا الأنبياء، ليكون فذلك لقصّة آدم، و درسا لأمّة محمد صلى الله عليه و آله و سلم يا بَنِي إِسْرَائِيلَ هم اليهود، و إسرائيل اسم يعقوب النبى عليه السلام، نسبوا إلى أبيهم الأعلى، كما نسب البشر إلى أبيهم الأعلى، فى قوله يا بَنِي آدَمَ «١» اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ و حيث لم يذكر المتعلق أفاد العموم، فيشمل كل نعمة مادية أو معنوية وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي و حيث لم يذكر المتعلق أفاد كل عهد عهده، سواء كان ذلك وقت أخذ موسى عليه السلام عنهم العهد بالإيمان بالرسول صلى الله عليه و آله و سلم، أم كان وقت أخذ الله عنهم العهد فى عالم الذر، ثم أودع فيهم الفطرة دليلا عليه أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ بِاعْطَائِكُمُ الدُّنْيَا وَ الآخِرَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ ضَمَّنَ لِمَنْ وَ فى بعهد، أن يعمر دنياه و آخرته وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ الرَّهْبَةُ هى

الخوف، يعنى يجب أن يكون الخوف من الله، لا من الناس.

[٤٢] وَآمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مِنَ الْقُرْآنِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنَ التَّوْرَةِ، فَإِنَّ التَّوْرَةَ الْأَصْلِيَّةَ، كَانَتْ مُصَدِّقَةً، حَتَّى فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَا نَسَخَ مِنْهَا، وَالنَّسْخَ لَيْسَ إِبْطَالًا لَهَا، كَمَا أَنَّ نَسْخَ بَعْضِ الْأَحْكَامِ فِي

(١) الأعراف: ٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٢٦

[سورة البقرة (٢): آية ٤٢]

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢)

القرآن- على القول به- ليس إبطالا- له ولا- تكونوا أول كافر به أى أول من يكفر بما أنزلت، وإنما كانوا أول كافر، لأنهم بسبب علمهم كانوا مرجعا للجهال، فيكون كفر الجهال بمرتبته ثانية ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا أى بمقابل آياتي، بأن تعطوا الآيات- بمعنى عدم الإيمان بها- فى مقابل ثمن قليل، هو رئاسة الدنيا وكونها قليلا لانقطاعها وإيائى فاتقون فالتقوى يجب أن تكون منه تعالى، لا أن يكون الاتقاء من غيره، لأن الله بيده النفع والضر دون غيره، كما قال تعالى قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ «١».

[٤٣] وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ اللَّبْسُ هُوَ التَّعْمِيَةُ، أَيْ لَا- تَخْلَطُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، فَتَأْخُذُوا بِبَعْضِ التَّوْرَةِ الَّتِي هُوَ فِي نَفْعِكُمْ، وَتَتْرَكُوا بَعْضَهَا الَّتِي يَضُرُّكُمْ وَهِيَ بَعْضُ الْأَحْكَامِ الَّتِي تَرَكُوهَا، وَمِنْهَا التَّبَشِيرُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَا تَكْتُمُوا الْحَقَّ الَّذِي هُوَ أَوْصَافُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَبَعْضُ الْأَحْكَامِ الْآخَرَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ قُلْ فَاتَّبِعُوا التَّوْرَةَ فَاتَّبِعُوا الْبَاطِلَ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «٢» وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِصَنْعِكُمْ وَأَنَّهُ تَلْبِيسُ الْمُحَقِّقِ بِالْبَاطِلِ، وَكُتْمَانِ الْحَقِّ.

(١) النساء: ٧٩.

(٢) آل عمران: ٩٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٢٧

[سورة البقرة (٢): الآيات ٤٣ الى ٤٥]

وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) أَمْ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)

[٤٤] وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ كَمَا يَأْمُرُ الْإِسْلَامَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ الَّذِينَ هُمُ الْمُسْلِمُونَ.

[٤٥] أَمْ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ، أَيْ لَمْ تَأْمُرُوا النَّاسَ بِالْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ فَلَا تَعْمَلُونَ بِهَا وَالنَّسْيَانُ كِفَايَةُ عَنْ عَدَمِ الْعَمَلِ لِشَبْهِهِ بِهِ فِي النَّتِيجَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ نَسُوا اللَّهَ فَنِسيَهُمْ «١» فَقَدْ كَانَ الْيَهُودُ يَخَالِفُونَ أَحْكَامَ التَّوْرَةِ، وَيَرْتَشُونَ وَيُفْسِدُونَ وَيَكْذِبُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ جَمْلَةٌ حَالِيَّةٌ، أَيْ وَالْحَالُ أَنْتُمْ تَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ، فَالْإِجْرَامُ أَنْ تَكُونُوا أَوَّلَ الْعَامِلِينَ بِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَيْ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَا تَأْتُونَ بِهِ قَبِيحٌ؟.

[٤٦] وَاسْتَعِينُوا فِي رَجوعِكُمْ عَنْ دِينِكُمْ وَإِغَائِكُمْ لِرُؤْسَائِكُمْ- بِمَا يَجْرُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ مِنْ سَلْبِ بَعْضِ دُنْيَاكُمْ- بِالصَّبْرِ فَإِنَّكُمْ إِذَا صَبَرْتُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ مِنْ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَادَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ بِخَيْرٍ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ وَالصَّلَاةُ فَإِنَّ الصَّلَاةَ تَوْجِبُ تَهْدِئَةَ النَّفْسِ، وَاطْمِنَانِ الْخَاطِرِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ «٢» وَإِنَّهَا أَيْ الْإِسْتِعَانَةُ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ

(١) التوبة: ٦٧.

(٢) الرعد: ٢٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٢٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ٤٦ الى ٤٧]

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧)

لكبيرة إلا على الخاشعين فإن الصبر ليس أمرا هينا، والصلاة الكاملة ليست عملا سهلا، وإنما قيدها بالصلاة الكاملة، لأنها هي التي يستعان بها، أو أن المراد الصلوات اليومية، وهي صعبة جدا إلا على الذين يخشون الله سبحانه.

[٤٧] ثم فسر الخاشعين بأنهم الذين يظنون أنهم ملأقوا ربهم الظن إما بمعنى اليقين، وإما بمعنى الرجحان، ولعل السر في هذا التعبير دون اليقين، للإشارة إلى أدنى مراتب الرجحان يوجب الخشوع، فإن من يظن أنه يلاقى الملك لبعته ذلك على التهيئة، فكيف بمن يظن أنه يلاقى مالك الملوك، وملاقاة الله كناية عن الحضور للمحاسبة، وإلا فالله سبحانه ليس أدنى إلى الناس في القيامة منه إليهم في الدنيا وأنهم إليه راجعون والرجوع إليه معنوي كما تقدم.

[٤٨] يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم تكرر للتركيز والإلفات، فإن الإنسان ربما كان غافلا- حين التذكير الأول، فيذكر ثانيا وثالثا، بالإضافة إلى أن النفس، إذا كررت عليها الموعظة، رسخت فيها وأنى فضلتكم على العالمين التفضيل على عالم زمانهم لا على كل العوالم، فإن الظاهر من هكذا تفضيلات هو الاختصاص، فلو قيل أن «الدولة الفلانية أقوى الدول» لم يفهم منه إلا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٢٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ٤٨ الى ٤٩]

وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عِدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨) وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)

الإقوائية من الدول المعاصرة لها، لأكل دولة أتت أو تأتي، ثم أن تفضيلهم على العالمين إنما كان لأجل إيمانهم بموسى عليه السلام، بينما كان العالم بين كافر به عنادا، كفرعون ومن تبعه، أو جهلا- كمن كان في البلاد البعيدة التي لم تبلغهم دعوة موسى فكانوا قاصرين.

[٤٩] وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا أَي لَا تَغْنَى، فلا تدفع نفس عن نفس مكروها، وإنما الأمر كله لله، حتى أن الشفاعة تكون بإذنه، والمراد بذلك اليوم- القيامة- ومعنى التقوى منه الاستعداد له ولا- يُقْبَلُ مِنْهَا أَي من النفس شفاعته إلا- إذا أذن الله للشفيع ولا يُؤْخَذُ مِنْهَا أَي من النفس عِدْلٌ أَي فدية، وإنما سميت الفدية عدلا، لأنها تعادل المفدى ولا هُمْ يُنصَرُونَ فإن طريق الخلاص في الدنيا إحدى هذه الأربعة، وليست شىء منها في الآخرة، إلا إذا أذن الله في الشفاعة، وعدم الاستثناء من «شفاعة» لأجل أن المراد منها الشفاعات الارتجالية، كما هو المعتاد في الدنيا.

[٥٠] وَأَذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ نِعْمَةَ أَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَمِنَ الْمُتَعَارِفِ، أن ينسب الشىء المرتبط ببعض الأمة إلى جميعها، إذ يجمعهم العطف والهدى والانتصار، فيقال بنو تميم قتلوا فلانا، وإنما قتله بعضهم، أو عشيرة فلان شجعان، وإنما جماعة منهم كذلك، ولذا قال سبحانه «نجيناكم» وقد كانت التنجيه بالنسبة إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٠

[سورة البقرة (٢): آية ٥٠]

وَأِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠)

أسلافهم، والمراد بآل الرجل قومه وخواصه وإن لم تكن بينهم قرابة، كما يقال «آل الله» لأهل البيت عليهم السلام يسومونكم سوء

العَذَابِ و سَامَهُ خَسْفًا عَذَابًا بِمَعْنَى أَلْقَاهُ فِيهِ، ثُمَّ فَسَّرَ سُوءَ الْعَذَابِ بِقَوْلِهِ يُذَبِّحُونَ أُنْبَاءَكُمْ التذبيح هو التكتير في الذبح وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ أَي يَدْعُونَهُنَّ أَحْيَاءً، فَإِنَّ فِرْعَوْنَ مَلِكَ الْقِبْطِ، لَمَّا عَلِمَ مِنَ الْكُهَّانِ، أَنَّهُ يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ - الَّذِينَ كَانُوا طَائِفَةً خَاصَّةً مِنْ آلِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - أَمَرَ بِذَبْحِ الْأَوْلَادِ وَ إِبْقَاءِ النِّسَاءِ لِلْإِسْتِرْقَاقِ وَ النِّكَاحِ وَ فِي ذَلِكُمْ «كُمْ» خِطَابٌ فَقَطْ، وَ «ذَا» إِشَارَةٌ، فَإِذَا كَانَ طَرَفُ الْخِطَابِ وَاحِدًا يُقَالُ «ذَلِكَ» وَ إِذَا كَانَ اثْنَيْنِ يُقَالُ «ذَلِكُمَا» وَ إِذَا كَانُوا جَمَاعَةً يُقَالُ «ذَلِكَمُ» وَ «ذَا» هُنَا اسْمٌ إِشَارَةٌ إِلَى سُوءِ الْعَذَابِ بِلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ أَنَّهُمَا كَانَتَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ لَمْ يَحِلَّ بَيْنَ فِرْعَوْنَ، وَ بَيْنَ هَذَا الْعَمَلِ، كَمَا يُقَالُ، إِنْ الْأَبُ أَفْسَدَ وَلَدَهُ إِذَا لَمْ يَحِلَّ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ عَمَلِهِ الْفَاسِدِ، وَ عَدَمِ حِيلُولِهِ اللَّهُ تَعَالَى، لِأَجْلِ الْإِمْتِحَانِ وَ الْإِخْتِبَارِ - كَمَا تَقَدَّمَ - وَ الْإِنجَاءِ، إِنْ مَا كَانَ يَهْلِكُ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمَهُ.

[٥١] وَ أَذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ أَي جَعَلْنَا فَوَاصِلَ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى صَارَتْ بَيْنَ الْمَاءِ شَوَارِعَ، وَ كَانَ عَمَلُنَا هَذَا بِسَبَبِكُمْ وَ لِأَجْلِكُمْ، وَ الْمَرَادُ بِالْبَحْرِ - الْبَحْرَ الْأَحْمَرَ فِي مِصْرَ - وَ قَدْ كَانَ طَوِيلَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣١

[سورة البقرة (٢): آية ٥١]

وَ إِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١)

الشوارع التي أسفرت عنها الماء ما يقرب من أربعة فراسخ، فإن موسى عليه السلام و بنى إسرائيل فروا من فرعون فوصلوا إلى البحر و عقبهم فرعون و قومه، فأمر الله موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر، فضرب فانحسر الماء عن الشوارع حتى عبر بنو إسرائيل، و أتبعهم فرعون و جنوده و لما توسطوا الماء، و خرج موسى عليه السلام و قومه، رجع الماء إلى حالته الأولى، فأغرق فرعون و قومه فَأَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَ أَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ مَعَ فِرْعَوْنَ، وَ لَمْ يَذْكُرْ تَغْلِييَا لِلآلِ عَلَيْهِ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ كَيْفَ أَعْرَقْنَاكُمْ لِأَجْلِكُمْ، وَ لَا يَخْفَى أَنَّ الْإِعْجَازَ هَيْنَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَتَأْوِيلُ بَعْضِ النَّاسِ لِلْمَعَاجِزِ انْهِزَامَ مَادَى غَرْبِي.

[٥٢] وَ أَذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَاعِدْ بِمَعْنَى وَعَدَ، وَ إِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ، وَ لِذَا جِيءَ بِصِيغَةِ الْمَفَاعَلَةِ، وَ لَا يَنَافِي كَوْنُ الْوَعْدِ هُنَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ثَلَاثِينَ، فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَعْدَيْنِ، وَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَعْدِ الْأَوَّلِ، فَقَدْ كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَعَدَ مُوسَى أَوَّلًا ثَلَاثِينَ، ثُمَّ مَدَّه وَ أَضَافَ عَشْرًا، وَ الْوَعْدُ كَانَ لِإِعْطَاءِ الثَّرْوَةِ الَّتِي فِيهَا أَحْكَامُ اللَّهِ، وَ تَنْظِيمِ أُمُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي هُوَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ أَي مِنْ بَعْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَي وَقْتُ ذَهَابِهِ إِلَى الطُّورِ لِلْوَعْدِ، فَإِنَّهُمْ بَعْدَ مَا ذَهَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمِيقَاتِ رَبِّهِ صَنَعُوا عِجْلًا مِنْ ذَهَبٍ، وَ جَعَلُوهُ إِلَهًا لَهُمْ وَ سَجَدُوا لَهُ، فَقَابَلُوا نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْهِمُ بِالْكَفْرَانِ، وَ عِبَادَةَ الْعِجْلِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٢

[سورة البقرة (٢): الآيات ٥٢ إلى ٥٤]

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) وَ إِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣) وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَرِّئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَرِّئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤)

وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ جَمَلُهُ حَالِيَّةٌ، وَ الْمَرَادُ ظَلَمْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ.

[٥٣] ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ عِبَادَتِكُمْ لِلْعِجْلِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لِاتِّخَاذِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نَعْمًا عَلَيْكُمْ، فَتَعْمَلُوا بِأَمْرِنَا.

[٥٤] وَ أَذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ هُوَ التَّوْرَةُ وَ الْفُرْقَانَ أَي الْفَارِقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ، فَهُوَ أَهَمُّ مِنَ الْكِتَابِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَ لَعَلَّ لَيْسَ تَرْجِيَا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بَلْ بِمَعْنَى عَاقِبَةُ التَّرْجِي.

[٥٥] وَ أَذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ وَقْتُ ذَهَابِ مُوسَى إِلَى الطُّورِ لِتَلْقَى التَّوْرَةَ وَ الْأَمْرَ مِنَ اللَّهِ



سبحانه يا قوم إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ إِلَيْهَا فَإِنْ اتَّخَذَهُ مَوْجِبَ لِلغُصْبِ وَ الذَّلَّةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَتَوْبُوا تَوْبَةً إِلَى بَارئِكُمْ الذِي بَرءَ كُمْ وَ خَلَقَكُمْ وَ هُوَ إِلَهُكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَنْ يَقْتُلَ مِنْ لَمْ يَعْبُدِ الْعِجْلَ مِنْ عِبْدِهِ وَ لَوْ كَانَ قَرِيبًا لَهُ، فَإِنَّهُ كَفَّارَةٌ لِلْقَاتِلِ حَيْثُ سَكَتَ وَ لَمْ يَتَكَلَّمْ، وَ لِلْمَقْتُولِ حَيْثُ عَبَدَ الْعِجْلَ ذَلِكُمْ الْقَتْلَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٣

[سورة البقرة (٢): الآيات ٥٥ الى ٥٦]

وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦)

خَيْرٌ لَكُمْ إِذِ الْأَلَمِ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ عَذَابِ النَّارِ الدَّائِمِ عِنْدَ بَارئِكُمْ مُتَعَلِّقٌ بِخَيْرٍ، أَى إِذَا هَذَا الْعَمَلُ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَ فِي حُكْمِهِ وَ إِرَادَتِهِ، وَ ذَلِكَ مُقَابِلَ الْخَيْرِ عِنْدَ النَّاسِ الذِي هُوَ بِالْبَقَاءِ وَ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا فَتَابَ عَلَيْكُمْ بَعْدَ مَا سَمِعْتُمْ الْأَمْرَ بِأَنْ تَبْتُمْ، وَ قَتَلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَ مَعْنَى تَابَ عَلَيْكُمْ، قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ بِكُمْ، فَلَمْ يَغْضَبْ حَتَّى لَا يَقْبَلَ تَوْبَتَكُمْ أَبَدًا.

[٥٦] وَ اذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ بِأَنْ لَنَا إِلَهُ خَلَقْنَا وَ بِيَدِهِ أُمُورُنَا، أَوْ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ بِأَنَّكَ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً أَى عَلَانِيَةً وَ عِيَانًا، فَيُخْبِرُنَا بِذَلِكَ، وَ ذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ اخْتَارَ مِنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ رَجُلًا يَحْضُرُونَ مَعَهُ إِلَى الْمِيقَاتِ، لَمَّا طَلَبَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْهُ ذَلِكَ، وَ لَمَّا جَاءُوا طَلَبُوا رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هِيَ نَارٌ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ مَادَةٌ مُذَابَةٌ مِنَ الْمَعْدِنِ وَ نَحْوِهِ، فَتَصِيبُ الْإِنْسَانَ فَتَقْتُلُهُ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا طَلَبُوا رُؤْيَا اللَّهِ سَبْحَانَهُ، نَزَلَتْ صَاعِقَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فَقَتَلَتْهُمْ جَمِيعًا وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ حَالِ نَزُولِهَا، وَ سَبَبَ مَوْتِكُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا لَكُمْ عَلَى ذَنْبِكُمْ وَ خَطَايَاكُمْ وَ لَمْ يَكُنْ مَوْتًا لَمْ يَعْرِفْ سَبَبَهُ حَتَّى تَقُولُوا إِنَّهُ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ.

[٥٧] ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ أَى أَحْيَيْنَاكُمْ لَمَّا طَلَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ لثَلَا يَقُولُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٤

[سورة البقرة (٢): الآيات ٥٧ الى ٥٨]

وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ مَا ظَلَمْنَا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسِهِمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) وَ إِذْ قُلْنَا اذْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَ اذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَنُرِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)

الباقى من بنى إسرائيل، إنه عليه السلام قتلهم فى الطور من بعد موتكم بسبب الصاعقة لعلكم تشكروا نعمنا عليكم.

[٥٨] وَ اذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ كُنْتُمْ فِي «التِّيه» حِينَ أَمَرْتُمْ بِحَرْبِ الْعَمَالِقَةِ فَعَصَيْتُمْ فَبَقِيتُمْ فِي الصَّحْرَاءِ مَدَّةً مَدِيدَةً، وَ كُنْتُمْ تَتَأَذُونَ مِنَ حَرِّ الشَّمْسِ، وَ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَأْكَلٌ فَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ بِأَنْ جَعَلْنَاهُ سِتْرَةً لَكُمْ تَقِيكُمْ حَرَّ الشَّمْسِ وَ يَرُدُّ الْقَمَرَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوَى الْمَنَّ شَيْءٌ يَشْبَهُ «التَّرَنْجِبِينَ» مَادَةٌ حَلْوَةٌ، كَانَتْ تَقَعُ عَلَى أَشْجَارِهِمْ فَيَأْكُلُوهَا وَ السَّلْوَى طَيْرُ السَّمَاءِ، وَ إِنْزَالُ السَّمَاءِ، إِذَا بَكُونُ هَذَا الطَّيْرِ، كَانَتْ كَثِيرًا فِي التِّيهِ، فَكَانُوا يَصْطَادُونَهُ، أَوْ بِأَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الطَّيْرِ الْمَشْوَى، وَ قَلْنَا لَكُمْ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ طَيِّبٌ مَذَاقًا، وَ حَقِيقَةٌ لِكُونِهِ حَلَالًا، لَكِنْ كَفَرُوا بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ النِّعْمِ وَ مَا ظَلَمْنَا بِكُفْرَانِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ لِأَنَّهُمْ أَوْرَثُوا أَنْفُسَهُمْ ذَلَّةً فِي الدُّنْيَا وَ عَذَابًا فِي الْآخِرَةِ.

[٥٩] وَ اذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قُلْنَا لَكُمْ بَعْدَ أَنْ خَرَجْتُمْ عَنِ التِّيهِ اذْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، أَوْ «أَرِيحًا» وَ هِيَ بَلَدَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنَ الْأَمَاكِنِ أَوْ الْمَأْكَلِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٥

[سورة البقرة (٢): الآيات ٥٩ الى ٦٠]

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ

فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)

رَعْدًا وَاسعًا وَادْخُلُوا الْبَابَ أَي بَاب القرية سُجِّدًا جمع ساجد، أى فى حال كونكم ساجدين وَقُولُوا حِطَّةً أى سجدنا لله حطه لذنوبنا، و محو لسيئاتنا، فإن فعلتم ذلك نَعْفُرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ السالفه وَ سَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ منكم من خير الدنيا و خير الآخرة على ما يستحقون، كما قال سبحانه لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ «١».

[٦٠] فَيَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فقالوا «حنطه حمراء خير لنا» عوض «حطه» كما إنهم دخلوا بأستاهم عوض أن يدخلوا سجدا فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فيما فعلوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ الرجز العذاب بما كانوا يَفْسُقُونَ أى بسبب عصيانهم.

[٦١] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذِ اسْتَشَقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ أى سأل موسى عليه السلام من الله تعالى أن يسقيهم، و ذلك حين كانوا فى التيه،

(١) فاطر: ٣١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٦

[سورة البقرة (٢): آية ٦١]

وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَ فُومِهَا وَ عَدْسِهَا وَ بَصَلِهَا قَالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ بَأُؤْ بَعْضِ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)

و لم يكن لهم ماء فظمنوا فقلنا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ و عصاه هى التى صارت ثعبانا، و الحجر، إما كان حجرا خاصا، أو مطلق الحجر فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا بعدد أسباط بنى إسرائيل، فإنهم كانوا اثنتى عشرة قبيلة، فكانت تجرى لكل قبيلة عين قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ أى كل قبيلة مَشْرَبَهُمْ أى موضع شربهم كَلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ أَكَلَهُمُ الْمَنُ وَ السَّلْوَى، و شربهم ماء العين المنفجر وَ لَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ الفساد مُفْسِدِينَ حالة مؤكدة.

[٦٢] وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى حِينَ كُنْتُمْ فِي التَّيِّهِ، وَ ينزل عليكم المن و السلوى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ أى قسم واحد من الطعام، و لو كان ذى لونين، فالمراد بالوحده التكرار فى كل يوم فَادْعُ أى فاسأل لنا أى لأجلنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ أى من نباتها مِنْ بَقْلِهَا البقل أنواع الخضر وَ قِثَّائِهَا الخيار وَ فُومِهَا الحنطة وَ عَدْسِهَا وَ بَصَلِهَا حتى نتقوت بها وَ نَأْكُلُهَا عوض

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٧

المن و السلوى قَالَ لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أى تتركون ما هو الأفضل مما اختاره الله لكم، إلى ما هو الأدون مما ترغبون إليه، و كونها أفضل و أدون، أما باعتبار السهولة و الصعوبة، أو باعتبار الطعم و اللذة، أو باعتبار التقوية و التغذية، و على أى حال، دعا موسى و استجاب الله دعاءه، و قال لهم اهْبُطُوا مِصْرًا مِنَ الْأَمْصَارِ فَإِنَّ لَكُمْ فِي الْمِصْرِ مَا سَأَلْتُمْ مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَ لَكِنِ الْيَهُودَ بسبب تمردهم و عصيانهم و لجاجتهم المستمرة ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ فهم أذلاء فى الأرض لا حكومة لهم مستقلة و لا عزة لهم عند الناس وَ الْمَسْكَنَةُ فَإِنَّهُمْ مع ثروتهم أحيانا لا يفارقون المسكنة، حيث إنهم دائمو التشكى لمخافتهم من الفقر، و هذه الآيه من معاجز القرآن الكثيرة، فإن اليهود لم تقم لهم حكومة من تاريخ القرآن إلى هذا اليوم، إلا- بحبل من الناس، و اتصال بالحكومات القوية وَ بَأُؤْ بَعْضِ مِنَ اللَّهِ بَاءُ أى رجع، و المراد أنهم بعملهم السيئ غضب الله عليهم ذَلِكَ المذكور من ضرب الذلة و المسكنة، و الرجوع بالغضب بسبب أنهم كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ المنزلة على موسى عليه السلام حيث لم يكونوا يطيعون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ٦٢ الى ٦٣]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣)

وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ تَوَاتَرَتْ إِلَيْهِمْ لَكُثْرَهُ لِحَاجَتِهِمْ، فَكَانُوا يَقْتُلُونَهُمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى بِغَيْرِ الْحَقِّ قِيدَ تَوْضِيحِي، إِذْ لَا يَكُونُ قَتْلُ النَّبِيِّ حَقًّا أَبَدًا، وَذَلِكَ بِخِلَافِ مَا لَوْ قِيلَ يَقْتُلُ الْبَشَرَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ الْمَذْكُورُ مِنْ كُفْرَانِهِمْ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِمَا عَصَوْا أَيَّ سَبَبٍ عَصِيَانِهِمْ لِلْأَوْامِرِ الْعَقْلِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ فَإِنَّ عَصِيَانَهُمْ وَاعْتِدَاءَهُمْ صَارَ سَبَبًا لِلْقَتْلِ وَالْكَفْرِ، وَهَذَا سَبَبًا ضَرْبَ الذَّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالغَضَبِ.

[٦٣] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالَّذِينَ هَادُوا أَيَّ صَارُوا يَهُودًا بِالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصَارَى الْمُؤْمِنِينَ بَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّابِئِينَ وَفِيهِمْ غَمُوضٌ وَخِلَافٌ، وَرَبَّمَا قِيلَ أَنَّهُمْ عَبَدُوا النُّجُومَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ حَقِيقَةً وَعَمِلَ صَالِحًا مِمَّا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ سَبْحَانَهُ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ - كَمَا تَقَدَّمَ - وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ فَلَا يَبْأَسُ أَحَدٌ مِنْ رُوحِ اللَّهِ مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا، إِنَّمَا قِيدُنَا «مَنْ آمَنَ» بِ«حَقِيقَةً» لِثَلَايِنِ مَا فِي صَدْرِ الْآيَةِ «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا».

[٦٤] وَادْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ الْعَهْدَ الشَّدِيدَ، وَقَدْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ٦٤ الى ٦٥]

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤) وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥)

تَقَدَّمَ مَكَانَ أَخْذِ الْعَهْدِ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا جَاءَهُمْ بِالتَّوْرَةِ لَمْ يَقْبَلُوهَا، فَقَطَعَ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِطْعَةً مِنْ جَبَلِ طُورٍ وَرَفَعَهَا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ مَهْدَدًا، إِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَقْبَلُوا التَّوْرَةَ قَذَفَهَا عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَقَبِلُوا قَبُولَ التَّوْرَةِ مُجْبِرِينَ، وَقُلْنَا لَكُمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ أَيَّ بَجْدٍ وَيَقِينٍ وَشِدَّةٍ لَا تَحِيدُوا عَنْهُ وَادْكُرُوا أَيَّ احْفَظُوا وَاعْمَلُوا بِمَا فِيهِ أَيَّ فِي «مَا آتَيْنَاكُمْ» وَهُوَ التَّوْرَةُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّ كَيْ تَخَافُونَ، فَإِنَّ الْعَامِلَ بِأَوْامِرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ يَكُونُ خَائِفًا مَتَّقِيًا.

[٦٥] ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ أَيَّ أَعْرَضْتُمْ أَيَّهَا الْيَهُودُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْمِيثَاقِ الْأَكِيدِ، فَلَمْ تَعْمَلُوا بِمَا فِي التَّوْرَةِ، وَلَمْ تَتَمَثَّلُوا أَوْامِرَنَا فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ حَيْثُ تَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ بِالتَّوْبَةِ وَرَحْمَتِهِ بِأَنَّ رَحْمَتَهُ فَلَمْ يُؤَاخِذْكُمْ بِسَيِّئَاتِ عَمَلِكُمْ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ مَنْ يَنْسَلِخُ عَنْهُ الْإِيمَانُ يَكُونُ مِنْ أَسْفَرِ النَّاسِ.

[٦٦] وَلَقَدْ عَلَّمْتُمْ أَيَّ عَرَفْتُمْ أَيَّهَا الْيَهُودَ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ أَيَّ جَاوَزُوا حُدُودَ اللَّهِ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ حَرَمَ عَلَيْهِمْ اصْطِيَادَ السَّمَكِ فِي السَّبْتِ فَكَانَتِ الْأَسْمَاكُ تَأْتِي وَتَتَّجِعُ فِي هَذَا الْيَوْمِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٤٠

[سورة البقرة (٢): الآيات ٦٦ الى ٦٧]

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧)

لشعورها بأمنها في هذا اليوم، فكان اليهود يحتالون لأخذها بإيصال الماء إلى أحواضهم، فلما تأتى إليها الأسماك يوم السبت سدوا طريقها، ثم يصطادونها يوم الأحد، وكان هذا خرقاً لحرمة الله فقلنا لهم أي للمعتدين كونوا قردة خاسئين أي مبعدين عن الخير دنيا و آخرة، فإنكم أيها اليهود الذين شاهدتم هذا المسخ بالنسبة إلى المعتدى منكم كيف تعملون خلاف أوامر الله سبحانه.

[٦٧] فَجَعَلْنَاهَا أَيَّ جَعَلْنَا الْمَسْخَةَ الَّتِي مَسَخُوا بِهَا، وَالْعُقُوبَةَ الَّتِي عَاقَبُوا فِيهَا نَكَالًا أَيَّ عِبْرَةً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا أَيَّ مَنْ كَانَ فِي زَمَانِهِمْ مِنْ

سائر اليهود و الأمم و ما خَلَفَهَا الذين يأتون من بعدهم مما يسمعون بأخبارهم، أو يكون معنى «نكالا» «عقوبة» فالمعنى جعلنا المسخنة عقوبة للمعاصي التي ارتكبوها مما كانت بين يدي المسخنة، و هو «الاعتداء» و ما خلف المسخنة من سائر المعاصي التي كانوا يرتكبوها بعد اعتدائهم في السبت و جعلناها مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ لئلا يرتكبوا خلاف أمر الله سبحانه.

[٦٨] و اذكروا أيها اليهود قصة البقرة، و هي أنهم وجدوا قتيلا لم يعرفوا قاتله، فرجعوا إلى موسى عليه السلام، فأمرهم الله تعالى، أن يذبحوا بقرة، ثم يضربوا القتيل بها ليحيى القتيل و يخبرهم بالقاتل، و كان هذا اختبارا لإيمانهم، حيث أن كون ضرب ميت موجبا للحياة مما لا يصدق ضغفاء الإيمان، و لهذا جعلوا يسألون أسئلة تافهة من موسى عليه السلام حول البقرة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٤١

[سورة البقرة (٢): الآيات ٦٨ الى ٦٩]

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْئِهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ (٦٩)

إذ قال موسى لقومه بنى إسرائيل إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة لإحياء القتيل قالوا أ تتخذنا هزواً أى أ تسخر منا و تتخذنا سخرية، فما الربط بين القتيل، و بين ذبح البقرة، أو كيف تكون البقرة الميتة سببا لإحياء القتيل قال موسى عليه السلام أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ الذين يستهزئون بالناس، فإن السخرية من شأن الجهال و السفهاء.

[٦٩] قَالُوا ادْعُ لَنَا أى اطلب من أجلنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا ما هى أى ما هى البقرة، من حيث سنها و عمرها قال موسى عليه السلام إِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ إِنَّهَا أى البقرة يلزم أن تكون بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ الفارض الكبيرة الهرمة و البكر الصغيرة عَوَانٌ أى وسط العمر بَيْنَ ذَلِكَ أى المذكور بين الصغير و الكبير فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ من ذبح هكذا بقرة.

[٧٠] قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أى اسأل من ربك لأجلنا يُبَيِّنْ لَنَا ما لَوْئِهَا أى ما لون البقرة التى أمرنا بذبحها قال موسى عليه السلام إِنَّهُ تَعَالَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٤٢

[سورة البقرة (٢): الآيات ٧٠ الى ٧١]

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا ما هى إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَ إِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْأَنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١)

يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ اللون فاقع لَوْنُهَا أى حسنه الصفرة لا تضرب إلى السواد لشدتها، و لا إلى البياض لقلتها تَسُرُّ النَّظِيرِينَ إليها أى تعجب الناظرين و تفرحهم بسبب حسن لونها.

[٧١] و لما بين سبحانه سن البقرة، و لونها سألوا عن صفتها قالوا يا موسى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا ما هى البقرة، أ تكون من العوامل، أو من السوائم التى لا تعمل، ف إِنَّ الْبَقْرَ الذى أمرتنا بذبحه تَشَابَهَ أى اشتبه عَلَيْنَا و إنه كيف ينبغى أن يكون وَ إِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ إلى صفة البقرة بتعريف الله سبحانه لنا كيف يجب أن يكون، و فى الحديث

عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم إنهم لما شددوا على أنفسهم، شدد الله عليهم، و لو لم يستثنوا ما بينت لهم إلى آخر الأبد

«١».

[٧٢] قَالَ موسى عليه السلام إِنَّهُ سبحانه يَقُولُ إِنَّهَا أى البقرة التى أمرتم بذبحها بَقَرَةٌ لَا- ذَلُولٌ يذلها العمل تُثِيرُ الْأَرْضَ أى تعمل و تكرب لإثارة الأرض و لَا تَسْقِي الْحَرْثَ الحرث الزرع، فلا

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ٥٤، باب حكم الحلف على ترك الطيبات.

[سورة البقرة (٢): الآيات ٧٢ الى ٧٣]

وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)

تسقيه بالناعور، و الدلاء، و المعنى أن لا تكون عاملة مَسْلَمَةً أى سالمة لا نقص فيها فهي بريئة من العيوب لا شَيْءٍ من الوشى بمعنى اللون فيها أى لا لون فيها يخالف لونها، و هذا ليس تأكيد لما سبق، إذ كونها صفراء، لا تدل على عدم الوشى فيها قالوا لموسى عليه السلام الآن و بعد هذه التوضيحات لصفات البقرة جِئْتُ بِالْحَقِّ الْوَاضِحِ، أو بما هو حق الكلام مقابل الإجمال الذى قاله عليه السلام سابقا بقوله «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً» فَذَبْحُوهَا أى ذبح اليهود تلك البقرة المأمور بذبحها و ما كَادُوا يَفْعَلُونَ أى كاد، أن لا يذبحوا تلك البقرة لغلاء ثمنها، فإنها انحصرت فى بقرة واحدة، لم يعطها صاحبها إلا بثمان فاحش.

[٧٣] و اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا اِدَّارَأْتُمْ بمعنى اختلفتم، و أصله تدارأتم و اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ من أمر القاتل، و إنه من القاتل، و لماذا قتل.

[٧٤] فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ أى اضربوا القاتل بِبَعْضِهَا أى ببعض البقرة المذبوحة التى أمروا بذبحها كَذَلِكَ أى مثل هذا الإحياء يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى فى يوم القيامة، فإن القاتل لما ضرب بالبقرة قام حيا و أوداجه تشخب دما، و أخبر بسبب قتله، و بالذى قتله و يُرِيكُمْ آيَاتِهِ فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٤٤

[سورة البقرة (٢): آية ٧٤]

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)

الكون و فى أنفسكم، أو بمعنى يريكم معجزاته لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أى كى تستعملوا عقولكم، و لعل وجه تأخير آية «و إذ قتلتم» على الآيات السالفة، مع إن النظم يقتضى تقديمها، أن السياق لبيان لجاجة اليهود، و عدم إطاعتهم الأوامر، فكان المقتضى تقديم ما يدل على ذلك.

[٧٥] ثُمَّ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَيْتُمْ هَذِهِ آيَاتِهَا يَهُودَ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ أَى غلظت مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ المذكور من آيات الله تعالى، أو من بعد ذبح البقرة، و ما رأيتم من إحياء الله الميت فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ فى القسوة للمعقول بالمحسوس أو أَشَدُّ قَسْوَةً و بين سبب أشدتها قسوة، بقوله و إِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ الذى يتفجر منه الأنهار فيكون مبعثا للخير نافعاً، بخلاف قلوبكم التى لا يأتى منها إلا الشر و إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ أَصله تشقق فيخرج منه الماء فيكون عينا، و إن لم يجز، و بهذا يفترق عن السابق، و هو ما يتفجر منه الأنهار و إِنَّ مِنْهَا أَى من الحجارة لَمَا يَهْبِطُ أى ينزل من الجبل و يسقط مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَإِنَّ كُلَّ حِجَارَةٍ تَسْقُطُ، لا بد و أن تكون سقطتها بإذن الله، و من خشيته خشية واقعية

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٤٥

[سورة البقرة (٢): الآيات ٧٥ الى ٧٦]

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦)

أو تشييه، كالذى يخشى كثيرا فيسقط على وجهه، و قلوبكم أيها اليهود أفسى من تلك الحجارة، إذ لا تخشى من الله سبحانه، و لا تتواضع لعظمته و مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أيها اليهود، فيجازيكم بسيئات أعمالكم.

[٧٦] أَفَتَطْمَعُونَ أيها المسلمون أَنْ يُؤْمِنُوا أَى يؤمن اليهود لَكُمْ أى لنفعمكم، إذ كل من آمن يكون فى نفع المؤمنين السابقين، أو بمعنى الإيمان بمبادئكم، و هذا استفهام إنكارى، أى لن يؤمن هؤلاء اليهود بالإسلام وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ أَى من هؤلاء، و هم

أسلافهم، وإنما صحت النسبة إليهم، لأن الأمة الواحدة، و القبيلة الواحدة، تكون متشابهة الأعمال و الأفعال و الأقوال يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ الذي يتلوه الأنبياء عليهم ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ بِالزِّيَادَةِ و النقصان لفظاً أو معنى، كما هو المتعارف عند من يريد نقل كلام لا يرضيه، فإنه إما أن ينقص فيه أو يزيد- لو وجد إلى ذلك سبيل- و إما أن يفسره بغير ما أراد المتكلم مِنْ بَعِيدٍ ما عَقَلُوهُ و فهموه وَ هُمْ يَعْلَمُونَ فكيف يؤمن هؤلاء الذين كانوا يعملون بكلام الله بعد تعقل هذا العمل.

[٧٧] وَإِذَا لَقُوا مِنَ الْمَلَأَةِ، أَى لَقَى الْيَهُودَ وَ كَانَتْ هَذِهِ خِصْلَةٌ بَعْضُهُمْ نَسَبَتْ إِلَى الْجَمِيعِ، كما هو المتعارف من نسبة ما يقوم به البعض إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٤٦

[سورة البقرة (٢): آية ٧٧]

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ (٧٧)

الجميع الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا بِأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ هَذَا موجود في كتبنا بوصفه و حليته، و لم يقصدوا الإيمان الحقيقي كسائر المسلمين، و لا- الإيمان الظاهري كالمنافقين، و إنما أريد الإيمان بمعناه اللغوي، و هذا ذم لهم، حيث إنهم اتصفوا بصفات المنافقين و إذا خلا- بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَ جمع هؤلاء اليهود و غيرهم من سائر اليهود، مجلس خال من المؤمنين قالوا أى قال من لم يكن يظهر الإيمان لمن أظهره أ تُحَدِّثُونَهُمْ أَى لِمَاذَا تَحَدَّثُونَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَى بما عرفكم الله في كتابكم، بأن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حق، يقال فتح عليه باب العلم إذا أرشده إليه و علمه به لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَى إذا أظهرتم أنتم أيها اليهود للمسلمين، أن في كتابكم صفات محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حاجوكم يوم القيامة عند الله فيقول المسلمون لليهود المظهرين أنتم ذكرتم أن في كتابكم صفات النبي، فلم لم تؤمنوا به أ فلا تَعْقِلُونَ أيها اليهود المظهرون للمسلمين، أن إظهاركم سبب لغلبة المسلمين عليكم في الحجّة عند الله.

[٧٨] أَوْ لَا يَعْلَمُونَ عَنِ الْيَهُودِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ يَسِرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَ مَا يُعْلِنُونَ وَ مَا الْفَائِدَةُ فِي أَنْ لَا يَظْهَرُوا صفات

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٤٧

[سورة البقرة (٢): الآيات ٧٨ إلى ٧٩]

وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيً وَ إِن هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩)

النبي، فإن الله يعلم أنهم يعلمون صفاته، و لا يؤمنون به عنادا.

[٧٩] وَ مِنْهُمْ أَى من اليهود أُمِّيُونَ منسوب إلى الأم، بمعنى من لا يقرأ و لا- يكتب كأنه نشأ تحت تربية أمه، لا تحت تربية المعلم لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيً الأمانى جمع أمنيّة، كالأغانى جمع أغنية، و الأمانى الأحاديث المختلفة، أى أنهم لا يعرفون ما فى التوراة من صفات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و غيرها، و إنما هم جهلاء، يأخذون أمور الكتاب عن علمائهم محرفة مختلفة، فلا يميزون بين الحق و الباطل و إن هُمْ أَى ما هم إِلَّا يَظُنُّونَ بصحة ما يسمعون، و لا يتيقنون لأنهم لم يطالعوا الكتاب بأنفسهم، حتى يعرفون ما فيه.

[٨٠] فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ أَى لعلمائهم الذين يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ أَى التوراة بِأَيْدِيهِمْ كناية عن أنها غير منزلة، و إنما مكتوبة مبعثها الأيدى لا الوحي و الإلهام ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا الْمَكْتُوبَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إنه منزل منه لِيَشْتَرُوا بِهِ أَى بما يكتبونه ثَمَنًا قَلِيلًا لأنهم لو كانوا يظهرون ما فى التوراة حقيقة رجع مقلدوهم إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، فلم يكونوا يبذلون لهم الأموال و الاحترام فَوَيْلٌ لَهُمْ أَى للذين يكتبون الكتاب بأيديهم مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ فإنه يوجب عذاباً، لأنه تحريف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٤٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ٨٠ الى ٨١]

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١)

لكلام الله تعالى وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ من الأموال إزاء تحريفاتهم، فإن ثمن الحرام حرام آخر، و ذلك موجب للعذاب فإنه أكل للأموال بالباطل، و الويل أصله الهلاك و العذاب، ثم استعمل في كل واقع في الهلكة.

[٨١] وَقَالُوا أَى قَالَ قَسَمَ مِنَ الْيَهُودِ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً فَلَنْ نَعَذَّبَ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أَوْ مَا أَشْبَهَهُ، عَلَى تَقْدِيرِ كَفَرْنَا وَعَصِيانًا، فَلَمَّا ذَا نَتْرَكَ رِئَاسَةَ الدُّنْيَا خَوْفًا مِنْ عَذَابِ قَلِيلٍ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ أَتَّخَذْتُمْ أَى هَلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا بِذَلِكَ فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَزُورًا مَا لَا تَعْلَمُونَ وَ مِنْ أَدْرَاكِمُ أَنَّ الْعَذَابَ أَيَّامٌ مَعْدُودَةٌ.

[٨٢] بَلَى لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالُوا وَ لَكِنْ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ لَمْ يَنْقَلِعْ عَنْهَا بَلْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ كَالْإِنْسَانِ الَّذِي يَقَعُ فِي دَخَانٍ حَيْثُ يَحِيطُ بِهِ الدَّخَانُ، حَتَّى لَا يَنْتَفِسُ وَ لَا يَبْصُرُ وَ لَا يَسْمَعُ إِلَّا فِي الدَّخَانِ، وَ كَذَلِكَ الْمُشْرِكُ الْمُنْحَرِفُ فِي الْخَطِيئَةِ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِلَى الْأَبَدِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٤٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ٨٢ الى ٨٣]

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ (٨٣)

[٨٣] وَالَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ وَ أَسْتَمْتَهُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الْإِسْلَامُ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ بِهَا لَا انْقِطَاعَ لَهَا وَ لَا زَوَالٍ.

[٨٤] وَ اذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَهْدَهُمْ الْأَكِيدَ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ، بَأَنَّ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ وَ بَأَنَّ أَحْسَنُوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَ لَا تَسِيئُوا إِلَيْهِمَا وَ أَحْسَنُوا إِلَى ذِي الْقُرْبَىٰ أَقْرَبَائِهِمْ وَ الْيَتَامَى الَّذِينَ مَاتَ وَالِدُهُمْ وَ الْمَسَاكِينِ الْفُقَرَاءَ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَ ذَلِكَ يَشْمَلُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ الْإِرْشَادَ وَرَدَ الْعِتْدَاءَ بِالْحَسَنِ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ هُمَا فِي سَائِرِ الْأُمَمِ، لَمْ يَكُنَا بِهَذَا الشَّكْلِ الْمَوْجُودِ فَعَلًا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ أَعْرَضْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ الَّذِينَ عَمِلُوا بِأَمْرِنَا وَ أَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ تَأْكِيدًا لِقَوْلِهِ «تَوَلَّيْتُمْ».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٥٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ١٩٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ٨٤ الى ٨٥]

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ إِنْ يَأْتُواكُمْ أُسَارَىٰ فَتَفَادَوْهُمْ وَ هُوَ مُحْرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ مِنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)

[٨٥] وَ اذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ عَهْدَكُمْ الْأَكِيدَ عَلَى لِسَانِ الْأَنْبِيَاءِ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ أَى لَا يَسْفِكُ بَعْضُكُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَى لَا يَخْرُجُ بَعْضُكُمْ مِنْ دِيَارِ بَعْضٍ، بَأَنَّ يَسْفِكُهُمْ وَ يَبْعَدُهُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ، بَأَنَّ أَعْطَيْتُمُونَا الْعَهْدَ بِذَلِكَ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ أَيُّهَا الْيَهُودُ، بِوُقُوعِ هَذَا الْمِيثَاقِ بَيْنَنَا.

[٨٦] ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْمِثَاقِ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ مَخَالِفَةً لِأَمْرِنَا تَظَاهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْ يَتَعَاوَنُ بَعْضُكُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي إِخْرَاجِكُمْ لَهُمْ تَظَاهِرًا عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ لَا إِخْرَاجًا بِالْحَقِّ وَالْحَالِ إِنْ يَأْتُوَكُمْ أَسَارَى تَفَادَوْهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَيْ كَيْفَ يَخْرُجُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، مَعَ أَنْكُمْ إِذَا وَجَدْتُمْ بَعْضُكُمْ أَسِيرًا فِي أَيْدِي غَيْرِهِمْ، تَعطُونَ الْفَدْيَةَ لِخِلَاصِهِمْ، فَإِنْ كَانَ بَيْنَكُمْ عِدَاءٌ، فَمَا هَذِهِ الْفَدْيَةُ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَكُمْ وَدَادَ فَمَا هَذَا الْقَتْلُ وَالْإِخْرَاجُ. رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ قَرِيبَةَ وَالنُّضَيْرَ، كَانَا أُخْوَيْنِ، كَالْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، فَافْتَرَقُوا فَكَانَتْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٥١

[سورة البقرة (٢): آية ٨٦]

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦)

النضير مع الخزرج، وكانت قريظة مع الأوس، فإذا اقتتلوا عاونت كل فرقة حلفاءها، فإذا وضعت الحرب أوزارها فدوا أسراها تصديقا لما في التوراة «١»، وروى عن آخر أن اليهود كانوا إذا استضعفوا جماعة آخرين أخرجوهم من ديارهم أفتؤمنون أيها اليهود ببعض الكتاب أي التوراة القائل بوجوب إعطاء الفدية لأسراكم وتكفرون ببعض القائل بحرمة القتل والإخراج والتظاهر بالإثم والعدوان فما جزاء من يفعل ذلك منكم أحكموا أنتم بأنفسكم إلا خزي في الحياة الدنيا بالترفة والضعف والمهانة عند سائر الأمم ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب بمخالفتهم وأمر الله سبحانه وما الله أي ليس الله بغافل عما تعملون فإنه يعلم أعمالكم، فيجازيكم عليها.

[٨٧] أُولَئِكَ الْيَهُودُ الَّذِينَ خَالَفُوا الْأَمْرَ بِتِلْكَ الْأَفْعَالِ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَبَاعُوا الْآخِرَةَ، وَأَخَذُوا الدُّنْيَا بَدَلَهَا

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٦٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٥٢

[سورة البقرة (٢): الآيات ٨٧ إلى ٨٨]

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ هُنَاكَ.

[٨٨] وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ أَعْطَيْنَا التوراة إياه وَقَفَّيْنَا أَيْ أَرَدْنَا وَأَتَبَعْنَا بَعْضَهُمْ خَلْفَ بَعْضٍ مِنْ بَعْدِهِ أَيْ بَعْدَ مُوسَى بِالرُّسُلِ رَسُولِ يَتَّبِعُ رَسُولًا وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ جَمَعَ بَيْنَهُ، أَيْ الدَّلَالَةَ الْوَاضِحَةَ، وَهِيَ الْمَعْجَزَاتُ الَّتِي أَعْطَيْتَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ التَّيْيِيدُ التَّقْوِيَةُ، وَرُوحُ الْقُدُسِ، إِمَّا جِبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ رُوحُ قُوَّةٍ مِنَ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ فِيهِ تَقْوِيَةٌ عَلَى التَّبْلِيغِ وَالْإِرْشَادِ مَعَ كَثْرَةِ أَعْدَائِهِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ وَلا يَمَثَلُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ اسْتَكْبَرْتُمْ وَتَكَبَّرْتُمْ عَنْ قَبُولِ أَحْكَامِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ كَعِيسَى وَمُحَمَّدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ كَزَكَرِيَا وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟ وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ عَلَيْهِمْ.

[٨٩] وَقَالُوا أَيْ قَالَتِ الْيَهُودُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قُلُوبُنَا غُلْفٌ جَمَعَ أَغْلَفٌ، بِمَعْنَى إِذَا غَطَّاهَا غُلْفٌ وَغُلْفٌ غُلْفٌ، فَلَا تَصِلُ الْهَدَايَةُ إِلَيْهَا،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٥٣

[سورة البقرة (٢): آية ٨٩]

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ



عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)

كما فى آية أخرى وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ «١» بَلْ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَأَبْعَدَهُمُ عَنِ الْخَيْرِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَمَّا كَفَرُوا وَلَمْ يَمْتثلُوا أَمْرَ اللَّهِ، أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ عَنِ الْخَيْرِ، كَمَنْ لَا يَسْمَعُ شَخْصًا أَمْرَهُ فَيَتْرَكُهُ وَلَا يَعْتَنِي بِهِ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ لَمَّا رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَظْلَمَتْ نَفُوسَهُمْ بِالْكَفْرِ.

[٩٠] وَلَمَّا جَاءَهُمْ أَى الْيَهُودِ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ الْقُرْآنُ مَصِدَّقٌ لِمَا مَعَهُمْ أَى الْكِتَابِ الَّذِى مَعَ الْيَهُودِ، وَهُوَ التَّوْرَةُ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَصْدُقُ التَّوْرَةَ الْحَقِيقِيَّ الْمَنْزَلَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ «٢» وَكَانُوا أَى الْيَهُودِ مِنْ قَبْلُ أَى قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوْ يَنْزَلَ الْقُرْآنُ يَسْتَفْتِحُونَ أَى يَطْلُبُونَ الْفَتْحَ مِنَ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ، أَنْ يَبْعَثَ الرَّسُولَ، حَتَّى يَكُونُوا أَرْجَحَ كَفَهُ مِنَ الْكُفَارِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا أَى الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِى عَرَفُوهُ بِصِفَاتِهِ وَمَزَايَاهُ كَفَرُوا بِهِ وَأَخَذُوا يَحَارِبُوهُ، بَلْ فَوْقَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرْجِحُونَ الْكَافِرِينَ عَلَى

(١) فصلت: ٤.

(٢) المائدة: ٤٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٥٤

[سورة البقرة (٢): آية ٩٠]

بِئْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبِأَوْ بَعْضِ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠)

الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ قَائِلِينَ (هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا) «١» فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ الْكَافِرِينَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَبِالْقُرْآنِ، وَهُمْ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ.

[٩١] بِئْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَى بِئْسَ الشَّيْءَ الَّذِى بَاعَ الْيَهُودَ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ، فَأَعْطَوْا أَنْفُسَهُمْ لِلْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ، وَاشْتَرَوْا الْكُفْرَ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَدَلِ «مَا» أَى بِئْسَ الْكُفْرَ الَّذِى أَخَذُوهُ مَقَابِلَ أَنْفُسِهِمْ، وَذَلِكَ تَشْبِيهِهِ، فَكَأَنَّ الْكُفْرَ وَالْإِسْلَامَ، سَلْعَتَانِ فَمَنْ أَخْتَارَ أَحَدَهُمَا بَاعَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ الشَّيْءِ، إِذْ يَصْرِفُ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، إِذَا بَاعَ نَفْسَهُ مَقَابِلَ الْإِسْلَامِ كَانَ نَعَمَ مَا اشْتَرَى بِهِ نَفْسَهُ، وَإِذَا بَاعَ نَفْسَهُ مَقَابِلَ الْكُفْرِ كَانَ بئسما اشترى به نفسه، و اشترى هنا بمعنى البيع، كما قال (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) «٢» بَغِيًّا أَى حَسَدًا، وَهُوَ عِلَّةُ لِاشْتِرَائِهِمُ السَّيِّئِ، أَى كَانَ سَبَبَ شُرَائِهِمُ الْكُفْرَ الْحَسَدَ، الَّذِى كَانَ فِيهِمْ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، لَا مِنْ وَلَدِ جَدِّهِمْ إِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ الدِّينَ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَأَنْ يَنْزَلَ، مُتَعَلِّقٌ بِ«بَغِيًّا» أَى أَنَّ الْحَسَدَ مِنْ جِهَةِ نَزُولِ الْقُرْآنِ

(١) النساء: ٥٢.

(٢) البقرة: ٢٠٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٥٥

[سورة البقرة (٢): آية ٩١]

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصِدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)

على محمد صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره فبأى أى رجح اليهود بغضب على غضب فإنهم كانوا مغضوب عليهم من جهة

تعدياتهم في زمان موسى و عيسى، و سائر الأنبياء عليهم السلام، فغضب الله عليهم مرة أخرى من جهة كفرهم بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم و للكافرين الذين من أظهر مصاديقهم اليهود عذاب مهين و هو العذاب الذي يذل صاحبه و يهينه.

[٩٢] و إذا قيل لهم أي لليهود آمنوا بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه و آله و سلم قالوا تؤمن بما أنزل علينا من التوراة و يكفرون بما وراءه أي وراء ما نزل عليه من كتاب عيسى عليه السلام و محمد صلى الله عليه و آله و سلم و هو أي ما وراء كتابهم الحق مصدقاً لما معهم و الجملة حالية قل إنكم تكذبون في قولكم «نؤمن بما أنزل علينا» فإنكم لستم بمؤمنين، حتى بالتوراة و إلا فلم تقتلون أنبياء الله من قبيل في السابق إن كنتم مؤمنين بالتوراة، فإن كتابكم حرم قتل الأنبياء، فأنتم لستم بمؤمنين، لا بكتابكم، و لا بما بعد كتابكم من الإنجيل و القرآن.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٥٦

[سورة البقرة (٢): الآيات ٩٢ الى ٩٣]

و لقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده و أنتم ظالمون (٩٢) و إذ أخذنا ميثاقكم و رفعنا فوقكم الطور أخذوا ما آتيناكم بقوة و أسمعوا قالوا سمعنا و عصينا و أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين (٩٣)

[٩٣] و كيف تقولون «نؤمن بما أنزل علينا» و عملكم، يدل على خلاف ذلك، ف لقد جاءكم موسى بالبينات أي بالحجج الواضحة ثم اتخذتم العجل إلهاً لكم من بعده أي بعد رواجه إلى الطور و الحال أنتم ظالمون لأنفسكم في عبادة العجل، فلو كنتم مؤمنين بما نزل عليكم، لم تتخذوا العجل إلهاً؟.

[٩٤] و اذكروا يا بني إسرائيل إذ أخذنا ميثاقكم عهدكم الشديد، بالعمل بالتوراة و رفعنا فوقكم الطور أي قطعه من جبل الطور - كما تقدم - و قلنا لكم خذوا ما آتيناكم بقوة أي بشدة، بمعنى العمل، بكل ما في الكتاب عملاً مستمراً قويا و أسمعوا أوامر الله سبحانه قالوا سمعنا و عصينا حكاية حالهم، و يحتمل أنهم قالوه بلفظهم استهزاء و أشربوا في قلوبهم العجل فكما أن من شرب الماء يدخل الماء في جوفه، كذلك اليهود، دخل العجل - أي حبه - في قلوبهم بسبب كفرهم بالله سبحانه قل يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لهم بسما يأمركم به إيمانكم الذي قلتم «نؤمن بما أنزل علينا» فإن الإيمان الذي يأمر باتباع العجل، ليس إيماناً، و إنما هو كفر.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٥٧

[سورة البقرة (٢): الآيات ٩٤ الى ٩٥]

قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين (٩٤) و لن يتمنوه أيداً بما قدمت أيديهم و الله عليم بالظالمين (٩٥)

إن كنتم مؤمنين و هذا استهزاء لهم، ثم إنه إنما كرر «رفع الطور» للدلالة، على أنهم عكسوا الميثاق الذي أخذ منهم، حال الرفع، بل اتخذوا العجل إلهاً.

[٩٥] قل يا رسول الله لهؤلاء اليهود، الذين يقولون أن الآخرة هي لهم وحدهم لا يشركون فيها غيرهم من النصارى و المسلمين و غيرهما إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس عند الله صفة للدار الآخرة، أي الدار التي هي عند الله، و من دون الناس صفة لخالصته، أو لقوله «لكم» فتمنوا الموت لأن من يدرى أن مصيره الجنة، لا بد و أن يتمنى الموت، حتى يخلص من آلام الدنيا و أتعابها إن كنتم صادقين في مقالكم و كنتم تعتقدون ما تقولونه بألستكم.

[٩٦] ثم أخبر سبحانه بأنهم ليسوا صادقين و الدليل على ذلك أنهم لن يتمنوه أي الموت أيداً في حين من الأحيان بسبب ما قدمت أيديهم من المعاصي و المنكرات و الكفر، و إنما نسب التقديم إلى اليد لأنها الآلة الظاهرة في تقديم الأشياء المحسوسة غالباً و الله عليم بالظالمين فلا يغترون بمقالهم، أن لهم الآخرة، و أنهم أحباء الله دون سواهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٥٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ٩٦ الى ٩٧]

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سِنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)

[٩٧] وكيف يتمنون الموت، والحال أنك يا رسول الله لتجدنهم أحرص الناس على حياة فإنهم أشد حرصا من سائر الناس على البقاء في الدنيا، لأنهم يعلمون أن آخرتهم إلى النار والعذاب وحتى أنهم أحرص من الذين أشركوا إذ المشرك، يزعم أنه لا شيء وراءه، فيكون حريصا على البقاء لثلاث يفتنى، وهؤلاء حيث يعلمون العقاب، فهم أحرص من المشركين يود أي يحب أحدهم أي كل واحد منهم لو يعمر ويطول عمره ألف سنة حتى لا- يذوق العذاب عاجلا- والحال ما هو أي ليس التعمير ألف سنة بمزحزحه من العذاب زحزحه أي نحاه، وقوله أن يعمر بدل «هو» أي ما التعمير بمزحزحه من العذاب، فما الفائدة في البقاء ألف سنة لمن عاقبه النار والله بصير بما يعملون من الكفر والسيئات، فيجازيهم عليها يوم القيامة بالنار والعذاب.

[٩٨] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ جَاءُوكَ وَقَالُوا لَكَ لَوْ أَنَّ الْمَلِكَ الَّذِي يَأْتِيكَ مِكَائِيلَ لَأَمَّا بِكَ فَإِنَّهُ مَلِكُ الرَّحْمَةِ يَأْتِي بِالسُّرُورِ وَالرِّخَاءِ وَهُوَ صَدِيقُنَا وَجِبْرَائِيلُ مَلِكُ الْعَذَابِ يَنْزِلُ بِالْقَتْلِ وَالشَّدَةِ وَالْحَرْبِ وَهُوَ عَدُونَا فَإِنْ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْكَ جِبْرَائِيلُ لَا تَوْمن بك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٥٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ٩٨ الى ٩٩]

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩)

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ لَيْسَ سَبِيهَا يِعْمَلُ حَتَّى تَتَّخِذُونَهُ عَدُوًّا بَلْ إِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى الْقُرْآنِ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ لَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَيْ لِلْكِتَابِ الَّذِي قَبْلَهُ وَهُوَ التَّوْرَةُ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ فَأَيُّ ذَنْبٍ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى تَتَّخِذُونَهُ عَدُوًّا وَ لَا تَوْمنون بالكتاب الذي يأتي به.

[٩٩] مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ أَيْ يَفْعَلُ فِعْلَ الْمَعَادَى مِنَ الْإِيْتَانِ بِمَا يَكْرَهُهُ سَبْحَانَهُ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ وَإِنَّمَا خَصَمَهُمَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا مَوْضِعُ الْبَحْثِ مَعَ الْيَهُودِ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ إِذْ كُلٌّ مِنْ يِعَادَى أَحَدٍ هُوَ لَكَافِرٌ وَاللَّهُ عَدُوٌّ لِمَنْ كَفَرَ أَيْ يَفْعَلُ مَعَهُ فِعْلَ الْمَعَادَى مِنَ الْإِهَانَةِ وَالتَّعْذِيبِ وَالْعِقَابِ.

[١٠٠] وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَاضِحَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ الْفَاسِقُ هُوَ الْخَارِجُ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٠

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٠٠ الى ١٠٢]

أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)

[١٠١] أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا أَيْ الْيَهُودَ عَهْدًا نَبَذَهُ أَيْ نَقَضَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ أَيْ جَمَاعَةٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَهَذَا إِنْكَارٌ عَلَيْهِمْ فِي نَقْضِهِمْ عَهْدَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ بِطَاعَتِهِمْ وَنَقْضِهِمْ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي قِصَّةِ نَضِيرٍ وَقَرِيضَةَ وَالْمَرَادُ بِالْإِيْمَانِ: إِمَا

الإيمان بالعهود و إما الإيمان بالله و رسله و إما الإيمان بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و إنما قال أكثرهم لأن بعضهم آمن كعبد الله بن سلام.

[١٠٢] وَ لَمَّا جَاءَهُمْ أَى الْيَهُودِ رَسُوْلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ كَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ التَّوْرَةِ نَبِيْدٌ فَرِيْقٌ أَى جَمَاعَةٌ مِنَ الدِّيْنِ أُوْتُوْا الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ التَّوْرَةَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ تَرَكُوا أَوَامِرَهُ بِاتِّبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَى مِنْ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ الْإِيمَانَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَ اتِّبَاعِ الرِّسْلِ.

[١٠٣] وَ اتَّبَعُوا عَوْضَ الْكِتَابِ - السَّحْرِ - فَنَبَذُوا الْكِتَابَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ رَاحُوا يَتَعَلَّقُونَ بِمَا تَتَلَّوْا وَ تَقْرَأُ الشَّيَاطِينُ وَ السَّحْرَةُ عَلَى مُلْكِكَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حَيْثُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ عَلَى لِسَانِ السَّحْرَةِ عَلَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦١

زمان سليمان كانوا يتلون السحر للناس و «على» بمعنى «فى» كما قال ابن مالك «على للاستعلاء و معنى فى و عن» أى أن اليهود أخذوا يتعلقون بالسحر الذى كان فى زمان سليمان يريدون بذلك جلب الأموال و التقرب إلى الناس و كانوا يقولون أن سليمان عليه السلام إنما أوتى الملك العظيم بسبب أنه كان يعمل بالسحر فرد الله عليهم بقوله و ما كَفَرَ سُلَيْمَانُ فَإِنَّ السَّحْرَ مُوجِبٌ لِلْكَفْرِ وَ لَا يَخْفَى أَنَّ الْكَفْرَ عَلَى نَوْعَيْنِ: كَفْرٌ فِى الْعَقِيْدَةِ وَ كَفْرٌ فِى الْعَمَلِ، فَالْكَفْرُ فِى الْعَقِيْدَةِ هُوَ إِنْكَارُ أَصُولِ الدِّيْنِ، وَ الْكَفْرُ فِى الْعَمَلِ هُوَ تَرْكُ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلٍ، وَ لَذَا شَاعَ اسْتِعْمَالُ الْكَفْرِ عَلَى تَرْكِ الْأَوَامِرِ وَ فِعْلِ النَّوَهِى كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ «١» فِى قِصَّةِ الْحَجِّ وَ قَوْلِهِ وَ لَيْسَ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ «٢» فِى بَابِ الشُّكْرِ وَ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ «كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَشْرَةٌ»

و عدّ منها المنام و نحوه و على أى حال فسليمان ما كان ساحرا و لم ينل ما نال بالسحر و إنما بالنبوة و الموهبة الإلهية. وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا بِعَمَلِهِمْ بِالْكَفْرِ وَ تَعْلِيمِهِمْ لِلنَّاسِ إِيَّاهُ وَ الشَّيَاطِينُ أَرْوَاحُ شَرِيْرَةٌ تَلْقَى الشَّرَّ فِى النَّفْسِ كَمَا ثَبَتَ فِى الْعِلْمِ الْحَدِيثِ أَيْضًا وَ غَيْرِهِ فِى بَابِ التَّحْضِيرِ وَ التَّنْوِيمِ الْمَغْنَطِيسِيِّ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَ السَّحْرُ أُمُورٌ غَيْرٌ طَبِيعِيَّةٌ تَأْتِي بِعِلَاجِ خَفَى وَ مِنْهُ التَّصَرُّفُ

(١) آل عمران: ٩٨.

(٢) إبراهيم: ٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٢

فى العين و فى النفس و فى العقل فيوجب عداوة بين الناس و مرضا و ما أشبه و ما أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ «مَا تَتَلَّوْا» أَى أَنَّ الْيَهُودَ تَرَكُوا الْكِتَابَ وَ اتَّبَعُوا سَحْرَ الشَّيَاطِينِ وَ سَحْرَ الْمَلَكَيْنِ وَ مِنْ قِصَّتِهِمَا أَنَّ بَعْدَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثُرَتِ السَّحْرَةُ فَأَنْزَلَ اللهُ الْمَلَكَيْنِ فِى «بَابِلَ» عَلَى نَبِيِّ ذَلِكَ الزَّمَانِ حَتَّى يَعْلَمَانَ النَّاسَ إِبْطَالَ السَّحْرِ فَكَانَا يَقُولَانِ لِلنَّاسِ «هَذَا السَّحْرُ وَ هَذَا إِبْطَالُهُ» كَالطَّبِيبِ الَّذِى يَكْتُبُ كِتَابَ الطَّبِّ فَيَصِفُ الدَّاءَ وَ مَا يَسَبِّبُهُ وَ الدَّوَاءَ الْمَزِيلَ لَهُ فَيَقُولُ مِثْلًا إِنْ الشَّيْءُ الْفُلَانِى سَمٌ وَ دَوَائِهِ كَذَا فَكَانَ الْمَلِكَانِ يَعْلَمَانِ السَّحْرَ وَ إِبْطَالَهُ وَ يَحْذِرَانِ النَّاسَ أَنْ يَعْمَلُوا بِالْكَفْرِ وَ إِنَّمَا يَصْرَانِ أَنْ يَبْطَلُوا السَّحْرَ فَإِذَا تَعَلَّمَ مِنْهُمَا النَّاسُ أَخَذَ بَعْضُهُمْ بِالْكَفْرِ كَمَا أَنَّ الشَّخْصَ يَقْرَأُ كِتَابَ الطَّبِّ فَيَسْقَى النَّاسَ السَّمَّ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ ذَنْبِ الْمُؤَلِّفِ لِلطَّبِّ وَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْعَامِلِ بِمَا يَضُرُّ النَّاسَ.

فقد ترك اليهود كتاب الله و أخذوا بالعلم الذى أنزل - أى أنزل الله - على الملكين الذين نزلوا ببابل و هما هاروت و ماروت و لا يظن أحد أنهما كيف يعلمان السحر للناس و هما ملكان من قبل الله تعالى و ذلك لأنه ما يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ أَى مَا يَعْلَمَانِ أَحَدَ السَّحْرِ حَتَّى يَقُولَا - لَهُ إِذَا نَحْنُ فِتْنَةٌ وَ امْتِحَانٌ لَكَ وَ كَانَ تَعْلِيمٌ لِلْعِلْمِ - لِإِضْرَارِ فَلَا - تَكْفُرُ بِأَعْمَالِ السَّحْرِ فَيَتَعَلَّمُونَ أَى النَّاسِ مِنْهُمَا أَى مِنَ الْمَلَكَيْنِ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٣

يوجب العداوة و البغضاء بين الزوجين مما يؤول إلى الفراق و الطلاق و لا يتوهم أن الأمر خرج من يد الله سبحانه كلا بل إنما شاء الله أن يختبر عباده كما أنه حين يخلق العنب و يعطى القدرة للبشر فيعصره خمرا لا- يخرج الأمر من يده سبحانه بل إنما ذلك للامتحان و الابتلاء و لهذا قال سبحانه ما هم أي الملكان و متعلم السحر منهما بضارين به أي بسبب السحر من أحد إلا ياذن الله فإن شيئا لا- يؤثر فى شىء إطلاقا إلا ياذن الله و معنى إذنه أنه يخلى بين المؤثر و المتأثر و لو لم يخل كان عالم الجبر و بطل الامتحان و الاختبار و المراد بهذه الجملة أن شيئا لا يخرج من إرادة الله سبحانه حتى أن يتمكن من الردع لكنه لا يردع.

و يتعلمون أى يتعلم الناس من الملكين ما يضرون أى الشىء الذى يضرهم فى دنياهم و دينهم و لا ينفعهم أكد بذلك ردا لزعيمهم أن السحر ينفعهم حيث يوصلهم إلى أغراضهم و لقد علموا لمن اشتراه أى علم المتعلمون للسحر أن من اشترى السحر و باع دينه ما له فى الأخرى من خلاق أى من نصيب و لبس ما شروا به أنفسهم فإنهم أعطوا أنفسهم للنار مقابل اشتراء السحر الذى زعموا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٤

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٠٣ إلى ١٠٤]

و لو أنهم آمنوا و اتقوا لمتوئيه من عند الله خير لو كانوا يعلمون (١٠٣) يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا و قولوا انظرونا و اسمعوا و للكافرين عذاب أليم (١٠٤)

إنه ينفع دنياهم لو كانوا يعلمون نزل العالم بالشىء منزلة الجاهل حيث لم يعمل بعلمه فإن من لا يعمل بعلمه هو و الجاهل سواء. [١٠٤] و لو أنهم أى اليهود بدل اتباع السحر آمنوا حقيقة و اتقوا عن فعل المعاصى لمتوئيه أى ثواب من عند الله خير لهم فى دنياهم و آخرتهم لو كانوا يعلمون لكنهم حيث لا يعملون بذلك فكأنهم لا يعلمونه.

[١٠٥] يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا للرسول حين كلامكم معه راعنا فإن راعنا فى اللغة العربية من المراعاة و الرعاية، و لكنها فى لغة اليهود بمعنى «أسمعت لا سمعت» فهو سب و دعاء على المخاطب و قد كانت اليهود اغتنمت هذه الكلمة المتشابهة لسب النبى صلى الله عليه و آله و سلم بهذا العنوان فكانوا يأتون إلى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و يقولون له «راعنا» يريدون بذلك سبه صلى الله عليه و آله و سلم فنهى الله المسلمين عن هذه اللفظة حتى لا يتمكن اليهود من التكلم بهذه الكلمة و قولوا عوض ذلك انظرونا أى انظر إلينا بنظر تك الرحيمه و اسمعوا أيها المؤمنون أو امرنا و أوامر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و للكافرين من اليهود الشاتمين للنبى صلى الله عليه و آله و سلم تحت ستار لفظه «راعنا» عذاب أليم أى مؤلم فى الآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٥

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٠٥ إلى ١٠٦]

ما يؤد الذين كفروا من أهل الكتاب و لا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم و الله يختص برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم (١٠٥) ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير (١٠٦)

[١٠٦] ما يؤد الذين كفروا من أهل الكتاب من اليهود و النصارى و المجوس و لآ من المشركين أن ينزل عليكم من خير من قبل ربكم سواء كان خيرا معنويا كالنبوة و الإرشاد و الوحي أو ماديا كالغلبة و النصر و المال و الله يختص برحمته من يشاء فليس إرادة الله تبعا لإرادة الكفار و المشركين و الله ذو الفضل العظيم فليس فضله خاصا بقوم من الكفار كما كانت اليهود تزعم أن النبوة فيهم دون غيرهم.

[١٠٧] ما ننسخ من آية بأن نرفع حكمها و نجعل مكانه حكما آخر أو ننسها بأن نرفع رسمها و نبلى عن القلوب حفظها، و النسيان لا يقع بالنسبة إلى القرآن الكريم و إنما بالنسبة إلى الكتب السالفة و لذا لا يوجد كثير منها فعلا، أما النسخ فإنه وقع بالنسبة إلى القرآن- على الأشهر- و إلى غيره نأت بخير منها أو مثلها و إنما يقع النسخ و الإنشاء فيما يؤتى بالمثل لأن المثل أصلح من المنسوخ و المنسى،

فمثلا إذا سقطت ورقة ماله عن الاعتبار فيأتى الحاكم بورقة أخرى مثلها فى القيمة، كما أنه قد يأخذ درهما من زيد ليعطيه بدله ديناراً  
أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الْيَهُودَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٦

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٠٧ الى ١٠٨]

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا  
سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨)

المنكر للنسخ أن الله على كل شىء قدير فإن اليهود كانوا يلقون الشبهة بأنه كيف يمكن نسخ كتابهم بالقرآن وأنه إن كان كتابهم  
صالحاً فلما ذا ينسخ وإن لم يكن صالحاً فلما ذا أنزله الله تعالى، وقد كان الجواب إن عدم النسخ إما لعدم مثل أو أصلح وإما لعدم  
قدره الله تعالى على النسخ وكلا الأمرين مفقودان، فالمثل والأصلح موجودان والله على كل شىء قدير.

[١٠٨] أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الْمُنْكَرُ لِلنَّسْخِ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِمَا يَشَاءُ مِنَ الْأَوْضَاعِ وَالْأَحْكَامِ كَيْفَ يَشَاءُ وَمَا  
لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَى غَيْرِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ يَلِي أُمُورَكُمْ وَلَا نَصِيرٍ يَنْصُرُكُمْ فَهُوَ سَبْحَانَهُ يَرَى صِلَاحَكُمْ فِي النَّسْخِ وَالْإِنْسَاءِ فَإِنَّ الْمَصْلَحَ  
تَخْتَلِفُ حَسَبَ اخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ وَالْأَشْخَاصِ، وَلَقَدْ كَانَ شَأْنُ آيَاتِ اللَّهِ أَنْ تَنْهَضَ بِالْبَشَرِ مَرْتَبَةً فَمَرْتَبَةٌ حَتَّى وَصَلَتْ النُّبُوَّةَ لِرِسَالَةِ  
الْإِسْلَامِ وَهَذِهِ بَدَلَتْ بَعْضَ جُزْئِيَّاتِهَا قَبْلَ تَمَامِهَا وَكَمَالِهَا تَحْقِيقًا لِلتَّنَاسُقِ بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَبَيْنَ الْعَصْرِ، حَتَّى إِذَا كَمَلَتْ لَمْ يَبْقَ مَبْرَرٌ أَوْ  
تَحْوِيلٌ بَلْ تَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ.

[١٠٩] أَمْ تُرِيدُونَ أَيُّهَا الْمَعَاصِرُونَ لِلرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُسْلِمٍ وَكُتَابِيٍّ وَمَشْرِكٍ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ أَسْأَلْتُمْ تَعْنَتْ وَ  
لِجَاجَةٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٧

[سورة البقرة (٢): آية ١٠٩]

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى  
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)

كما سئل موسى من قبيل حيث كانوا يقترحون عليه اقتراحات و يسألونه محالات كقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهراً، فإن  
المعاصرين كانوا يسألون ما لا يعينهم أو ما أشبه كقولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً «١» فقد زجرهم الله سبحانه لهذه  
الأسئلة التي لا ترتبط بمقام الرسول والرسالة من بعد ما تبين لهم الهدى، وقوله «رسولكم» لا يختص بالمؤمنين إذ يكفى فى الإضافة  
أدنى ملائسة ومن يتبدل الكفر بالإيمان بأن يأخذ الكفر ويترك الإيمان الذى من مصاديقه الأسئلة التعنتية إذ إنها من سمات الكفر و  
الانحراف فقد ضلَّ سواء السبيل أى وسطه الموصل إلى المطلوب.

[١١٠] وَدَّ أَى أَحَبَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا فَتَكُونُونَ  
مِثْلَهُمْ حَسَدًا لَكُمْ كَيْفَ صَرْتُمْ إِلَى حَضْرَةِ الْإِيمَانِ وَتَقَدَّمْتُمْ فِي الْحَيَاةِ وَهَذَا الْحَبُّ لَيْسَ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُمْ مُتَدِينُونَ فَيَأْسِفُونَ عَلَيْكُمْ لِمَاذَا  
تَرَكْتُمْ الْإِيمَانَ بَلِ الْحَبُّ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ تَشْبِيهَا

(١) الإسراء: ٩٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ١١٠ الى ١١١]

وَ أَفِيئُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا

مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أُمُمِيَّتُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١)

و حسب أهوائهم أى أن مبدأ الحب هوى النفس لا الدين مِنْ بَعِيدٍ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَلَيْسَ ذَلِكَ لَجْهَلِهِمْ بِدِينِكُمْ وَ حَقِيقَتِكُمْ فَاعْتَمَدُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ وَ اضْرَفُوا عَنْ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ وَ لَا تَقَابَلُوا إِسَاءَتَهُمْ بِالْمِثْلِ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ فَيَأْذَنَ لَكُمْ فِي الْمُبَارَزَةِ وَ الْمَقَاتِلَةِ وَ الْمَقَابَلَةَ بِالْمِثْلِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَيَأْتِي يَوْمَ يَجْعَلُكُمْ أَقْوِيَاءَ فَتَمَكَّنُوا مِنْ مُحَارَبَتِهِ هُوَ لَا الْكُفَّارَ فَيَأْذَنَ لَكُمْ فِي الْمُبَارَزَةِ مَعَهُمْ. [١١١] وَ أَمَا إِذَا لَمْ يَأْتِ اللَّهَ بِأَمْرِهِ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ لَا تَبَارِزُوا وَ مَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الزَّكَاةِ وَ سَائِرِ الْخَيْرَاتِ الَّتِي هِيَ لِأَنْفُسِكُمْ لِأَنَّهَا تَعُودُ إِلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْأَلْفَةِ وَ فِي الْآخِرَةِ بِالثَّوَابِ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فَلَا يَضِيعُ شَيْءٌ يَصْرَفُ فِي وَجْهِهِ وَ لَا عَمَلٌ يُؤْتَى لِأَجَلِهِ.

[١١٢] وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى قَالَتِ الْيَهُودُ: لَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا الْيَهُودُ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: لَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا النَّصَارَى، وَ هُودٌ جَمْعُ هَانِدٍ، كَعُودٌ جَمْعُ عَائِدٍ تِلْكَ الْمَقَالَةُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ١١٢ إلى ١١٣]

بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَ قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَ قَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)

أُمُمِيَّتُهُمْ جَمْعُ أُمِّيَّةٍ أَيْ رَغْبَتُهُمُ الْكَاذِبَةُ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَهُمْ هَاتُوا أَى أَحْضَرُوا وَ جِئُوا بُرْهَانَكُمْ وَ دَلِيلَكُمْ عَلَى مَا تَدَّعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي مَقَالَتِكُمْ.

[١١٣] بَلَى جَوَابُ سُؤَالِ تَقْدِيرِهِ أَوْ لَيْسَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ وَ مِنْ هُوَ؟ فَقِيلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ جْهَهُ لِلَّهِ وَ خَصَّ الْوَجْهَ لِأَنَّهُ أَشْرَفُ الْأَعْضَاءِ فَإِذَا أَسْلَمَ الشَّخْصَ فَقَدْ أَسْلَمَ جَمِيعَ جَوَارِحِهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فِي عَمَلِهِ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ فَهُوَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سِوَاءَ كَانَ يَهُودِيًّا فِي زَمَانِ مُوسَى أَوْ نَصْرَانِيًّا فِي زَمَانِ عِيسَى أَوْ مُسْلِمًا فِي زَمَانِ مُحَمَّدٍ أَوْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ فِي زَمَانِ أَنْبِيَائِهَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَ هَذَا كَلَامٌ مَعَهُ دَلِيلُهُ إِذْ مَعْيَارُ الدَّخُولِ فِي الْجَنَّةِ الْإِيمَانُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فَلَا يُقَالُ لِمَنْ يَقُولُ ذَلِكَ: هَاتِ بُرْهَانَكَ.

[١١٤] وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَ قَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينٍ وَ إِيمَانٍ وَ تَقْوَى فَكُلٌ طَائِفَةٌ تَجْعَلُ نَفْسَهَا النَّاجِيَةَ وَ غَيْرَهَا الْهَالِكَةَ وَ الْحَالُ إِنْ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ وَ التَّالِي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧٠

[سورة البقرة (٢): آية ١١٤]

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ سَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)

لِلْكِتَابِ لَا يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ إِذْ كُلُّ مَنْهُمْ يَعْلَمُ أَنَّ صَاحِبَهُ عَلَى بَعْضِ الشَّيْءِ، فَإِنَّ الْيَهُودَ يَعْرِفُونَ أَنَّ النَّصَارَى لَهُمْ إِيمَانٌ فِي الْجَمَلَةِ وَ كَذَلِكَ النَّصَارَى يَعْرِفُونَ أَنَّ الْيَهُودَ لَهُمْ إِيمَانٌ فِي الْجَمَلَةِ كَذَلِكَ الْقَوْلُ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْكُفَّارِ مِثْلَ قَوْلِهِمْ وَ هَذَا تَأْنِيْبٌ لِلطَّائِفَتَيْنِ حَيْثُ صَارُوا كَمَنْ لَا كِتَابَ لَهُ وَ هُوَ جَاهِلٌ فَإِنَّ الْجَاهِلَ يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ لَيْسَ الْيَهُودُ أَوْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ لِأَنَّهُ يَزْعَمُ بِطِلَانِ كِلَيْهِمَا فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ هُنَاكَ يَتَبَيَّنُ لِكُلِّ طَائِفَةٍ إِنَّهُ عَلَى شَيْءٍ أَمْ لَا- فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَ لَعَلَّ تَخْصِيصَ الْحُكْمِ بِهِنَاكَ لِأَنَّ هُنَاكَ لَا تَبْقَى شَبْهَةٌ فِي الْحُكْمِ بِخِلَافِ حُكْمِهِ سُبْحَانَهُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْإِسْلَامِ لَا يَعْتَرَفُ بِحُكْمِهِ.

[١١٥] وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ وَهِيَ عَامَةٌ لِّكُلِّ مَانِعٍ وَإِنْ كَانَ يَنْطَبِقُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ مَنَعُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَبَحَثَ نَصِيرَ الَّذِي مَنَعَ عَنِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ أَى لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِنْ هَكَذَا شَخْصٍ وَ الْحَصْرِ الْمُسْتَفَادِ مِنَ الْآيَةِ إِضَافِي وَإِلَّا فَمَنْ قَتَلَ الْأَنْبِيَاءَ أَظْلَمَ وَ سَعَى فِي خَرَابِهَا خَرَابًا مَعْنَوِيًا بِمَنْعِ الْمُصَلِّينَ عَنْهَا أَوْ خَرَابِ الْعِمَارَةِ وَ الْبِنَاءِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧١

[سورة البقرة (٢): الآيات ١١٥ إلى ١١٦]

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (١١٦)

أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَمَنْ يَسْعَى فِي خَرَابِ الْمَسَاجِدِ كَيْفَ يَدْخُلُهَا آمِنًا أَوْ خَائِفِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يِعَاقِبُوهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ بِالْعِقَابِ الْإِسْلَامِيِّ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَوْ إِخْبَارِ بَخْزَى عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَنْزِلُ بِمَنْ يَسْعَى فِي خَرَابِ الْمَسَاجِدِ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ حَيْثُ يَذُوقُ النَّارَ مَهَانًا وَ لَعْلَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ أَيْضًا تَلْمِيحٌ إِلَى فِعْلِ الْيَهُودِ بِمَنْعِهِمْ عَنِ الْمَسَاجِدِ.

[١١٦] وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَكِلْتَا الْجِهَتَيْنِ لَهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهَا وَ هُمَا مَلِكٌ لَهُ وَحْدَهُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا وَجْهُكُمْ فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ وَجْهُ اللَّهِ جَانِبَهُ أَى أَنْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحِيطٌ بِالْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ عَلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ فَإِذَا تَوَجَّهَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ وَ إِذَا تَوَجَّهَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ، وَ لَيْسَ اللَّهُ جِسْمًا حَتَّى يَكُونَ لَهُ مَكَانٌ مَعِينٌ يَلْزَمُ التَّوَجُّهَ إِلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَ قُدْرَةٌ لِأَنَّهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْجِهَاتِ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى أَيْةٍ نَاحِيَةٍ، وَ رُبَّمَا قِيلَ بِأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي رَدِّ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالُوا كَيْفَ انصَرَفَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عَنِ قِبْلَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ.

[١١٧] وَقَالُوا الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَ النَّصَارَى قَالُوا الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَ الْمَشْرُوكُونَ قَالُوا الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَ لَدًّا أَمَا بَأْسٌ أَوْلَادِهِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧٢

[سورة البقرة (٢): الآيات ١١٧ إلى ١١٨]

بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)

كَمَا زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَوْ اتَّخَذَ بِعِنَانِ التَّنْبِي سُبْحَانَهُ أَى أَنْزَهَهُ عَنِ ذَلِكَ تَنْزِيهًا بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَكَيْفَ يَكُونُ الْمَمْلُوكُ وَ لِدًا إِذِ الْوَلَدُ لَيْسَ مَلِكًا لِلْوَالِدِ، ثُمَّ إِنْ الْمَمْلُوكُ تَحْتَ التَّنْصِيفِ فَالتَّنْبِي لِمَاذَا...؟ كُلُّ أَى كُلِّ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَهُ تَعَالَى قَانِتُونَ أَى خَاضِعُونَ وَ مُطِيعُونَ.

[١١٨] يَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَى مَبْدِعُهُمَا وَ مَنْشئُهُمَا وَ خَالِقُهُمَا وَ هَذَا تَأْكِيدٌ لِمَا فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَنَّهُ «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» وَ إِذَا قَضَى أَمْرًا وَ أَرَادَهُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ أَى لِذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُرَادِ كُنْ أَى يَأْمُرُهُ بِأَنْ يَوْجِدَ فَيَكُونُ أَى فَيَوْجِدُ عَقِيبَ أَمْرِهِ فَالْكَوْنُ بِهَذَا النَّحْوِ طَوْعٌ إِرَادَتِهِ وَ أَمْرِهِ.

[١١٩] وَ بَعْدَ ذِكْرِ اخْتِلَافِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ مَنْعِهِمْ وَ سَائِرِ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الْمَسَاجِدِ، وَ شَرَكِهِمْ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ، تَعْرُضُ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ حَوْلَ كَلَامِهِمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرَّسَالَةِ، فَقَالَ، وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مَوَازِينَ الْوَحْيِ وَ الرَّسَالَةِ لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَى هَلَّا يَكَلِّمُنَا رَبَّنَا، بِأَنْ يَأْمُرَنَا بِأَوَامِرِهِ، بِدُونِ احْتِيَاجٍ إِلَى وَسِيطٍ، أَوْ يَكَلِّمُنَا بِأَنَّكَ نَبِيٌّ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ وَ مَعْجَزَةٌ حَسَبَ اقْتِرَاحِنَا كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧٣

[سورة البقرة (٢): الآيات ١١٩ إلى ١٢٠]

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ لَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩) وَ لَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ



إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)

مِثْلَ قَوْلِهِمْ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ فِي الْإِنْكَارِ وَفِي الْإِقْتِرَاحِ وَالتَّعَنُّتِ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ فَلَا حَاجَةَ إِلَى تَكْلِيمِ اللَّهِ، وَلا- إِلَى الْإِتْيَانِ بِخَوَارِقِ اقْتِرَاحِهَا، إِذْ لَوْ كَانَ مَرَادُهُمْ بَيَانِ الْحَقِّ وَ الْبِرْهَانِ، فَقَدْ فَعَلْنَا ذَلِكَ، وَ إِنْ كَانَ مَرَادُهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا إِمْتَامُ الْحُجَّةِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ إِنَّمَا خَصَمَهُمْ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا وَيَنْتَفِعُونَ بِهَا.

[١٢٠] إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ تَأْكِيدًا لِلرِّسَالِ، إِذْ كُلُّ إِرسَالٍ تَعَالَى بِالْحَقِّ بَشِيرًا تَبشُرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ وَ نَذِيرًا تَنْذِرُ الْكَافِرِينَ وَ الْعَاصِينَ، فَأَنْتَ رَسُولُنَا، وَ إِنْ كَانُوا يَشْكُونَ فِي رِسَالَتِكَ، وَ يَسْأَلُونَكَ عَن أَشْيَاءِ تَافَهُهُ وَ لَا تُسْئَلُ أَنْتَ عَن أَصْحَابِ الْجَحِيمِ فَلَسْتَ أَنْتَ مَكْلُفًا عَنْهُمْ، وَ إِنَّمَا عَلَيْكَ التَّذْكِيرَ فَقَطْ.

[١٢١] وَ حَيْثُ أَنْ مِنْ طَبِيعَةِ الْحَالِ أَنْ كُلُّ صَاحِبِ مَبْدَأٍ لَيْسَتْ مِثْلُهُ الْخَصْمَاءُ إِلَى نَاحِيَتِهِمْ، وَ يَعدُونَهُ الرِّضَا عَنْهُ، إِذَا مَالَ نَحْوُهُمْ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ، أَنْ ذَلِكَ سَرَابٌ خَادِعٌ وَ يَجِبُ أَنْ لَا يَغْتَرَّ بِهِ الْإِنْسَانُ، إِذْ لَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصَارَى إِلَى الْأَبَدِ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ وَ تَدْخُلَ فِي طَرِيقَتِهِمْ، إِذْ كُلُّ ذِي طَرِيقَةٍ لَا يَرْضَى عَن شَخْصٍ إِلَّا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧٤

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٢١ إلى ١٢٢]

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢)

بَدْخُولِهِ فِي طَرِيقَتِهِ تَمَامًا وَ كَمَالًا قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إِنَّ هُدَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ هُوَ الْهُدَى فَقَطْ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَ النَّصْرَانِيَّةِ وَ لَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ إِشَارَةٌ إِلَى أَنْ دِينَهُمْ لَيْسَ إِلَّا هُوَ أَنفُسُهُمْ، وَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ بِالْإِسْلَامِ وَ شَرَائِعِهِ وَ بَطْلَانِ الْيَهُودِيَّةِ وَ النَّصْرَانِيَّةِ مَا لَكَ أَى لَيْسَ لَكَ مِنَ اللَّهِ أَى مِنْ طَرَفِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ أَى فَلَا يَلِيَّ اللَّهُ تَعَالَى أَمُورَكَ وَ لَا يَنْصُرُكَ.

[١٢٢] الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ التَّورَةَ وَ الْإِنْجِيلَ الْمُوصُوفِينَ بِكَذِبِهِمْ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ أَى بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَوِ بِالْقُرْآنِ أَوِ بِالْإِسْلَامِ أَوِ بِكِتَابِهِمْ إِيمَانًا صَاحِبًا، لَا كإِيمَانِ الْمُعَانِدِينَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ دُونَ بَعْضٍ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ فِي الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ، أَمَا فِي الدُّنْيَا، فَلَأَنَّ مِنْهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ الْمُنْهَاجُ الْمُسْعَدُ فِي الْحَيَاةِ، فَإِذَا عَرَضَ عَنْهُ الْإِنْسَانُ، كَانَتْ مَعِيشَتُهُ ضَنْكًا، وَ أَمَا فِي الْآخِرَةِ، فَلِلْعَذَابِ الْمَعْدِ لِلْكَافِرِينَ.

[١٢٣] يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ إِرسَالِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧٥

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٢٣ إلى ١٢٤]

وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا- يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا هُمْ يُنصِرُونَ (١٢٣) وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّهَنَّ قَالَ إِنَّنِي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)

الرِّسْلِ إِلَيْكُمْ، وَ إِهْلَاكَ عَدُوِّكُمْ، وَ جَعْلَكُمْ مُلُوكًا وَ تَوْسِيعِ الدُّنْيَا لَكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِكُمْ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ- وَ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْآيَةِ-

[١٢٤] وَ اتَّقُوا يَوْمًا أَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُوصُوفِ بِأَنَّهُ لَا- تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا هُنَاكَ وَ إِنَّمَا تَرَى كُلَّ نَفْسٍ جَزَاؤَهَا الْعَادِلَ، فَلَا يَحْمِلُ أَحَدٌ وَزْرَ أَحَدٍ وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ أَى فِدْيَةٌ تَعَادِلُهُ، فَيَفْكَ نَفْسَهُ بِالْفِدْيَةِ وَ الْمَالِ وَ لَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ بَدُونَ رِضَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ لَا هُمْ يُنصِرُونَ فَلَا يَنْصُرُ أَحَدٌ أَحَدًا، وَ قَدْ تَقَدَّمَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ، لَكِنْ أَرِيدُ الْإِنْتِقَالَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ كَرَّرَ الْمَطْلَبَ السَّابِقَ تَذْكِيرًا وَ تَرْكِيزًا.

[١٢٥] وحيث تم بعض الكلام عن اليهود والنصارى والمشركين، انتقل السياق للكلام حول إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وبناء البيت مما يشترك فيه الجميع، وإن تاريخهم قبل تاريخ اليهودية والنصرانية، وقد اعتاد أن يتكلم المتكلم عن الظروف المعاصرة، ثم ينتقل إلى التواريخ الغابرة، واذكر يا رسول الله إذ ابتلى امتحن إبراهيم عليه السلام ربُّه فاعل ابتلى، أى امتحن الله إبراهيم بكلمات أى بأمور، فإن الكلمة تقال للأمر، ولا يبعد أن يكون المراد بالكلمة نفس معناها العرفى، فالمعنى ابتلاه بكلمات تكلم الله أو الملك معه عليه السلام حولها لينفذها، ويأتى بمعناها، ولعل الكلمات كانت حول ذبح

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧٦

[سورة البقرة (٢): آية ١٢٥]

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)

إسماعيل عليه السلام، أو حول مجابته نمرود الطاغى فَأَتَمَّهُنَّ بأن أطاع الأمر كاملاً غير منقوص قال الله تعالى بعد إتمام الكلمات إني جاعلك يا إبراهيم للناس إماماً والإمام هو المقتدى، وحيث أن «الناس» كالجمع المحلى باللام أفاد العموم، ولا منافاة بين كونه عليه السلام سابقاً نبياً ورسولاً، ولم يكن إماماً عاماً، ثم صار كذلك جزاء إتمام الكلمات قال إبراهيم عليه السلام سائلاً الله تعالى ومن ذريتي هل تجعل لى رب إماماً؟ وهذا طلب المتأدب يأتى به فى لسان الاستفهام قال لا ينال عهدى بالإمامة الظالمين وهذا جواب مع زيادة، إذ المفهوم منه، نعم أجعل بعض ذريتك، لكن غير الظالم منهم، وإنما خص هذا بالذكر، لبيان عظم مقام الإمامة.

[١٢٦] واذكر يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جعلنا البيت الحرام بمكة المكرمة مثابةً بمعنى مرجعاً فإن الناس يرجعون إليه كل عام، والرجوع بمناسبة مجموع الناس، وإن لم يرجع إليه كل فرد للناس وأمناً فلا يحل القتال فيه، وإن من التجأ إليه يكون آمناً، فلا يجرى عليه الحد، ثم صار فى الكلام التفات إلى الخطاب قائلاً واتخذوا أيها المسلمون من مقام إبراهيم وهو الحجر الذى كان يضعه إبراهيم عليه السلام تحت رجليه لبناء أعالى الكعبة، الذى هو الآن بالقرب من الكعبة مصلى أى محل للصلاة، فإنه تجب الصلاة للطواف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧٧

[سورة البقرة (٢): آية ١٢٦]

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)

حول مقام إبراهيم فى الحج وعهدنا أى ذكرنا إلى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: الأب والابن أن طهرا بيتى طهارة معنوية، بعدم السماح لنصب الأصنام فيه وطهارة ظاهرية بالنظافة للطائفين أى الذين يطوفون حول البيت والعاكفين الذين يعتكفون فى المسجد الحرام، وللاعتكاف مسائل وأحكام مذكورة فى كتب الفقه «١» والرُّكْع جمع راعى السُّجُود جمع ساجد، أى المصلين.

[١٢٧] واذكر يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال إبراهيم فى دعائه لله تعالى رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ وَهُوَ مَكَّةُ، التى بنى فيها البيت بَلَدًا آمِنًا عن الأخطار، أو محكوماً بحكم الأمن حكماً شرعياً، وإن كان السياق يؤيد الأول وازرق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر فإن دعاء إبراهيم عليه السلام كان خاصاً بهم قال الله سبحانه فى جواب إبراهيم عليه السلام ما يدل على استجابته دعائه مع الزيادة، وهى وَمَنْ كَفَرَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ، لا-نقطع عنه الثمار بل فأمتعه أى أعطيه المتاع من الحياة والرزق والأمن، وسائر الأمور قليلاً فإن

(١) راجع موسوعة الفقه ج ٧٧ ص ١٥١، فى أحكام الاعتكاف.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٢٧ إلى ١٢٨]

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)

عمر الدنيا قصير، وأمدّها قليل ثم أضطرّه أي أذفعه إلى النار باضطرار منه، فما من أحد يرضى بالنار إلى عذاب النار وبئس المصير أي بئس المأوى والمرجع.

[١٢٨] وأذكر يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت أي كان بيني أساس البيت الحرام، ويرفعه من الأرض، ويعاونه في ذلك وإسماعيل ابنه، وهما يقولان في حال البناء ربنا تقبل منا بناء البيت إنك أنت السميع دعاءنا العليم بما نعمله ونقصده.

[١٢٩] ربنا واجعلنا مسلمين لك في جميع أمورنا، والدعاء بالإسلام، لا ينافي كونهما كذلك قبل الدعاء إذ الإسلام كسائر العقائد، والأعمال بحاجة إلى الاستمرار، مما لا يكون إلا بهداية الله وتوفيقه، فكما أن الابتداء لا يكون إلا بعونه سبحانه، كذلك الاستمرار، كما في اهتدنا الصراط المستقيم «١» واجعل من ذريتنا وأولادنا أمة مسلمة لك والإسلام هو تسليم الأمور إلى الله سبحانه في الاعتقاد والقول والعمل وأرنا أي عرفنا مناسكنا جمع منسك، أي المواضع التي

(١) الفاتحة: ٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧٩

[سورة البقرة (٢): آية ١٢٩]

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)

تتعلق النسك بها، والنسك العبادة، يقال رجل ناسك، أي عابد، وقد استجاب الله دعاءهما، حيث أراهما جبرائيل عليه السلام موضع الصلاة، والوقوف، وغيرها وتب علينا أي أرجع إلينا بالمغفرة والرحمة، فإن التوبة بمعنى الرجوع، ولذا يقال الله «التواب» أي كثير الرجوع إلى عبيده، ومن ذلك تعرف أنه لا دلالة للآية، على أنهما عليهما السلام، كانا قد أذنبنا إنك أنت التواب بعبادك الرحيم بهم.

[١٣٠] رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٣٠)

الشرف بكون الرسول منهم يتلوا عليهم آياتك دلائلك، وبراھينك، وأحكامك ويعلمهم الكتاب إما المراد: القرآن، أو المراد: «كتابك» على نحو الكلي والحكمة هي وضع كل شيء موضعه والمراد بتعلمهم إياها، تعليمهم العلوم الكونية والتشريعية، فإن الجاهل لا يتمكن، من وضع الأشياء مواضعها لجهله بها ويؤكدهم أي يطهرهم من الأدناس والقذارات الأخلاقية والأعمالية إنك أنت العزيز حقيقته، فإن العزة لا تكون إلا بقله الوجود، وكثرة الاحتياج، والله واحد لا شريك له، وجميع الاحتياجات إليه وتخصيص العزة هنا بالذكر، للتلميح إلى كون الاحتياج إليه الحكيم فأفعالك صادرة عن حكمته، وما طلباه إنما كان عين الحكمة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨٠

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٣٠ إلى ١٣٢]

وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢)

[١٣١] هذه هي طريقة إبراهيم عليه السلام ومن يرغب عن ملة إبراهيم أي من يعرض عن هذه الطريقة في التوحيد والتسليم وسائر ما

ذكر مما يدل على أنها من أفضل الطرق إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ أى لا يترك هذه الملة، إلا من ضرب نفسه بالسفاهة والحمق، و هل هناك طريقة أفضل من هذه الطريقة؟ والاستفهام فى قوله «من يرغب» استنكارى و لَقَدْ اضْيَطَفَيْنَاهُ جملته حالية، أى إنا بسبب هذه الطريقة المستقيمة، التى كانت لإبراهيم عليه السلام اخترناه نبيا فى الدنيا وَ إِنَّهُ فى الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ الفائزين بالدرجات الرفيعة.

[١٣٢] إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ هَذَا متعلق بقوله «اصطفيناه» أى اخترناه لما قلنا له أَسْلِمَ فى جميع أمورك لله قال إبراهيم عليه السلام أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وحده لا- شريك له، و معنى أسلم استقم على الإسلام، و اثبت على التوحيد، كقوله تعالى فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَ اسْتَعْفِزُ «١» و كما يقول أحدنا لمن كان جالسا فى مكان: أجلس هنا حتى الساعة العاشرة- مثلا.

[١٣٣] وَ وَصَّى بِهَا أى بالملة و الطريقة التى كانت لإبراهيم عليه السلام

(١) محمد: ٢٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨١

[سورة البقرة (٢): آية ١٣٣]

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)

إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ أَوْلَادِهِ، و خصهم بالذكر، مع أن دعوة إبراهيم عليه السلام كانت عامة، إشارة إلى لزوم دعوة الأهل بصورة خاصة إلى الحق، كما قال سبحانه قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا «١» وَ وصى بها يَعْقُوبُ حفيد إبراهيم من إسحاق، بنيه أيضا و خص يعقوب لأنه جد اليهود، و كانت الوصية يا بَنِيّ أى يا أبنائى، فهو جمع ابن، و أصله بنينى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى أى اختار لكم الدِّينَ حتى تكونوا متدينين، و معنى اختار الله الدين لهم، أنه سبحانه أعطاهم الدين، و أراد ذلك منهم مقابل بعض الأمم الوحشية الذين تركوا و شأنهم، فلم تبلغهم دعوة الأنبياء فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أى لا تتركوا الإسلام، فيصادفكم الموت على تركه، و إنما خص الموت، لأنه لو كان غير مسلم قبل ذلك، ثم أسلم و مات مسلما لم يكن عليه بأس.

[١٣٤] أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ أَيُّهَا الْمَدْعُونَ إِنْ الْأَنْبِيَاءُ كَانُوا يَهُودًا أَوْ نَصَارَى، فَإِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَقُولُونَ أَنْ يَعْقُوبَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْصَى بِنِيهِ بِالْيَهُودِيَّةِ، فَأَنْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا حَاضِرِينَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ وَ اقْتَرَبَ مِنَ الْوَفَاةِ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي عَلَى طَرِيقَةِ الْاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِي

(١) التحريم: ٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨٢

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٣٤ الى ١٣٥]

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسَيِّئُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) وَ قَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)

قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ جَدِ يَعْقُوبَ وَ إِسْمَاعِيلَ عَمَهُ وَ إِسْحَاقَ أَبُوهُ، وَ قَدِمَ إِسْمَاعِيلَ لِأَنَّهُ كَانَ الْأَكْبَرَ سِنًا، وَ الْأَعْلَى مَنزَلَةً، وَ سَمِيَ الْعَمَ أَبَا تَغْلِيْبًا، وَ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي الْعَمَ أَبَا وَ الْخَالَةَ أُمًّا إِلَهًا وَاحِدًا بغير شريك وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَكَانَ دِينُهُمُ الْإِسْلَامَ، وَ الْإِسْلَامُ هُوَ دِينُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ التَّسْلِيمُ لِلَّهِ فِي أَوْامِرِهِ وَ نَوَاهِيهِ وَ نَفَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَوْنِ دِينِ الْأَنْبِيَاءِ الْيَهُودِيَّةِ أَوْ النَّصْرَانِيَّةِ، يَرَادُ بِهِ نَفْيُهَا بِالْمَعْنَى الْمَتَدَاوِلِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَ إِلا فَلَا يَهْمُ الْاسْمُ، كَمَا لَا يَخْفَى.

[١٣٥] ثُمَّ بَيْنَ اللَّهُ حَقِيقَةَ هِيَ أَنَّ الْأُمَّةَ الْمَاضِيَةَ لَيْسَتْ تَهْمُكُمْ، أَيُّهَا الْمَعَاصِرُونَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ إِنَّمَا الْمَهْمُ

أعمالكم، فكيف كانت تلك الأمم، فإنها قد ذهبت وفت تلك أي إبراهيم وأولاده عليهم السلام أمّة قد خلت أي ذهبت ومضت لها ما كسبت فإن أعمالها ترتبط بها لا بكم ولكم ما كسبتم فإن أعمالكم ترتبط بكم لا بهم ولا تُشتمون أنتم عمّا كانوا يعملون فأصلحوا أعمالكم.

[١٣٦] وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى أَي قَالَت الْيَهُودُ كُونُوا يَهُودًا وَقَالَت النَّصَارَى كُونُوا نَصَارَى تَهْتَدُوا لِلْحَقِّ وَتُرْشَدُوا قُلْ يَا رَسُولَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨٣

[سورة البقرة (٢): آية ١٣٦]

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَشْيَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)

اللّهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَلْ نَتَّبِعُ مِلَّةَ أَي دِينِ إِبْرَاهِيمَ الصَّافِي مِنْ شَوَائِبِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، وَإِنَّمَا هِيَ الْإِسْلَامُ الْمَصْفَى، وَإِنْ كَانَ فَرْقٌ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ الْخُصُوصِيَّاتِ التَّشْرِيعِيَّةِ، فَالْمُرَادُ نَفْيَ النَّصْرَانِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ حَيْثُ أَيَّ مُسْتَقِيمًا عَنِ الْإِعْوَجَاجِ وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَمَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مُشْرِكُونَ، إِذْ تَقُولُونَ عَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ، أَوِ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَعَلَىٰ هَذَا فَالْمُرَادُ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِتْبَاعَهَا فِي التَّوْحِيدِ.

[١٣٧] قُولُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، مَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْتَدُوا بِهِ، وَمَا هِيَ خِلَاصَةُ الْأَدْيَانِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ، الَّتِي تَعِينُ زَيْفَ الْعُقَائِدِ النَّصْرَانِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَغَيْرَهُمَا آمَنَّا بِاللَّهِ وَآمَنَّا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَشْيَاطِ أَحْفَادِ يَعْقُوبَ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ كَانُوا أَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الصِّحْفُ وَآمَنَّا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَآمَنَّا بِمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ قَاطِبَةً مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَيَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَإِنَّا نَعْتَرِفُ بِالْجَمِيعِ وَنَحْنُ لَهُ أَيَّ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنَّ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كُلِّهِمْ يَتَلَخَّصُ فِي أَصُولٍ وَفُرُوعٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨٤

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٣٧ إلى ١٣٨]

فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صَبَغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)

وَأَخْلَاقٍ فَالْأَصُولُ: التَّوْحِيدُ، وَالْعَدْلُ، وَالنَّبُوَّةُ، وَالْإِمَامَةُ، وَالْمَعَادُ، فَإِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ كَانَ يَصَدِّقُ مِنْ سَبْقِهِ وَيُبَشِّرُ بِمَنْ يَلْحَقُهُ، كَمَا إِنَّ الْإِمَامَةَ بِمَعْنَى الْوَصَايَةِ، فَإِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ كَانَ لَهُ أَوْصِيَاءُ، وَالْفُرُوعُ: الصَّلَاةُ وَالصُّومُ وَالزَّكَاةُ وَمَا أَشْبَهَ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَأَحْكَامُ الْمَعَامَلَاتِ - بِالْمَعْنَى الْأَعْمَى - وَكُلُّ الْأَدْيَانِ كَانَتْ مُشْرَكَةً فِيهَا مَعَ تَفَاوُتِ سَبَبِ اقْتِضَاءِ الزَّمَانِ وَالْأُمَّةِ، فَمِثْلًا كَانَ صَوْمُ الصِّمْتِ فِي بَعْضِ الْأُمَمِ وَلَيْسَ فِي الْإِسْلَامِ وَهَكَذَا، وَالْأَخْلَاقُ: الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ، وَالْوَفَاءُ، وَالْحَيَاءُ، وَمَا أَشْبَهَ وَكُلُّهَا فُطْرِيَّاتٌ نَفْسِيَّةٌ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَأْمُرُ بِهَا وَتَنْهَىٰ عَنْ أَضْدَادِهَا.

[١٣٨] فَإِنِ آمَنُوا أَيَّ آمَنَ غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْيَانِ وَالْفَرْقُ بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ أَيَّ كَمَا تَوْمِنُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فَقَدِ اهْتَدَوْا إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِنْ تَوَلَّوْا عَنْ مِثْلِ هَذَا الْإِيمَانِ، وَلَزِمُوا طَرِيقَتَهُمُ الْمُنْحَرِفَةَ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ أَيَّ فِي خِلَافٍ فَهَمَّ فِي شِقِّ وَانْتَمَ فِي شِقِّ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَيَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بِأَعْمَالِكُمْ وَنَوَايَاكُمْ.

[١٣٩] اتَّبِعُوا صَبْغَةَ اللَّهِ وَاصْبِغُوا أَنْفُسَكُمْ بِهَا، وَهِيَ الْإِسْلَامُ، فَإِنَّ كُلَّ طَرِيقَةٍ يَتَّبِعُهَا الْإِنْسَانُ لَوْنًا لَهُ، لَكِنَّهُ لَوْنٌ غَيْرٌ مُحْسُوسٌ، تَشْبِيهًُا بِالْأَلْوَانِ الْمُحْسُوسَةِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ، أَيَّ لَا أَحَدٌ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَدِينًا وَنَحْنُ الْمُسْلِمُونَ لَهُ عَابِدُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨٥

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٣٩ الى ١٤٠]

قُلْ أَتَحَابُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَشْيَابَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠)

لا لغيره من الشركاء الذين أنتم تعبدونها مع الله، أو من دون الله، و ربما يقال إن وجه التسمية ب «الصبغة» أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم بماء أصفر يعمدونهم فيه، و الآية من المشابهة كقوله سبحانه تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ «١».

[١٤٠] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُؤَلَاءِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى وَ غَيْرُهُمْ أ تُحَاجُّونَنَا أَى تَبَاحِثُونَ مَعْنَى دِينِ اللَّهِ وَ إِنَّهُ لَمْ أَنْسَخْ أَدْيَانَكُمْ، وَ لَمْ أَخْتَرِ مِنَ الْعَرَبِ رَسُولًا، وَ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا وَ كَذَا؟ وَ هُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ أَى أَنْ اللَّهُ لَيْسَ رَبًّا لَكُمْ فَقَطْ حَتَّى يَكُونَ مَعَكُمْ وَ حُدُكُم إِلَى الْأَبَدِ وَ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ فَلَيْسَ عَمَلُنَا غَيْرَ مَنْظُورٍ إِلَيْهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَ عَمَلُكُمْ مَنْظُورٌ إِلَيْهِ، كَمَا كَانُوا يَزْعُمُونَ قَاتِلِينَ نَحْنُ شَعْبُ اللَّهِ الْمُخْتَارِ، وَ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَوْلَادُهُ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ إِذْ لَا نَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا بِخِلَافِكُمْ حَيْثُ جَعَلْتُمْ لَهُ شَرِيكَ.

[١٤١] أَمْ تَبَاحِثُونَ مَعْنَى فِي أَمْرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَشْيَابَ أَحْفَادَ يَعْقُوبَ الَّذِينَ كَانُوا أَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانُوا هُودًا أَى يَهُودًا أَوْ نَصَارَى وَ هَذَا اشْتِبَاهٌ مِنْهُمْ إِذِ الْيَهُودِيَّةُ وَ النَّصْرَانِيَّةُ، تَوْلَدَتَا بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِبْرَاهِيمَ

(١) المائة: ١١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨٦

[سورة البقرة (٢): آية ١٤١]

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١)

أحدهما، كما قال سبحانه و ما أنزلت التوراة و الإنجيل إلَّا مِنْ بَعْدِهِ «١» قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَهُؤَلَاءِ الْمَدْعِينَ بِيَهُودِيَّةٍ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ، أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِمْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَقُولُ لَمْ يَكُونُوا يَهُودًا وَ لَا نَصَارَى، وَ أَنْتُمْ تَقُولُونَ كَانُوا وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ أَى لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَكْتُمُ الشَّهَادَةَ الَّتِي عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، فَإِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَى حَوْلَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ وَ حَوْلَ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ وَ مَا اللَّهُ أَى لَيْسَ اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ الَّتِي مِنْهَا كَتَمْتُمْ الشَّهَادَةَ، ثُمَّ يَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

[١٤٢] تِلْكَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَ يَتَدِينُونَ لَا يَرْتَبِطُونَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمَعَاصِرُونَ لِلرَّسُولِ، فَإِنَّهَا أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ وَ مَضَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ وَ الْأَفْعَالِ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ وَ لَا تُسْأَلُونَ أَنْتُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمْ هَذِهِ الْمَبَاحِثَةُ وَ الْمَحَاجَّةُ وَ الْمَجَادَلَةُ.

(١) آل عمران: ٦٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨٧

تقريب القرآن إلى الأذهان الجزء الثاني سورة البقرة من آية (١٤٣) إلى (٢٥٣)

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَ عِزَّتْهُ الطَّاهِرِينَ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٤٢ إلى ١٤٣]

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)

[١٤٣] سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ جمع سفیه، وهو الغر والجاهل، و ناقص العقل من الناس ما ولَّاهم أى أى شىء صرف المسلمون عن قِبَلَتِهِمُ السابقة الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا يتوجهون فى صلاتهم، وهى بيت المقدس، فإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون كانوا يصلون إلى بيت المقدس، وهو قبله اليهود، ثم فى المدينة حولت القبلة إلى الكعبة، وكان السبب الظاهر لذلك أن اليهود عابوا النبى بأنه يصلى إلى قبلتهم، فحوله الله عنها إلى الكعبة، فأخذ اليهود يهرجون حول تحويل القبلة قُلْ يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فمتى شاء وجه عبيده إلى حيث يشاء، وليست القبلة احتكارا حتى لا يمكن تحويلها يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وكما كان الصراط المستقيم قبلا بيت المقدس حال التوجه، كذلك صار الصراط المستقيم، فعلا الكعبة.

[١٤٤] وَكَذَلِكَ أى كما أن لله المشرق والمغرب، وأنه لا مناقشة فى ذلك جَعَلْنَاكُمْ أيها المسلمون، وفى التأويل، إن المراد بالخطاب الأئمة عليهم السلام أُمَّةً وَسَطًا متوسطا، والإطلاق وإن كان يفيد الوسطية فى كل شىء فى العقيدة، فلا جمود ولا إلباء، وفى المكان فهم متوسطون بين شرق الأرض وغربها، وفى التشريع، فليس ناقصا ولا مغاليا، وهكذا إلا أن ظاهر قوله سبحانه بعد ذلك لَتَكُونُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩٠

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا يفيد أن المراد بالتوسط الوسيطة بين الرسول وبين سائر الناس، فالأمة تأخذ من الرسول- ويشهد الرسول عليهم بأنهم أخذوا منه، حتى لا يقولوا ما عرفنا- وسائر الناس يأخذون من الأمة- وتشهد الأمة عليهم بأنهم أخذوا منها، حتى لا يقول الناس لم نعرف- وهذا هو الظاهر من «لام» العلة فى قوله «لتكونوا.. ويكون» ولعل ارتباط هذه الآية بما سبقها من حكم القبلة، وما لحقها بيان أن المسلمين لهم مكان القيادة، لأنهم الآخذون عن الرسول المبلغون للناس فالذى ينبغى أن تكون لهم سمه خاصة فى شرائعهم، حتى لا يرمون بالذيلية، والإتباع لقبلة الآخرين، ثم رجع السياق إلى حكم القبلة فقال سبحانه وما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا وهى بيت المقدس الذى كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتوجه نحوه فى الصلاة، طيلة كونه فى مكة المكرمة، ومدة بعد الهجرة إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ معنى «لنعلم» أن يتحقق علمنا فى الخارج، بأن يظهر المتبع من المخالف، فإنه قد يقال لنعلم، ويراد به حصول العلم للمتكلم، وقد يقال لنعلم، والمراد به وقوع المعلوم فى الخارج، وفى بعض التفاسير أن قوما ارتدوا على أديارهم لما حولت القبلة «١»، فظهر

(١) مجمع البيان: ص ٤١٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩١

[سورة البقرة (٢): آية ١٤٤]

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)

إنهم لم يكونوا يتبعون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة وإنما حسب الأهواء، والعقب مؤخر القدم، والمعنى التشبيه لمن

يرتد كافرا، بمن يرجع القهقري وَإِنْ كَانَتْ مَفَارِقَةُ الْقِبْلَةِ الْأُولَى إِلَى قِبَلِهِ أُخْرَى لَكَبِيرَةً إِذْ هُوَ خَرَقَ لِعْتِيَادٍ قَدِيمٍ مَتْرَكِزٍ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ إِيَاهُمْ بِأَنْ قَوَى قُلُوبَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ الرَّاسِخُونَ الَّذِينَ اتَّبَعْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا تَقْدِيرٌ لَهُمْ فِي ثَبَاتِهِمْ، وَوَعْدٌ لَهُمْ فِي الْجَزَاءِ عَلَى إِيْمَانِهِمُ الْكَامِلِ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ وَقَعَ مِنْ بَعْضِهِمْ، وَهُوَ إِنَّهُ كَيْفَ تَكُونُ حَالُ صَلَوَاتِهِمُ السَّابِقَةَ الَّتِي صَلَّوْهَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَإِنْ كَانَ الظَّاهِرُ مِنْ كَلِمَةِ «إِيْمَانٍ» الْمَعْنَى الْأَوَّلِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ فَلَا يُضَيِّعُ أَعْمَالَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ.

[١٤٥] وبعدها ما بين الحكم، وأن القبلة تحولت، بين الله سبحانه قصة التحويل، فإنها كالعلة للحكم المتقدم، والعلة دائما تأتي متأخرة في الكلام، وإن كانت سابقة في التحقيق، كما يقال إنه إنسان طيب لأن تربيته حسنة قد نرى «قد» هنا للتحقيق نحو قد يعلم الله «١» وإن كان الغالب في «قد» الداخلة على المضارع، أن تكون بمعنى التقليل، ولعل سر دخولها، إشراب الفعل معنى التقليل، حيث لا يريد المتكلم

(١) النور: ٤٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩٢

إظهار العلم بالبت، مثله وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى «١» تَقَلَّبَ وَجْهَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ أَى فِي نَاحِيَةِ السَّمَاءِ، فَإِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْلِبُ وَجْهَهُ فِي أَطْرَافِ السَّمَاءِ، فَيَنْتَظِرُ الْوَحْيَ حَوْلَ الْقِبْلَةِ، وَإِنَّ الْيَهُودَ عَيَّرُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَائِلِينَ لَهُ أَنْكَ تَابِعَ لِقِبْلَتِنَا فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقْلِبُ وَجْهَهُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ صَلَّى الْغَدَاةَ، فَلَمَّا صَلَّى مِنَ الظُّهْرِ رَكَعَتَيْنِ، جَاءَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْكِعْبَةِ، وَحَوْلَ مِنْ خَلْفِهِ وَجُوهَهُمْ، حَتَّى قَامَ الرَّجَالُ مَقَامَ النِّسَاءِ، وَالنِّسَاءُ مَقَامَ الرَّجَالِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَتَهُ تَرْضَاهَا إِذْ الرَّسُولُ كَانَ يَحِبُّ الْكِعْبَةَ الَّتِي هِيَ بِنَاءُ جَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِنْدَهَا مَوْطِنُهُ فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الشَّطْرَ الْجَزَاءِ، أَى حَوْلَ وَجْهَكَ نَحْوَ جِزَاءِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَ الْمَسْجِدَ لِكُونِهِ مُحِيطًا بِالْكَعْبَةِ يَكُونُ الْمَتَوَجِّهَ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ مِنْ بَعِيدٍ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَذَكَرَ «الوجه» فِي الْمَقَامَيْنِ، لِأَنَّهُ الشَّيْءَ الَّذِي يَتَوَجَّهُ بِهِ فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ يَسْتَشْكِلُونَ عَلَيْكُمْ قَائِلِينَ إِنَّ كَانَتِ الْقِبْلَةُ

(١) سبأ: ٢٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩٣

[سورة البقرة (٢): آية ١٤٥]

وَلَيْنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)

السابقة حقا، فهذه باطله، وإن كانت هذه حقا، فتوجهكم في السابق إلى بيت المقدس باطل ليعلمون أنه الحق من ربهم أي تحويل القبلة أو هذه القبلة حق من قبل الله، فإن الله سبحانه يعبد عبادته كيف يشاء، فمن الجائر أن يعبد الأمة بتشريع إلى مده، ثم يعبدهم بتشريع آخر وما الله بغافل عما يعملون أي يعمل أهل الكتاب من الإرجاف و بث الأباطيل حول تحويل القبلة و سائر الأمور المرتبطة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

[١٤٦] وَلَيْنِ أَتَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِكُلِّ آيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ قِبْلَتَكَ حَقٌّ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ لِأَنَّهُمْ مَعَانِدُونَ، وَالْمَعَانِدُ لَا يَنْفَعُ مَعَهُ الدَّلِيلُ وَمَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِتَابِعٍ



قَبَلْتَهُمْ بَعْدَ مَا تَعَلَّمَ أَنْ قَبَلْتَهُمْ مَنْسُوخَةً، كَقَوْلِهِ تَعَالَى لَا أُعْبِدُ مَا تَعْبُدُونَ\* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبَدُ «١» وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبَلَهُ بَعْضِ الْيَهُودِ لَا يَتَّبِعُونَ قِبَلَةَ النَّصَارَى، وَالنَّصَارَى لَا يَتَّبِعُونَ قِبَلَةَ الْيَهُودِ وَلَكِنَّ اتَّبَعْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَهْوَاءَهُمْ فِي بَابِ الْقِبَلَةِ وَسَائِرِ التَّشْرِيعَاتِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ بَأَنَّ

(١) الكافرون: ٣-٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩٤

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٤٦ إلى ١٤٧]

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْتُمِينَ (١٤٧)

طريقتهم باطله إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ وَهَذِهِ الْجَمْلَةُ، وَإِنْ كَانَتْ مُوجَّهَةً إِلَى الرَّسُولِ، لَكِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا الْعَمُومَ، وَلَا تَنَافَى الْعِصْمَةَ، فَإِنَّ الْأَشْرَاطَ يَلَائِمُ الْمَحَالَّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ «١» وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الْمَنْطِقِ أَنَّ صَدَقَ الشَّرْطِيَّةُ إِنَّمَا هُوَ بِوُجُودِ الْعَلِيَّةِ وَنَحْوِهَا، لَا بِصَدَقِ الطَّرْفَيْنِ.

[١٤٧] الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يَعْرِفُونَهُ أَيُّ الرَّسُولِ، أَوْ هَذَا الْحُكْمِ، أَعْنَى كَوْنِ تَغْيِيرِ الْقِبَلَةِ بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ أَقْرَبَ إِلَى سِيَاقِ التَّشْبِيهِ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ فَلَيْسَ عِذْرٌ هَؤُلَاءِ جَهْلُهُمْ، حَتَّى يَرْجَى زَوْالَهُ، وَإِنَّمَا الْعِنَادُ الَّذِي لَا عِلَاجَ لَهُ.

[١٤٨] الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَيُّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْتُمِينَ أَيُّ الشَّاكِينَ فِيهِ، فَإِنَّ الْمَحَقَّ إِذَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ التَّهْجَمَاتُ وَرُمِيَ بِأَنَّهُ عَلَى غَيْرِ حَقٍّ، يَكَادُ يَشْكُ فِيهِ، وَلِذَا بَيَّنَّ اللَّهُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى وَلَوْ لَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كَدَّتْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا «٢».

(١) الزخرف: ٨٢.

(٢) الإسراء: ٧٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩٥

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٤٨ إلى ١٤٩]

وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩)

[١٤٩] وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ أَيُّ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَّةِ طَرِيقُهُ هُوَ أَيُّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُوَلِّيُّهَا أَيُّ أَمْرَهُمْ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا، فَلَا غَرَابَةَ أَنْ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ وَجْهَةٌ خَاصَّةٌ فِي قِبَلَتِهِمْ فَاسْتَبِقُوا أَيُّ سَارِعُوا إِلَى الْخَيْرَاتِ تَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنَّ اللَّهَ مُوَلِّيَكُمْ هَذِهِ الطَّرِيقَ، وَلَا تَبَقُوا جَامِدِينَ عَلَى طَرِيقِهِ مَنْسُوخَةً، فَإِنَّ ذَلِكَ انْصِرَافٌ عَنِ الْخَيْرِ إِلَى الشَّرِّ، وَمِنْ الْمَحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ «هُوَ» رَاجِعًا إِلَى «كُلِّ» أَيُّ لِكُلِّ فَرْدٍ أَوْ أُمَّةٍ، طَرِيقُهُ فِي الْعَمَلِ وَالتَّفَكِيرِ فَذَلِكَ الشَّخْصَ مُوَلَّى وَمُوجَّهَ نَفْسِهِ إِيَّاهَا، فَلَيْكُنْ هُمْ كُلُّ فَرِيقٍ وَفَرْدٍ أَنْ يَسَابِقَ غَيْرُهُ فِي الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَجَازِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَيَتِمُّكَ مِنْ جَمْعِكُمْ، وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ [١٥٠] كَانَ لِتَحْوِيلِ الْقِبَلَةِ نَحْوَ الْكَعْبَةِ أَسْبَابٌ وَعِلَلٌ، الْعِلَّةُ الْأُولَى: رَغْبَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي أَنْ تَحْوَلَ الْقِبَلَةُ لِمَا عَيْرَتَهُ الْيَهُودُ، الْعِلَّةُ الثَّانِيَّةُ: أَنْ التَّحْوِيلَ كَانَ لِلْحَقِّ، وَأَنْ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ مِيزَةً خَاصَّةً يَمْتَازُونَ بِهَا عَنِ سَائِرِ الْأُمَّةِ، حَتَّى فِي اتِّجَاهِ الصَّلَاةِ، الْعِلَّةُ الثَّلَاثَةُ: أَنْ التَّحْوِيلَ كَانَ لِقَطْعِ حُجَّةِ النَّاسِ، الَّذِينَ كَانُوا يَتَعَبَّدُونَ مِنْ كَوْنِ الْمُسْلِمِينَ، يَدْعُونَ دِينًا جَدِيدًا، وَمَعَ ذَلِكَ

يتوجهون إلى قبله بنى إسرائيل، و تبعاً لهذه العلة، تكرر الأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام، و قال سبحانه و من حيث خرجت للسفر من البلاد قولٌ وجهك شطر المسجد الحرام  
تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩٦  
[سورة البقرة (٢): آية ١٥٠]

و من حيث خرجت قولٌ وجهك شطر المسجد الحرام و حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم و أخشوني و لآتم نعمتي عليكم و لعلكم تهتدون (١٥٠)  
فإنه قبله في السفر كما هو قبله في الحضر، و في هذا فائدة ثانية للتكرار و إنّه أى توجيه الوجه نحو المسجد الحرام للحق الذى جاء من ربك و ما لله بغافل عما تعملون فمن أعرض عن هذه القبلة كان جزاءه سيئاً، و من اتبعها كان جزاءه حسناً.  
[١٥١] و من حيث خرجت للسفر من البلاد قولٌ وجهك شطر المسجد الحرام هذا للسفر و حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره و هذه الآية، جمع بين الآيتين السابقتين «و من حيث خرجت، الآية: ١٥٠» «و حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره الآية: ١٤٥» و قد عرفت إنه كرر لفائدة العلة المذكورة في الآية لئلا يكون للناس عليكم حجة أى إن تحويل القبلة، إنما هو لقطع احتجاج الناس عليكم حيث يقولون: كيف إن المسلمين يدعون إلى دين جديد و قبلتهم هى قبله أهل الكتاب إلا الذين ظلموا منهم فإن هؤلاء لا ينفعهم المنطق، فالمعاند لا تفيده الحجة فلا تخشوهم و أخشوني فالخشية، إنما تكون ممن بيده النفع و الضر، و هؤلاء ليس بيدهم شئ منهنما، و إنما كل ذلك بيد الله سبحانه، و لا يخفى أن الاستثناء منقطع كقولك: إنما فعلت الفعل الفلانية ليعرف الناس بالأمر، إلا من يريد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩٧

[سورة البقرة (٢): آية ١٥١]

كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا و يزكيكم و يعلمكم الكتاب و الحكمة و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون (١٥١)  
العناد و بعد ذلك فتحويل القبلة إنما كان لإتم نعمتي عليكم بتميزكم عن أهل الكتاب و قطع تعبير اليهود، و إرجاعكم إلى بناء جدكم إبراهيم الذى هو إحياء لذكراكم و لعلكم تهتدون إلى الحق اهتداء كاملاً، فإن فى تشریف الإنسان بشرف سبباً لتقريبه إلى الهداية الكاملة.

[١٥٢] و قد أتممتنا النعمة عليكم بتحويل القبلة كما أنعمنا عليكم قبل ذلك بنعمة عظمى ف أرسلنا فيكم أيها المسلمون رسولاً منكم لا من غيركم، فاخترتكم لأن تكون رسالتى بيد واحد منكم يتلوا عليكم آياتنا و قرآنا تلاوة و يزكيكم يطهركم من أدناس الجاهلية و القذارات الخلقية، و النجاسات البدنية- بإرشاده إياكم إليها- و يعلمكم الكتاب و من المعلوم أن التلاوة غير التعليم، فرب تال غير معلم، بالإضافة إلى أن التعليم فيه معنى التركيز و التثبيت و الحكمة يرشدكم بمواضع الأشياء و مواقع الخطأ و الصواب، فالحكمة- كما عرفت- وضع كل شئ موضعاً و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بصورة عامة، فيشمل القصص و التواريخ المفيدة و أحوال الأنبياء، و أحوال المعاد مما ينفعهم فى دينهم و دنياهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٥٢ الى ١٥٤]

فاذكرونى أذكركم و أشكروا لى و لا تكفروا (١٥٢) يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر و الصلاة إن الله مع الصابرين (١٥٣) و لا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء و لكن لا تشعرون (١٥٤)  
[١٥٣] فاذكرونى أيها المسلمون بالطاعة و العبادة، و تنفيذ الأوامر أذكركم بالنعمة و الإحسان و الجنان و أشكروا لى بإظهار النعمة و الحمد عليها و لا تكفروا كفراً فى الاعتقاد، أو كفراً فى العمل بأن لا تعملوا بأوامرى.

[١٥٤] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا فِي أُمُورِكُمُ الَّتِي تَرِيدُونَهَا سِوَاهُ كَانَتْ تَحْتَ اخْتِيَارِكُمْ، أَمْ لَمْ تَكُنْ كَالصَّحَّةِ وَالْغَنِيِّ بِالصَّبْرِ وَ تَحْمَلِ النَّفْسِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأُمُورِ تَنْجِزُ بَعْدَ حِينٍ، فَإِذَا صَبَرَ الْإِنْسَانُ تَنْجِزَتْ أُمُورُهُ وَ نَعْمَ بَرَاةُ الْبَالِ، وَ اطْمِئْنَانُ النَّفْسِ، وَ إِذَا لَمْ يَصْبِرْ جَرَى الْقَدْرُ، وَ هُوَ مُضْطَرِبُ الْبَالِ كَثِيبٌ وَ الصَّلَاةُ فَإِنَّ الصَّلَاةَ تَوْجِبُ تَوَجُّهَ الْإِنْسَانِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَ الْإِنْصِرَافَ عَنِ الدُّنْيَا مِمَّا يَشِعُ فِي النَّفْسِ الْهَدُوءَ وَ السَّكِينَةَ، وَ عَدَمَ الْإِهْتِمَامِ بِمَكَارِهِ الدُّنْيَا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ بِاللِّطْفِ وَ الْعِنَايَةِ وَ الرَّحْمَةِ وَ الْأَجْرِ وَ الثَّوَابِ، وَ هَكَذَا يَهْدِي الْإِنْسَانَ وَ الْأُمَّةَ وَ يُرْشِدُهُمْ إِلَى مَهْمَتِهِمُ الْعَظِيمَةِ، وَ يَمَرِّنُهُمْ عَلَى الصَّبْرِ وَ التَّحْمَلِ، وَ لَذَا يَخْطُوا الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ خَطْوَةً أُخْرَى مَعَهُمْ بَعْدَ الصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ، قَائِلًا: إِنَّكُمْ لَا بَدَّ وَ أَنْ تَتَحْمَلُوا مَشَاقِقَ الْقِيَادَةِ مِنَ الْقَتْلِ وَ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْمَصَائِبِ الَّتِي تَتَعَرَّضُ لِمَنْ أَرَادَ الْإِصْلَاحَ وَ الْإِرْشَادَ، وَ لَذَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ:

[١٥٥] وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ فَاَلَمْ يَمُوتْ مِنْ لَا تَأْثِيرَ لَهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٥٥ الى ١٥٦]

وَ كَلْبَلُواكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (١٥٦)

فِي الْحَيَاةِ وَ لَا اِمْتِدَادَ، وَ هُوَ لَا لِيَسُوا كَذَلِكَ بَلْ أَحْيَاءٌ حَيَاةً وَّاقِعِيَّةً فِي الدُّنْيَا بِتَأْثِيرَاتِهِمْ وَ اِمْتِدَادَاتِهِمْ، وَ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُمْ فِي نَعِيمٍ مُّقِيمٍ، وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْتُمْ بِحَيَاتِهِمْ، إِذِ الْحَيَاةُ فِي نَظَرِكُمُ الْحَسِّ وَ الْحَرَكَةِ، مَعَ إِهْنِهَا مَعْنَى سَطْحَى لِلْحَيَاةِ.

[١٥٦] وَ كَلْبَلُواكُمْ أَي نَمْتَحِنُكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ كَوْنِهِ شَيْئًا، إِمَّا بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ لَا يَمْتَدُّ، وَ إِنَّمَا الْخَوْفُ فِي زَمَانٍ يَسِيرٍ، وَ إِمَّا بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ الْخَوْفَ - غَالِبًا - أَشَدَّهُ وَ الْجُوعَ وَ لَمْ يَذْكُرِ الْعَطْشَ لِأَنَّ الْمَاءَ غَالِبًا مُتَوَفَّرٌ وَ نَقْصٌ مِنَ الْأَمْوَالِ الْمَبْدُولَةُ فِي الْحَرْبِ، أَوْ مَا يَنْهَبُ مِنْهَا فِي التَّصَادِمِ، أَوْ الضَّيْقِ الْاِقْتِصَادِي، أَوْ مَا أَشْبَهَ وَ نَقْصٌ مِنَ الْأَنْفُسِ مِمَّنْ يَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ نَقْصٌ مِنَ الثَّمَرَاتِ بِسَبَبِ النَّهْبِ، أَوْ الْحِصَادِ قَبْلَ أَوَانِهِ مِنْ أَجْلِ الْأَعْدَاءِ، كَمَا وَقَعَ فِي قِصَّةِ الْخَنْدَقِ حَيْثُ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحْصِدُوهَا، لِثَلَاثٍ - يَنْتَفِعُ بِهَا الْمَشْرُكُونَ - كَمَا فِي بَعْضِ التَّوَارِيخِ - أَوْ بِأَسْبَابٍ أُخْرَى وَ بَشِّرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ الصَّابِرِينَ فِي هَذِهِ الْمَكَارِهِ.

[١٥٧] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ أَي إِنَّا مَمْلُوكُونَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ فَهُوَ مُرْجِعُنَا وَ مَعَهُ حِسَابُنَا وَ جَزَاؤُنَا، وَ فِي هَذِهِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٠٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ص ٢٤٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٥٧ الى ١٥٨]

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) إِنَّ الصَّافَا وَ الْمَرْوَةَ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨)

الْجَمْلَةُ تَسْلِيَةٌ لِلْمَصَابِ، إِذِ اعْتِرَافِ الْإِنْسَانِ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ إِذَا هُوَ لِلَّهِ، يَهْوَنُ ذَهَابُ بَعْضِهَا، فَإِنَّ صَاحِبَ الْمَالِ أَخَذَهُ، كَمَا أَنَّ اعْتِقَادَ الشَّخْصِ، بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَجْزِي يَهْوَنُ الْأَمْرَ، فَإِنَّ مَا فَقَدَهُ سَوْفَ يَعْوُضُ وَ لَذَا مِنْ كَرَرِ هَذِهِ الْجَمْلَةِ فِي الْمَصِيبَةِ عَارِفًا مَعْنَاهَا مُتَوَجِّهًا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فِي التَّسْلِيمِ وَ الرِّضَا، يَجِدُ بَرْدَ الْاطْمِئْنَانِ فِي قَلْبِهِ.

[١٥٨] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَ الصَّلَوَاتُ هِيَ الْعَطْفُ، فَإِنَّ صَلَّى بِمَعْنَى عَطْفٍ، وَ هِيَ مِنَ اللَّهِ التَّوَجُّهُ بِالْبِرْكَةِ وَ الْإِحْسَانِ وَ رَحْمَةٍ تَرْحَمُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا إِلَى وَاقِعِ الْأَمْرِ مِمَّا يَنْفَعُ دُنْيَاهُمْ وَ عَقْبَاهُمْ، فَبَدَلُوا مَا بَدَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَاضِينَ مُرْضِينَ.

[١٥٩] وحيث أجمع سابقا إلى الجهاد، أتى الإلماح إلى الحج، فإنهما صنوان في التعداد و المشقة- في الجملة- فقال سبحانه إِنَّ الصَّفا وَ المَرَوَةَ وَ هما جبلان قرب المسجد الحرام مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ جمع شعيرة، و هي مشتقة من اللباس الملتصق بشعر البدن، فكل شيء مرتبط بشيء ارتباطا وثيقا يدل عليه يكون من شعائره، فالمراد أن هذين الجبلين من الأمور المرتبطة بالله سبحانه، حيث جعلهما محلا لعبادته بالسعى بينهما فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أى قصد البيت الحرام، و الحج القصد أو اعْتَمَرَ و العمرة هي الزيارة أخذ من العمارة، لأن تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٠١

[سورة البقرة (٢): آية ١٥٩]

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَ الهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)

الزائر يعمر المكان بزيارته، و الحج و العمرة عملان من أعمال الحج فلا جناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا أى يسعى بينهما، و إنما عبر ب «لا جناح» لأن المسلمين تخرجوا من الطواف بهما ظنا منهم أنه من عمل المشركين، حيث كان على الصفا صنم يسمى «أساف» و على المروة صنم يسمى «نائله» فهو ترخيص في مقام توهم الحصر، و من المعلوم أن الإباحة في مقام توهم الحصر، و النهي في مقام توهم الوجوب، لا يدلان على مفادهما الأولى، لأنه لإثبات أصل الطرف الآخر، لا خصوصيته الإباحية و التمويمية و مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا أى أتى بخير من الأعمال و الأفعال تطوعا، و التطوع التبرع بالشىء من الطوع بمعنى الانقياد فإنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ لِعَمَلِهِمْ و معنى شكره تقديره و جزائه للعامل عَلَيْهِمُ بأعمالهم، فلا يفوته شىء منها.

[١٦٠] لعل ارتباط هذه الآية بما ورد قبلها، أن اليهود و النصارى لم يفعلوا مثل ما فعل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حول الصفا و المروة، فالرسول أبطل كل شىء حول الحج، و أقام كل حق فيه، فالصفا و المروة، حيث كانا حقا أثبتهما الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، و إن ظن الناس أنهما من الباطل، لكن أهل الكتاب حشروا كل ما أتى به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ- مما عرفوه حقا- في زمرة الباطل، و لذا صار الكلام السابق، فاتحة للتعريض بهم، فهو مثل أن يقول أحد أنا اعترفت بالحق، لكنه لم يعترف بما علم من الحق، و الله أعلم بموارده إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ فيخفون الأدلة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٠٢

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٦٠ الى ١٦١]

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١)

الدالة على حقيته الإسلام، مما نزلت في الكتب السالفة و الهدى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أى يكتمون الهدى الذى يرونه، و إن لم يكن منزلا و بينا أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ يبعدهم عن الخير فى الدنيا و فى الآخرة، بتضييق الأمور عليهم هنا و العذاب هناك وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ الذين يأتى منهم اللعن من الناس و الملائكة و الجن.

[١٦١] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا منهم و اتبعوا الحق و أظهروه وَ أَصْلَحُوا ما فسد من عقائدهم و أعمالهم وَ بَيَّنُّوا للناس ما أنزله الله من الهدى و البينات فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ فالتوبة معناها الرجوع، و رجوع الله بمعنى إعادة الإحسان و الرحمة عليهم بعد انقطاعها عنهم بسبب كفرهم و كتمانهم وَ أَنَا التَّوَّابُ أى كثير الرجوع، فإن العاصى إذا عصى ألف مرة و رجع ألف مرة قبلت توبته، إذا تاب توبه نصوحا الرَّحِيمُ بالعباد.

[١٦٢] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ بِالْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ فَإِنَّ الْكُلَّ يلعنون الظالم، و الكافر ظالم، فإنه و إن لم يقصده اللاعن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٠٣

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٦٢ الى ١٦٤]

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢) وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)

بالذات، لكنه داخل في عموم اللعن.

[١٦٣] خَالِدِينَ فِيهَا أى فى تلك اللعنة، إذ لعنة الدنيا تتصل بلعنة الآخرة لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ إذ لا أمد لعذاب الله بالنسبة إلى الكافرين وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ فلا ينظر أحد إليهم نظرة رحمة وإحسان، أو لا يمهلون للاعتذار، أو لا يؤخر عنهم العذاب.

[١٦٤] و لما تقدم حال الكافر صار السياق لبيان التوحيد، والأدلة على الوحدانية وَإِلَهُكُمْ أَيهَا النَّاسِ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا شريك له لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الموصوف ب الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ لا كما يصور الإله بعض الكتب السماوية من أنه إله انتقام و غضب و عذاب.

[١٦٥] إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ بِهَذَا النِّظَامِ الْبَدِيعِ وَالتَّرتِيبِ الرَّائِعِ وَالْأَرْضِ بِهَذَا الْأَسْلُوبِ الْمُنْتَظَمِ الْمَتَكَامِلِ وَفِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَأْتِي أَحدهما عقب الآخر خليفة، لتنظيم الحياة على الأرض بأجمل صورة وَفِي الْفُلُوكِ السَّفِينَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ فِي أَسْفَارِهِمْ وَتِجَارَتِهِمْ وَفِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ جِهَةً الْعُلُومِ مِنْ مَاءٍ بَيَانٍ «ما» فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٠٤

[سورة البقرة (٢): آية ١٦٥]

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)

بالإنبات بَعْدَ مَوْتِهَا أى جمودها و ركودها وَبَثَّ أى نشر و فرق فِيهَا أى فى الأرض مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ تدب و تتحرك على وجه الأرض، و كلمة «بث» عطف على «أحيا» أى كان المطر سبباً لإحياء الأرض، و انتشار الحيوانات فيها، إذ لو لا المطر لم يكن للحيوان ماء، و لا طعام فيهلك، و لم يبق له نسل وَفِي تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ أى صرفها و نقلها من مكان إلى مكان لتروح و تذهب بالأمراض و العفونات، و تنقل السحاب من هنا إلى هناك، و لو كانت الرياح راكدة لم تنفع أى شىء وَفِي السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فإنه بما يكونه من أطنان من الماء، يبقى معلقاً بين الجهتين، و يسير إلى كل ناحية لآياتٍ و علامات دالة على الله، و وحدته و سائر صفاته لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و يعملون عقولهم فى استفادة النتائج من المقدمات و المسبب عن الأسباب، و ينتقلون من العلم بالمعلول إلى العلم بالعللة.

[١٦٦] وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَي غير الله أَنْدَاداً جمع ند، بمعنى الأشباه، و المراد بذلك آلهة يجعلها شبيهة لله فى أنه يعبدها، و هى الأوثان يُحِبُّونَهُمْ أى يحب هؤلاء الناس

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٠٥

[سورة البقرة (٢): آية ١٦٦]

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦)

تلك الآلهة، و إنما أتى بجمع العاقل لكونها ردت مع الله سبحانه، و القاعدة تغليب الرديف على رديفه كقوله تعالى مَنْ يَمْسِشْ عَلَى بَطْنِهِ «١» و قوله وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ «٢» كَحُبِّ اللَّهِ أى كحبهم لله، أو حبا شبيها بما يستحق الله، و على الأول، فالمراد بهم المشركون الذين يعتقدون بالله و الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ من حب هؤلاء لأوثانهم، فالمؤمنين حيث يعرفون أن كل خير من الله يحبونه حبا بالغاً و لو يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً أى لو يرون هؤلاء المشركين يوم القيامة كون القوة جميعاً لرأوا مضرة فعلهم، و سوء عاقبة شركهم، و حذف جواب لو، تهويلاً للأمر، كما تقول لعدوك: لو ظفرت بك و أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ عطف على «أن القوة».

[١٦٧] إِنْ الرُّؤْيُ مِنَ الظَّالِمِ لِلْعَذَابِ، إِنَّمَا يَكُونُ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الْقَادَةِ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ هُمُ التَّابِعُونَ لَهُمْ وَرَأَوْا جَمِيعاً

(١) النور: ٤٦.

(٢) آل عمران: ٤٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٠٦

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٦٧ إلى ١٦٨]

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبَرًا مِّنْهُم كَمَا تَبَرَّؤْنَا مِنَّا كَذَلِكِ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨)

العذاب وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمْ أَي فِيمَا بَيْنَهُمُ الْأَشْيَابُ فَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا يَسَببُ وَصَلَهُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِنَ الْمَالِ وَ الرِّئَاسَةِ وَ الْقِرَابَةِ وَ الْحَلْفِ وَ أَشْبَاهِهَا، تَنْقَطِعُ هُنَاكَ، فَلَا دَاعِيَ لِنَصْرَةِ الرُّؤَسَاءِ أَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

[١٦٨] وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا إِي التَّابِعِينَ لِرُؤَسَائِهِمْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً أَي يَا لَيْتَ لَنَا عَوْدَةً إِلَى دَارِ الدُّنْيَا فَنَتَّبَرًا مِّنْهُم أَي مِنْ هَؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءِ كَمَا تَبَرَّؤْنَا مِنَّا هُنَا فِي الْقِيَامَةِ حَالِ حَاجَتِنَا إِلَى الْعَوْنِ كَذَلِكِ أَي هَكَذَا يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ أَي أَعْمَالِ كُلِّ مِنَ التَّابِعِينَ وَ الْمَتَّبِعِينَ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ فَإِنْ صَلَاتِهِمْ وَ أَعْمَالِهِمْ، كُلُّهَا ذَهَبَتْ أَدْرَاجَ الرِّيَاحِ، فَيَتَحَسَّرُونَ لِمَاذَا لَمْ يَعْمَلُوا بِأَوَامِرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ فَإِنْ الْمُشْرِكِ يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَى الْأَبَدِ، إِنْ تَمَّتْ عَلَيْهِ الْحِجَّةُ وَ عَانَدَ.

[١٦٩] وَ إِذْ تَمَّ الْكَلَامُ حَوْلَ الْعَقِيدَةِ، تَوَجَّهَ إِلَى الْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ مَقْصِدُ الْإِنْسَانِ، وَ إِلَيْهَا يَرْجِعُ كَثِيرٌ مِنْ حَرَكَتِهِ وَ سَكُونِهِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ نَبَاتِهَا وَ حَيَوَانِهَا وَ مَائِهَا وَ مَعْدِنِهَا حَلَالًا طَيِّبًا أَي فِي حَالِ كَوْنِ الْمَأْكُولِ حَلَالًا طَيِّبًا، إِلَّا مَا حَرَّمَ مِنْهُ، وَ فِي قَوْلِهِ «طَيِّبًا»

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٠٧

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٦٩ إلى ١٧٠]

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)

إِشَارَةٌ إِلَى أَنْ كُلَّ حَلَالٍ طَيِّبٍ، وَ لَيْسَ فِيهِ خَبْثٌ يَوْجِبُ انْحِرَافَ الصَّحَّةِ، أَوْ انْحِرَافَ الْخَلْقِ وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ فَكَأَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْطُو نَحْوَ الْآثَامِ، وَ مِنْ أَثَمِ كَأَنَّهُ تَتَّبِعُ خُطْوَاتِهِ إِذْ مَشَى خَلْفَهُ إِنَّهُ أَي الشَّيْطَانُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ أَي عَدَاؤُهُ ظَاهِرٌ.

[١٧٠] إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ أَي الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ وَ الْفَحْشَاءِ وَ هِيَ الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ لِلْغَايَةِ، فَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْفَحْشِ، بِمَعْنَى التَّعَدَى وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ أَي تَنْسُبُوا إِلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ مِنَ الْعُقَائِدِ وَ الْأَحْكَامِ، وَ عَدَمِ الْعِلْمِ هُنَا أَعْمٌ مِنَ الْعِلْمِ بِالْعَدَمِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ أَمْ تَتَّبِعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ «١».

[١٧١] وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَ سَائِرِ الْوَحْيِ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَي وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا مِنَ التَّقَالِيدِ، فَانْكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمُ بِالْإِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِي، بِقَوْلِهِ أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَ الدُّنْيَا وَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ فَإِذَا

(١) الرعد: ٣٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٠٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٧١ إلى ١٧٣]

وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ

طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣)

ظهر لكم أن آباءكم لا يعلمون، فكيف تتبعونهم.

[١٧٢] ثم بين الله سبحانه، أن هؤلاء الكفار لعنادهم و تعصبهم، قد غلقت منافذ السمع والبصر عنهم، فلا يفيد فيهم وعظ ولا تذكير و مثل الذين كفروا بعد ما يروا الآيات، و يسمعون نداءك يا رسول الله كمثل الذي يتعق أي يرفع صوته بما أي بالحيوان الذي لا يسمع و لا يفهم الكلام، و إنما يسمع إلاً دعاءً و نداءً فالحيوان، إذا صحت به، لا يفهم من كلامك إلا مجرد الدعوة و النداء، فهؤلاء الكفار كذلك، إذ لا- ينتفعون بكلامك أبداً، فهم صم جمع أصم بكم جمع أبكم عُمى جمع أعمى، فإنهم و لو كانت لهم آذان و ألسنة و عيون، لكنها كالمعطله، لأنها لا تؤدي وظيفتها فهم لا يعقلون [١٧٣] يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم تكرارا لما تقدم لإلحاق مسألتي الشكر و المحرمات به و اشكروا لله إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ و لا تشكروا سائر الآلهة، كالمشركين الذين يزعمون أنهم يمتطرون بالأنواء، و يرزقون بالآلهة المزعومة.

[١٧٤] إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ هِيَ الَّتِي لَمْ تَذْبَحْ عَلَى النُّحُوشِ الشَّرْعِيِّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٠٩

[سورة البقرة (٢): آية ١٧٤]

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤)

و الدّم و هو و إن كان مطلقاً، إلا إنه مقيد بالمسفوح لقوله سبحانه إلاً أن يكون مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَشْفُوحًا «١» و لَحْمَ الْخِنْزِيرِ و خص اللحم بالكلام، و إن كانت جملته محرمة، لأن اللحم هو المعظم المقصود في الغالب و ما أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ الإِهْلَالُ فِي الذَّبِيحَةِ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّسْمِيَةِ، و قد كان المشركون عند ذبحهم، يرفعون أصواتهم بتسمية الأوثان، فنهى الله سبحانه عن أكل ذبيحة ذكر غير اسم الله عليها فَمَنْ اضْطُرَّ بِصَيْغَةِ الْمَجْهُولِ، فإن «اضطر» متعد من باب الافتعال، و حيث لم يكن المقصود، سبب الاضطرار، ذكر مجهولاً غَيْرَ بَاغٍ أَيْ لَمْ يَكُنْ بَاغِيًا وَ طَالِبًا لِلذَّيْفِ فِي أَكْلِهِ وَ شَرْبِهِ وَ لَا عَادٍ أَيْ مُتَعَدِّ فِي الأَكْلِ وَ الشَّرْبِ، عن حد الضرورة، أو غير باغ على إمام المسلمين، و لا عاد بالمعصية طريق المحققين فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي تَنَاوُلِ هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ يَسْتُرُ الْعَصِيَانَ إِذَا اضْطُرَّ إِلَيْهِ، فغفر بمعنى ستر، و ستر العصيان، عدم المؤاخذه به رَحِيمٌ بِكُمْ، و لذا جاز تناول المحرم في حال الاضطرار.

[١٧٥] إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ هُمُ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا يَكْتُمُونَ الْعَقَائِدَ الْحَقَّةَ الْمَوْجُودَةَ فِي كِتَابِهِمْ، وَ يَنْسِبُونَ إِلَيْهِ

(١) الأنعام: ١٤٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢١٠

[سورة البقرة (٢): آية ١٧٥]

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى وَ الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥)

الكتاب أحكاماً لم توجد فيه، كما قال سبحانه قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «١» و لعل ارتباط هذه الآية بما قبلها من جهة الأمور التي كانوا يحرمونها، و لم يكن في كتبهم تحريم لها و يَشْتُرُونَ بِهِيَ أَيْ بِهَذَا الْكِتَابِ ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ رِثَاسَةِ الدُّنْيَا وَ أَمْوَالِهَا، فإنها قليل بالنسبة إلى الآخرة أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ أَيْ لَا يَجْرُونَ إِلَى بُطُونِهِمْ وَ لَعَلَّ ذِكْرَ فِي بُطُونِهِمْ لِاحْتِرَازِ عَنِ الأَكْلِ فِي بَطْنِ الْغَيْرِ، فإن العرب تقول شبع فلان في بطنه، إذا أكله بنفسه، و تقول شبع فلان في بطن غيره، إذا أكله من يتعلق به إلاً النَّارَ فَإِنْ مَا أَكَلَهُ

ينقلب نارا تحرق بطونهم فى جهنم ولا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فيهملهم ليدوقوا الهوان جزاء ما فعلوا ولا يُزَكِّيهِمْ أى لا يطهرهم عن الآثام، فإن البطن إذا ملئ حراما يقسو، فلا يهتدى حتى يتزكى الإنسان و يطهر و لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مؤلم. [١٧٦] أولئك الذين يكتمون ما أنزل الله هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى أى عوض الهداية، فكان نفس الإنسان ثمن لأحد أمرين الضلالة و الهداية، فهم أعطوا أنفسهم، و اشتروا الضلالة عوض أن

(١) آل عمران: ٩٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢١١

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٧٦ الى ١٧٧]

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦) لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّنَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْفُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)

يشتروا الهداية و اشتروا العذاب بالمغفرة فعوض أن يشتروا المغفرة لأنفسهم اشتروا العذاب فما أصبرهم على النار تعجب عن صبرهم على النار التي هي عاقبة عملهم، أى كيف أنهم يصبرون على النار حينما فعلوا ما عاقبه النار.

[١٧٧] ذَلِكَ الْعَذَابِ، إنما توجه إليهم بسبب أن الله نزل الكتاب أى التوراة بالحق و إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ بَكْتَمَانٍ بَعْضُهُمْ إظهار بعض لفي شقاق و خلاف عن الحق بعيد فهم إنما استحقوا العذاب، لأنهم خالفوا الحق، و كتموا ما لزم إظهاره، و من المحتمل أن يكون المراد بالكتاب «القرآن» أى أن عذابهم بسبب كتمانهم كون القرآن حقا و اختلافهم فيه، بأنه سحر و كهانة أو كلام بشر. [١٧٨] لَيْسَ الْبِرُّ كُلُّ الْبِرِّ أَيهَا الْيَهُودِ الْمُجَادِلُونَ حول تحويل القبلة الصارفون أوقاتكم فى هذه البحوث العقيمة أن تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ فَرَعَى مَرْتَبِطٌ بِتَكْلِيفِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، و قد كلفنا أن نصرف الوجوه إلى الكعبة و لَكِنَّ الْبِرَّ فَعَلٌ، أى و لكن ذا البر من آمن بالله و اليوم الآخر فذلك هو الأصل الذى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢١٢

يتفرع عليه أحكام الصلاة و غيرها و آمن ب الملائكة و الكتاب المنزل من عند الله على أنبيائه و آمن ب النبيين كلهم أولهم و أوسطهم و آخرهم و آتى المال أى أعطاه و أنفقه على حبه أى مع أنه يحبه، أو على حب الله تعالى ذوى القربى أى قراباته و أرحامه و اليتامى الذين مات أبوهم و المساكين الذين لا يجدون النفقة لأنفسهم و أهلهم و ابن السبيل الذى انقطع فى سفره، فلا مال له يوصله إلى أهله و مقصده، و سمي ابن السبيل، لعدم معرفة أبيه و عشيرته و السائلين من الفقراء الذين يسألون الناس و آتى المال فى فك الرقاب أى اشتراء العبيد أو إعتاقهم، حتى يتحرروا عن ربق العبودية و أقام الصلاة أى أداها على حدودها و آتى الزكاة الواجبة و المستحبة و المؤفون الذين يفون بعهدهم إذا عاهدوا سواء كان عهدا مع الله كالنذر و البيعة، أو مع الناس كالعقود، و هذا عطف على قوله «من آمن» و الصابرين عطف على من آمن على طريق القطع بتقدير المدح، كما قال ابن مالك:

واقطع أو اتبع أن يكن معينابونها أو بعضها اقطع معلنا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢١٣

[سورة البقرة (٢): آية ١٧٨]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَ آدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)



وارفع أو انصب إن قطعت مضمرا مبتدأ أو ناصبا لن يظهرها

فإن عادة العربي أن يتفنن بالقطع رفعا و نصبا إذا طالت الصفات قليلا للكلل و تشيطا للذهن بالتلون في الكلام في البأساء البؤس الفقر و الضراء و المضر الموجع و العلة و كل ضرر و حين اليأس أي الصابرين حين القتال أولئك الموصوفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا في نياتهم و أعمالهم، لا من يجادل في أمر كتحويل القبلة و أولئك هم المتقون الخائفون من الله سبحانه، و في هذه الآية الكريمة إلماح إلى حال كثير من الناس حيث يتركون المهام و يناقشون في أمر غير مهم عنادا و عصبية.

[١٧٩] و حيث ذكر سبحانه ما هو البر عقبه ببعض الأحكام التي ينبغي لأهل البر المؤمنين بالله و اليوم الآخر المتصفين بتلك الصفات أن يلتزموا بها يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص و معنى كتابته تشريعه إذ الشرائع تكتب في القتلى جمع قتيل، فقد ورد أنها نزلت في حين من العرب لأحدهما طول على الآخر، و كانوا يتزوجون نساء بغير حلال، و أقسموا لقتلن بالعبد منا الحر منهم، و بالمرأة منا الرجل منهم، و بالرجل منا الرجلين منهم، و جعلوا جراحاتهم على الضعف من جراح أولئك، حتى جاء الإسلام، و أبطل تلك الأحكام، ف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢١٤

[سورة البقرة (٢): آية ١٧٩]

و لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)

الحر بمقابل الحر يقتل لا مقابل العبد و العبد بالعبد و الأثني تقتل بمقابل الأثني لا الذكر يقتل في قبال الأثني فمن عفى له من قبل أخيه شيء بأن عفى الأخ الولي للمقتول عن قتل القاتل، و بدله بالدية، أو عفى عن بعض الدية، و بقي بعضها الآخر فالواجب على الطرفين، مراقبة الله في الأخذ و الإعطاء، فمن طرف الولي للمقتول فاتباع للقاتل بالمعروف بأن لا يشدد في طلب الدية، و من طرف القاتل و أداء إليه أي إلى العافي بإحسان من غير مطل و تصعب ذلك الحكم في باب القتل بالمماثلة، أولا، و التخيير بين القتل و الدية و العفو ثانيا تخفيف من ربكم عليكم و رحمة منه بكم، و في المجمع أنه كان لأهل التوراة القصاص أو العفو، و لأهل الإنجيل العفو و الدية فمن اعتدى عن الحكم المقرر بعد ذلك الذي قررناه من الأحكام فله عذاب أليم مؤلم في الدنيا و الآخرة.

[١٨٠] و لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ فِي بَابِ الْقَتْلِ، بأن يقتل القاتل عمدا حياة للمجموع، لأن كل من افتكر إنه لو قتل قتل ارتدع إلا النادر، و أيضا إن القصاص يوجب عدم تعدى أولياء المقتول على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢١٥

[سورة البقرة (٢): آية ١٨٠]

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)

أقرباء القاتل، بأن يقتلوا منهم عددا كثيرا، كما كان هو المتعارف في زمان الجاهلية، حتى ربما فنيت القبيلة لأجل قتل واحد يا أولى الألباب جمع لب، بمعنى العقل، أي يا أصحاب العقول لعلكم تتقون القتل، أي شرع القصاص، حتى تتقون من القتل.

[١٨١] و حيث ألمح القرآن الحكيم إلى حكم القتل، أشار إلى ما يرتبط به من الوصية، فقال كُتِبَ عَلَيْكُمْ كتابه راجحه، فإن الكتابة تشمل الواجب و المندوب، و الوصية مندوبة، إلا إذا وجبت بالعارض إذا حضر أحدكم الموت بأن رأى مقدماته من مرض و هرم و نحوهما إن ترك خيرا أي مالا فإذا لم يترك الخير، لا داعي للوصية و إن كانت مستحبة أيضا، لكنها ليست مثل تأكيد من ترك الخير الوصية نائب فاعل «كتب» للوالدين و الأقربين أي الأقرباء بالمعروف بأن يوصى لوالديه و أقربائه، و لو كانوا وراثا، شيئا من الثلث، و هذا يوجب نشر الألفة و المحبة أكثر فأكثر، و إنما قيده بالمعروف، حتى لا يوصى بما يوجب إثارة الشحنة، كأن يترك الأقرب، و يوصى للأبعد، أو يفضل بعضا على بعض بما يورث البغضاء، و المراد بالمعروف، الذي يعرف أهل التميز، إنه لا جور فيه و لا حيف، و هذه الوصية تكون حقا على المتقين الذين يؤثرون التقوى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢١٦

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٨١ إلى ١٨٢]

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)

[١٨٢] فَمَنْ بَدَّلَهُ أى بدل الإيضاء و غيره و زوره بَعْدَ مَا سَمِعَهُ أى علمه، فالسمع يستعمل بمعنى العلم فَإِنَّمَا إِثْمُهُ أى إثم التبديل عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ و ليس إثم على الذى يأكل المال إرثا بغير علم، و الذى يأكله زيادة على حصته، من غير علم فإن الغالب، أن يبذل الجيل الأول، و يتصرف سائر الأجيال، بلا علم منهم بالتبديل إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لوصاياكم و أقوالكم عَلِيمٌ بنواياكم و تبديلكم، أو تنفيذكم للوصية، و لعل هناك نكتة أخرى فى قوله «فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ» هى أن كثيرا من الناس لا يوصون خوفا من أن يلحقهم إثم التبديل من بعدهم، لأنهم بوصيتهم أعانوا من بدل و مهدوا الطريق له، كما رأيت ذلك متعارفا فى كلام كثير من الناس، حيث يقولون من أوصى ألقى ورثته فى المعصية، فكيف بعضهم عن الوصية، فأشار سبحانه إلى كون هذا الحكم غلطا، فإن الموصى فعل خيرا، و إنما المغير هو الذى يتحمل الإثم.

[١٨٣] ثم استثنى سبحانه عن حرمة تبديل الوصية، بأنه إنما يكون حراما، إذا كان تغيرا من حق إلى باطل، أما إذا كان من باطل إلى باطل، فلا إثم فى التغيير فَمَنْ خَافَ و خشى مِنْ مَوْصٍ أى الذى يوصى جَنَفًا أى ميلا عن الحق إلى الباطل، بأن أوصى أزيد مما يحق له الإيضاء به أَوْ إِثْمًا بأن حرم ورثته بإيضاؤه، و فى الحديث أن الإثم الخطأ عن عمد، و الجنف الخطأ لا عن عمد فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ أى بين الورثة و الموصى، و الموصى له، بأن رد الزائد إلى الورثة، و أبطل ما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢١٧

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٨٣ إلى ١٨٤]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)

فيه الإثم فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ أى على المبدل للوصية إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ بمن يأثم، فكيف بمن لا يأثم، و قد ثبت فى الشريعة إن الوصية بما زاد على الثلث لا تنفذ إلا برضى الورثة «١».

[١٨٤] ثم انتقل السياق إلى حكم آخر من أحكام الإسلام- لما ذكرنا من أن القرآن الحكيم، بعد بيان أصول التوحيد، ذكر جملة من الأحكام- فقال سبحانه، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ فإنه مفروض عليكم، فيجب عليكم أن تصوموا كما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ فلستم أنتم وحدكم أمرتم بالصيام، بل كان الصوم شريعة فى الأديان السابقة أيضا لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ النار بصيامكم، فالصائم حيث يحس بالجوع و العطش و الضعف يتذكر الله سبحانه فيخبت قلبه و تضعف فيه قوى الشر، و ترق نفسه و تصفو روحه، و كل ذلك سبب للتقوى و ترك المعاصى.

[١٨٥] أَيَّامًا أى إن الصيام فى أيام مَعْدُودَاتٍ أى محصورات، فليست أيام كثيرة لا- تعد، و إنما هى ثلاثون يوما فقط- و فيه تسليته للصائم- و ليس الصيام على كل أحد فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا مَرَضًا

(١) راجع موسوعة الفقه: ج ٨٢ و ٨٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢١٨

يضره الصوم أَوْ عَلَى سَفَرٍ فقد شبه السفر بمركوب لغلبة الركوب فيه، و حد السفر معين فى الشريعة فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ أى فليصم فى

أيام آخر غير شهر رمضان، قضاء لما فاته بالمرض أو السفر وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ أَي يطيقون الصيام، بأن يكون آخر طاقاتهم و ذلك موجب للعسر، كما لا يخفى، إذ آخر الطاقة عسر، أو أن الذي يطيق الصوم كان في أول الشريعة مخيراً بين الصيام والإطعام، ثم وجب الصوم وحده، و ذلك للتدرج بالأمة فِدْيَةً أَي الواجب عليهم الفداء بدل الصوم طَعَامٌ مَشْرِكِينَ واحد و هو مد من الطعام فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا بَأَن زَادَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا أَيها المطيعون، الذي يبلغ الصوم طاقتكم خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الإطعام، فالإنسان إما أن يضره الصوم ضرراً بالغاً، و هو الذي تقدم أن يفطر و يأتي بعده من أيام آخر، و إما أن يشق عليه إلى حد العسر، و هو الذي يبلغ منتهى طاقته، و هذا يخير بين الصيام و الإطعام و إن كان الصيام خيراً، و إما أن لا يشق عليه و هو الذي يجب عليه الصيام معينا مما بين في الآية التالية إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لعلمتم أن الصيام خير لما فيه من الفوائد التي ليست في الإطعام، و ليس مفهومه، إن لم تكونوا تعلمون، فليس الصوم خيراً، بل المفهوم إن لم تكونوا تعلمون، لم تعلموا إن الصوم خير.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢١٩

[سورة البقرة (٢): آية ١٨٥]

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَ الْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لِتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لِتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) [١٨٦] الأيام المعدودات المفروض فيها الصيام هي شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن مما زاد في عظمته و حرمة، إذ صار زماناً للنزول أعظم دستور للبشرية إلى الأبد في حال كون القرآن هدياً للناس يهديهم إلى الحق و إلى صراط مستقيم و بيّنات أي أمور واضحة من جنس الهدى فليس هدى غامضاً يحتاج إلى إثبات و دليل، بل واضح لائح، و من الهدى بيان لبيّنات، إذ يمكن أن يكون شيئاً بيناً من حيث الشهادة، أو المعاملة أو نحوها و من الفرقان أي يفرق بين الحق و الباطل و الضلال و الرشاد فَمَنْ شَهِدَ أَي حضر و لم يغيب بالسفر مِنْكُمُ الشَّهْرَ أَي شهر رمضان فَلْيَصُمْهُ إيجاباً، و لما كان الحكم عاماً استثنى منه بقوله وَ مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ و إنما كرر تمهيداً لقوله يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ و لذا أمركم بالإفطار في السفر و المرض و إنما شرع عِدَّةً مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ لِتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ أَي عدة الشهر، فإن في صيامه فوائد لا يدركها إلا من أكملها، فإن لم يتمكن من إكمالها في نفس شهر رمضان أكملها خارجه و إنما شرع الصوم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢٠

[سورة البقرة (٢): آية ١٨٦]

وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) لِتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ أَي تعظموه بسبب هدايته لكم إلى دينه و شريعته، فالصيام سبب قرب النفس إلى الله سبحانه، فيأتي منها التكبير عفواً، و في التأويل، المراد به تكبير ليلة الفطر و لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ فالصوم نعمة تستحق الشكر لما فيه من صلاح الدنيا و الدين. [١٨٧] و حيث أن من عادة القرآن الحكيم أن يخلل الأحكام نفعه موجهة نحو الله تعالى، ليرتبط الحكم بالخالق، و ليشع في النفس النشاط و العزيمة، أتت آية استجابة الدعاء هنا، بعد طول من بيان الأحكام، ثم يأتي بعدة آيات ترتبط بالأحكام ثانية، بالإضافة إلى أن استجابة الدعاء تناسب شهر رمضان، فإنه شهر دعاء و ضراعة، و

قد ورد أن سائلاً سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ كيف ندعوا، فنزلت و إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ إليهم، قرب العلم و الإحاطة و السمع و البصر، لا قرب الزمان و المكان و الجهة، فإنه سبحانه منزّه عن كل ذلك أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ الَّذِي يَدْعُونِي إِذَا دَعَانِ و لعل في هذا القيد إفادة أن الإجابة وقت الدعوة مباشرة فإن «إذا» ظرف، و يفيد تكرار كلمة «دعا» لتركز في الذهن تركيزاً فليستجيبوا لي أي يطيعوني في أوامري و نواهي، إذ من يجب الدعاء، يستحق أن يستجيب له الإنسان و ليؤمنوا بي إيمانا بذاتي و صفاتي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ أي لكي يصيبوا الحق و يهتدوا إليه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢١

[سورة البقرة (٢): آية ١٨٧]

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)

[١٨٨] أَحِلَّ لَكُمْ الطيبات أيها الصائمون لَيْلَةَ الصِّيَامِ التي تصومون غدها الرَّفَثُ أي الجماع إلى نِسَائِكُمْ و إنما عدى ب «إلى» لتعليم معنى الإفشاء، أي الانتهاء إلى زوجاتكم بالجماع. وقد

روى عن الصادق عليه السلام في سبب نزول هذه الآية أنه قال: كان الأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم، و كان النكاح حراماً بالليل والنهار في شهر رمضان، و كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم يقال له مطعم بن جبير، أخو عبد الله بن جبير الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و كله بغم الشعب يوم أحد في خمسين من الرماء، و فارقه أصحابه و بقي في اثني عشر رجلاً فقتل على باب الشعب، و كان أخوه هذا مطعم بن جبير شيخاً ضعيفاً، و كان صائماً فأبطأت عليه أهله بالطعام، فنام قبل أن يفطر، فلما انتبه قال لأهله: قد حرم علي الأكل في هذه الليلة، فلما أصبح حضر حفر الخندق فأغمى عليه، فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فرق له، و كان قوم من الشباب ينكحون بالليل سرا في شهر رمضان، فأنزل الله هذه الآية، فأحل النكاح بالليل في شهر رمضان و الأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر «١».

هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ فكما أن اللباس يقي البدن و كما أنه ملاصق بالبدن و محرم عليه، كذلك كل من الزوجين بالنسبة إلى الآخر عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ أيها الصائمون كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ من الخيانة

(١) عوالمى اللآلى: ج ٢ ص ٨٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢٢

أَنْفُسِكُمْ أي كنتم تخونونها بارتكاب المعصية فكان المرتكب لها يخونها إذ يسبب لها خسارة، و كل خائن كذلك يسبب لمن خانه خسارة فَتَابَ عَلَيْكُمْ ما كنتم تأتون به من المحرم في جماع أهليكم ليلاً و عفا عَنْكُمْ بالنسبة إلى هذا الحكم فمن الآن بَاشِرُوهُنَّ أي يجوز لكم جماعهن ليلاً و الأمر في مقام نفى لا يفيد إلا الجواز و ابْتَغُوا ما كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ من الأولاد و اللذة المحللة الموجبة للثواب، و هذا بالنسبة إلى نسخ الحكم بتحريم الجماع و كُلُوا وَ اشْرَبُوا أي يباح لكم الأكل و الشرب من أول المغرب حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ بيان الخيطين أي يتضح الفجر الصادق الذي هو في وسط الظلام كخيط أبيض قرب خيط أسود ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ بالكف عن المفطرات المذكورة في الشريعة، من أول الفجر الصادق إلى الليل و هو المغرب الشرعي، و هذا بالنسبة إلى نسخ الحكم بتحريم الأكل و الشرب لمن نام قبل أن يفطر و لَا تُبَاشِرُوهُنَّ أي لا تجامعوا النساء و أَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ليلاً أو نهاراً و الاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد العبادة و يشترط فيه الصوم، و أقله ثلاثة أيام بتفصيل مذكور في الفقه، و من أحكام الاعتكاف حرمة مباشرة النساء ليلاً و نهاراً تِلْكَ التي ذكرنا من أحكام

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢٣

[سورة البقرة (٢): آية ١٨٨]

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)

الصيام (١) و غيرها حُدُودُ اللَّهِ التي جعلها لأفعال العباد من الفعل فلا يجوز تركه، و الترك فلا يجوز إقحامه كحدود المدينة و الدار و

نحوهما فلا تَقْرُبُوها نهى عن الاقتراب، مبالغة في النهى عن الاقتراب والمخالفة كقوله تعالى وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ أَى مثل هذا البيان الواضح الذى بين أحكام الصيام وغيره يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ دَلَالَةً وَأحكامه لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَى لكى يتقوا معاصيه.

[١٨٩] ثم انتقل السياق إلى تشريع آخر له مناسبة ما ب «الأكل» الذى دار الحديث حوله فى مسألة الصيام وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ بِالغصب و ما أشبهه، و كان وجه ذكر كلمة «بينكم» أن الأكلين للغصب و نحوه يتآمرون بينهم فى خفاء حتى يبرروا أكلهم وَ تَدُلُّوا الإِدْلَاءِ أَى الإلقاء و الإفضاء أَى تلقوا بها أَى بتلك الأموال إِلَى الْحُكَّامِ جمع حاكم، بمعنى القضاء بعنوان الرشوة و الهدية ليأخذوا جانبكم فى أكل المال بالباطل لِتَأْكُلُوا عِلَّةً لندلوا أَى علة إعطائكم الرشوة أن تأكلوا فَرِيْقًا

(١) راجع موسوعة الفقه: ج ٣٧ ص ٢٥١.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢٤

[سورة البقرة (٢): آية ١٨٩]

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ اتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)

أى قسما من أموال الناس بالائتم بدون حق وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِأَنْ أَكَلْتُمْ و إرشاء كم باطل و إثم.

[١٩٠] مرت أحكام كلها تحتاج إلى التوقيت من صيام و اعتكاف و محاكمات و غيرها فناسب أن يأتى تشريع الأهلة هنا مع الغض عما تقدم من أن المقصود بيان جملة من الأحكام بعد بيان أصول التوحيد يَسْئَلُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عَنِ الْأَهْلَةِ وَ عن سبب اختلاف الهلال فى كل شهر من الهلال إلى البدر ثم إلى الهلال حتى المحاق أو عن فائدة هذا الاختلاف و لماذا لم يكن القمر كالشمس فى الانتظام قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فى جوابهم هِيَ مَوَاقِيتُ جمع ميقات بمعنى الوقت و الزمان لِلنَّاسِ فى عباداتهم و معاملاتهم وَ لَ الْحَجِّ فمن أقرض إلى شهر أو باع ليقبض الثمن، أو يدفع الثمن بعد شهرين، أو أراد الصيام و الإفطار أو الحج فى أشهره لا بد و أن يكون له معلم يستند إليه و لذلك جعل الله الأهلة، و هذا الجواب ينطبق على السؤال بناء على الوجه الثانى فى معنى «يسألونك» و أما بناء على الوجه الأول و سؤالهم كان عن سبب اختلاف الأهلة، فإن القرآن أعرض عن جوابهم لأن عقولهم ما كانت تتحمل الجواب الفلكى، و لذا عبر عن ذلك إلى فائدة الأهلة التى هم أحوج إليها، كما فى آية أخرى يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ «١» حيث أعرض عن جواب ماهية

(١) البقرة: ٢١٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢٥

[سورة البقرة (٢): آية ١٩٠]

وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)

المنفق أى محل الإنفاق لأن هذا هو الذى يترتب عليه الفائدة و هم بحاجة إليه، و حيث ذكر الحج فى الكلام انتقل السياق إلى ما كان يفعل الجاهليون من أنهم إذا أحرموا لم يدخلوا البيوت من أبوابها و إنما يدخلونها من ظهورها، فهى عن ذلك، و فى هذا تلميح بأن السؤال عما لا يهتمكم من الأهلة، مثل إتيان البيوت من ظهورها و كالأكل من القفا و لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا تَدْخُلُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا بِأَنْ تَنْقُبُوا الْبُيُوتَ وَ تَدْخُلُونَهَا مِنَ النُّقَبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى مِنَ اللَّهِ سبحانه بإتيان أوامره و اجتناب نواهيه وَ اتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ لو

في حال الإحرام وَ اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَمْرِهِ وَ نَوَاهِيهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أى لكي تفلحوا بالوصول إلى السعادة الدنيوية والأخروية.

[١٩١] و هنا حكم آخر من أحكام الإسلام الكثيرة و هو القتال و الجهاد، و لقد كان بين هذا الحكم و بين «الحج» المتقدم مناسبة، إذ المشركون قد منعوا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عن الحج عام الحديبية، فكان على المسلمين أن يستعدوا للجهاد إن اقتضت الظروف وَ قَاتَلُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَجْلِ السَّيْطَرَةِ وَ الْغَلْبَةِ كَمَا هُوَ شَأْنُ مَلُوكِ الدُّنْيَا وَ زَعَمَائِهَا بَلْ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ الَّتِي فِيهَا سَعَادَةُ الْبَشَرِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢٦

[سورة البقرة (٢): آية ١٩١]

وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَ لَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)

لا- كل آمن، فمن ألقى سلاحه، و سكن إلى محله، فإن في قتاله إيجاد فوضى و اضطراب لا داعى إليهما و لا تعتدوا إذا قاتلتم من قاتلكم فإن القتال قتال دفاع، فلا معنى للاعتداء و أنتم مرتبطون بالله الذى تقاتلون لأجله فلا يصح الاعتداء من أمثالكم إن الله لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ فهو الذى يأمر بالعدل و الإحسان، فكيف يجب من اعتدى و بغى؟.

[١٩٢] وَ اقْتُلُوهُمْ أَيُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ أى وجدتموهم و أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ أى أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها، فمن قاتلكم قتلتموه و من أخرجكم من دياركم أخرجتموه جزاء وفاقا وَ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَثَارَهَا الْكُفْرَانُ بِنَفْسِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ دِينِهِمْ وَ إِقْلَاعِ الْإِيمَانِ وَ الشُّكِّ فِي قُلُوبِهِمْ لِيَجْلِبُوهُمْ إِلَى حَظِيرَةِ الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ فَالْقَتْلُ يُوْجِبُ ذَهَابَ الدُّنْيَا وَ الْفِتْنَةُ تُوْجِبُ ذَهَابَ الدِّينِ، فَمَنْ تَقَاتَلُوا لَمْ يَسْتَحِقُوا عَلَيْكُمْ أَنْ يَهْرَجُوا بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَشْهَرُونَ السَّلَاحَ فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِقُونَ الْقَتْلَ لِأَنَّهُمْ بَدَأُوا بِالْقِتَالِ لِأَنَّهُمْ فَتَنُوا، وَ

روى أنها نزلت في مسلم قتل كافرا في الشهر الحرام فعاثوا المؤمنين بذلك «١»

، فبين سبحانه أن الفتنة التى تصدر من الكفار أشد من القتل و لا تقاتلوهم أى لا تقاتلوا

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٣٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢٧

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٩٢ الى ١٩٣]

فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الْكَافِرِينَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَيُّ فِي الْحَرَمِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ وَ يَبْدُؤُوا بِالْقِتَالِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ بَدءوكم بالقتال فى الحرم فَاقْتُلُوهُمْ هُنَاكَ كَذَلِكَ الَّذِي مَرَّ مِنْ وَجُوبِ قِتَالِ الْكُفْرَانِ حَيْثُ وَجَدُوا إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ [١٩٣] فَإِنْ انْتَهَوْا عَنِ الْكُفْرِ بَانَ اسْمُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يَغْفِرُ سَيِّئَاتِهِمْ حَتَّى الَّتِي ارْتَكَبُوهَا قَبْلَ إِسْلَامِهِمْ مِنَ الْقِتَالِ فَالإِسْلَامُ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ رَحِيمٌ بَعَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ.

[١٩٤] وَ قَاتِلُوهُمْ أَيُّ الْكُفْرَانِ يُقَاتِلُوكُمْ لِأَجْلِ الْقِصَاصِ فَقَطْ بَلْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ بَانَ لَا يَفْتِنُ الْمُسْلِمُونَ عَنِ دِينِهِمْ وَ يَكُونُ الدِّينُ وَ الطَّرِيقَةُ لِلَّهِ فَلَا يَبْقَى مِنْهُجٌ لِسِوَاهِ بَانَ يَنْتَصِرُ الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ وَ هَذَا هُمَا الْغَايَةُ مِنْ إِجْبَابِ الدَّفَاعِ فَإِنْ انْتَهَوْا عَنِ الْكُفْرِ فَلَا عُدْوَانَ أَيُّ تَعْدَى بِالدَّفَاعِ وَ الْقِتَالِ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الْبَاقِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، أَيُّ إِذَا انْتَهَى الْمُعْتَدُونَ عَنِ الْفِتْنَةِ وَ التَّعَرُّضِ لِلدِّينِ وَ اللَّهِ وَ التَّعَرُّضِ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْأَذَى وَ الْقِتَالِ فَلَا قِتَالَ مَعَهُمْ لِأَنَّ الْقِتَالَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الظَّالِمِينَ، وَ سُمِّيَ «عِدْوَانًا» تَشْبِيهًا كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي الْآيَةِ الْمَقْبَلَةِ: «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٩٤ الى ١٩٦]

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

[١٩٥] الشَّهْرُ الْحَرَامُ وَهُوَ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ وَرَجَبٌ سُمِّيَتْ هَذِهِ الْأَشْهُرُ حَرَامًا لِتَحْرِيمِ الْقِتَالِ فِيهَا بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ أَيْ بِمُقَابِلِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَمَنْ انْتَهَكَ حَرَمَهُ الشَّهْرِ الْحَرَامِ بِالْقِتَالِ فِيهِ لَمْ يَحْرَمِ قِتَالَهُ بَلْ يُقَاتِلُ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ كَمَا أَنَّ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ انْتَهَكَ حَرَمَهُ اقْتَصَ مِنْهُ فِي نَفْسِ الشَّهْرِ أَوْ الْمَكَانِ الَّذِي انْتَهَكَ حَرَمَهُ وَلِذَا يُحَارِبُ الْمُحَارِبُ فِي الْحَرَمِ وَفِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ لَا أَزِيدُ مِنْ ذَلِكَ وَسُمِّيَ اعْتِدَاءً لِأَنَّهُ مِثْلُ الْعِتْدَاءِ فَالتَّسْمِيَةُ إِنَّمَا هِيَ بِالْمُجَانَسَةِ وَاتَّقُوا اللَّهَ فَلَا تَتَجَاوَزُوا الْحُدُودَ وَلَا تَبَالِغُوا فِي الْقِسْوَةِ وَالتَّنْتِقَامِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ فَيَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ فِي الدُّنْيَا وَيُسَعِّدُهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

[١٩٦] وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ الْجِهَادَ يَحْتَاجُ إِلَى الْإِنْفَاقِ فِي تَجْهِيزِ الْجَيْشِ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ السَّبِيلِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ أَيْ لَا تَلْقُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ بترك الإنفاق للجهاد حتى يتسلط عليكم العدو وأحسنوا في إنفاقكم وجهادكم وسائر أموركم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

[١٩٧] ثم يرجع السياق إلى أحكام الحج الذي ألمح إليه فيما سبق، لأن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢٩

الحج كان في مقام صلح الحديبية وحج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ أَيْ اتُّوا بِهَا تَمَامًا وَكَامِلًا بِإِتْيَانِ مَنَاسِكِهَا قَرِيبَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا لِأَجْلِ رِيَاءٍ أَوْ سَمْعَةٍ أَوْ نَحْوِهَا فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ بِأَنْ مَنَعَكُمْ مَانِعٌ عَنِ الْحَجِّ بَعْدَ مَا أَحْرَمْتُمْ فَعَلَيْكُمْ إِذَا أَرَدْتُمْ التَّحَلُّلَ عَنِ الْإِحْرَامِ أَنْ تَقْدَمُوا أَوْ تَذْبَحُوا مَا اسْتَيْسَرَ أَيْ مَا أَمَكَّنَكُمْ مِنَ الْهَدْيِ الَّذِي قَدَّمْتُمُوهُ إِلَى اللَّهِ، وَالْهَدْيُ هُوَ الْبَقْرُ أَوْ الْإِبِلُ أَوْ الْغَنَمُ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ التَّحَلُّلِ عَنِ الْأَجْسَامِ أَيْ لَا تَحْلِقُوا حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ الَّذِي قَرَّرَ فِي الشَّرِيعَةِ مِنْ مَحَلِّ الْحَصِيِّ أَوْ مَكَّةَ أَوْ مِنْى كَمَا فَصَّلَ فِي الْفِقْهِ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا لَا يَتِمُّنُ مِنْ أَنْ لَا يَحْلِقَ أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ كَأَنْ قَمَلَ رَأْسُهُ فَيَتَأَذَى مِنْ هَوَائِهِ فَلَا يَتِمُّنُ مِنْ عَدَمِ الْحَلْقِ فَعَلِيهِ إِذَا حَلَقَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْهَدْيَ مَحَلَّهُ فِدْيَةٌ يَقْدِمُهَا بِدَلِّ حَلْقِهِ مِنْ صِيَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ صَدَقَةٍ لِسِتِّهِ مَسَاكِينَ أَوْ نُسُكٍ أَيْ شَاءَ يَذْبَحُهَا لِأَجْلِ تَعْجِيلِهِ فِي الْحَلْقِ فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِنَ الْعَدُوِّ وَالصَّادِ وَكَذَلِكَ شَفِيتُمْ مِنَ الْمَرَضِ وَزَالَ الْمَانِعُ فَمَنْ تَمَتَّعَ أَيْ اسْتَمْتَعَ بِالطَّيْبِ وَالنِّسَاءِ وَسَائِرِ الْمَلَذَاتِ الَّتِي يَحْرَمُهَا الْإِحْرَامُ بِسَبَبِ إِتْيَانِهِ الْعُمْرَةَ فَإِنَّ الْعُمْرَةَ تَنْتَهَى سَرِيعًا فَتَحُلُّ الْمَحْرَمَاتُ إِلَى الْحَجِّ أَيْ يَكُونُ تَمَتُّعُهُ بِالْمَلَذَاتِ إِلَى أَنْ يَحْرَمَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٠

للحج فعليه مَا اسْتَيْسَرَ أَيْ مَا تَمَكَّنَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَدْيِ إِبِلٌ أَوْ بَقْرٌ أَوْ شَاءَ يَجِبُ عَلَيْهِ ذَبْحُهَا فِي مِنْى أَيَّامِ الْعِيدِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ الْهَدْيَ فَعَلِيهِ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي أَيَّامِ الْحَجِّ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَسَبْعَةٍ أَيَّامٍ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى بِلَادِكُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ تَكُونُ بِدَلَا عَنِ الْهَدْيِ ذَلِكَ التَّمَتُّعُ الَّذِي يَكُونُ عَمْرَتُهُ مَقْدَمَةٌ عَلَى حَجِّهِ فَفَرْضُ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْ كَانَ فِي أَطْرَافِ الْحَرَمِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلاً أَوْ نَحْوَهُ عَلَى خِلَافٍ، أَمَا مَنْ كَانَ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِأَنْ كَانَ مَحَلَّهُ عِنْدَ أَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ فَفَرْضُهُ الْقُرْآنُ أَوْ الْإِفْرَادُ وَفِي كِلَيْهِمَا يَقْدَمُ الْحَجُّ عَلَى الْعُمْرَةِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْقَارِنَ يَعْقِدُ إِحْرَامَهُ بِسُوقِ الْهَدْيِ دُونَ الْمَفْرَدِ وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَحْكَامِهِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ فَلَا تَخَالَفُوا أَمْرَهُ وَنَوَاهِيَهُ. وَالحج يشتمل على فرضين: (عمرة) هي:

«الإحرام والتلبية»، «و الطواف بالبيت»، «صلاة الطواف»، «و السعى بين الصفا و المروة»، «و التقصير». و (حج) هو: «الإحرام»، «و الوقوف بعرفات»، «الوقوف بالمشعر»، «الإفاضة إلى منى»، «رمى جمرة العقبة»، «نحر أو ذبح»، «حلق أو تقصير»، طواف الحج و صلواته و سعى و تقصير و طواف النساء و صلواته «طواف النساء»، «صلاة طواف النساء»، «السعى بين الصفا و المروة»، «طواف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣١

[سورة البقرة (٢): آية ١٩٧]

الْحِجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَغْلُمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)

الزيارة، «صلاة طواف الزيارة»، «المبيت بمنى ليلة الحادى عشر و الثانى عشر»، «رمى الجمار الثلاث يومى الحادى عشر و الثانى عشر»، و قد أشار الشيخ البهائى إلى هذه الأعمال فى بيته المشهور أطرست للعمرة اجعل نهج أو و أرنحط رسطر مر: لحج «١» [١٩٨] الْحِجُّ فِي أَشْهُرٍ مَّعْلُومَاتٍ أَوْ أَشْهُرٍ مَّعْلُومَاتٍ وَ هُوَ شَوَالٌ وَ ذُو الْقَعْدَةِ وَ ذُو الْحِجَّةِ فَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهُ مِنْهَا كَمَا كَانَ الْجَاهِلُونَ

(١) الالف: الإحرام لعمرة التمتع عن حجة الإسلام.

الطاء: طواف العمرة.

الراء: ركعتان صلوات طواف لعمرة التمتع.

السين: السعى بين الصفا و المروة عن عمرة التمتع.

التاء: التقصير عن عمرة التمتع لحجة الإسلام فهناك اعمال العمرة لحج التمتع.

الألف: الإحرام لحج التمتع.

الواو الأول: الوقوف بعرفات فى ٩ من ذىحجة لحج التمتع.

الواو الثانى: الوقوف فى مشعر الحرام ليلة العيد الى الصبح لحج التمتع.

الالف: الإفاضة إلى منى يوم العيد.

الراء: رمى جمرة للعقبة فى يوم العيد لحج التمتع.

النون: نحر إبل أو ذبيحة لحج التمتع.

الحاء: الحلق فى يوم العيد لحج التمتع.

الطاء: الطواف عن حجة الإسلام.

الراء: رمى الجمرات الثلاثة فى يوم الحادى عشر من ذى حجة عن حج التمتع.

السين: السعى بين الصفا و المروة لحج التمتع.

الطاء: طواف النساء.

الراء: رمى الجمرات الثلاثة فى يوم الثانى عشر من ذى حجة عن حج التمتع.

الميم: المبيت فى منى ثلاثة ليال عن حج التمتع.

و لا يخفى أن جملة (مر لحج) التى أتى بها البهائى (رحمه الله) تكون لتكملة الشعر فلا تدخل فيما أردناها من المناسك.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٢



[سورة البقرة (٢): آية ١٩٨]

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَافَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (١٩٨)

يفعلون حيث يؤخرون الحج، و نزل فيهم إنما النسبى زيادة في الكفر (١) فمن فرض على نفسه فيهن أى فى هذه الأشهر الحج فليعلم أنه لا رفث و هو الجماع و لا فسوق و هو السباب و المفاخرة و لا جدال قول لا و الله و بلى و الله فى الحج أى فى حال الإحرام و ما تفعلوا من خير فى الحج و غيره يعلمه الله و لعل ذكره هنا لكثرة احتياج الحجاج بعضهم إلى بعض فى مختلف الشؤون فأريد التنبيه بأن كل خير يصدر من الإنسان إنما هو بعلم الله سبحانه فيجازه على ذلك و تزودوا من الحج زادا للروح فإن خير الزاد التقوى و هو يحصل بكثرة هائلة فى الحج حيث التجرد و الكف عن الملذات و مقامات الشدائد و الصعوبات، و يحتمل أنها نزلت فيمن لم يكن يأخذ الزاد للحج بادعاء أنه ضيف الله ثم ليستعطى فى الطريق فأمر بأخذ الزاد فإنه قرين بالتقوى دون الاستعطاء الذى فيه منقصة و ذلة و حرمة أحيانا و اتقون أى خافونى فى أعمالكم فلا تغفلوا و لا تتركوا واجبا يا أولى الألباب أى يا أصحاب العقول.

[١٩٩] كانوا يتأثمون بالتجارة فى الحج فنزلت

(١) التوبة: ٣٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٣

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٩٩ الى ٢٠٠]

ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ (٢٠٠)

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ بِالْأَنْجَارِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمَحْرُومٍ إِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْهَا كَمَا يَنْدَفِعُ الْمَاءُ نَحْوَ الْوَهَادِ فَإِنَّ الْحَجَّاجَ يَنْدَفِعُونَ كَالسَّيْلِ مِنْ عَرَافَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَهُوَ الْمَوْقِفُ الثَّانِي وَوَقْتَهُ بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْعِيدِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ أَيْ بِإِزَاءِ هِدَايَتِهِ سَبْحَانَهُ إِيَّاكُمْ لِدِينِهِ وَمَا يَسْعِدُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ أَيْ قَبْلَ الْهُدَى لَمَنِ الضَّالِّينَ عَنْ دِينِهِ.

[٢٠٠] ثُمَّ أَيْضُوا مِنَ الْمَشْعَرِ إِلَى مَنَى مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ مِنْ قَبْلِكُمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتَهُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ اطْلُبُوا غَفْرَانَهُ وَغَفْوَهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ هَكَذَا يَقْتَضِي نَظْمُ الْآيَةِ، لَكِنْ وَرَدَ أَنَّ قَرِيْشًا لَا يَقِفُونَ بَعْرَفَاتٍ وَلَا يَفِيضُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ فَلَا نَخْرُجُ مِنْهُ فَيَقِفُونَ بِالْمَشْعَرِ وَيَفِيضُونَ مِنْهُ، فَأَمْرُهُمُ اللَّهُ أَنْ يَقِفُوا بَعْرَفَاتٍ وَيَفِيضُوا مِنْهُ كَسَائِرِ النَّاسِ.

[٢٠١] فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ أَيْ أَدَيْتُمْ أَعْمَالَكُمْ فَالْمَنَاسِكُ جَمْعُ مَنْسَكٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٤

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٠١ الى ٢٠٢]

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)

و هو مصدر ميمى بمعنى العمل فأذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فإن أهل الجاهلية كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك و يعدون مفاخر آبائهم و مآثرهم و يذكرون أيامهم القديمة و أياديهم الجسيمة فأمرهم الله أن يذكروه عوض ذكرهم آبائهم، بل يجب أن يذكروه أكثر و أحسن من ذكر آبائهم فهو المنعم الحقيقى الذى بيده كل شىء و منه كل خير، و هنا يكون المجال واسعا لبيان نموذجين من الناس منهم من يريد الآخرة و منهم من يريد الدنيا و لذا قال تعالى: فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا أَى

أعطنا من نعيمها ورفاهها وسعادتها ولا يسأل نعيم الآخرة لأنه غير مؤمن بها إذ كان الحج قبل الإسلام عامًا للمعتقد والمنكر وما لهُ في الآخرة من خلاقٍ أى نصيب.

[٢٠٢] وَمِنْهُمْ أَى مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا مِنْ وَقَى يَقَى أَى احفظنا من عَذَابِ النَّارِ فَهُوَ يسأل نعيم الدنيا و نعيم الآخرة و يتعوذ بالله من النار.

[٢٠٣] أَوْلَيْكَ يسألون خير الدنيا و الآخرة لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا لِأَنَّهُمْ يستحقون ثواب أعمالهم بخلاف الطائفة الأولى فَإِن كُفِرُوا يَمْنَعُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٥

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٠٣ الى ٢٠٤]

وَ اذْكُرُوا اللّٰهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا- إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا- إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣) وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللّٰهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) عن ثوابهم وَ اللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ فلا يظن الإنسان أن الآخرة بعيدة فإنه لا تمر الأيام و الليالي إلا و الشخص دفين في التراب و إن طال عمره في الدنيا.

[٢٠٤] وَ اذْكُرُوا اللّٰهَ أَيَّامِ الْحِجَاجِ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ وَ هِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ فِي مَنَى فَمَنْ تَعَجَّلَ النَّفَرَ إِلَى مَكَّةَ مِنْ مَنَى فِي يَوْمَيْنِ بَانَ نَفَرٍ يَوْمَ الثَّانِي عَشَرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ النَّفَرَ بَعْدَ زَوَالِ الثَّانِي عَشَرَ وَمَنْ تَأَخَّرَ فِي النَّفَرِ فَنَفَرَ فِي الثَّلَاثِ عَشَرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فَيَجُوزُ كُلِّ مِنَ الْأَمْرَيْنِ لِمَنِ اتَّقَى الصَّيْدَ فِي إِحْرَامِهِ وَ إِلَّا- فَإِن صَادَ وَجِبَ عَلَيْهِ النَّفَرُ الثَّانِي فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْفَرَ فِي الثَّانِي عَشَرَ وَ اتَّقُوا اللّٰهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ الْحَشْرُ وَهُوَ الْجَمْعُ وَ الْمَعْنَى تَجْمَعُونَ إِلَى حُكْمِ اللّٰهِ وَ جَزَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

[٢٠٥] ثُمَّ يَلْتَفِتُ السِّيَاقُ إِلَى الْإِنْسَانِ طَالِحِهِ وَ صَالِحِهِ، وَ يَبِينُ خِصَائِصَ الْبَشَرِ، لِيُعْطَى دَرَسًا لِمَنْ أَرَادَ الصَّلَاحَ وَ الرِّشَادَ فَيَقُولُ سُبْحَانَكَ وَ مَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ لِلْبَاقَةِ وَ فَصَاحَتِهِ وَ كَلَامِهِ الْمَعْسُولِ فَتَسْتَحْسِنُ كَلَامَهُ وَ تَصْغِي إِلَى بَيَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَمَا مُتَعَلِّقٌ بِ «قوله»، أَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٦

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٠٥ الى ٢٠٦]

وَ إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)

قوله في شؤون الدنيا معجب، أو متعلق ب «يعجبك» أى أن إعجابك إنما هو في الدنيا، و الأول أقرب و يشهد الله على ما في قلبه كما هو شأن المنافقين أبدا فإنهم حيث يرون نفاقهم يظنون أن الناس مطلعون على سرائرهم فيؤكدون بأنهم مخلصون و أن ما في قلبهم يطابق ما على لسانهم وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ الألد هو شديد الخصومة و الخصام جمع يعنى أنه من أكبر خصمائك في الباطن.

[٢٠٦] وَ إِذَا تَوَلَّى وَ أَدْبَرَ مِنْ عِنْدِكَ سَعَى فِي الْأَرْضِ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمَشَاغِبِ الْمَفْسُودِ لِيُفْسِدَ فِيهَا بِإِثَارَةِ الْفَوْضَى وَ الْاضْطْرَابِ وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ أَى الزَّرَاعَةَ وَ النَّسْلَ أَى الْأَوْلَادَ وَ الذَّرِيَّةَ فَإِنَّ إِثَارَةَ الْفَوْضَى يُوْجِبُ خَرَابَ الزَّرَاعَاتِ لِاسْتِغْثَالِ أَهْلِهَا بِالْكَفَاحِ، وَ فَنَاءِ النَّسْلِ إِذِ الشَّبَابُ دَائِمًا يَقْدُمُونَ عَلَى الْحَرْبِ وَ الْجَلَاءِ وَ اللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ.

[٢٠٧] وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ فِي عَمَلِكَ فَلَا تُفْسِدُ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ أَى حَمَلَتْهُ عِزَّةٌ وَ حَمِيَّةٌ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَن يَأْتِمَ لِأَنَّهُ لَا يَرْضَخُ لِلْحَقِّ وَ لَا يَعْتَنِي بِهِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ أَى تَمَكِينَهُ جَهَنَّمَ جِزَاءَ لَهُ وَ لَبِئْسَ الْمِهَادُ أَى مَحَلُّ الْقَرَارِ، وَ هَذِهِ الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ أَوْ فِي فِرْدٍ خَاصٍ مِنْهُمْ يَسْمَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٧

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٠٧ الى ٢٠٨]

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨)

الأخنس بن شريق، كان يظهر المحبة للنبي و يبطن الفساد و النفاق، و لعل وجه ارتباط هذه الآيات بالحج أن الكلام انتهى هناك حول من يفتخر بالأباء اعتزازا بالنفس و هذا مثلهم في الاعتزاز و الاعتزاز.

[٢٠٨] وَمِنَ النَّاسِ أَى بَعْضِ النَّاسِ مَن يَشْرِي أَى يَبِيعُ فَإِن كَلَا مَن الْبِيعِ وَ الشَّرَاءِ يَجِىءُ بِمَعْنَى الْآخِرِ نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ أَى لِأَجْلِ طَلَبِ رِضَاةِ سَبْحَانِهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ يَرَأْفُ بِهِمْ فَيَجَازِيهِمْ لِعَمَلِهِمُ الْحَسَنَ، وَ لَعَلَّ ذِكْرَ الرَّأْفَةِ لِأَجْلِ أَنَّ هَذَا الْبِيعَ يَحْتَوِي عَلَى أخطاءٍ وَ أضرارٍ، ففِيهِ تَنْبِيهُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ يَجْنِبُ الْبَائِعَ الْأَخْطَارَ وَ الْإِضْرَارَ، وَ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامِ حِينَ نَامَ فِي فِرَاشِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ.

[٢٠٩] وَ حِينَ ذَكَرَ أَنَّ مَنَ النَّاسِ مَن هُوَ مُنَافِقٌ نَاسِبُ الْإِرْشَادِ الْعَامِ فَقَالَ سَبْحَانَهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللِّسَانِ ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ مَعَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ كَافَّةً أَى جَمِيعًا فَاسْتَسَلَّمُوا لِلدِّينِ فِي جَمِيعِ شُؤْنِكُمْ وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ بِأَنَّ تَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ تَتَّبِعُوا أَمْرَ الشَّيْطَانِ وَ مَا يُوْحَى إِلَيْهِ الْهَوَى إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ أَى عَدُوٌّ ظَاهِرٌ لِأَنَّهُ يَأْمُرُ بِالْمَفَاسِدِ الَّتِي تَرْجِعُ إِلَى ذَهَابِ دِينِكُمْ وَ دُنْيَاكُمْ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٠٩ الى ٢١١]

فَإِن زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠) سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١)

[٢١٠] فَإِن زَلْتُمْ تَشْبِيهُهُ لِلذَّنْبِ بِمَنْ يَزِلُّ لَهُ قَدَمٌ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ الْأَدْلَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَى الْحَقِّ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ فَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَ الْعِقَابُ بِمَنْ زَلَّ حَكِيمٌ فِي فِعْلِهِ لِيَعْفُوا عَمَّنْ يَشَاءُ وَ يَعَذِّبُ مَن يَشَاءُ.

[٢١١] وَ هُنَا يَعُودُ السِّيَاقُ إِلَى مَن تَأْخُذُهُ الْعِزَّةُ فَيَقُولُ سَبْحَانَهُ هَلْ يَنْظُرُونَ النَّظَرَ بِمَعْنَى الْإِنْتِظَارِ أَى هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ يَقْلَعُوا عَنِ نِفَاقِهِمْ وَ كَفَرُوا فِي ظُلَمٍ مِنَ الْغَمَامِ جَمَعَ ظُلْمًا وَ هِيَ مَا يَسْتَظِلُّ بِهِ مِنَ الشَّمْسِ وَ سَمِيَ السَّحَابُ ظُلْمًا لِأَنَّهُ يَسْتَظِلُّ بِهِ مِنَ الشَّمْسِ، وَ الْغَمَامُ هُوَ السَّحَابُ وَ قَدْ كَانَتْ الْيَهُودُ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي ظُلَمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ كَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ مَعَهُ وَ لِذَا قَالَ:

وَ الْمَلَائِكَةُ عَطْفًا عَلَى «اللَّهِ» وَ قُضِيَ الْأَمْرُ أَى يَوْمَ تَغْيِيرِ الْكُونِ عَنْ وَضْعِهِ لَا يَبْقَى بَعْدَ مَجَالٍ لِلتَّكْلِيفِ إِنَّمَا هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ وَ يَكُونُ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ حِسَابِ وَ عِقَابِ وَ ثَوَابِ، لَا- يَوْمَ عَمَلٍ وَ شُغْلٍ، فَلِأَيِّ تَشِيرُ إِلَى أُسْطُورِ أَهْلِ الْكِتَابِ مَتَهَكِّمًا سَاخِرًا، ثُمَّ يَهْدِدُ وَ يُوْعِدُ بِأَنَّ الْأَمْرَ يَقْضَى فَلَا مَجَالَ بَعْدَ التَّكْلِيفِ.

[٢١٢] وَ حَيْثُ أُشِيرُ إِلَى أُسْطُورَةِ إِسْرَائِيلِيَّةٍ، تُوْجِهُ السِّيَاقُ إِلَى تَأْنِيهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا يَعَانِدُونَ فِي إِنْكَارِهِمُ لِلآيَاتِ سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ أَى أَعْطَيْنَاهُمْ أَدْلَةً وَاضِحَةً وَ مَعَ ذَلِكَ عَانَدُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢١٢ الى ٢١٣]

زُيِّنَ لِلذِّينِ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ يَسْتَحْزُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢) كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفوا فِيهِ وَ مَا اختلفَ

فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)

و لم يؤمنوا و مَنْ يُبَدِّل نِعْمَةَ اللَّهِ كَفَرًا فَلَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ فليهيئ نفسه لعقابه.

[٢١٣] زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا أَى الْحَيَاةَ الْقَرِيبَةَ مَقَابِلَ الْحَيَاةِ الْبَعِيدَةِ وَ هِيَ الْآخِرَةُ وَ الَّتِي زِينَتُهَا لَهُمْ هِيَ مَجْمُوعَةُ عَوَامِلَ بَعْضِهَا حَقٌّ وَ بَعْضُهَا بَاطِلٌ فَإِنَّ الْحَيَاةَ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ جَمِيلَةٌ تَزِينُ نَفْسَهَا كَمَا أَنَّ الشَّيْطَانَ وَ النَّفْسَ وَ الْهَوَى تَزِينُ الْحَيَاةَ لِتَصْرِفَ النَّاسَ عَنِ الْآخِرَةِ وَ يَسْتَحْزُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا حَيْثُ يَرَوْنَهُمْ مَنْصَرِفِينَ عَنْهَا مُقْبِلِينَ إِلَى الْآخِرَةِ- الَّتِي لَا يَعْتَقِدُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ بِهَا- وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَوْقَهُمْ أَى فَوْقَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مَنْزِلَةٌ وَ مَقَامًا وَ رَتَبَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا لَهَا فَأَدْرَكُوا خَيْرَهَا وَ الْكُفَّارُ لَمْ يَعْمَلُوا فَيَقُونَ هُنَاكَ سَائِلِينَ وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَالرِّزْقُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ بِالْكَفْرِ وَ التَّوَجُّهُ إِلَيْهَا حَتَّى يَحْرَمَ أَهْلَ الْآخِرَةِ مِنْهَا بَلِ الرِّزْقُ يَصِيبُ الْكَافِرَ وَ الْمُؤْمِنَ، فَالْمُؤْمِنُ مَنْعَمٌ فِي الدُّنْيَا وَ فَوْقَ الْكَافِرِ فِي الْآخِرَةِ.

[٢١٤] إِنْ كُلَّ حَرَكَةٍ إِصْلَاحِيَّةٍ لَا بَدَّ وَ أَنْ تَشَقَّ صَفُوفُ النَّاسِ الْمُتَصَافِقَةِ عَلَى الْفَسَادِ وَ هَكَذَا كَانَ بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ فَقَدْ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٤٠

اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ لِمَنْ آمَنَ وَ أَصْلَحَ وَ مُنذِرِينَ لِمَنْ كَفَرَ أَوْ عَصَى وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ قِيدَ تَوْضِيحِي إِذْ كُلُّ أَنْزَالٍ مِنَ اللَّهِ بِالْحَقِّ وَ إِنَّمَا أَكَّدَ لِمَقَابَلَتِهِ لِسَائِرِ الْكُتُبِ الَّتِي تَرَسَّلَهَا رُؤَسَاءُ الْحُكُومَاتِ إِلَى رِعَايَاتِهَا فَإِنَّ مِنْهَا مَا هُوَ حَقٌّ وَ مِنْهَا مَا هُوَ بَاطِلٌ لِيُحْكَمَ ذَاتَ الْكِتَابِ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أُمُورٍ مَعَامَلَاتِهِمْ وَ سَائِرِ مَعَاشِرَاتِهِمْ وَ الْاِخْتِلَافُ هُنَا لَا يَنَافِي كَوْنِ النَّاسِ أُمَّةً وَاحِدَةً إِذْ وَاحِدَةُ الْأُمَّةِ تَجْتَمِعُ مَعَ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ ثُمَّ صَارَ نَفْسَ الْكِتَابِ مَحَلًّا لِاِخْتِلَافِ الْأُمَّةِ فِيهِ، لَكِنْ هَذَا الْاِخْتِلَافُ لَيْسَ عَنِ الْوَاقِعِ وَ شَكِّ، لِأَنَّ الْكِتَابَ وَاضِحٌ بَلَّغٌ عَنِ حَسَدٍ وَ بَغْيٍ وَ طَمَعٍ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ أَى فِي الْكِتَابِ بِأَنْ فَسَّرَهُ كُلُّ حَسَبٍ نَظْرَهُ وَ هُوَ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتُوهُ أَى الْأُمَّةُ الَّتِي أُعْطِيَ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ أَى الْأَدْلَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَى مَعَانِي الْكِتَابِ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ أَى الْاِخْتِلَافُ إِنَّمَا نَشَأَ مِنَ الْبَغْيِ وَ الظُّلْمِ وَ الْحَسَدِ الْحَاصِلِ بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا حَقِيقَةً وَ أَرَادُوا اتِّبَاعَ أَحْكَامِ اللَّهِ وَاقِعًا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ أَى لِلشَّيْءِ الَّذِي اخْتَلَفَتْ الْأُمَّةُ فِيهِ بِإِذْنِهِ أَى بَلَطْفِهِ بِهِمْ حَيْثُ هَدَاهُمْ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ إِمَّا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٤١

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢١٤ إلى ٢١٥]

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبُؤْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ زُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥)

معناه الإيصال إلى المطلوب و هو ليس بواجب بالنسبة إلى الجميع و إما معناه إرائة الطريق و معنى من يشاء إنه لو لم يشأ لا يهدى أحد، إذ الهداية لا تكون إلا بإرسال الرسل، و الأول أنسب بالسياق.

[٢١٥] ثُمَّ يُسَأَلُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي مَتَاعِ هَذَا الْخِلَافِ حَيْثُ يَحَارِبُونَهُمُ الْكُفَّارَ لِأَجْلِ أَنَّهُمْ اهْتَدَوْا بِهَدْيِ اللَّهِ أَمْ حَسِبْتُمْ أَى بَلَّ حَسِبْتُمْ وَ ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ اعْتِبَاطًا وَ بَلَا مَشَقَّةٍ وَ حَرَجٍ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا أَى مَضُوا مِنْ قَبْلِكُمْ أَى لَمْ يَأْتِكُمْ بَعْدَ امْتِحَانٍ مِثْلَ امْتِحَانِ الْأُمَّةِ الْمُؤْمِنَةِ السَّالِفَةِ الَّذِينَ ثَبَتُوا وَ صَبَرُوا تَجَاهَ الْأَحْزَانِ وَ الْكَوَارِثِ وَ إِنَّمَا قَالَ «مِثْلُ» لِأَنَّهُمْ صَارُوا مِثْلًا لِلصَّبْرِ وَ تَحَمَّلَ الْمَكَارِهِ مَسْتَهْتِمٌ أَى لِمَسْتَهْتِمِ الْبُؤْسَاءِ الْفُقَرَاءِ وَ الضَّرَّاءِ الْمَرْضَى وَ الْحَرَجِ وَ أَشْبَاهَهُمَا وَ زُلْزَلُوا أَى حَرَكُوا بِأَنْوَاعِ الْمُحَنِّ وَ الْبَلَايَا حَتَّى وَصَلَ الْحَالُ إِلَى أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ لَتَلْكَ الْأُمَّةُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصِيرُ اللَّهِ اسْتَعْجَالًا لِلنَّصْرِ الْمَوْعُودِ وَ تَمَنِيًا لِلخِلَاصِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَ الْمُحَنِّ، فَاسْتَدْرَكَ الْأَمْرَ وَ أُجِيبَ سَوْأَلَهُمْ بِأَنَّهُ أَلَا إِنَّ نَصِيرَ اللَّهِ قَرِيبٌ وَ هَذَا جَوَابٌ طَبِيعِيٌّ يَقُولُهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ

آله و سلم و المؤمنون كلما رأوا البلاء و المحن، و في الآية تعبير المؤمنين و أنهم إنما يفوزون بسعادة الدنيا و الآخرة بعد مثل هذه الكوارث و المتاعب.

[٢١٦] و يأتي هنا دور أسئلته و جهته إلى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أجاب عنها القرآن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٤٢

[سورة البقرة (٢): آية ٢١٦]

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَ عَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَ عَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)

الكريم يجمعها الإقلاع عن الملذات و الصبر على الطاعة و بهذا يرتبط السياق بما قبله حيث كان الكلام في معرض التضحية في سبيل العقيدة و الإيمان و ما يأتي نوع من التضحية يَسْتَلُونَكَ يا رسول الله ما ذا يُنْفِقُونَ في سبيل الله من أقسام الأموال قُلْ ليس لهم الإنفاق فإنه أى شىء كان يقبل إذا كان المنفق عليه أهلاً كما أنه لا يقبل إذا كان المنفق عليه غير أهل فمعيار الإنفاق ليس ماهية المنفق و إنما شخص المنفق عليه ف ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فاللازم أن يكون للوالدين و المأقرين أقربائكم و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و أشباه ذلك مما يقصد به وجه الله سبحانه و ما تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ إنفاق أو غيره فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ فيجازيكم بالخير خيراً. و روى أنها نزلت في عمرو ابن الجموح، و كان شيخاً كبيراً كثير المال فقال يا رسول الله بما ذا أتصدق؟ و على من أتصدق فأنزل الله هذه الآية «١».

[٢١٧] ثم رجع السياق إلى الآية السابقة التي فيها ذكر التضحية و الزلزال كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ مع من تعدى عليكم أو على العقيدة الصحيحة أو على الناس وَ هُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ تَكْرَهُونَهُ وَ عَسَى

(١) فقه القرآن: ج ١ ص ٢٣٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٤٣

[سورة البقرة (٢): آية ٢١٧]

يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقِتَالِ وَ لَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَ مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)

بمعنى «قد» و ما بعده فاعله أن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ و القتال من ذلك فإنه يوجب سيادتكم و سعادتكم وَ عَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ و ترك القتال كذلك لما فيه من راحة الجسم و عدم اضطراب القلب لكنه شر لما فيه من زوال السيادة و العزة و تسلط الكفار و الأجانب وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فيه خيركم و شركم وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

[٢١٨] بعث رسول الله بسريه فاتفق أن قاتلت في شهر رجب و هي تترد في أن اليوم الذى حاربت فيه من جمادى أو رجب، و شهر رجب من الأشهر الحرم، و لذا كثر صخب المشركين و إنه كيف يقاتل الرسول في شهر حرام و أتى وفداهم إلى المدينة يسألون الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عن ذلك فنزلت هذه الآية يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ بدل شهر أى يسألونك يا رسول الله عن القتال في الشهر الحرام قُلْ قِتَالٌ فِيهِ أى فى الشهر الحرام كَبِيرٌ فى نفسه لا يجوز و لكن ليس كبر ذنبه مثل عظم ذنب ما تفعلونه أنتم أيها المشركون ف صِدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ أى المنع عنه بأن لا يسلم أحد وَ كُفْرٌ بِهِ أى بالله سبحانه و صد عن الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لئلا يحج المسلمون و إِخْرَاجُ أَهْلِهِ أى أهل المسجد الحرام مِنْهُ كما فعل المشركون بالنبي و المسلمين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٤٤

[سورة البقرة (٢): آية ٢١٨]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)

أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ فَكَيْفَ تَوَاضَعُونَ الْمُسْلِمِينَ بِذَنْبِ مَهْمَا عَظُمَ وَتَسْتَوُونَ ذُنُوبَكُمْ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنْهُ وَالْفِتْنَةُ الَّتِي أَنْتُمْ تَقِيمُونَ عَلَيْهَا مِنْ تَفْتِنِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِمْ وَإِغْرَائِهِمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ الَّذِي صَدَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَالْقَتْلُ يَفْسِدُ دُنْيَا الْمَقْتُولِ وَ الْفِتْنَةُ تَفْسِدُ دِينَ الْمَفْتَنِينَ وَ أُخْرَاهُ وَ لَا يَزَالُونَ أَى لَا يَزَالُ الْكُفْرَ يُقَاتِلُونَكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِلَى الْكُفْرِ إِنْ اِسْتِطَاعُوا أَنْ يَرُدُّوكُمْ وَ مَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عَنْ دِينِهِ إِلَى الْكُفْرِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ فِي مَقَابِلِ مَنْ ارْتَدَّ وَ رَجَعَ حَتَّى مَاتَ مُؤْمِنًا فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَ الْحَبْطُ هُوَ الْإِبْطَالُ وَ الْإِفْنَاءُ فَلَا حَسَنَةَ لَهُمْ وَ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِإِيمَانِهِمْ السَّابِقِ عَلَى الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُمْ احْتِرَامُ الْمُسْلِمِ وَ حَقُوقَهُ وَ الْآخِرَةُ فَلَا يَجْزَى بِالْجَنَّةِ وَ الثَّوَابِ وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِلَى الْأَبَدِ.

[٢١٩] وَ هُنَاكَ ظَنُّ أَنْسَانَ أَنَّ الْقَاتِلَ فِي رَجَبٍ إِنْ سَلِمَ مِنَ الْإِثْمِ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَجْرٌ لِأَنَّهُ انْتَهَكَ حَرَمَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا بِأَنْ قَطَعُوا دِيَارَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ وَ خَلَفُوا أَمْوَالَهُمْ لِأَجْلِ أَنْ يَكُونُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٤٥

[سورة البقرة (٢): آية ٢١٩]

يَسْتَلُونَكُمْ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)

مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وَ جَاهِدُوا أَى أَوْقَعُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْجَهْدِ وَ التَّعَبِ، وَ أَوْضَحَ أَفْرَادَهُ الْمَقَاتِلَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِكَسْبِ مَرَاذِيهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ يَأْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ يَغْفِرُ لِمَنْ زَلَّ وَ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا يَنْقُصُ أَجْرَهُمْ وَ إِنَّمَا قَالَ:

«يرجون» لأن الإنسان لا يدري ما حاله في المستقبل و إنه هل يبقى على الإيمان و الصلاح حتى يثاب أم يفتن في دينه حتى يحبط عمله.

[٢٢٠] يَسْتَلُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الْخَمْرِ وَ هِيَ كُلُّ مَسْكِرٍ وَ أَظْهَرَ أَفْرَادَهُ الْمَسْكِرَ الْمَتَّخِذَ مِنَ الْعَنْبِ وَ الْمَيْسِرِ وَ هُوَ الْقِمَارُ بِجَمِيعِ أَصْنَافِهِ وَ السُّؤَالُ كَانَ عَنْ حَكْمِهِمَا قُلْ يَا مُحَمَّدُ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ أَى وَزْرٌ عَظِيمٌ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْفَسَادِ الْكَبِيرِ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ فَإِنَّ الْخَمْرَ تَفِيدُ اللَّذَّةَ وَ الطَّرْبَ وَ فِي الْإِتْجَارِ بِهَا ثَمَنٌ وَ رِبْحٌ وَ الْقِمَارُ فِيهِ لَذَّةٌ لِلْعَاطِلِ وَ رِبْحٌ لِلْفَائِزِ وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا إِذْ الْفَسَادُ الَّذِي يَسْبَبَانِهِ فِي الْبَدَنِ وَ الْعَقْلِ وَ الْمَالِ أَكْبَرُ مِنَ اللَّذَّةِ وَ الرِّبْحِ الَّذِي يَحْصُلُ بِسَبَبِهِمَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْعُقُوبَةِ الْآخِرِيَّةِ الَّتِي تَصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنْ جَرَائِهَا. وَ يَسْتَلُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا يُنْفِقُونَ وَ هُنَا جَاءَ الْجَوَابُ طَبَقَ السُّؤَالِ وَ إِنَّهُ «مَاذَا» لَا إِنَّهُ «لِمَنْ» فَقَالَ قُلْ يَا مُحَمَّدُ الْعَفْوَ أَى الزَّائِدَ مِنَ الْمَالِ عَلَى النِّفْقَةِ فَإِنَّ مَا يَقْدِرُ نَفْقَةُ النَّفْسِ وَ الْأَهْلِ لَا يَنْفِقُ تَقْدِيمًا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٤٦

[سورة البقرة (٢): آية ٢٢٠]

فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)

لِوَأَجِبِي النَّفْقَةَ عَلَى غَيْرِهِ وَ هَذَا الْإِنْفَاقُ مُسْتَحَبٌّ لِمَا دَلَّ عَلَى حَصْرِ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ فِي أُمُورٍ مَعْدُودَةٍ كَذَلِكَ أَى هَكَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ كَذَا تَشْبِيهِهُ وَ إِشَارَةُ وَ الْكَافِ الْمَلْحَقُ بِهَا اللَّامُ لِلخُطَابِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِ الْأَدْلَةِ الْمُرْتَبِطَةَ بِالتَّشْرِيعَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ أَى لِكَيْ تَتَفَكَّرُوا.

[٢٢١] فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَ أَمْرِ الْآخِرَةِ فَتَجْمَعُوهُمَا فِي التَّفَكِيرِ ثُمَّ تَرُونَ جَمَالَ الْأَحْكَامِ إِذْ التَّفَكِيرُ فِي الدُّنْيَا فَقَطْ يَوْجِبُ شَلْلَ قِسْمٍ مِنَ

الأحكام فلما ذا ينفق الإنسان - مثلاً - وهو بحاجة إلى المال، كما إن التفكير في الآخرة فقط يوجب شلل قسم آخر من الأحكام فلما ذا لا ينفق الإنسان جميع أمواله لتحصيل أجر الآخرة و هكذا سائر الأحكام فلا يعرف جمالها إلا إذا افترس الإنسان في كلتا الحياتين و عرف المصلحتين و يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى كَيْفَ يَعَاشِرُوهُمْ فَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ وَ لَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١﴾ ذهب كل من عنده يتيم ليعزل اليتيم في مأكله و مشربه عن نفسه لئلا يتلى بماله و اشتد ذلك عليهم فسألوا النبي صلى الله عليه و آله و سلم فنزلت قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِصْلَاحُ لَهُمْ خَيْرٌ بَأَن يَصْلِحَ الْإِنْسَانُ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ وَ يَعَاشِرَهُ مَعَاشِرَةَ الْمَصْلُوحِينَ بِدُونِ أَجْرٍ وَ عَوْضِ خَيْرٍ مِّنْ عَزْلِهِمْ وَ طَرْدِهِمْ وَ إِن تَخَالَطُوهُمْ بَأَن تَخْلَطُوا أَمْوَالَهُمْ

(١) الأنعام: ١٥٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٤٧

[سورة البقرة (٢): آية ٢٢١]

وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَ لَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)

بأموالكم و تشاركون معهم بالنسبة و حفظ المقدار فهم إخوانكم في الإيمان و الأخ يعاشر الأخ بالإصلاح و الغبطة و الله يعلم المفسد من المصلح فهو عارف بنية المخالطين للأيتام و إنهم يريدون بالمخالطة الإفساد و أكل مال اليتيم أو الإصلاح و التحفظ على اليتيم حتى يبلغ و يرشد و لو شاء الله لأعنتكم أى أوقعكم فى العنت و المشقة بالنسبة إلى اليتيم بأن يوجب الاجتناب عن أموالهم و اعتزال أموالكم عن أموالهم فحيث أنه لم يفعل ذلك رحمة بكم فلا- تأكلوا أموالهم فسادا و طمعا إن الله عزيزٌ فهو يقدر- بعزته- من إعتاتكم حكيمٌ لا يفعل إلا الإصلاح و ما تقتضيه الحكمة.

[٢٢٢] ثم انتقل السياق إلى فئه من أحكام الأسرة فى النكاح و الطلاق و شؤونها و لعل الارتباط العام بين هذه الآيات و الآيات السابقة أنها انتهت إلى حكم اليتيم، فاللزام بيان العش الذى يترى فيه فراخ الإنسان، و إنه كيف يلزم أن يكون لينشأ الأولاد صالحين أصحاء جسما و عقلا و عاطفة و لا تَنْكِحُوا أَيُّهَا الرِّجَالُ الْمُسْلِمُونَ النِّسَاءَ الْمُشْرِكَاتِ سِوَاءَ كُنَّ أَهْلَ كِتَابٍ أَمْ لَا فَأَهْلُ الْكِتَابِ أَيْضًا مُشْرِكُونَ كما قال سبحانه فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ حَتَّى يُؤْمِنَ وَ يَدْخُلَ فِي الْإِسْلَامِ وَ لَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ تِلْكَ

(١) النمل: ٦٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٤٨

[سورة البقرة (٢): آية ٢٢٢]

وَ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَ لَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)

المشركة لجمالها أو مالها أو حسبها أو نسبها و لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ بناتكم أيها المسلمون حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ تَزَوَّجُهُ بِنْتُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ ذَلِكَ الْمَشْرُوكِ أُولَئِكَ الْمَشْرُوكَاتِ وَ الْمَشْرُوكُونَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ إِمَّا بِالتَّبْلِيغِ إِلَى الشَّرْكِ وَ إِمَّا بِحُكْمِ دِينِهِمْ فَإِن جَلَسَ الْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُتَدِينٍ لَا بَدَّ وَ أَنْ يَسْرِى إِلَى جَلِيسِهِ وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ أَيْ غَفْرَانَ الذُّنُوبِ بِإِذْنِهِ فَالْمُسْلِمَاتُ وَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ أَخَذُوا مَبَادِئَهُمْ عَنِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ لَا- بَدَّ وَ أَنْ يَدْعُونَ بِلِسَانِهِمْ أَوْ بِحُكْمِ دِينِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ أَحْكَامَهُ وَ دَلَالَتَهُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ أَيْ لِكَى يَتَذَكَّرُوا وَ يَتَعَطَّوْا وَ يَرشُدُوا.

[٢٢٣] وَ يَسْتَلُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الْمَحِيضِ الْحَيْضِ وَ الْمَحِيضُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَ أَنَّهُ هَلْ يَجُوزُ مَقَارَبَةُ النِّسَاءِ فِي حَالَةِ الْحَيْضِ أَمْ لَا قُلْ

يا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَى الْمَحِيضِ أذَى قَدْرٍ نَجَسٍ أَوْ مَشَقَّةٍ فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَالْإِعْتِرَالُ هُوَ الْإِبْتِعَادُ عَنْهُنَّ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ بِالْجَمَاعِ حَتَّى يَطْهُرْنَ وَ يَنْظِفْنَ عَنِ الدَّمِ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ عَنِ الدَّمِ فَأَتُوهُنَّ جَامِعُوهُنَّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٤٩

[سورة البقرة (٢): آية ٢٢٣]

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)

مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِمُقَابَرَتِهِنَّ مِنَ الْفَرْجِ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ الدَّمِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ الَّذِينَ يَرْجِعُونَ كَثِيرًا عَنْ ذُنُوبِهِمْ إِلَى النَّدَمِ وَ الْإِسْتِغْفَارِ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ كَلَّمَا أذْنَبُوا تَابُوا وَ رَجَعُوا وَ اسْتَغْفَرُوا وَ لَعَلَّ ذِكْرَ التَّوَابِ بِمُنَاسَبَةٍ أَنْ مِنْ زَلِّ فِقَارِبِ فِي الْمَحِيضِ يَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَتَهُ وَ إِنْ تَكَرَّرَ مِنْهُ إِذَا نَدِمَ نَدَمًا حَقِيقِيًّا وَ تَابَ تَوْبَةً نَصُوحًا وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ بِالمَاءِ عَنِ الْأَقْدَارِ الْبَاطِنِيَّةِ وَ الظَّاهِرِيَّةِ أَوْ بِالِاسْتِغْفَارِ عَنِ الذُّنُوبِ.

[٢٢٤] نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ أَى مَزْرَعَةٌ وَ مُحْتَرثٌ فَكَمَا يَحْرَثُ الْحَارِثُ الْبَذْرَ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَحْرَثُ الرَّجُلُ فِي زَوْجَتِهِ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ وَ زَرَعَكُمْ أَنْتُمْ شَتْتُمْ «أنى» إِمَّا زَمَانِيَّةٌ بِمَعْنَى أَى وَقْتٍ شَتْتُمْ، بِاسْتِثْنَاءِ أَيَّامِ الْحِيضِ الَّتِي سَبَقَ أَنَّهَا لَا يَجُوزُ وَ سَائِرَ مَا اسْتَشْنَى مِنْ حَالِ الصُّومِ وَ الْإِحْرَامِ وَ شَبَهَمَا، وَ إِمَّا مَكَانِيَّةٌ أَى إِيْتَانَهَا فِي قَبْلِهَا مِنْ خَلْفِهَا أَوْ قَدَامِهَا أَوْ جَانِبِهَا، أَوْ بِمَعْنَى الْكَيْفِيَّةِ بَارِكَةٌ وَ نَائِمَةٌ وَ قَائِمَةٌ، أَمَا أَنْ يَرَادَ سِيَاقُ السِّيْلَانِ فَبَعِيدٌ عَنِ سِيَاقِ الْآيَةِ وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ بِالْوَلَدِ فَإِنَّهُ يَبْقَى ذَخْرًا لَكُمْ، أَوْ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ بِالطَّاعَةِ حَيْثُ ذَكَرْتَ أَوَامِرَ وَ نَوَاهِي وَ اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَوَامِرِهِ وَ نَوَاهِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَ الْمَلَاقَاةُ هُنَا بِمَعْنَى أَنَّهُ عَلَيْكُمْ حِسَابُ الْمَلَاقَى لِمَلَاقِيهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٥٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ص ٢٩٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٢٤ الى ٢٢٥]

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَ لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥)

يَفُوزُونَ بِكُلِّ كَرَامَةٍ.

[٢٢٥] وَ نَاسِبٌ قِصَّةُ النِّسَاءِ حَلْفِ بْنِ رِوَاحَةَ حِينَ حَلَفَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَى خَتْنِهِ وَ لَا يَكَلِمُهُ وَ لَا يَصْلِحُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ امْرَأَتِهِ فَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي حَلَفْتُ بِهَذَا فَلَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَفْعَلَهُ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ مِمَّا نَاسِبٌ قِصَّةِ الْعَائِلَةِ وَ النِّسَاءِ الَّتِي سَبَقَتْ، وَ تَأْتِي، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: وَ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً أَى مَعْرُضًا لِأَيْمَانِكُمْ بِأَنْ تَحْلِفُوا بِهِ أَنْ تَبَرُّوا أَى لَثَلَا تَبَرُّوا، أَى تَرِيدُونَ بِالْحَلْفِ عَدَمَ الْبِرِّ وَ تَتَّقُوا وَ تَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ أَى وَ عَدَمَ التَّقْوَى وَ عَدَمَ الْإِصْلَاحِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْيَمِينَ فَاسِدَةٌ لَا تَنْعَقِدُ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ لِأَيْمَانِكُمْ وَ أَقْوَالِكُمْ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَ نِيَّاتِكُمْ.

[٢٢٦] لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ وَ لَا يَعَاقِبُكُمْ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ جَمْعُ يَمِينٍ، وَ يَمِينُ اللَّغْوِ هُوَ مَا يَجْرِي عَلَى عَادَةِ النَّاسِ مِنْ قَوْلِ: لَا وَ اللَّهُ وَ بَلَى وَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ عَقْدٍ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالًا وَ لَا- يَظْلَمُ بِهَا أَحَدًا وَ لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ أَى بِحَنْثِ يَمِينِ نَوَيْتُمْ الْيَمِينَ الْحَقِيقِيَّةَ حِينَ إِجْرَائِهَا وَ اللَّهُ غَفُورٌ يَغْفِرُ الذَّنْبَ حَلِيمٌ يَحْلُمُ عَنِ الْعِصَاةِ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُوا، وَ تَكَرَّرَ كَلِمَةُ غَفُورٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ لِفَتْحِ بَابِ التَّوْبَةِ أَمَامَ الْعِصَاةِ الَّذِينَ هُمْ كَثِيرًا مَا يَعْصُونَ عَنِ الشَّهْوَةِ وَ نَزْوَاتِ وَ هَوَى، فَإِنَّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٥١

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٢٦ الى ٢٢٨]

لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧) وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَ لَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ بَعُولَتُهُنَّ



أَحَقُّ بَرْدَهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِضْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)

الله سبحانه لا يسد عليهم باب التوبة وإن تكررت منهم المعاصي والذنوب.

[٢٢٧] ثم يرجع السياق إلى أحكام الأسرة مع مناسبة للحكم مع الحلف فيقول سبحانه: لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَ الْإِيْلَاءُ هُوَ الْحَلْفُ عَلَى تَرْكِ وَطَى الْمَرْأَةِ عَلَى وَجْهِ الْإِضْرَارِ بَعْدَ تَرْبُصٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مُبْتَدَأً لِقَوْلِهِ «لِلَّذِينَ» أَيْ تَوَقَّفَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ جَائِزٌ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ لِلرِّجَالَ أَنْ لَا يَطَّأَ زَوْجَتَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ بَعْدَ مَا تَمَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ خِيَرَهُ الْحَاكِمُ بَيْنَ الْوَطَى وَ الْكِفَارَةِ وَ بَيْنَ الطَّلَاقِ وَ إِنْ أَمْتَنَعَ عَنِ الْأَمْرَيْنِ حَسَبَهُ فَإِنْ فَاؤُ وَ رَجَعُوا إِلَى زَوْجَاتِهِمْ بِالْوَطَى بَعْدَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ بِهِمْ.

[٢٢٨] وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِلطَّلَاقِ عَلَيْهِمُ بِالضَّمَاثِرِ وَ النِّيَّاتِ.

[٢٢٩] وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ أَيْ يَصْبِرْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَيْ يَحْفَظْنَهَا عَنِ الزَّوْاجِ وَ نَحْوَهُ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ جَمْعُ قَرَأَ وَ هُوَ مِنَ الْفَاعِلِ الضَّدُّ يَطْلُقُ عَلَى الْحَيْضِ وَ عَلَى الطَّهْرِ وَ الْمَرَادُ هُنَا الطَّهْرُ فَإِذَا طَلَقَتِ الْمَرْأَةُ فِي طَهْرِهَا لَمْ يَوَاقِعْهَا فِيهِ الرَّجُلُ كَانَ هَذَا الطَّهْرُ وَ طَهْرَانِ آخِرَانِ بَيْنَهُمَا حَيْضٌ مُوجِبًا لِاتِّظَارِ الْعِدَّةِ فَإِذَا رَأَتْ الدَّمَ الثَّلَاثَ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا وَ لَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٥٢

يَكْتُمْنَ أَيْ يَخْفَيْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ مِنَ الْوَلَدِ وَ دَمِ الْحَيْضِ حَتَّى يَبْطُلْنَ حَقَّ الرَّجْعَةِ فِي الطَّلَاقِ الرَّجْعِيِّ أَوْ يَسْتَعِجِلْنَ الْعِدَّةَ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ آمَنَ بِهِمَا لَا بَدَّ وَ أَنْ تَسْتَقِيمَ حَرَكَاتُهُ وَ سَكَنَاتُهُ وَ أَقْوَالُهُ وَ أَعْمَالُهُ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ وَ أَنَّهُ سَوْفَ يَحَاسِبُهُ وَ بَعُولَتُهُنَّ أَيْ أَزْوَاجَ الْمُطَلَّقاتِ الرَّجْعِيَّاتِ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ إِلَى أَنْفُسِهِنَّ فِي ذَلِكَ أَيْ زَمَانَ التَّرْبُصِ إِنْ أَرَادُوا أَيْ الْبَعُولَةَ بِرَدِّهِنَّ إِضْلَاحًا لَا إِضْرَارًا، وَ ذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْإِضْرَارَ بِأَمْرَاتِهِ طَلَقَهَا وَاحِدَةً وَ تَرَكَهَا، حَتَّى إِذَا قَرِبَ انْقِضَاءُ عِدَّتِهَا رَاجِعَهَا وَ تَرَكَهَا مَدَّةً ثُمَّ طَلَقَهَا أُخْرَى وَ تَرَكَهَا مَدَّةً ثُمَّ رَاجِعَهَا وَ تَرَكَهَا أُخْرَى، وَ هَذَا الْعَمَلُ حَرَامٌ وَ إِنْ كَانَ يَثْبُتُ حُكْمُ الرَّجْعَةِ بِهِ وَ لَهُنَّ أَيْ حَقُّ النِّسَاءِ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ مِثْلُ الَّذِي لِلأَزْوَاجِ عَلَيْهِنَّ فَلِكُلِّ عَلَى الْآخِرِ حَقُّوقٌ تَتَكَافَأُ بِالْمَعْرُوفِ مِنَ الْعِشْرَةِ وَ سَائِرِ الْأُمُورِ وَ لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ زِيَادَةٌ دَرَجَةٌ فَإِنَّ بِيَدِهِ الطَّلَاقَ وَ لَهُ عَلَيْهَا الطَّاعَةُ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ يَنْفِذُ أَمْرَهُ حَكِيمٌ جَعَلَ أَحْكَامَهُ عَلَى طَبَقِ الْمَصْلِحَةِ وَ الصَّلَاحِ، وَ مِنَ الْمَحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بَيَانُ حَالِ الْعِدَّةِ أَيْ أَنَّ لِكُلِّ مِنَ الزَّوْجِ وَ الزَّوْجَةِ حَقًّا عَلَى الْآخِرِ فِي حَالِ الْعِدَّةِ مَعَ أَنَّ الرَّجُلَ لَهُ فَضِيلَةٌ عَلَى الْمَرْأَةِ بِأَنَّ الْإِخْتِيَارَ إِلَى الزَّوْجِ فَقَطْ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٥٣

[سورة البقرة (٢): آية ٢٢٩]

الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩)

[٢٣٠] الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِنَّ لِلرِّجَالَ أَنْ يَطْلُقَ زَوْجَتَهُ تَطْلِيقَتَيْنِ فَالْوَجِبُ إِذَا رَاجِعَهَا بَعْدَ التَطْلِيقَتَيْنِ إِمْسَاكٌ وَ حِفْظٌ لَهَا فِي حَبَالَتِهِ بِمَعْرُوفٍ بِالْعِشْرَةِ الْحَسَنَةِ أَوْ تَشْرِيحٌ وَ طَلَاقٌ ثَالِثٌ بِإِحْسَانٍ بِإِعْطَائِهَا حَقُوقَهَا وَ عَدَمِ التَّعَدُّيِّ، وَ فَوْقَ ذَلِكَ إِنَّهُ يَحْسُنُ إِلَيْهَا جَبْرًا لِخَاطِرِهَا الْمَكْسُورِ.

وَ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ أَنْ تَأْخُذُوا فِي حَالِ الطَّلَاقِ وَ الْإِسْتِبْدَالِ مِمَّا أَيْ مِنَ الَّذِي آتَيْتُمُوهُنَّ وَ أُعْطِيْتُمُوهُنَّ مِنَ الْمَهْرِ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَيُّ الزَّوْجَانِ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ مِنَ حَقُوقِ الزَّوْجِيَّةِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَيُّهَا الْحُكَّامُ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ مِنَ حَقُوقِ الزَّوْجِيَّةِ فَلَا جُنَاحَ وَ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمَا أَيْ عَلَى الزَّوْجَةِ فِي الْبَدْلِ وَ عَلَى الزَّوْجِ فِي قَبُولِ الْبَدْلِ فِيمَا أَيْ فِي الَّذِي افْتَدَتْ الزَّوْجَةُ بِهِ مِنَ الْمَالِ تِلْكَ الْأَحْكَامُ الْمَذْكُورَةُ هِيَ حُدُودُ اللَّهِ وَ أَمْرُهُ وَ نَوَاهِيهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَ لَا تَجَاوِزُوهَا بِالْمُخَالَفَةِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ مِنْكُمْ وَ يَتَجَاوِزُ حُدُودَ اللَّهِ وَ يَخَالَفُ أَمْرَهُ وَ نَوَاهِيَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 254

[سورة البقرة (2): الآيات 230 إلى 231]

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (230) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَّخِذُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)

[231] فَإِنْ طَلَّقَهَا طَلَّاقًا ثَلَاثًا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ الطَّلَاقِ الثَّلَاثِ فَإِنَّهَا تَحْرِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَنْكِحَ الْمَرْأَةَ الْمَطْلُوقَةَ ثَلَاثًا زَوْجًا غَيْرَهُ وَ يَسْمَى هَذَا الزَّوْجَ مُحَلَّلًا فَإِنْ طَلَّقَهَا أَيْ طَلَّقَ الْمَرْأَةَ الزَّوْجَ الثَّانِيَّ وَ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَيْ عَلَى الزَّوْجَةِ وَ الزَّوْجِ الْأَوَّلِ الَّذِي طَلَّقَهَا ثَلَاثَ طَلِّقَاتٍ أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَيْ الزَّوْجَانِ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فِي حَسَنِ الصَّحْبَةِ وَ الْمَعَاشِرَةِ وَ إِنْ لَمْ يَظُنَّا صِحَّ الرَّجُوعِ لَكِنَّهُ سَبَبٌ لِلْمَعْصِيَةِ وَ الْحَاصِلُ أَنَّ الْحُكْمَ الْوَضْعِيَّ الصَّحَّةَ وَ إِنْ كَانَ الْحُكْمُ التَّكْلِيفِيُّ الْحَرْمَةَ كَمَنْ يَغْسِلُ يَدَهُ النِّجْسَةَ بِالْمَاءِ الْمَغْضُوبِ الَّذِي يَوْجِبُ طَهَارَةَ يَدِهِ لَكِنَّهُ فَعَلَ حَرَامًا وَ تِلْكَ الْمَذْكُورَاتُ فِي بَابِ الطَّلَاقِ وَ النِّكَاحِ حُدُودَ اللَّهِ أَوَامِرُهُ وَ نَوَاهِيهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ الْأُمُورَ فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِهَذِهِ الْأَحْكَامِ.

[232] وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ أَيْ قَارِبِينَ تَمَامِ الْعِدَّةِ وَ إِنَّمَا عَبَّرَ بِهَذَا التَّعْبِيرِ لِأَنَّ انْقِضَاءَ الْعِدَّةِ يَعْبُرُ عَنْهُ بِانْقِضَاءِ الْأَجْلِ فَمَا يَقَابِلُهُ بُلُوغُ الْأَجْلِ إِذَا قَارِبَهُ، إِذِ الْبُلُوغُ الدَّقِيُّ خَارِجٌ عَنِ مَحَاوِرَةِ الْعَرَفِ فَأَمْسِكُوهُنَّ أَيْ احْفَظُوهُنَّ فِي حَبَالَتِكُمْ بِالرَّجُوعِ إِلَيْهِنَّ فِي عِدَّةِ الرَّجْعَةِ بِمَعْرُوفٍ الَّذِي يَعْرِفُهُ الْعُقَلَاءُ وَ الْمَشْرُوعُونَ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقُوقِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 255

[سورة البقرة (2): آية 232]

وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (232)

الزَّوْجَةَ أَوْ سِرِّحُوهُنَّ أَيْ اتْرُكُوهُنَّ حَتَّى تَنْقُضِي عِدَّتَهُنَّ بِمَعْرُوفٍ بِإِعْطَاءِ حَقُوقِهِنَّ كَامِلَةً مِنْ غَيْرِ إِيْدَاءٍ لِهِنَّ وَ لَا تُمْسِكُوهُنَّ بِأَنْ تَرْجِعُوا إِلَيْهِنَّ ضِرَارًا بِقَصْدِ الْإِضْرَارِ بَعْدَ لَطْوِيلِ الْعِدَّةِ أَوْ التَّضْيِيقِ فِي النِّفْقَةِ - كَمَا تَقْدِمُ - لِتَعْتَدُوا عَلَيْهِنَّ وَ تَظْلِمُوهُنَّ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ الْإِمْسَاكُ بِقَصْدِ الْإِضْرَارِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لِأَنَّهُ أَسَاءَ بِسَمْعَتِهِ عِنْدَ النَّاسِ وَ عَرَضَ نَفْسَهُ لِعَذَابِ اللَّهِ وَ سَخَطِهِ وَ لَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ أَحْكَامَهُ وَ أَوَامِرَهُ وَ نَوَاهِيَهُ هُزُوعًا بِأَنْ تَسْتَخْفُوا بِهَا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِكُلِّ نِعْمَةٍ، الَّتِي مِنْهَا نِعْمَةُ الزَّوْجَةِ الَّتِي تَسْكُنُونَ إِلَيْهَا وَ تَقْضُونَ مَآرِبَكُمْ بِسَبِيحِهَا وَادْكُرُوا مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَ الْحِكْمَةِ فَشَرَّفَكُمْ بِتَعْلَمِكُمْ الْأَحْكَامَ وَ إِرْشَادِكُمْ إِلَى مَا يَصْلِحُكُمْ وَ يَهَيِّئُ لَكُمْ حَيَاةً سَعِيدَةً يَعِظُكُمْ بِهِ أَيْ بِذَلِكَ الْكِتَابِ، وَ هَذَا إِمَّا صَفَةً لِلْكِتَابِ أَوْ جَمَلَةً مُسْتَأْنَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَوَامِرِهِ وَ نَوَاهِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَلَا يَفُوتُهُ عَمَلُكُمْ وَ نِيَّتُكُمْ فَلَا تَتَّخِذُوا لِسَخَطِهِ وَ غَضَبِهِ.

[233] وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ أَيْ انْقَضَتْ عِدَّتَهُنَّ - وَ ذَلِكَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 256

[سورة البقرة (2): آية 233]

وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تَضَارُّ وَالِدَتُهُ بِوَالِدِهَا وَ لَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(233)

بقريته: أن ينكح - فلا - تَعْضُ لُوهُنَّ أَى لا - تمنعوهن ظلما أن يَنْكِحَنَّ أزواجهنَّ إلى الزوج السابق أو من تريد الزواج به فعلا و سمي زوجها للأول و ربما قيل فى وجه النزول أن معقل بن يسار عضل أخته جملاء أن ترجع إلى الزوج الأول و هو عاصم بن عدى حين طلقها و خرجت من العدة ثم أراد أن يجتمعا بنكاح جديد فمنعهما من ذلك، و لو كان كذلك كان المراد بأزواجهن بالمعنى الأول فإنه لا يحق لأحد أن يمنع المرأة الثيبه فى الرجوع إلى زوجها بنكاح جديد إذا تراضوا بينهما بالمعروف مما أباحه شرع الإسلام من شروط النكاح و آداب العشرة ذلك المذكور من تحريم العضل يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله و اليوم الآخر فإن المؤمن يجنب سخط الله و يتغى رضاه ذلكم الذى ذكرنا فى باب الزواج أركى لكم أنمى لكم و أظهروا لنفوسكم فإن فى الزواج النسل و التحصن و سير الحياة إلى الأمام و الله يعلم و أنتم لا تعلمون فاتبعوا أوامره و انتهوا عن زواجه.

[٢٣٤] و الولادات يُرضِعَنَّ أولادهنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ فَإِنِ الْأُمُّ تَرْضَعُ وَلَدَهَا سَنَتَيْنِ تَامَتَيْنِ أَرْبَعَهُ وَ عَشْرِينَ شَهْرًا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ التى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٥٧

ندب إليها الإسلام و من العلماء من أوجب ذلك و عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ أَى الأب، و إنما عبر بهذا التعبير إثارة للعاطفة، له فإن الأب قد ولد له الولد فاللازم أن يحنو عليه رزقهنَّ الإيدام و الطعام و كسوتهنَّ اللباس بالمعروف لدى الشرع و العرف من اللائق بحالها فإن على الأب أن يقوم بهذه الشؤون ما دامت الأم فى الرضاع، و قد استفاد أكثر المفسرين من هذه الجملة كون الكلام حول الأم المطلقة و إلا فالرزق و الكسوة على الزوج لأجل النكاح لا - لأجل الرضاع لا تَكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا فكل من الأب و الأم يؤدي واجبه فى حدود طاقته فلا تتحمل الأم الرضاع بلا بدل و لا ينتفع الأب بولده فى المستقبل مجاناً فسعة هذه أن ترضع ببدل، و سعة ذاك أن يدفع الأجر لما يعود نفعه إليه لا تُضَارَّ وَالْتِدَّةُ بِوَلَدِهَا بَأَن تَرْضَعُ مَجَانًا و بلا عوض باستغلال الأب عاطفة الأم للولد فلا ينفق عليها، أو بمعنى أن الوالدة لا يؤخذ منها الولد ليعطى للأجنبية غيظاً من الأب عليها فتضر بفرق ولدها و لا يضر مؤلوداً له أى الأب بولده بأن تستغل الأم عاطفة الأب نحو الولد فتكلفه أكثر من الكسوة و الرزق قبال رضاعها، أو لا يضر الأب بولده بأن يأخذه من الأم و يعطيه للأجنبية، فإن لبن الأم أوفق بالولد، و الأول أقرب إلى السياق و عَلَى الْوَارِثِ لِلأبِ إِذَا مَاتَ الأَبُ مِثْلُ ذَلِكَ الرزق و الكسوة للأم فى حال رضاعها للولد،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٥٨

[سورة البقرة (٢): آية ٢٣٤]

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا إِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)

ولا - يخفى أن أجر رضاع الصبى مما يرثه الصبى من أبيه لدى موت الأب فإن أراد أى الأب و الأم فصالحاً للولد عن الرضاع بأن يفظمها قبل الحولين عن تراضٍ منهما و تشاورٍ بأن تشاور الأبوان و تراضيا فى فطام الولد قبل العامين و ذلك لئلا يتضرر الصبى إذا استقل أحدهما بالفطام فإن الرضا المتعقب للمشورة لا يكون إلا إذا كان الانفصال صلاحاً فلا جناح عليهما أى على الأبوين فى هذا الفطام و إن أردتم أيها الآباء أن تسترضعوا أولادكم بأن تستأجروا لهم مرضعات غير أمهاتهم فلا جناح و لا حرج عليكم فى ذلك إذا سلمتم إلى المرضعات ما آتيتن و وعدتم لهن من الأجر بالمعروف أى تسليماً بالمعروف بدون نقصان و مطل و من، و هذا شرط تكليفى لا - وضعى، كما هو كثير فى القرآن الحكيم، لغاية الإلفات إلى لزوم كون الأعمال عن صدق و إخلاص و تقوى و اتقوا الله فى أعمالكم التى منها الأحكام السالفة حول الرضاع و اغموا أن الله بما تعملون بصير فلا يغيب شىء عنه و لا تخفى عليه خافية، فلتكن أعمالكم حسب مرضيه و أوامره.

[٢٣٥] و الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ أَى الرجال الذين يموتون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٥٩

[سورة البقرة (٢): آية ٢٣٥]

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥)

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا أَى يَخْلِفُونَ زَوْجَاتِهِمْ بِتَرْبِصٍ بِأَنْفُسِهِمْ أَى يَحْفَظْنَ أَنْفُسَهُنَّ عَنِ الزَّوْجِ وَ لَعَلَّ فِي قَوْلِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ النَّفْسَ وَ لَوْ كَانَتْ تَطْمَاحُ نَحْوَ الزَّوْجِ لَكِنْ الْوَاجِبُ اصْطِبَارُهَا وَ التَّحْفِظُ عَلَيْهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا فَفِي هَذِهِ الْمُدَّةِ يَجِبُ عَلَيْهَا الْحَدَادُ بِتَرْكِ الزَّيْنَةِ وَ الْخِطْبَةِ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ وَ انْقَضَتِ الْمُدَّةُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنَ الزَّيْنَةِ أَوْ الْخِطْبَةِ أَوْ النِّكَاحِ فَإِنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهَا وَ النَّاسِ مُسْلَطُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَلْمَعْرُوفِ بِأَنَّ لَا تَعْمَلُ مَنْكَرًا يَنَافِي الْإِسْلَامَ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَيَطَّلَعُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَ لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ إِطَاعَتِكُمْ وَ مَخَالَفَتِكُمْ.

[٢٣٦] وَ إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْعِدَّةِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الرَّاعِبُونَ فِي الزَّوْجِ مِنْهُنَّ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ بِأَنَّ تَلْمَحُوا إِلَى رَغْبَتِكُمْ فِي الزَّوْجِ مِنْهُنَّ وَ تَعَرَّضُوا عَلَى ذَلِكَ تَعْرِيزًا وَ إِشَارَةً مِنْ طَرَفِ خَفِيِّ، لَا تَصْرِيحًا فَإِنَّ ذَلِكَ خِلَافُ الْجَوْ الَّذِي يَحِيطُ بِالْمَرْأَةِ الْمَعْتَدَةِ مِنَ الرِّبْطِ الْبَاقِي بَيْنَهَا وَ بَيْنَ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ أَوْ أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ بِأَنَّ أَمْزَجْتُمْ إِرَادَةَ زَوْجِيهِمْ بِدُونِ أَنْ تَصْرَحُوا أَوْ تَلْمَحُوا بِذَلِكَ فَإِنَّ الْكِنَايَةَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٦٠

اللفظية و الإضمار القلبي لا جناح فيهما عليم الله أنكم أيها الرجال ستذكرونها و هن في العدة إرادة للزواج بهن و لكن لا تصرحوا بالخطبة و لا تؤاعدوهن سرًا في الخلوة فتبدوا رغبتكم في الزواج بهن في منأى من الناس إلا أن تقولوا قولًا معرُوفًا بالكناية و التلميح لا بالتصريح و ذكر ما يقبح ذكره كما كانت عادة بعض الناس.

وَ لَا تَعْرِضُوا أَى لَا تَقْصِدُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ أَى إِجْرَاءَ الصِّيغَةِ الَّتِي هِيَ كَعَقْدَةِ تَعْقُدِ النِّكَاحِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ، وَ قَدْ نَهَى عَنِ الْعَزْمِ عَلَى ذَلِكَ مِبَالِغَةً، كَقَوْلِهِ: وَ لَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ (١) حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبْتُمْ فِي بَابِ الْعِدَّةِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا (٢) أَجَلُهُ أَى أَمَدُهُ، بِأَنَّ تَنْقِضِي الْعِدَّةَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ عَزْمِ النِّكَاحِ فَكَيْفَ بِمَا تَسْرُونَ بِهِ مِنْ نِكَاحِ الْمَعْتَدَةِ سِرًّا فَاحْذَرُوهُ أَنْ تَخَالَفُوهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يَسْتُرُ عَاجِلًا فَلَا يَغْرَنُكُمْ سِتْرُهُ حَلِيمٌ عَلِيمٌ فَلَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ فَلَا يَسَبِّبُ ذَلِكَ جِرَاتِكُمْ عَلَى انْتِهَاكِ حَرَمَاتِهِ.

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) راجع موسوعة الفقه: ج ٧٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٦١

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٣٦ إلى ٢٣٧]

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) وَ إِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَ لَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)

[٢٣٧] وَ بَعْدَ بَيَانِ حُكْمِ مَوْتِ الزَّوْجِ، يَأْتِي حُكْمُ الطَّلَاقِ، وَ الطَّلَاقُ إِنْ كَانَ قَبْلَ الدِّخُولِ وَ لَمْ يَذْكُرْ فِي الْعَقْدِ مَهْرًا فَلِلْمَرْأَةِ الْمَتَعَةُ، وَ إِنْ كَانَ قَبْلَ الدِّخُولِ وَ ذَكَرَ الْمَهْرَ فَلِلْمَرْأَةِ نِصْفَ الْمَهْرِ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ بِالْدِّخُولِ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً «أَوْ» بِمَعْنَى الْوَاوِ، أَى لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنَ الْأَمْرَيْنِ لَا الْمَسَّ وَ لَا الْمَهْرَ، وَ يُسَمَّى الْمَهْرَ فَرِيضَةً لِأَنَّهُ يَجِبُ إِذَا سُمِّيَ، وَ الْمَعْنَى

أنه يباح الطلاق قبل المس و الفرض، فلا يتوهم أحد أن النكاح لأجل الوطى فكيف يصح الطلاق قبله و مَتَّعُوهُنَّ أى أعطوهن المتعة و هى ما تتمتع به المرأة و يوجب تعويضا يجبر خاطرها الكسير عَلَى المُوَسِّعِ أى الغنى يقال أوسع الرجل إذا كثر ماله قَدْرُهُ من دار أو خادم أو نحوهما و عَلَى الْمُفْتِرِ أى الفقير يقال أقر الرجل إذا افتقر قَدْرُهُ كخاتم أو درهم أو نحوهما مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ليس فيه إسراف و لا تقصير حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون طاعة الأوامر و الانتهاء عن الزواجر.

[٢٣٨] وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ طَلَاقا قبل الدخول و قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً بَأْنِ عَيْتِمٍ فى النكاح المهر فعليكم أن تدفعوا إلى المرأة نصف ما فَرَضْتُمْ نصف المهر، هذا هو الحكم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٦٢

[سورة البقرة (٢): آية ٢٣٨]

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)

الواجب إلَّا أَنْ يَعْفُونَ أى تعفى المرأة عن نصفها فلا تأخذ شيئا و تهب مالها إلى الزوج أو يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ يمكن أن يراد به الزوج بَأْنِ يَعْفُونَ أى تعفى المرأة عن نصفه فيعطى للمرأة جميع مهر المرأة، و روى أن المراد عفو ولى الزوجة، فيما إذا كان لها ولى مفروض كالصغيرة، أو موكل من قبلها فى الكبيرة و أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى فَإِنْ مِنْ يترك حق نفسه تبرعا أقرب إلى التقوى بَأْنِ تَبْقَى معصية الله فلا- يطلب ما ليس له و لا- تَنَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ بَأْنِ يَتَفَضَّلُ بعضكم على بعض فيتنازل عن حقوقه لأجل صاحبه و لعل الفرق بين العفو و الفضل أن العفو هبة جميع حقوقه و الفضل هبة بعضها إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيكم على أعمالكم إن حسنا و إن سيئا.

[٢٣٩] إِنْ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ دائما يطفء أجواء الأحكام بتلميح إلى قدرة إله الكون و عظمتة و رحمته و غفرانه و نحوها ليسمو بالنفس و يربط الحكم بالخالق حتى يكون أقرب إلى التنفيذ، و لما طالت آيات الأحكام و بالأخص ما له جو كابت حزين من طلاق و موت و نحوهما أتت آيات الصلاة متداخلة بينها لتشع فى النفس الطمأنينة و الهدوء أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ «١» مع مناسبة لهذه الآيات مع الجو العام لما قبلها

(١) الرعد: ٢٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٦٣

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٣٩ إلى ٢٤٠]

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا- أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩) وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا وَصِيَّتَهُ لِيَأْزُواجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْتُمْ فَرَجًا- جُنَاحٌ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)

و بعدها حيث تعرضت لصلاة الخوف و المطاردة، هذا ما أحتمله أن يكون سببا لذكر هذه الآيات هنا متوسطة أحكام الموت و الطلاق حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ كلها و الصَّلَاةِ الْوُسْطَى خاصة و هى صلاة الظهر لأنها تتوسط بين النهار فإن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يصلها بالهاجرة فى مسجد مكشوف فكانت أثقل صلاة عليهم و لذا لم يكن يحضرها إلا الصف و الصفان فقط، كما ورد عن بعض الصحابة و قَوْمُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لِلَّهِ قَانِتِينَ أى داعين فإن القنوت هو الدعاء، و منه القنوت فى الصلاة و المراد إما القنوت فى الصلاة أو مطلقا.

[٢٤٠] فَإِنْ خِفْتُمْ فَلَمْ تَمَكِّنُوا مِنَ الْمَحَافِظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ بِشَرَائِطِهَا وَ آدَابِهَا، حيث ابتليتم بالعدو الذى لا يسمح لكم بالصلاة الكاملة فصلوا رجالا- جمع راجل أى مشاة أَوْ رُكْبَانًا جمع راكب أى على ظهور دوابكم فَإِذَا أَمِنتُمْ مِنَ الْخَوْفِ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ صَلَاةً كَامِلَةً كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ من أمور دينكم و دنياكم.

[٢٤١] ثم رجع السياق إلى تنمة الأحكام السابقة، بعد ما أشعت في النفس الاطمئنان و ندى الجو بذكر الصلاة وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذُرُونَ أَزْوَاجًا «يتوفون» مجازا بالمشاركة، فإنه كثيرا ما يعبر عن شارف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٦٤

[سورة البقرة (٢): آية ٢٤١]

وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١)

أمرًا بالداخل فيه، كما يعكس كثيرا فيعبر عن الداخل بالمشارف، نحو «لا تَقْرُبُوا مالَ الْيَتِيمِ» و «لا تَغْرِمُوا عَقْدَةَ النِّكاحِ» فالمراد الذين يقاربون الوفاء، و لهم زوجات فمن الأفضل أن يوصوا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ بأن يمتنعن الوصى متاعاً إلى الحَوْلِ فيعطى النفقة و الكسوة إليهن إلى سنة كاملة غَيْرِ إِخْرَاجِ أى فى حال كونهن غير مخرجات إخراجا عن بيوت أزواجهن فَإِنْ خَرَجْنَ عن رغبتهن فَلَا- جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أيها الأولياء فى ما فَعَلْنَ فى أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ بالزواج و الزينة بعد انقضاء عدة الوفاء- و هى أربعة أشهر و عشر- فإن قبل ذلك لا يكون معروفا، بل منكرا و الله عَزِيزٌ فيحكم بمقتضى عزته و سلطته حَكِيمٌ لا يحكم اعتبارا بل عن مصالح و علل، و هذه الآية حسب ما ذكرنا لها من المعنى لا تكون منسوخة بآية «أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا».

[٢٤٢] وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ يمتنعن الأزواج بشىء سواء كن واجبة النفقة أم لا- بِالْمَعْرُوفِ فإن ذلك يسبب رفع الغضاضة حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ الذين يتقون مخالفة أوامر الله سبحانه إيجابا كانت أو ندبا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٦٥

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٤٢ إلى ٢٤٣]

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)

[٢٤٣] كَذَلِكَ الذى بين الله لكم الأحكام يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أى لكى تعقلوا آياته و أحكامه.

[٢٤٤] و من جو الأسرة و امتدادها و انقطاعها ينتقل السياق إلى قصة الحياة و الموت التى تشبه قصة الأسرة فى كونها امتدادا للحياة العائلية و انقطاعا لها فى قصة عجيبة هى: أن أهل مدينة من مدائن الشام كانوا سبعين ألف بيت هربوا من الطاعون فمروا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها و أفنهم الطاعون فزولوا بها فأماتهم الله من ساعتهم جميعا و صاروا رميما يلوح، فمر بهم نبى من أنبياء بنى إسرائيل يقال له «حزقيل» فبكى و استعبر و قال: يا رب لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتهم، فعمروا بلادك و ولدوا عبادك و عبدوك مع من يعبدك، فأوحى الله إليه أن يقول الاسم الأعظم فقال عليهم فعادوا أحياء ينظر بعضهم إلى بعض يسبحون الله و يكبرونه و يهللونه أَلَمْ تَرَ استفهام تقريرى أى ألم تعلم فإن الرؤية تأتى بمعنى العلم كقول الشاعر: «رأيت الله أكبر كل شىء» و قد استفهم بمثل هذا الاستفهام لإيجاد العلم إلى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ سبعون ألفا كما تقدم حَذَرَ الْمَوْتِ و فرارا من الطاعون فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا فأماتهم حيث ظنوا الهرب ثُمَّ أَحْيَاهُمْ بدعاء النبى حزقيل عليه السلام

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٦٦

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٤٤ إلى ٢٤٥]

وَ قَاتِلُوا فى سَبِيلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَ اللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ كلهم بخلقهم و رزقهم و تدبير أمورهم وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا- يَشْكُرُونَ نعمه و فضله عليهم بل يقللون فضله بالعصيان.

[٢٤٥] وَ إذ علمتم أن الهروب من الموت لا ينفع ف قَاتِلُوا فى سَبِيلِ اللَّهِ و لا تهربوا خوف الموت وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِكُمْ عَلِيمٌ

بنياتكم و أعمالكم.

[٢٤٦] إن القتال بإعطاء المال و النفس في سبيل الله ليس هدرا و إنما المقاتل و العامل للبر، يقرض الله بما يذهب منه ثم يرجعه سبحانه إليه ف من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً أى أى شخص ذاك الذى يقرض الله و ينفق نفسه و ماله في سبيله قرضاً حسناً لا لرياء و سمعة و لا- بمن و إكراه و سائر ما يشين القرض فيضاعفه له أضعافاً كثيرةً ربما بلغت الملايين و عما ذا تخافون في قرض أموالكم هل من الفقر؟ و الله يقبض فيفقر و يبيسط فيغنى فلا- ينفعكم البخل و لا- يضركم القرض و السخاء، أم تخافون في قرض أنفسكم لله من الموت؟ و إليه ترجعون فيعطيكم أفضل مما أخذ منكم،

قال الإمام أمير

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٦٧

[سورة البقرة (٢): آية ٢٤٦]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ أَبْنَانِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)

المؤمنين عليه السلام لأحد أولاده «أعر الله جمجمتك» (١).

[٢٤٧] و هنا قصة حياة أو موت أخرى تناسب القصة السابقة ألم تَرَ أى ألم تعلم- كما تقدم- إلى المَلَأِ أى الجماعة من بنى إسرائيل من بعد موسى النبى إذ قالوا لنبي لهم هو أشموئيل و بالعربية إسماعيل ائمت لنا ملكاً أى سلطاناً نقاتل في سبيل الله تحت لوائه حيث أذلهم الجبابرة و أخرجتهم من بلادهم و قتلتهم و سبيت ذراريهم و نسائهم و كان النبى في ذلك الزمان ينظم أمور الدين و الملك و ينظم أمور الجيش و السلطة قال النبى هل عسيتم أى لعلكم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا أراد بذلك أخذ العهد عليهم في المقاتلة إن عين ملك لهم قالوا أى قال المَلَأُ فى جواب النبى عليه السلام و ما لنا ألا نقاتل في سبيل الله أى ليس بإمكاننا أن نترك القتال و قد أخرجنا من ديارنا أخرجنا الأعداء من بلادنا و أبنائنا أى إخراجنا من أبنائنا حيث قتل بعضهم و سبى البعض،

(١) نهج البلاغة: ص ٦٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٦٨

[سورة البقرة (٢): آية ٢٤٧]

وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يَأْتِ سِيعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مَلِكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)

فسأل النبى عليه السلام من الله ذلك، فاستجاب الله دعاه و عين لهم ملكاً و كتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال تولوا أدبروا و كرهوا القتال إلا قليلاً منهم و الله عليهم بالظالمين الذين فروا من الجهاد بعد طلب منهم و إلحاح.

[٢٤٨] وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ أَشْمُوئِيلُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ و عين عليكم طالوت ملكاً و كان من أبناء «بن يامين» أخى يوسف عليه السلام و لم يكن من سبط النبوة و لا من سبط المملكة، فإن النبوة كانت فى أولاد «لاوى» ابن يعقوب عليه السلام، و المملكة كانت فى أولاد «يهودا» ابن يعقوب عليه السلام قالوا أنى أى كيف يكون له الملك علينا و يجعل سلطاناً و ملكاً لنا و نحن أحق بالملك منه لأننا من أسباط النبوة و المملكة و لم يؤت سيعة من المال فهو فقير لا- مال له و الملك يحتاج إلى المال ليدير شؤون السلطة قال النبى عليه السلام فى جوابهم إن الله اصطفاه عليكم و الله لا يصطفى إلا من هو الأصلح بحال عباده و زاده بسطة أى سعة و زيادة فى العلم و المملكة تحتاج

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٦٩

[سورة البقرة (٢): آية ٢٤٨]

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤٨)

إلى علم الملك ليتمكن به من إدارتها والجسم فهو رجل سمين يهابه الناس، شجاع يخافه الأعداء وهذه الأمور هي مقومات الملك لا المال فإن العلم والشجاعة والهيبة تأتي بالمال، وليس بالعكس وليس كونه من «بن يامين» نقصا فكما جعل الله الملك في بيت «يهودا» سابقا يجعله في «طالوت» حالا فإن الله يؤتي ملكه من يشاء وليس احتكارا على أحد والله واسع قدره وعطاء فيهب الملك لمن يشاء عليهم بمصالح العباد فلا يجعل شيئا إلا إذا كان صالحا.

[٢٤٩] وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ أَشْمُوئِيلُ زِيَادَةٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَىٰ جَعَلِ اللَّهُ «طالوت» ملكا عليهم إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ جَعَلَهُ مَلِكًا أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ وَهُوَ تَابُوتُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ فَوَضَعَتْ مُوسَىٰ فِيهِ حِينَ أَلْقَتْهُ فِي الْبَحْرِ وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَتَّبِعُونَ بِهٖ فَلَمَّا حَضَرَ مُوسَىٰ الْمَوْتَ وَضَعَ فِيهِ الْأَلْوَابَ وَدَرَعَهُ وَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ آيَاتِ النَّبُوَّةِ وَأُودِعَهُ يَوْشَعَ وَصِيَهُ فَلَمْ يَزَلِ التَّابُوتُ بَيْنَهُمْ حَتَّى اسْتَخَفُّوا بِهِ وَكَانَ الصِّيَانَ يَلْعَبُونَ بِهِ فِي الطَّرِيقَاتِ فَلَمْ يَزَلِ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي عِزِّ وَشَرَفٍ مَا دَامَ التَّابُوتُ بَيْنَهُمْ فَلَمَّا عَمَلُوا بِالْمَعَاصِي وَاسْتَخَفُّوا بِالتَّابُوتِ رَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ ثُمَّ جَعَلَ رَدَّ التَّابُوتِ عَلَيْهِمْ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهُ جَعَلَ اللَّهُ طَالُوتَ مَلِكًا فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ تَسْكُنُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٧٠

[سورة البقرة (٢): آية ٢٤٩]

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَا مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلًا غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)

إليه وتعلمون أنكم منصورون بسببه ويكون دليلا على ملك طالوت وبقيته مما ترك آل موسى وآل هارون عصا موسى عليه السلام والألواح وطست خاص بالأنبياء عليهم السلام وأشياء أخرى، فإنها وصلت بالارث إلى آل هذين النبيين المعظمين وهم جعلوها في التابوت تحمله الملائكة حملا واقعا أو حملا ظاهرا بأن رأى بنو إسرائيل الملائكة بين السماء والأرض أت بالتابوت إن في ذلك التابوت الذي رجع إليكم بعد فقدته لآية لكم على كون طالوت ملكا إن كنتم مؤمنين مصدقين، أي إن كنتم مؤمنين قلبا، تصدقون ذلك.

[٢٥٠] فَلَمَّا رَأَىٰ بَنُو إِسْرَائِيلَ التَّابُوتَ صَادِقُوا وَانضَوْا تَحْتَ لُؤَاءِ طَالُوتَ، وَتَحَرَّكَوا نَحْوَ الْجِهَادِ مَعَ أَعْدَائِهِمْ وَلَمَّا فَصَلَ خَرَجَ وَانْفَصَلَ عَنِ الْمَدِينَةِ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ قَالَ طَالُوتُ مَمْتَحِنًا لِلْجُنُودِ حَتَّى يَتَّبِعُوا مَقْدَارَ صَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ عَلَى الْمَكَارِهِ وَأَنَّهُمْ إِنْ جَاوَزُوا مِنْ نَهْرِ الْمَاءِ عَطَاشًا يُوَثِّقُ بِهِمْ فِي الْحَرْبِ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يَتِمَّكُنُوا مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَطَشٍ قَلِيلٍ فَهَمَّ أُخْرَىٰ بِأَنْ لَا يَصْبِرُوا أَمَامَ السُّيُوفِ وَالرَّمَاحِ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ بِهٖمْ مِنْ مَاءٍ فِي طَرِيقِكُمْ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي مِمَّنْ يَتَّبَعُنِي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٧١

ولينصرف ومن لم يطعمه أي لم يذق طعم ذلك الماء فإنه مني ويتبعني إلا من اغترف غرفة واحدة بيده فشربها فقط لا أكثر من ذلك فشربوا منه من النهر إلا قليلا منهم الذين أطاعوا أمر طالوت فلم يشربوا إلا غرفة واحدة وهؤلاء الذين أطاعوا هم الذين اتبعوا طالوت إلى الحرب أما من عصاه فلم يتبعه فلما جاوزه هو أي جاوز طالوت النهر والذين آمنوا معه ممن تبعه ولم يشرب الماء إلا غرفة قالوا لا طاقه لنا اليوم بكفار وهو رئيس الكفار وجنوده لما رأوا من كثرتهم قال الذين يظنون أنهم ملأوا الله من أصحاب طالوت، وفي قوله «يظنون» إشارة إلى أن الظن بالمعاد كاف في تحفيز الإنسان نحو الجهاد والأعمال الصالحة، وملاقاة الله كناية عن



القيامه لأنهم يلاقون جزاء الله كم من فئه أي جماعه قليله غلبت فئه كثيره بإذن الله أي نصره و الله مع الصابرين الذين يصبرون على المكاره و يثبتون عند ملاقاء الكفار، و بهذا الكلام شجعوا أنفسهم و أصحابهم لمقابلة جالوت و جنوده.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٧٢

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٥٠ الى ٢٥١]

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أفرغ علينا صبراً وَ تَبَّتْ أقدامنا وَ انصُرنا على القوم الكافرين (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ قَتَلَ داوُدُ جَالُوتَ وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَ لَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)

[٢٥١] و لَمَّا بَرَزُوا أي ظهرُوا في محل الحرب لِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ الكثیرة قَالُوا أي قال طالوت و المؤمنون رَبَّنَا أفرغ أي أصبب عَلَيْنَا صَبْرًا لنكون صابرين في الحرب وَ تَبَّتْ أقدامنا حتى لا نفر وَ انصُرنا على القوم الكافرين فاستجاب الله سبحانه دعاءهم.

[٢٥٢] فَهَزَمُوهُمْ أي هزم طالوت و المؤمنون، جالوت و الكفار بِإِذْنِ اللَّهِ وَ نصره وَ قَتَلَ داوُدُ النبی علیه السّلام و هو أبو سليمان علیه السلام جالوتَ رئیس الكفار فإن داود أخذ حصاه و رماها بالمقلاع نحو جالوت فأصابت جبهته و كانت فيها ياقوته فانتشرت و وصلت إلى دماغه و خر ميتا و هزم الكفار وَ آتَاهُ أي أعطى الله داود علیه السّلام الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ فَصار نبيا و ملكا وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ من العلوم الدنيوية و الأخروية وَ لَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ بأن يدفع الكافرين المفسدين بسبب المؤمنين المصلحين لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ لما يوجدون فيها من القتل و الحرق و السبي و الإفساد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٧٣

[سورة البقرة (٢): آية ٢٥٢]

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)

وَ لَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ فيدفع الفاسد بالصالح لتبقى الأرض عامرة و ينمو الزرع و الضرع.

[٢٥٣] تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ أي تلك التي ذكرت من إماتة الأحياء دفعة و إحياء الموتى دفعة و تمليك طالوت و نصره المؤمنین على أعدائهم دلالات الله على وجوده و قدرته و علمه و سائر صفاته تَتْلُوها نقرؤها عَلَيْكَ يا رسول الله بِالْحَقِّ أي بالصدق فلا كذب فيها و أنزلت لأجل الصدق لا لأجل الباطل و الكذب و العشى وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ حيث تخبر بهذه الأخبار عن غيب بدلالة الله لك و وحيه إياها إليك.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٧٥

تقريب القرآن إلى الأذهان الجزء الثالث من آية (٢٥٤) سورة البقرة إلى (٩٣) سورة آل عمران

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السّلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمّد المصطفى و عترته الطاهرين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٧٧

[سورة البقرة (٢): آية ٢٥٣]

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ لَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)

[٢٥٤] تِلْكَ الرُّسُلُ الذين أشير إليهم في قوله «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فهم و إن اشتركوا في أصل الرسالة إلا

أنهم مختلفين في الفضيلة مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ إِيَّاهُ وَهُوَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحَيْثُ أَنْ هُنَاكَ مَحَلُّ سَأَلٍ: هَلْ يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْتَقِيَ هَذَا الْمَرْتَقَى الْعَظِيمَ حَتَّى يَكَلِّمَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ؟ أَلَمْحَتِ الْآيَةُ إِلَى ذَلِكَ قَائِلَةٌ: وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ لَا دَرَجَةَ وَاحِدَةً، حَتَّى سَبَبَتْ تِلْكَ الرَّفْعَةَ أَنْ يَتِمَّكَنَ مِنْ مَكَالِمَةِ اللَّهِ مَبَاشَرَةً وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ وَأَنَّهُ لَمَنْ تَفَنَّنَ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ فِي التَّعْبِيرِ حَيْثُ لَمْ يَصْرَحْ بِاسْمِ مُوسَى وَصَرَحَ بِاسْمِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْبِنَاتِ هِيَ الدَّلَالَاتُ الْوَاضِحَاتُ عَلَى نُبُوَّتِهِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَ أَيْدِنَاهُ أَى قَوِينَاهُ فَإِنَّ التَّأْيِيدَ بِمَعْنَى التَّقْوِيَةَ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَى رُوحِ مَقْدَسُهُ، كَمَا مَرَّ سَابِقًا فَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانًا عَادِيًا وَلَا خَالِقًا وَرَبًّا وَإِنَّمَا نَبِيٌّ مُؤَيَّدٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَحَيْثُ كَانَ هُنَا مَجَالُ سَأَلٍ هُوَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حَيْثُ أَتَوْا بِالْأَدَلَاتِ لَمْ يَكُنْ مَجَالٌ لِتَشْكِيكَ النَّاسِ فِيهِمْ فَكَيْفَ تَقَعُ الْحُرُوبُ بَيْنَ النَّاسِ حَوْلَ الْأَنْبِيَاءِ إِثْبَاتًا أَوْ نَفْيًا أَوْ إِثْبَاتًا لِنَبِيِّ دُونَ نَبِيِّ؟ أَتَى السِّيَاقُ مُشِيرًا إِلَى جَوَابِ ذَلِكَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ بَأَنَّ الْجَأَ النَّاسِ وَاضْطَرَّهُمْ عَلَى الْإِنْقِيَادِ وَالْإِهْتِدَاءِ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ أَى مِنْ بَعْدِ الرَّسْلِ أَى بَعْدَ مَجِيءِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 278

[سورة البقرة (2): آية 254]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254)

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ أَى جَاءَتِ النَّاسَ الْأَدَلَةُ الْوَاضِحَةُ وَ لَكِنْ اخْتَلَفُوا أَى النَّاسُ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ بِالرَّسُولِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا تَكَرِّرًا لِلتَّأْيِيدِ وَ أَنَّ الْمَشِيئَةَ الْإِلْجَائِيَّةَ لَمْ تَتَّعَلِقْ حَوْلَ التَّشْرِيعِ وَ إِن تَعَلَّقَتْ حَوْلَ التَّكْوِينِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ مِنْ إِعْطَاءِ الْإِخْتِيَارِ بِيَدِ الْإِنْسَانِ لِيُؤْمِنَ مِنْ آمَنَ عَنْ إِخْتِيَارٍ وَ يَكْفُرُ مِنْ كَفَرَ عَنْ إِخْتِيَارٍ لِثَبَتِ الْجَزَاءِ وَ الْحِسَابِ وَ لَمْ يَذْكَرِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لِأَنَّ الْخُطَابَ مَوْجَهَ إِلَيْهِ «وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ».

[255] وَ حَيْثُ أَنْ الْقِتَالُ يَحْتَاجُ إِلَى الْإِنْفَاقِ يَزُوجُ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ فِي آيَاتِهِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ كَثِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ مُخْتَلَفِ أَنْوَاعِ الرِّزْقِ، وَ لَعَلَّ عَمُومَهُ يَشْمَلُ مِثْلَ التَّعْلِيمِ وَ الشَّفَاعَةِ وَ نَحْوَهَا فَإِنَّ الْعِلْمَ وَ الْوَجَاهَةَ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا- بَيْعٌ فِيهِ حَتَّى يَشْتَرِيَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فَيَنْجِيهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ لَا خُلَّةٌ أَى صِدَاقَهُ فَيَرَاعِي الصَّدِيقَ الْمَذْنُبَ لِأَجْلِ صَدِيقِهِ، أَوْ صِدَاقَهُ بَيْنَ اللَّهِ وَ بَيْنَ أَحَدٍ حَتَّى يَرَاعِيهِ وَ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ لَصِدَاقَتِهِ وَ لَا شَفَاعَةَ كَشَفَاعَاتِ الدُّنْيَا حَيْثُ أَنْ الشَّفِيعَ يَنْبَعثُ مِنْ نَفْسِهِ فَيَشْفَعُ لِلْمَذْنُبِ، فَإِنَّ هُنَاكَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 279

[سورة البقرة (2): آية 255]

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)

وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَلَيْسَ حَرَامَانَ الْكَافِرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِأَجْلِ الظُّلْمِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بَلِ الْكَافِرُ هُوَ الظَّالِمُ الَّذِي اسْتَحَقَّ الْعِقَابَ بِكُفْرِهِ وَ ظَلَمَ نَفْسَهُ حَيْثُ حَرَمَهَا مِنْ نَيْلِ الْمَثُوبَةِ.

[256] اللَّهُ لَا- إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَالْأُمُورُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلِّهَا بِيَدِهِ لَا- يَشَارِكُ فِيهَا فِعْلًا وَ لَعَلَّ هَذَا هُوَ وَجْهُ الْإِرْتِبَاطِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَ الْآيَةِ السَّالِفَةِ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ فَلَا يُمْكِنُ التَّخَلُّصُ مِنْهُ الْقَيُّومُ الْقَائِمُ عَلَى الْأُمُورِ يَعْلَمُهَا جَمِيعًا فَلَا يُمْكِنُ الْإِخْتِفَاءُ مِنْهُ.

لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَ هِيَ النُّومُ الْخَفِيفُ الْمَسْمِيُّ بِالنَّعَاسِ وَ لَا نَوْمٌ وَ قَدَمُ الْأَوَّلِ لِتَقَدُّمِهِ فِي الْخَارِجِ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ فَهُوَ الْخَالِقُ وَ الْمَالِكُ الْوَحِيدُ الَّذِي لَا يَشَارِكُهُ أَحَدٌ، وَ الظُّرْفُ هُنَا يَتَّبَعُ الْمَظْرُوفَ فَلَيْسَتْ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ خَارِجَتَيْنِ عَنِ الْمَلَكِيَّةِ مَنْ ذَا أَى شَخْصٍ الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بِإِذْنِهِ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ فَإِنَّهُمْ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ أَى مَا يَقْدَمُونَ مِنْ أَعْمَالٍ خَيْرٍ وَ شَرٍّ وَ مَا يَخْلِفُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ كِبْنَاءَ مَدْرَسَةٍ أَوْ مَخْمَرٍ يَبْقِيَانِ بَعْدَهُ وَ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ أَى بِمَا

يعلمه من الماضي والحاضر والآتي إلاً بما شاء أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٨٠

[سورة البقرة (٢): آية ٢٥٦]

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)

بما أراد من اطلاع الناس عليه فإن علم الشخص حتى بالضروريات مما تتعلق به مشيئة الله سبحانه فإنه هو الذى جعل الإنسان بحيث يعلم الأمور فى الجملة وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الكرسى كناية عن السلطة والملكية يقال: كرسى فلان يسع العراق إذا كان ملكاً عليها، أى أن سلطة الله سبحانه تشمل جميع الكون، فإنه لا يخلو من سماء وأرض ولا يؤدده أى لا يشق عليه تعالى، من آده، إذا أثقله و جهده حِفْظُهُمَا أى حفظ السماوات والأرض بالتربية والتنمية والإصلاح وَهُوَ الْعَلِيُّ أى الرفيع مقاماً الْعَظِيمُ الشَّانِ.

[٢٥٧] لا- إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ فإن الله لم يلجأ الخلق إلى اعتناق الدين بل جعل فيهم الاختيار والإرادة فإن شاءوا دانوا وإن لم يشاءوا لم يدينوا قَدْ تَبَيَّنَ أى وضح الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ أى الهداية من الضلالة والإيمان من الكفر والحق من الباطل فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَهُوَ كُلُّ مَا يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وقدم نفى الكفر لأن النفى مقدم على الإثبات كما قدم فى كلمة «لا- إله إلا الله» فَقَدِ اسْتَمْسَكَ أى تمسك واعتصم وأخذ بِالْعُرْوَةِ وَهِيَ «المسكة» لمثل الكوز الْوُثْقَى أى الوثيقة التى لا تنفصل فقد شبه الخير بإناء للسقى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٨١

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٥٧ إلى ٢٥٨]

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)

أو الطعام له عروة فالإيمان بالله عروة وثقى للخير لأنه لا انفصام لها ولا انقطاع بل تدوم الاستفادة من الخير بسبب الإيمان فى الدنيا والآخرة بينما الإيمان بالطاغوت عروة واهية تنفصم إذا فارق الإنسان الحياة الدنيا ينقطع الخير الذى يناله الإنسان- فرضاً- بسبب الكفر وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِكُمْ عَلَيْكُمْ بِنْيَاتِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ.

[٢٥٨] اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يلى أمورهم وينصرهم ويعينهم يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ ظلمات الحياة ومشاكلها، من ظلمة العقيدة، و ظلمة القول و ظلمة الدنيا كلها إِلَى النُّورِ نور الهداية، و نور الآخرة وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ أى أن جنس الطاغوت يكون أولياء لهم، فإن الطواغيت من الجن والإنس يتولون أمورهم و ضلالهم و حيث أن الطاغوت أريد به الجنس جاز الإتيان بصيغة الجمع فى «أولياءهم» صفة له يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ الكامن فى فطرتهم، و من نور الدنيا إِلَى الظُّلُمَاتِ ظلمات الكفر والظلال فى الدنيا عذاب الله فى الآخرة أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إلى الأبد فلا منجى لهم ولا مخلص [٢٥٩] سبق الحديث عن الإيمان والكفر، فلتناسب المقام قصة حوار

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٨٢

حول هذا الموضوع بين إبراهيم عليه السلام و نمرود أَلَمْ تَرَ أى ألم تعلم، و قد تقدم أن هذه العبارة تذكر لإفادة العلم إِلَى الَّذِى حَاجَّ مِنَ الْمَحَاجَّةِ بمعنى المجادلة و المخاصمة إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أى فى باب رب إبراهيم عليه السلام الذى كان يعبد، أو رب الذى حاج و إن كان الأول أقرب أن آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ أى حيث أن الله أعطى نمرود الملك والسلطة بطرف أنكرو وجود الخالق و جعل يجادل نبيه

إبراهيم عليه السلام حول وجود الله سبحانه فقد قابل الإحسان بالإساءة إذ قال إبراهيم رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فِي جوابِ نمرود حيث قال له: من ربك؟ والمراد بالإحياء إحياء الجماد فإن كل حي أصله التراب والماء إذ التراب بسبب الماء ينقلب عشبا والعشب ينقلب نطفة إنسانا أو حيوانا قال نمرود أنا أُحْيِي وَأُمِيتُ فَأُخْرِجُ نَفْرَيْنِ مِنْ حَبْسِهِ وَضَرَبَ عُنُقَ أَحَدِهِمَا وَأَطْلَقَ الْآخَرَ وَكَانَ هَذَا مِغَالِطَةً مِنْ نَمْرُودٍ إِلَّا- أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يلزمه بحجة لا- يتمكن حتى من المغالطة فيها ف قال إبراهيم فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ هَكَذَا يَظْهَرُ لِلْأَبْصَارِ سِوَاءَ دَارَتِ هِيَ أَوْ دَارَتِ الْأَرْضُ كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْفَلَكَ فَأَتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ إِنْ كُنْتَ إِلَهاً خَالِقاً فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ أَي تَحِيرُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 283

[سورة البقرة (2): آية 259]

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)

نمرود و لم يحر جوابا و الله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بتعاميمهم عن الحق فإنه سبحانه لا يطف لطفه الخاص بمثل هؤلاء و إن أتم عليهم الحجة و أراهم الطريق.

[260] أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ أَي أَلَم تَر إِلَى الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ، وَ الْمَعْنَى إِنْ شِئْتَ فَانظُرْ إِلَى الَّذِي حَاجَّ وَ إِنْ شِئْتَ فَانظُرْ إِلَى الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هُوَ عَزِيزُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ أَرْمِيَا وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا أَي سَاقِطَةٌ حَيْطَانُهَا عَلَى سَقُوفِهَا وَ أَهْلِهَا مَوْتَى وَ السَّبَاعُ تَأْكُلُ الْجَيْفَ فَفَكَرَ فِي نَفْسِهِ سَاعَهُ قَالَ أَنَّى أَي كَيْفَ يُحْيِي هَذِهِ الْأَمْوَاتُ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ تَعْجَبًا لَا إِنْكَارًا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ حَتَّى بَلَى وَ نَخَرَتْ عِظَامُهُ ثُمَّ بَعَثَهُ أَحْيَاهُ كَمَا كَانَ قَالَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لَهُ بِإِيجَادِ صَوْتِ فِي الْجَوْ كَمْ لَبِثْتَ فِي مَبِيتِكَ وَ مَنَامِكَ قَالَ النَّبِيُّ لَبِثْتُ يَوْمًا ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا هُوَ نَامٌ صَبَاحًا وَ الْآنَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَضْرَبُ قَائِلًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ وَ قَدْ كَانَ مَعَهُ طَعَامٌ وَ شَرَابٌ وَ حِمَارٌ، فَكَانَ الطَّعَامُ وَ الشَّرَابُ بَاقِيَيْنِ كَمَا هُمَا وَ كَانَ الْحِمَارُ قَدْ مَاتَ وَ تَفَرَّقَتْ عِظَامُهُ وَ نَخَرَتْ دَلَالَةً عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 284

[سورة البقرة (2): آية 260]

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَ لَكِنْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهِنَّ وَإِيكَ تَمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)

سبحانه فما انظر إلى طعامك و شرابك لم يتسنه لم تغيره السنون، و الإتيان بلفظ المفرد باعتبار كل واحد منهما و انظر إلى حمارك كيف مات و نخرت عظامه و لنجعلك أيها الرسول آية للناس أي حجة حيث أحييناك بعد مائة عام حتى يعرف الناس أن الله قادر على بعث الأموات و انظر إلى العظام لحمارك المتفتته كيف نشزها أي كيف نرفع بعضها إلى بعض لتركب منها الهيكل العظمي للحمار ثم نكسوها أي نلبس العظام لحما حتى يستوى حمارا حيا فلما تبين له أي وضح له إحياء الأموات عيانا قال النبي عليه السلام أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَي عَلِمَا عَيَانًا وَ إِلا فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ قَبْلَ السُّؤَالِ.

[261] وَ اذْكَرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَى جِيفَةً تَمزِقُهَا السَّبَاعُ فَيَأْكُلُ مِنْهَا سَبَاعُ الْبَرِّ وَ سَبَاعُ الْهَوَاءِ وَ دَوَابُّ الْبَحْرِ فَسَأَلَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا رَبِّ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ تَجْمَعُهَا مِنْ بَطُونِ السَّبَاعِ وَ الطَّيْرِ وَ دَوَابِّ الْبَرِّ فَأَرِنِي كَيْفَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 285

تحبيها لأعين ذلك قال الله سبحانه أو لَمْ تُؤْمِنُ عَلَىٰ نَحْوِ اسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِ، ليقول آمنت، كقولهم: «ألستم خير من ركب المطايا» قال إبراهيم عليه السلام بلى أنا مؤمن ولكن أسأل ذلك لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي و يكون يقيني عين اليقين فإن الإنسان الذي يعلم أن النار - مثلا - حارة، يسمى ذلك علم اليقين، فإذا رآها سمى حق اليقين، فإذا أدخل يده فيها فاحترقت سمى عين اليقين، و ورد أنه عليه السلام علم أن الله يتخذ عبدا له خليلا- إذا سأله إحياء الموتى أحياءا فأراد أن يطمئن أنه هو قال الله سبحانه فَخَذَّ مِنْهُ مِنَ الطَّيْرِ الطَّائِفِ وَالْحَمَامِ وَالْغُرَابِ وَالذِّبْيِ فَادْبَحَهُنَّ وَقَطَعَهُنَّ وَاخْلَطَهُنَّ بَعْضًا بِبَعْضٍ فَصَيَّرَهُنَّ إِلَيْكَ مِنْ صَرْتِهِ بِمَعْنَى قَطَعْتَهُ وَ «إليك» إنما هو من مستلزمات القطع، فإن الإنسان إذا أراد أن يقطع شيئا قطعاً جيداً و يخلطه لا بد و أن يجذبه إليه و لعله كناية عن القطع الجيد و التخليط البالغ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْ عَشْرَةِ جِبَالٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا و إنما ذلك يدل على أن الأجزاء الميتهتة تجتمع من محلات متباعدة وقت الحشر ثُمَّ ادْعُهُنَّ بِأَنْ تَأْخُذَ بِمَنْقَارِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّيْرِ الْأَرْبَعَةِ فِي يَدِكَ وَ تَدْعُوهُ بِاسْمِهِ يَا تَيْنَكَ تجتمع الأجزاء من الجبال سِجِّيًا مسرعات و اعلم أن الله عزير لا- يتمتع عليه شيء حكيم فيما يفعل فلا- يفعل شيئا اعتباطا و عبثا، ففعل إبراهيم عليه السلام ذلك فتطابت

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 286

[سورة البقرة (2): الآيات 261 إلى 262]

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لَا- أذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا- خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا- هُمْ يَحْزَنُونَ (262)

الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان و جاء كل بدن حتى نظم إلى رقبته و رأسه فأطلقها إبراهيم عليه السلام فظن فالتقطن الحب و شربن الماء ثم دعون لإبراهيم عليه السلام.

[262] تقدم الكلام في الآيات السابقة عن من يقرض الله قرضا حسنا، ثم تخلل الكلام دليل التوحيد و الرسالة و المعاد و الآن يرجع السياق إلى الإنفاق مثل الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا رياء أو سمعة و شهرة و نحوها كَمَثَلِ حَبَّةٍ مِنْ الْحِنْطَةِ أَوْ الشَّعِيرِ أَوْ نَحْوِهَا أَنْبَتَتْ أَى أَخْرَجَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ جمع سنبله و هى مجمع الحبات فى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ فتكون النفقة فى سبيل الله بسبعمائه ضعف و الله يُضَاعِفُ أَى يَزِيدُ كُلَّ سَبْعَمَائِهِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِنَ الْمُنْفِقِينَ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يسع علمه و قدرته فيعلم المنفق و الإنفاق، و قد مثل الإنفاق بهذا ليكون أوقع فى النفس و أكثر فى التأثير و التشويق.

[263] ثم ذكر شرط آخر للإنفاق المثمر الموجب للأجر بقوله تعالى:

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ أَى لَا يَعْقِبُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا عَلَىٰ الْمَعْطَىٰ لَهُ بِأَنْ يَمْنُ عَلَيْهِ فِى إِنْفَاقِهِ كَأَنْ يَقُولَ لَهُ: إِنِّى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 287

[سورة البقرة (2): الآيات 263 إلى 264]

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أذَى وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صِلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264)

أعطيتك فكن شاكرا و لا أذى بأن يؤذى المعطى له، كأن يقول:

ابتليت بفلان الفقير لهم أجرهم و جزاء إنفاقهم عند ربهم و لا خوف عليهم من العذاب لأن من ينفق هكذا يكون مخلصا فى جميع أعماله، أو لا خوف عليهم من فوت الأجر و لا هم يحزنون و هو يحتمل الأمرين مثل - لا خوف -.

[264] قَوْلٌ مَعْرُوفٌ بِأَنْ يَرُدَّ بِهِ السَّائِلُ، نَحْوَ اللَّهِ يَعْطِيكَ وَ مَغْفِرَةٌ أَى تَجَاوِزُ عَنِ السَّائِلِ فِيمَا إِذَا أَسَاءَ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أذَى لِأَنَّ

الصدقة كذلك تجرح قلب السائل دونهما، ولأنها تتبع العقاب، لأن هكذا صدقة محرمة، بخلافهما والله غني فلا يحتاج إلى صدقاتكم أيها المعطون، وإنما أنتم تحتاجون إليها، فحث الله بالإنفاق لكم، لا له حليم عن عقابكم بسبب صدقاتكم التي يتبعها الأذى.

[٢٦٥] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ عَلَى السَّائِلِ وَالْأَذَى لَهُ فَإِنْ فِيهَا إِبْطَالًا لِلصَّدَقَةِ مِنْ حَيْثُ الثَّوَابُ فَلَا ثَوَابَ لَهَا عِنْدَ الْعَرَفِ لِأَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الصَّدَقَةِ لَا تَحْسَبُ جَمِيلًا وَإِنَّمَا قَبِيحًا بِشَعَاءٍ، فَإِنْ مِنْ يَبْطُلُ صِدْقَتَهُ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى فَهُوَ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ لِأَجْلِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٨٨

أن يراه الناس فيمدحوه ولا يؤمن بالله واليوم الآخر بأن يكون الداعي له إلى التصديق أمر الله سبحانه أو ثواب الآخرة فمثل كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صيلداً الصفوان: الحجر الأملس، والوابل: المطر الشديد الوقع، والصلد من الأرض ما لا ينبت شيئاً لصلابته، فإن الإنسان الكافر كالحجر الصلب الذي لا يرجى منه خير، وما يتحفظ به ظواهره بمنزلة تراب على الحجر يظن الناس أنه محل قابل للنبت، والصدقة التي يرأى بها كالمطر الشديد، فإنه إذا نزل بأرض صالحة كان مبعث الخير والنبات لكنه إذا نزل على الحجر المغطى بالتراب أزال ترابه وأظهر صلاته وعدم قبوله لأي إنبات أو عشب، وكذلك الكافر الذي يظن به الناس بعض الخير إذا أنفق رياء ظهر على الناس حقيقته المنحرفة فتكون الصدقة- التي هي بذاتها سبب الخير والرحمة- معرية لحقيقة الكافر البشعة، ومن ناحية أخرى أنها توجب سخط الله عليه أكثر من ذي قبل فتكون مذهبة لما يظن أنها حسنة له من بعض أعماله الخيرية السابقة لا يقدرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا مِنْ مَكَاسِبِهِمْ السَّابِقَةَ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ بَرِيَاءَ ذَهَابٍ بِهَا كَمَا أَنَّ الْمَطَرَ يَذْهَبُ بِالتَّرَابِ فَلَا يُمْكِنُ إِرجَاعُهُ وَجَمْعُهُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ فلا يُلطفُ بِهِمُ اللطيفُ الخاص لأنهم أسقطوا أنفسهم عن القابلية لوجودهم بعد أن عرفوا الحق.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٨٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٦٥ إلى ٢٦٦]

وَمِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْ بِهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) أَيْ يُوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَهُوَ ضَعْفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)

[٢٦٦] وَمِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ أَيْ لِأَجْلِ طَلْبِ رِضَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَيْ لِأَجْلِ تَثْبِيتِ أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ وَتَرْكِيزِهَا، تَثْبِيتًا نَاشِئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَأَنْفُسِهِمْ هِيَ الَّتِي تَوْصِي بِذَلِكَ، لَا كَالْمَرَاتِي الَّذِي يَحْمِلُهُ عَلَى الصَّدَقَةِ رُؤْيَا النَّاسِ، فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ «مِنْ أَنْفُسِهِمْ» مُقَابِلُ جُمْلَةٍ «رِثَاءَ النَّاسِ» فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَيْ بَسْتَانٍ مُرْتَفِعٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ مَطَرٌ غَزِيرٌ فَاتَتْ أَيْ أَعْطَتْ أَكْلَهَا وَثَمَرَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ كَالْبَسْتَانِ الْوَاقِعِ فِي مُرْتَفَعٍ يَزْهَوُ لِلنَّاسِ وَيَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى الْإِسْتِفَادَةِ مِنَ الْهَوَاءِ وَالشَّمْسِ وَالْمَطَرِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ أَقْرَبَ إِلَى الْخَيْرِ فَإِذَا تَصَدَّقَ تَكُونُ صِدْقَتُهُ كَالْمَطَرِ الَّذِي إِذَا نَزَلَ بِالْبَسْتَانِ يُوْجِبُ نَمُوَ ثَمَارِهَا وَازْدَهَارَ أَشْجَارِهَا فَإِنَّ لَمْ يُصِبْ بِهَا وَابِلٌ مَطَرٌ غَزِيرٌ فَيَكْفِي لِإِثْمَارِهَا وَإِنْصَارِهَا طَلَّ رِذَاذٍ مِنْ مَطَرٍ قَلِيلٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ إِنْ رِثَاءً وَإِنْ قُرْبَةً.

[٢٦٧] وَلِذَا مِثْلُ سَبْحَانَهُ لِصَدَقَةٍ كُلِّ مَنْ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، مِثْلُ لِصَدَقَةِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَمُنُ بِصِدْقَتِهِ فَيَبْطُلُهَا أَيْ يُوَدُّ أَيُّ هَلْ يَحِبُّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩٠

[سورة البقرة (٢): آية ٢٦٧]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)

أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَى تحت أشجارها له فيها أى فى تلك الجنة من كل الثمرات و أصابته الكبير أى الشيخوخة و له ذرية ضمهاء عاجزون عن كسب المأكّل و الملبس فأصابها أى أصاب الجنة إغصاراً فيه ناراً فأحترقت كلاً لا يجب أحد ذلك إنه فى أشد أوقات حاجته، فهل يرضى إصابته النار بأتمن ما يملك؟ إن مثل من ينفق عن إيمان و اعتقاد مثل تلك الجنة، فإذا امتن بعد ذلك أو آذى السائل، يكون ذلك ناراً تحرق جنته فى أشد أوقات حاجته، فالإنسان فى أشد الحاجة إلى خيره فى الآخرة، فإذا امتن بقى صفر اليدين هناك كذلك أى كهذا البيان الذى بين أمر الصدقة و غيرها يُبين الله لكم الآيات بضرب الأمثال و المشوقات لعلكم تتفكرون فتستقيموا على الصراط المستقيم.

[٢٦٨] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ طَيِّباً وَاقِعياً بكونه حلالاً و ظاهرياً بكونه جيداً و مِنْ طَيِّبَاتِ مَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ أَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩١

[سورة البقرة (٢): آية ٢٦٨]

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)

طيب مكسبكم و طيب ثماركم، فلا- تنفقوا من الربا و لا- من الماء الآ-جن و لا- من حشف التمر- مثلاً- و لا تيمموا أى لا تقصدوا الخبيث الحرام الردىء منه تُنفقون للناس و الحال أنكم لشيئتم بإخذه فإن أراد أحد إعطائكم من ذلك ما كنتم تأخذونه إلا أن تُغمضوا فيه أى تغمضوا عيونكم كراهة له، فالإنسان إذا استبشع شيئاً غمض عينه حتى لا يراه، فكيف تنفقون مثل هذا الشيء الذى إذا أردتم أخذه غمضتم عينكم استبشاعاً له و اعلموا أن الله غنى عن صدقاتكم فلا- يأخذ إلا- الطيب و لا- يقبل إلا الحسن حميداً أى مستحق للحمد على نعمه، و من حمده أن يعطى الإنسان الشيء الطيب فى سبيله، فالإنسان إذا أراد تقدير شخص دفع إليه أحسن ما يتمكن، لا أنه يدفع الردىء الخبيث.

[٢٦٩] الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ إِذَا أَرَدْتُمْ الْإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ إِذَا أَرَدْتُمْ الْإِنْفَاقَ يَقُولُ لَكُمْ: أَنْفِقُوا مِنَ الرَّدَىءِ الخبيث، و هو قسم من الفحشاء، أو المراد به الأعمال القبيحة مطلقاً، و الله يعدكم مغفرةً منه فإنه يغفر ذنوبكم بسبب الصدقة و سائر المبرات و فضلاً فيخلف ما أنفقتموه و الله واسع ليس ضيق المقدره حتى لا يتمكن من التعويض عليكم بالحسن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩٢

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٦٩ الى ٢٧١]

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩) وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٢٧٠) إِنْ تَبَدَّلُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَ إِنْ تَخْفَوْهَا وَ تُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ يُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١)

حسناً و بالسيى سينا.

[٢٧٠] إِنْ الْإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الطَّيِّبِ بِلَا رِيَاءٍ وَ لَا مَنٍّ وَ لَا أذى مِنَ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ وَضْعُ الْأَشْيَاءِ مَوْضِعَهَا اللَّائِقَ وَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ لَهُ قَابِلِيَةٌ بِمَا سَبَقَ أَنْ أَخَذَ بِالشَّرِيعَةِ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ أَى خَيْرٍ أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يَعْمُرَ الْإِنْسَانَ دُنْيَاهُ وَ عَقَابَهُ بِأَخْذِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ انْتِهَاجَهُ الْمُنْهَجَ الْمُسْتَقِيمَ الْمَوْجِبَ لِسَعَادَةِ النَّشْأَتَيْنِ وَ مَا يَذَّكَّرُ أَى مَا يَتَذَكَّرُ وَ لَا يَفْهَمُ ذَلِكَ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ أَصْحَابُ الْعُقُولِ فَصَاحِبُ الْعَقْلِ هُوَ الَّذِي يَتَّبِعُ مَا يَنْفَعُهُ وَ يَذَرُ مَا يَضُرُّهُ.

[٢٧١] وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ قَلِيلَةٍ أَوْ كَثِيرَةٍ أَى أَيْهَ صَدَقَةٍ تَصَدَّقْتُمْ بِهَا أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ أَى مَا أَوْجَبْتُمُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ لِلَّهِ سَبَبَ النَّذْرِ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ فَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ وَ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَباً لِلْإِحْسَانِ إِلَى النَّفْسِ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَظْلَمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالشَّحِّ وَ مَنَعَ الصَّدَقَاتِ الْوَاجِبَةَ وَ حَنَثَ النَّذْرَ وَ الْمَنَ وَ الْأذى وَ الرِيَاءَ فِي الصَّدَقَةِ مِنْ أَنْصَارٍ يَنْصُرُونَهُمْ وَ يَخْلُصُونَهُمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ.

[٢٧٢] إِنْ تَبَدُّوا أَى تَطَهَّرُوا الصَّدَقَاتِ حِينَ إِعْطَائِهَا، بَأَن تَعْطُوهَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩٣

[سورة البقرة (٢): آية ٢٧٢]

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ (٢٧٢)

جهرًا، بقصد القربة لا بقصد الرياء فَنِعْمًا هِيَ أَى فنعمة الشيء الصدقة الظاهرة فإنها توجب دفع التهمة و اقتداء الناس و إِنْ تُخْفُوها أَى الصدقات و تَوْتُوها أَى تعطوها سرا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْقَرِيبِ وَ أَبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ وَ أَحْفَظُ لَصُونِ مَاءِ وَجْهِ الْآخِذِ وَ يَكْفُرُ أَى يغفر عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ أَى بعض ذنوبكم بواسطة إعطاء الصدقة فإن صدقة السر تطفى غضب الرب و اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فيجازيكم على أعمالكم، فليس التصدق سرا غائبا عن الله سبحانه بل هو بكل شيء عليم.

[٢٧٣] امتنع بعض المسلمين عن التصدق إلى غير المسلم فنزلت لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ فَإِنَّكَ لست مجبورًا بأن تهديهم و إنما عليك

الإرشاد و البلاغ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، بإراءته الطريق، أو بإيصاله المطلوب و مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ فَإِن نَفَعَهُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَى يَعود إِلَيْكُمْ وَ مَا تُنْفِقُونَ أَى ليس إنفاقكم إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ أَى لأجله سبحانه، و أَى شيء أحسن من أن ينفق الإنسان في سبيل خالقه و منعمه و المتفضل عليه وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩٤

[سورة البقرة (٢): آية ٢٧٣]

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)

أى يوفر عليكم جزاءه و ثوابه وَ أَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ فتعطون جزاء إنفاقكم كاملا غير منقوص، فالإنفاق لأنفسكم، و ثوابه يعود عليكم، و هو في سبيل الله و ما أجمل أن يعطى الإنسان شيئا يعود نفعه إليه ثم يثاب به في الآخرة، و يرضى الله سبحانه عنه بذلك.

[٢٧٤] و لما بين الله سبحانه فضل الصدقة عقبه بأحسن مصارفها بقوله سبحانه: لِلْفُقَرَاءِ أَى أن النفقة لهؤلاء الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ أَى منعوا و الذى منعهم هو أنفسهم، لأجل سبيل الله و إطاعته، فقد نزلت الآية في أصحاب الصفة الذين تركوا كل شيء لأجل الإسلام و أحصروا أنفسهم للعبادة و الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ أَى ذهابا فيها و عدم الاستطاعة اختيارية لا اضطرارية يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَى يظنهم الذى يجهل حالهم و باطن أمرهم أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ الامتناع من السؤال فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا تَعَفُّفَهُمْ ظَنُّوهُمُ أَغْنِيَاءَ لَمَّا عَاهَدُوا مِنْ سُؤْلِ الْفُقَرَاءِ تَعْرِفُهُمْ أَى تعرف إنهم فقراء بِسِيمَاهُمْ أَى من وجوههم و أحوالهم يكون الفقر عليها باد لَا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا أَى كما هو شأن كثير من الفقراء، بمعنى أنه ليس منهم سؤال فيكون إلحافا،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩٥

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٧٤ إلى ٢٧٥]

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا - كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَ مَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥)

لَا - إنهم يسألون من غير إلحاف و مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ كُلِّ شَيْءٍ يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْخَيْرُ مِنْ دَارٍ أَوْ عَقَارٍ أَوْ دَرَاهِمٍ أَوْ دِينَارٍ أَوْ غَيْرِهَا فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ فيجازيكم جزاء حسنا.



[٢٧٥] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً بِاللَّيْلِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ إِنَّ الْآيَةَ وَإِنْ كَانَتْ عَامَةً إِلَّا إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ كَانَتْ لَهُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ فَتَصَدَّقَ بِاثْنَيْنِ مِنْهَا نَهَارًا سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَبِاثْنَيْنِ لَيْلًا سِرًّا وَعَلَانِيَةً «١»، وقد تقدم معنى لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

[٢٧٦] وحيث كانت الآيات حول الإنفاق، ناسب السياق ذكر الربا، فإنه عكس الإنفاق إذ هو استيلاء على أموال الناس من غير مبرر، بخلاف الإنفاق الذي هو إعطاء ماله للناس من غير مكسب و تجارة الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا وَأَكَلَهُ كُنْيَاءً عَنْ أَخْذِهِ وَإِنْ لَمْ يَتَصَرَّفْ فِيهِ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ الرَّجُلُ الَّذِي مَسَّهُ

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٨٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩٦

الشیطان فصرع و تغير حاله و دارت عينه و زال توازن جسده و زبد فمه إذا أراد أن يقوم لبقية ما فيه من الشعور يقوم بعض القيام بكل انحراف و تارجح ثم يسقط على الأرض، و هكذا الإنسان الذي يأكل الربا حتى اعتاد ذلك يكون أشبه شيء في عملية انتهاب أموال الناس بمن تخبطه الشيطان الذي يريد أن يقوم فإن تفكيره تفكير منحرف كتفكير المطروح و عينه تنظر بزيغ إلى أموال الناس كعين المصروع و فيه يلهج حول المال بانحراف كغم المصروع و إذا أراد أن يقوم من كبوته و يترك الربا و يأخذ بالجادة المستقيمة حول المال لا يلبث أن يسقط في الربا كما اعتاد من أكله و صار الابتزاز لمال الناس ملكته، و هذا تشبيه رائع مفرع و هكذا يكونون هؤلاء يوم القيامة.

فقد روى الإمام الصادق عليه السَّلَام عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ رَأَيْتُ أَقْوَامًا يَرِيدُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ عَظْمِ بَطْنِهِ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ «١»

، و قد ثبت في العلم أن الأرواح الشريرة قد تدخل في الإنسان فتسبب له صرعا ذلك الأكل للربا الذي اعتادوه بسبب أنهم قالوا ليس في أكل الربا بأس ف إِنَّمَا أُبَيِّعَ مِثْلُ الرِّبَا كِلَاهِمَا تَعَامَلُ بَرُضَى الطَّرْفَيْنِ وَ لَيْسَ كَذَلِكَ فَمِنْطَقُهُمْ غَلَطٌ فَقَدْ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ وَ حَرَّمَ الرِّبَا لِمَا فِيهِ مِنَ

(١) بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ١١٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩٧

المضار، و يكفي أن نلمح إلى ضرر واحد هو أن معطى الربا إما ساقته الضرورة إلى الاقتراض كمرض أو نحوه مما ألجأ للاقتراض برباء فما أقبح أن يستغل الإنسان أخيه في مثل هذا الموقع مما يجدر به أن يساعده و يسعفه، و إما اقتراض للتجارة و هذا لا يخلو من أحد أحوال ثلاثة:

الأول أن يخسر و الثاني أن لا يربح و لا يخسر و ما أقبح في هاتين الصورتين أن يأخذ صاحب المال زيادة بينما خسر العامل في الأول و لم يربح في الثاني و الثالث أن يربح، و قد قرر الإسلام المضاربة و الاشتراك في المربح فيما يجبر المقترض أن يدفع بمقدار خاص إلى المقرض بينما قد يربح بمقداره و قد يربح أقل و قد يربح أكثر.

فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فِي تَرْكِهِ أَخَذَ الرِّبَا فَاتَّهَى وَ تَابَ فَلَهُ مَا سَلَفَ فَكُلُّ رِبَا أَكَلَهُ النَّاسُ بِجَهَالَةٍ وَ عَدَمِ عِلْمٍ بِحَرَمَتِهِ أَوْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ لَا يَسْتَرِدُّ مِنْهُمْ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ لَا إِلَى النَّاسِ حَتَّى يَقُولَ مَنْ أَعْطَاهُ الرِّبَا: رَدَّ عَلَيَّ مَا أَخَذْتُ مِنِّي، أَوْ أَمْرُهُ فِي قَبُولِ اللَّهِ تَوْبَتَهُ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ وَ مَنْ عَادَ إِلَى الرِّبَا بَعْدَ النِّهْيِ وَ الْإِسْلَامِ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أَيْ أَبَدًا إِلَّا أَنْ يَدْرِكَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ كَمَا

قال سبحانه: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ «١».

(١) النساء: ١١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٧٦ إلى ٢٧٨]

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨)

[٢٧٧] يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا أَي يَنْقُصُهُ وَيَتْلَفُهُ وَيُهْلِكُهُ فَمَا ظَنَّ الْمَرَابِي أَنَّهُ سَبَبُ زِيَادَةِ أَمْوَالِهِ يَكُونُ سَبَبًا لِهَلَاكِهِ وَنَقْصَانِهِ فَإِنَّ الرِّبَا يَسَبِّبُ غَضَبَ النَّاسِ وَسَخَطَهُمْ عَلَى الْمَرَابِي مِمَّا يَثِيرُ حَرْبًا أَوْ نَهَبًا مِنَ النَّاسِ أَوْ الْحُكُومَاتِ لِأَمْوَالِهِ فَيَذْهَبُ الْأَصْلُ وَالْفَرْعُ وَيُزِيلُ أَي يَزِيدُ وَيُنْمِي الصَّدَقَاتِ فَإِنَّهُ وَإِنْ ذَهَبَ جُزْءٌ مِنَ الْمَالِ بِالصَّدَقَةِ لَكِنِهَا تَسَبَّبَ حُبُّ النَّاسِ وَالتَّفَافُهُمْ وَتَعَاوَنُهُمْ مَعَ الْمُتَصَدِّقِ مِمَّا يَنْجُرُ إِلَى زِيَادَةِ أَمْوَالِهِ، وَهَذَا مَعَ الْغَضِّ عَنِ الْمَحَقِّ وَالنَّمَاءِ الْخَارِجِينَ عَنِ الطَّبِيعَةِ مِمَّا يَشَاهُمَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِلَا وَاسِطَةٍ عَادِيَةٍ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ كَثِيرٍ الْكُفْرِ أَثِيمٍ أَي مُذْنِبٍ وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ أَكَلَ الرِّبَا كَفَّارٌ أَثِيمٌ.

[٢٧٨] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْأَصُولِ الْعَقْدِيَّةِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بَأَن أَتَوْا بِالْوَجِبَاتِ وَتَرَكَوا الْمُحْرَمَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ تَخْصِيصٌ بَعْدَ التَّعْمِيمِ لِأَهْمِيَّتِهِمَا لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ عَدَمِ الْخَوْفِ وَعَدَمِ الْحَزَنِ.

[٢٧٩] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ خَافُوا مِنْ عِقَابِهِ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩٩

[سورة البقرة (٢): آية ٢٧٩]

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظَلَّمُونَ (٢٧٩)

مِمَّا كُنْتُمْ تَطْلُبُونَهُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَقَدْ رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ كَانَ يَرِبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقَدْ بَقِيَ لَهُ بَقَايَا عَلَى ثَقِيفٍ فَأَرَادَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْمَطَالِبَةَ بِهَا بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ فَنَزَلَتْ الْآيَةُ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِالْإِسْلَامِ حَقًّا فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ الَّذِي يَأْتُمِرُ بِالْأَوْامِرِ وَيَتَزَجَّرُ بِالزَّوَالِجِ.

[٢٨٠] فَإِنَّ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَمْ تَقْدُوا إِلَى هَذَا النَّهْيِ بَلْ أَكَلْتُمُ الرِّبَا بَعْدَ النَّهْيِ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَي اعْمَلُوا الْقِتَالَ مَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلِّمَ، فَأَكَلَ الرِّبَا يَكُونُ كَمَنْ أَعْلَنَ الْحَرْبَ مَعَ الْإِلَهِ وَالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلِّمَ، وَذَلِكَ مِنْ أَفْطَحِ الْجَرَائِمِ، وَعَاقِبَتُهُ خَسْرَانُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَ

حَكْمُ أَكْلِ الرِّبَا إِنَّهُ يُؤَدَّبُ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَقْتَلُ فِي الثَّلَاثَةِ كَمَا رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «١»

وَإِنْ تُبْتُمْ وَلَمْ تَأْخُذُوا الرِّبَا فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ دُونَ الزِّيَادَةِ الَّتِي حَصَلَتْ مَوْهَا بِالرِّبَا وَلَا مَفْهُومٌ لِلآيَةِ بِأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا فَلَيْسَ لَهُمْ رَأْسُ الْمَالِ، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّ لَكُمْ رَأْسَ الْمَالِ فَمَا تَبْعُونَ بِالزِّيَادَةِ لَا تَظْلُمُونَ النَّاسَ بِأَخْذِ الزِّيَادَةِ مِنْهُمْ وَلَا تَظْلُمُونَ بِالنَّقْصَانِ مِنْ رَأْسِ الْمَالِ.

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٧٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٠٠

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٨٠ إلى ٢٨٢]

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ٣٤٩

وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَ لَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَ لَا تَسِيئُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَاحِبًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَ أَذْنَى الْأَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَ اشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَ لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَ لَا شَهِيدٌ وَ إِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)

[٢٨١] وَإِنْ كَانَ فِيمَنْ تَطْلُبُونَ مِنْهُ - مِمَّنْ ذَكَرَ أَنَّهُ يَرْجِعُ رَأْسَ الْمَالِ - ذُو عُسْرَةٍ بَأَنَّ كَانَ رَأْسَ مَالِكُمْ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ عِنْدَ ذِي عُسْرَةٍ لَا يَتِمُّكَ مِنْ أَدَائِهِ لِعُسْرِهِ وَ ضَيْقِهِ فَالْإِذَا لَمْ يَكُنْ نَظِرَةٌ إِلَى انْتِظَارٍ وَ تَأْخِيرٍ إِلَى مَيْسَرَةٍ أَى إِلَى حَالِ يَسَارِ الْمَدْيُونِ وَ الْجَمْلَةُ خَبْرِيَّةٌ مَعْنَاهَا الْأَمْرُ، أَى فَانظُرُوهُ إِلَى وَقْتِ يَسَارِهِ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا عَلَى الْمَعْسَرِ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ بَأَنَّ تَجْعَلُوا طَلْبَكُمْ صَدَقَةً لَهُ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا يَجْلِبُ الْمَحَبَّةَ وَ الْبِرْكَهَ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ فِي الْآخِرَةِ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَى إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ وَ تَمَيِّزُونَ مَا يَنْفَعُكُمْ مِمَّا يَضُرُّكُمْ لَعَلَّكُمْ أَنْ هَبَّ الدِّينَ لِلْمَعْسَرِ خَيْرٌ لَكُمْ.

[٢٨٢] وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ فَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا وَ لَا تَوَاضَعُوا لِلْمَعْسَرِينَ بَلْ تَصَدَّقُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ إِيَّانِ الْحَرَامِ مُوجِبٌ لِلْعُقَابِ وَ التَّصَدَّقُ مُوجِبٌ لِلثَّوَابِ ثُمَّ تُوَفَّى أَى تَعْطَى وَافِيًا كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا فَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ كَمَا لَا يَزِيدُ فِي عَذَابِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِحْقَاقِهِمْ، وَ مَعْنَى الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ الرَّجُوعُ إِلَى حُكْمِهِ وَ أَمْرِهِ وَ قَضَائِهِ وَ جَزَائِهِ.

[٢٨٣] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ أَى تَعَامَلْتُمْ بِالْأَمْرِ وَ دَانَ بَعْضُكُمْ

تقريب القرآن الى الأذهان، ج ١، ص: ٣٠١

بَعْضًا فِي بَيْعٍ أَوْ غَيْرِهِ بِدَيْنٍ إِمَّا تَأْكِيدًا وَ إِمَّا لِدَفْعِ تَوْهَمٍ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ مِنَ الْمَدَائِنَةِ الْمَجَازَاةَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ «وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَجْزِينِي» إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى أَى مَدَّةٌ قَدْ سَمِيَتْ فِي الْعَقْدِ كَمَا لَوْ دَانَتْهُ إِلَى سَنَةٍ أَوْ بَاعَهُ نَسِيئَةً إِلَى سِتَّةِ أَشْهُرٍ مَثَلًا فَكُتِبَتْهُ أَى اكْتُبُوا ذَلِكَ الدِّينَ فِي صَكٍّ وَ أَنَّهُ إِلَى أَيَّةِ مَدَّةٍ لَثَلَا يَقَعُ فِيهِ نَسْيَانٌ أَوْ جُحُودٌ أَوْ خِلَافٌ وَ لِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ بِالْحَقِّ لَا يَزِيدُ فِي الْمَقْدَارِ وَ الْأَجَلِ وَ الْوَصْفِ وَ لَا يَنْقُصُ مِنْهَا وَ لَا يَأْبَى أَى لَا يَمْتَنِعُ كَاتِبٌ أَى شَخْصٌ كَانَ مِنَ الْمُتَعَامِلِينَ أَوْ غَيْرِهِمَا أَنْ يَكْتُبَ الصَّكَّ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ بَأَنَّ يَبْخَلُ فَلَا يَكْتُبُ، فَالتَّكْلِيفُ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ هُوَ فِي مَقَابِلِ أَنْ عِلْمَهُ تَعَالَى الْكِتَابَةَ وَ الْعِلْمُ فَلَا يَثْقُلُ أَوْ يَبْطِئُ أَوْ يَبْخَلُ فَلْيَكْتُبْ الْكَاتِبُ وَ لِيُمْلِلِ بِمَعْنَى لِيَمْلَأْ فَإِنَّ الْإِمْلَالَ وَ الْإِمْلَاءَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ يَلْقَى صِغَةَ الْكِتَابَةِ عَلَى الْكَاتِبِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ أَى الْمَدْيُونِ حَتَّى يَقْرَأَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ لَا، يَقُولُ زَائِدًا عَلَى الْحَقِّ ثَانِيًا، فَالَّذِي لَهُ الْحَقُّ لَوْ أَمْلَى كَانَ مَعْرُضًا لِأَنَّ يَقُولُ الزِّيَادَةَ وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ الْكَاتِبُ أَوْ الْمَدْيُونُ رَبَّهُ فَإِنَّهُ رَبُّهُ لَهْ فَكَيْفَ يَخَالَفُ أَمْرَهُ وَ لَا يَبْخَسُ أَى لَا يَنْقُصُ الْكَاتِبُ أَوْ الْمَدْيُونُ مِنْهُ أَى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا أَمَا نَقَصَ الْكَاتِبُ فَوَاضِحٌ وَ أَمَا نَقَصَ الْمَدْيُونُ كَانَ يَجْعَلُ

تقريب القرآن الى الأذهان، ج ١، ص: ٣٠٢

الدَّيْنَارِ وَ الَّذِي هُوَ مَقَابِلُ ثَوْبٍ فِي مَقَابِلِ ثَوْبَيْنِ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا بَحِيثًا لَمْ يَتِمَّكَ مِنَ الْإِمْلَاءِ أَوْ ضَعِيفًا لَجُنُونٍ أَوْ كَبْرٍ أَوْ صَغَرٍ أَوْ نَحْوِهَا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ لِحَرْسٍ أَوْ عَذْرٍ آخِرٍ مَعَ عَدَمِ السَّفَاهَةِ وَ الضَّعْفِ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ أَى وَلِيٌّ مِنْ عَلَيْهِ الْحَقِّ بِالْعَدْلِ بَلَا إِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيطٍ وَ اسْتَشْهِدُوا أَى اطْلُبُوا شَهَادَةَ شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ عَلَى الْمَكْتُوبِ لِيَنْفَعَكُمْ ذَلِكَ عِنْدَ التَّرَافِعِ وَ الْمُخَاصِمَةِ لَدَى التَّخَالُفِ، وَ لَعَلَّ قَيْدَ مِنْ رِجَالِكُمْ لِإِخْرَاجِ الْكُفَّارِ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا أَى لَمْ يَكُنِ الشَّاهِدَيْنِ رَجُلَيْنِ لَعَدَمِ حُضُورِهِمَا أَوْ عَدَمِ إِرَادَةِ الْمُسْتَشْهِدِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ يَشْهَدُونَ عَلَى الْكِتَابَةِ، أَوْ فليشهد رجل و امرأتان مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ لَوْثَاقَتِهِمْ أَوْ عَدَالَتِهِمْ إِذْ لَا تَقْبَلُ شَهَادَةَ مَنْ عَدَاهُمْ

لدى المخالفة و التراخ، و إنما جعلت المرأتان مكان رجل واحد لأن المرأة لضعف ذاكرتها كما ثبت في العلم الحديث يتطرق إليها من النسيان ما لا يتطرق إلى الرجل، و لذا قال سبحانه: أَنْ تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا مِنَ الضَّلَالِ أَى تَخْطَأُ وَ تَشْتَبِهَ وَ تَنْسَى فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا التى لم تضل الأخرى التى نسيت و ضلت، و «أن» إما بمعنى «لثلا» و تكون جملة «فتذكر» منقطعة، أى إن ضلت تذكر الثانية الأولى، و أما أصلها «إن» بالكسر، صفة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 303

لامرأتان، و الأول أقرب و لا يَأْبُ أَى لا يمتنع الشهود الذين يراد إشهدهم للدين - و سموا شهداء بمجاز المشارفة- إذا ما دُعوا لتحمل الشهادة و هذا أمر إيجابى أو استحبابى، أو المراد الأعم من التحمل و الأداء.

و لا تَشِيْمُوا أَى لا تضجروا أيها المتدائنون أَنْ تَكْتُبُوهُ أَى تكتبوا الدين أو تكتبوا الحق صَغِيرًا كان الحق و الدين أو كَبِيرًا و هذا تأديب لمن يترك كتابة الصغير لعدم الاهتمام به، فكثيرا ما يقع التنازع فى الصغير إلى أَجَلِهِ أَى إلى أجل الدين و مدته، و فيه تنبيه إلى أن الكتابة تبقى إلى الأجل فتتفع هناك، أو المعنى كتابة تتضمن إلى الأجل، فيعين فى المكتوب أجل الدين.

ذَلِكَمُ ذَا إِشَارَةٍ إِلَى الْكِتَابِ الَّذِى يَكْتُبُ فِي الْمَدَائِنِ «وكم» خطاب إلى الذين آمنوا أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ أَى أعدل، بمعنى أقرب إلى العدل و إلا- فليس فى العدل مفاضلة حقيقية و أَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ فيه تقوم الشهادة التى تؤمن عن الزيادة و النقصان و أَدْنَى أَلَّا تَزْتَابُوا أَى أقرب إلى عدم الريب فى المبلغ و الأجل فالله يريد و أنتم لا تشكون، و الشهادة تستقيم، بسبب الكتابة و الصك و ما ذكر من الكتابة عامة لكل مكان إِلَّا أَنْ تَكُونَ المعاملة- المفهوم من الكلام- تِجَارَةً حَاضِرَةً معجلاً غير

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 304

مؤجلة كغالب التجارات النقدية التى تجرى فى الأسواق تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ إدارة يد بيد، و معنى الإدارة المناقلة، فينقل هذا ماله إلى ذاك و ينقل ذاك عنه إلى هذا فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ وَ حَرَجٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا فلا مانع من عدم كتابة التجارة النقدية إذ الكتابة للوثيقة و هنا لا يحتاج إلى الوثيقة و أَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ فَإِنَّهُ يَسْتَحِبُّ لِلإِنْسَانِ الَّذِى يَرِيدُ الْمَبَايَعَةَ أَنْ يَأْخُذَ الشَّاهِدَ، ففى المعاملة كثيرا ما يقع من نزاع و خصام فإذا كان هناك شهادة يقل و طئ النزاع، و الآية و إن كانت عامة لفظا لكن لا يعد أن لا يراد بها الإطلاق من المعاملات الجزئية اليومية لعدم تعارف الأَشْهَادِ مِنْذُ زَمَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ لَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَ لَا شَهِيدٌ بَأَن يَكْلِفَ الْكَاتِبُ الْكِتَابَةَ وَ يَكْلِفُ الشَّاهِدُ الشَّهَادَةَ فى حال يكون حرجا عليهما و ضررا، كما تعارف الآن عند الحكومات المنحرفة فإنه يحضر الشاهد و يعنت و يضار فإن فى مضاررتها زهادة للناس عن الكتابة و الشهادة و إِنَّ تَفْعَلُوا الْمِضَارَةَ بِهَا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ أَى خروج عن أمر الله سبحانه لسببكم أيها المضارون و اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَ نَهَاكُمْ وَ يَعْلَمُكُمُ اللَّهُ مِصَالِحَكُمْ فَاتَّبِعُوهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَ مَا أَجْدَرُ بِالْجَاهِلِ أَنْ يَتَّبِعَ الْعَالِمَ، عن على بن إبراهيم أن فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 305

[سورة البقرة (2): آية 283]

وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى أُوْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمَ قَلْبُهُ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (283)

سورة البقرة خمسمائة حكم و فى هذه الآية الكريمة وحدها خمسة عشر حكما و الآية كما تقرر فى العلم الحديث من أعجب الآيات فى باب المعاملة.

[284] وَ إِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمَتَدَائِنُونَ الْمُتَبَايِعُونَ عَلَى سَفَرٍ أَى مسافرين و التعبير بلفظ «على» لركوب المسافر غالبا و لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا يكتب الدين و المعاملة فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ تقوم مقام الصك و رهان جمع رهن، و هو اسم للوثيقة و لذا جاءت الصفة بالتأنيث و القبض شرط فى صحة الرهن، و لذا وصفه بالقبض فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ وَ هُوَ صَاحِبُ الْحَقِّ بَعْضًا وَ هُوَ مِنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ بِأَن وَثِقَ بِهِ وَ أَنَّهُ يُؤَدِّى الدِّينَ

بدون صك ولا رهن، فأعطاه الدين مجردا عن الأمرين فليؤد الذي أوْتَمَنَ أى المديون أمانته فلا ينكر ولا يمتل، كفاء لما رآه أهلا و لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ وَيَجَازَى فَيُنكَرُ أَوْ مَطْلٌ أَوْ بَخْسٌ كَانَ مَعْرُضًا نَفْسَهُ لِعَقُوبَةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَلَا تَكْتُمُوا أَيُّهَا الشُّهُودُ الشَّهَادَةَ الَّتِي تَحْمِلْتُمُوهَا وَمَنْ يَكْتُمْهَا أَى يَخْفَى الشَّهَادَةَ فَلَا يَحْضُرُ لِأَدَائِهَا أَوْ يُؤَدِّيَهَا عَلَى خِلَافِ الْوَاقِعِ فَإِنَّهُ آتَمٌ قَلْبُهُ فَقَدْ عَزَمَ الْقَلْبَ عَلَى الْكُتْمَانِ وَأَطَاعَتِهِ الْجَوَارِحَ وَاللِّسَانَ وَالْأَنَاسِيبَ أَنْسَبَ إِلَى الْقَلْبِ لِكَوْنِهِ فِي مَحَلِّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٠٦

[سورة البقرة (٢): آية ٢٨٤]

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهَا يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)

مكتوم والله بما تعملون من إخفاء الشهادة وإبدائها عليكم فلا تفعلوا ما يوجب عقابه و سخطه.

[٢٨٥] لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فَمَا تَعَاوَنَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَيْسَتْ لَكُمْ إِلَّا مَجَازَا وَإِنَّمَا هِيَ مَلَكٌ لَهُ سَبْحَانَهُ فَاعْمَلُوا فِيهَا حَسَبَ مَا أَمَرَكُمْ وَلَا تَخَالَفُوا أَمْرَ الْمَلَائِكَةِ الْحَقِيقِي وَإِنْ تُبَدُّوا أَى تظهروا ما فى أنفسكم بما تعلمونه و يخفى على غيركم أو تخفوه فتكتموه يحاسبكم به الله فإن جميع الأعمال والأقوال والأفكار تحت المحاسبة، أو أن الإبداء والإخفاء لما فى النفس محسوب عليهما، وهذا العموم للتناسق مع إبداء الشهادة و كتمانها فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء حسب ما تقتضيه الحكمة البالغة فالغفران و الشفاعة ليسا اعتبارا و إنما ينصبان على المحل القابل والله على كل شئ قدير من المغفرة و العقاب و لا يخفى أن العذاب على ما فى النفس لا ينافى ما دل على عدم العقاب، على العزم على المعصية لاختلاف المعاصى، و اختلاف أنواع العقاب فلا شبهة فى أن من يعزم على المعاصى و إن لم يفعلها أبعد عن قرب الحلال ممن لا يعزم إطلاقا، وهذا البعد هو نوع من العذاب أو يجمع بنحو ذلك.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٠٧

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٨٥ الى ٢٨٦]

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)

[٢٨٦] و هنا يرجع السياق إلى ذكر التوحيد و النبوة و الشرائع جملة فى لباس أنها لا تكلف الناس فوق الطاقة و سؤال المغفرة و العفو لتكون فذلكه للسورة آمن الرسول محمد صلى الله عليه و آله و سلم بما أنزل إليه من ربه فهو أول مؤمن بما أنزل إليه و ليس كرؤساء الأديان المفتعلة و الملوك و الحكام الذين لا يشملهم القانون و المؤمنون كل أى كل واحد منهم آمن بالله و ملائكتيه و كتبه و رسوله فليس المؤمن أن يقتنع بجانب واحد من جوانب الإسلام كما هو كثير فى تابعى الأحزاب و المبادئ حيث أن ذا النشاط المتفايض منهم يقتنع منه بجانب واحد و إن ترك سائر الجوانب فإن لسان حال المؤمنين لا نفرق بين أحد من رسله فلسنا كاليهود الذين لا يعترفون بالمسيح عليه السلام و نبي الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم و لا كالنصارى الذين لا يعترفون بنبي الإسلام، فلا تكون كمن يؤمن ببعض و يكفر ببعض و قالوا سمعنا آيات الله و أحكامه و أطعنا أوامره و نواهيه لا كاليهود الذين قالوا سمعنا و عصينا، يقولون غفرانك أى نطلب مغفرتك ربنا نعلم أن إليك المصير فاغفر لنا حتى نكون فى ذلك اليوم سعداء.

[٢٨٧] إن الأحكام التى سلفت فى السورة و فى غيرها ليست مما لا يطاق

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٠٨

فإنه لا يكلف الله نفساً إلا وُسْعَهَا فَإِنَّ أَمْرَهُ وَنَوَاهِيَهُ مُسْتَضَاعَةٌ لِلْمَكْلُوفِ وَ لَيْسَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، فلا يظن أحد أن الإيمان السابق

ذكره في «وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ» يوجب مشقة و عنتا و إرهاقا لها أى للنفس ما كَسَبَتْ من الحسنات فالجزاء الحسن يجزى به من أحسن و عَلَيَّهَا أى على النفس ضرر ما اِكْتَسَبَتْ من الآثام و السيئات و لعل فى مجيء الكسب من باين «كسب» و «اكتسب» إفادة أن الطاعة طبعية و المعصية تؤتى بالتكلف إذ للفظه الاكتساب ظلالة يفيد التعب و الغضب بخلاف الكسب و تويده قاعدة «زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى» و هناك يتوجه المؤمنون إلى الله داعين سائلين رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا بِلا نسيان و إنما تصح المؤاخذه فيهما لغلبة كون مقدماتهما اختيارية و ما ينتهى إلى الاختيار يكون بالاختيار رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا أَى ثقلا فإن بعض التكاليف قد توجب ظروفها ثقلا و عنتا، فالمؤمن يسأل أن يجنبه الله سبحانه مثل هذا الثقل كما حَمَلَتْهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا فَإِنَّهُمْ بِلِجَاجَتِهِمْ اسْتَحَقُّوا تَحْمِيلَ الثَّقَلِ كما تقدم فى قصة بقره بنى إسرائيل و كما قال سبحانه: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ «١»

(١) النساء: ١٤١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٠٩

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ و إن كان مقدورا لنا فإن عدم الطاقة ليس بمعنى عدم القدرة حتى يقال: إن الله لا يكلف غير المقدور فما وجه هذا الدعاء؟ و أَعْفُ عَنَّا ذُنُوبَنَا وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا أَى استرها و لا تبدها و اِرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا سيدنا و الأولى بالتصرف فينا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ حتى نغلب عليهم فى الحكم كما نغلب عليهم فى الحجّة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٠

### ٣ سورة آل عمران مدنية/ آياتها (٢٠١)

[سورة آل عمران (٣): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١)

سميت بذلك لاشتمالها على لفظه آل عمران و قد نزلت بالمدينة.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَرَّ تَفْسِيرُهَا فِى أَوَّلِ سُورَةِ الْحَمْدِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١١

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٢ الى ٤]

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤)

[٢] الم تقدم ما يحتمل أن يكون تفسيره له.

[٣] اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ فليس له شريك و هو الحى الذى لا يموت و إن كانت الحياة بالنسبة إليه تعالى تخالف الحياة بالنسبة إلينا فإن حياتنا غير ذواتنا و إنما هى صفة قائمة بنا بخلاف الحياة فيه سبحانه فإنه عين ذاته و القيوم هو القائم على كل نفس بما كسبت و على كل شىء [٤] نَزَّلَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْكِتَابَ أَى الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ لَا بِالْبَاطِلِ فَإِنَّ الْإِنْزَالَ قَدْ يَكُونُ بِالْبَاطِلِ وَ قَدْ يَكُونُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ الْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٥] مِنْ قَبْلُ إِنْزَالَ الْقُرْآنِ عَلَيْكَ، وَ كُلُّ هَذِهِ الْكُتُبِ هُدًى لِلنَّاسِ فَإِنَّهَا تَهْدِيهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ مِنَ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ وَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الرَّشَادِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ الْفَارِقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ وَ هُوَ أَعَمُّ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ وَ سَائِرُ مَا أَنْزَلَ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَ رَسَلَهُ إِنْ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ بِحُجَجٍ اللَّهُ وَدَلَالَته لَهْمُ عَذَابٌ شَدِيدٌ فِي الدنیا بالفوضى و الهرج و المرج و المشاكل كما قال تعالى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٢

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٥ الى ٧]

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا (١) و في الآخرة بالعقاب و الله عزير له العزة و القدرة بأن يفعل ما يشاء ذو انتقام ينتقم ممن حاده و عصاه.

[٦] إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ فلا يظن عاص أنه يخفى على الله سبحانه، فإنه يعلم كل شيء في الكون حتى وساوس القلوب و هواجس الصدور.

[٧] هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ أَي يعطيكم الصورة في بطون أمهاتكم كَيْفَ يَشَاءُ من رجل و امرأة و جميل و قبيح و قصير و طويل و غيرها فكيف يخفى عليه شيء و هو يفعل مثل هذا الفعل الدقيق في ذلك المحل المظلم لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فهو وحده إله الكون و خالقه العزيز في سلطانه الحكيم فما يفعل شيئاً عبثاً بل يفعل ما يفعل بالحكمة.

[٨] هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْكِتَابَ أَي القرآن مِنْهُ أَي قسم من الكتاب آياتٌ مُحْكَمَاتٌ غير متشابهات فالمنفاد منها واضحة لا يخفى على أهل اللسان كقوله سبحانه قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (٢)

(١) طه: ١٢٥.

(٢) الإخلاص: ٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٣

هُنَّ أَي تلك الآيات المحكمات أمُّ الْكِتَابِ أَي أصله الذي يرجع إليه لدى الشك و الخصام و الجدل.

وَأُخَرُ أَي آيات أخر مُتَشَابِهَاتٌ و المتشابه هو الذي يحتمل وجهين أو وجوها مما سبب عدم إدراك الناس كلهم لها، من تشابه، و إنما يؤتى به إما امتحاناً حتى يعرف المؤمن من المنافق أو لتقريب المطلب إلى أذهان الناس الذين لا يدركون الحقائق ككثير من آيات الصفات و نحوها كقوله سبحانه: إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (١) حيث أريد التفهيم من أن المؤمنين ينظرون إلى رحمته الله، أو كقوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ (٢) أو لأن المطلب دقيق لا تتحمله بعض العقول كآيات الجن و الشيطان مما لا يتحملها عقل من إلف المادة فيشبه الأمر عليه أو لأنه جيء به لاعتبار كلامي فاشتباه الأمر نحو نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ (٣) أو غير ذلك، و المتشابه مما لا بد منه في الكلام الراقى كما لا- يخفى بأدنى تأمل فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ أَي ميل عن الحق و انحراف إما جهلاً أو عناداً فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ اتباعاً على خلاف المراد منه و يوجهون المتشابه حسب أهوائهم و مشتبهاتهم كما يقول القائل

(١) القيامة: ٢٤.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) التوبة: ٦٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٤

بالتجسم من «إلى ربها ناظرة» و بالجبر من و مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ «١» و بمعصية الأنبياء عليهم السلام من و عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى «٢» و يكون الإسلام خاصا بالعرب من و إِنَّهُ لَدَكَّرُ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ «٣» و هكذا ائْتِغَاءُ الْفِتْنَةِ أى لأجل تفتين الناس و إضلالهم و ائْتِغَاءُ تَأْوِيلِهِ أى لأجل أن يكون له مجال فى تأويل الكلام على غير المراد منه ليطابق هواه و مشتهاه و ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ التَّوِيلُ هو ما يؤول و ينتهى إليه الكلام فمثلا ظاهر «إلى ربها ناظرة» إنهم ينظرون إلى الله لكن هذه الجملة تؤول إلى معنى أنهم ينظرون إلى رحمة الله و لطفه و ثوابه، كما يقال فى العرف «إنى أنظر إلى العقل و هو يسير الإنسان» إنه لا يريد النظر بالعين و إنما عرفان ذلك إلا الله فهو سبحانه يعلم المراد من كلامه و الرَّاسِخُونَ أى الثابتون فى العِلْمِ الذين لهم اطلاع على المعلومات و بأساليب الكلام و بما يدل عليه العقل و الشرع و هذا ليس ببدع فإن القوانين المدنية لا يعرفها إلا من درسها و أتقنها و أساليب الكلام العربى لا يعرفها إلا من أتقن الأدب و البلاغة و هكذا، إن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه فى حال كونهم يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ أى بالمتشابه كما آمننا بالمحكم كُلٌّ من المحكم و المتشابه

(١) الرعد: ٣٤.

(٢) طه: ١٢٢.

(٣) الزخرف: ٤٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٥

[سورة آل عمران (٣): آية ٨]

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)

مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا فَإِذَا لَمْ يَظْهَرْ الْمَعْنَى فِي بَادئِ النَّظَرِ لَا يَنْكُرُونَ وَ لَا يَقُولُونَ بِالتَّنَاقُضِ، فَإِنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ بِالتَّوِيلِ وَ الإِدْعَانِ بِصَحَّةِ الْمَتَشَابِهِ بِخِلَافِ الْجَهَالِ فَإِنَّهُمْ يَعْتَرِضُونَ عَلَى الْمَتَشَابِهِ أَوَّلًا وَ يَفْسُرُونَ حَسَبَ أَهْوَائِهِمْ ثَانِيًا، وَ هَكَذَا نَجِدُ الْآنَ فِي الْعَرَفِ الْعَالَمِ الْوَرَعِ يَجْمَعُ بَيْنَ الْفَضِيلَتَيْنِ وَ الْجَاهِلِ يَشْتَمِلُ عَلَى الرَّذِيلَتَيْنِ وَ مَا يَدَّكَّرُ أَى يَتَذَكَّرُ وَ يَرُدُّ الْمَتَشَابِهَ إِلَى الْمَحْكَمِ وَ إِلَى مَا دَلَّ مِنَ الْعَقْلِ وَ النُّقْلِ إِلَّا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ أَى أَصْحَابِ الْعُقُولِ الْحَصِيْفَةِ، ثُمَّ إِنَّهُ وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالرَّاسِخِينَ النَّبِيَّ وَ الْأئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ لَا يَخْفَى أَنَّهُمْ مِنْ أَجْلِ مَصَادِيقِ الرَّاسِخِينَ وَ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ لَا الْإِنْحِصَارَ.

[٩] إن الراسخين فى العلم يلتجئون إلى الله سبحانه قائلين رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا أَى لَا تَمْلِهَا عَنِ الْحَقِّ وَ إِنَّمَا نَسَبَ الزِّيغَ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِى هِيَ الْأَسْبَابُ لِيَمْتَحِنَ عِبَادَهُ فَتَرَكَ الْإِنْسَانَ- وَ عَدَمَ اللَّطْفِ بِهِ- حَتَّى يَقَعَ فَرِيْسَةُ الشَّيْطَانِ مِنْ صَنَعِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ كَمَا يَقَالُ أَنَّ الْمَلِكِ أَفْسَدَ الرَّعِيَّةَ لَا يَرَادُ أَنَّهُ أَفْسَدَهُمْ وَ إِنَّمَا يَرَادُ تَرْكُهُمْ حَتَّى يَفْسُدُوا، وَ لَا يَخْفَى الْفَرْقُ بَيْنَهُ سَبْحَانَهُ وَ بَيْنَ الْمَلِكِ لِرَعِيَّتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ حَيْثُ خَلَقَ الدُّنْيَا لِلْإِخْتِبَارِ لَا بَدَّ وَ أَنْ يَهِيئَ الْوَسِيْلَتَيْنِ لِيُظْهَرَ الْمَطِيْعَ مِنَ الْعَاصِي كَمَا قَالَ: (كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءِ وَ هُوْلَاءِ) «١» بِخِلَافِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ لَا يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَفْسُدَ الرَّعِيَّةَ حَتَّى يَتَرَكَهُمْ وَ مَا يَشَاءُونَ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالصَّلَاحِ وَ الإِصْلَاحِ كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْبِلُ النِّعَمَ عَلَى الْجَنَاتِ وَ لَا يَعْاقِبُهُمْ عَقُوبَةَ ظَاهِرَةٍ فِي

(١) الإسراء: ٢١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٦

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٩ الى ١٠]

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَ أُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠)



الدنيا، و ذلك ليس جائز للملوك فإنه يجب إيقاف الجاني عند حده و إجراء العقاب عليه ثم إن الإنسان مهما كان من الرسوخ في العلم فإنه معرض للزلة كما زل «بلعم» قال سبحانه نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ «١» و لذا يدعو الراسخون ربهم سبحانه أن لا يقطع عنهم لطفه الخاص و لا يتركهم ليلعب بهم الشيطان كما يشاء، إذ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا إِلَى دِينِكَ وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً و لطفًا نثبت بها على دينك و طاعتك إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ الكثير الهبة لمن تشاء بما تشاء.

[١٠] رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ تَجْمَعُهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ و إن شك فيه أناس لا نصيب لهم من العلم و المعرفة و قد تقدم وجهه في أول سورة البقرة إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ أى الوعد الذى وعده أنبياءه و البشر بيوم القيامة، فلا ترغ قلوبنا حتى نكون ذلك اليوم من المطرودين أو هذا إظهار من الراسخين بالاعتراف بالبعث و إنهم جمعوا بين فضيلتي الاعتراف بالمبدأ و المعاد.

[١١] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ الْمَتَشَابِهَ و غيرهم

(١) الأعراف: ١٧٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٧

[سورة آل عمران (٣): آية ١١]

كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ و الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ و اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١)  
من سائر الكفار لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ كى يعطوها فينجون من عذاب الله سبحانه كما تنفع الفدية في الدنيا و لا أولادهم من الله أى من عذاب الله و سخطه شيئاً فلا- يتمكن أولادهم أن يقفوا ليمنعوا عنهم العذاب و أولئك الكفار هم و قودُ الوقود الحطب و كل ما يوقد به النار النَّارِ يوم القيامة تنقد النار بأجسامهم كما تنقد النار بالحطب و النفط و نحوها.

[١٢] كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ الدَّابِ الْعَادَةِ، أى عادة هؤلاء الكفار فى التكذيب بك و بما أنزل إليك كعادة آل فرعون الذين كذبوا الرسل و كعادة الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من سائر الكفار الذين كانوا يكفرون بآيات الله و يكذبون أنبياءه كَذَّبُوا جميعاً بآياتنا أى بدلائلنا الدالة على التوحيد و سائر الأصول فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ أى بسبب عصيانهم و معاصيهم، و معنى الأخذ العقاب أى عاقبهم، كقوله و كَذَّلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى و هِيَ ظَالِمَةٌ «١» و اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ فليس عقابه كعقاب سائر الناس، و إنما ناراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا و إن يَسْتَعِينُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ «٢».

(١) هود: ١٠٣.

(٢) الكهف: ٣٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٨

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٢ الى ١٣]

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ و تُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ و بئس المهاد (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ و أُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ و اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)

[١٣] قُلْ يا رسول الله لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ أى بعد قليل يكونون مهزومين إما فى الدنيا بغلبة الإسلام، كما صار و كما أخبر حيث إن الإسلام غلبهم و أخذ بلادهم و تُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ يوم القيامة، و إما فى الآخرة بمعنى أنكم بعد قليل تهزمون أمام أمر الله سبحانه، و يقبضكم ملك الموت الذى و كل بكم، و بعد ذلك تحشرون إلى جهنم يوم القيامة و بئس المهاد أى بئسما مهد لكم أو ما مهدتم لأنفسكم.

[١٤] و لما بين سبحانه أن الكفار سيغلبون بين لذلك شاهدا محسوسا في قصة بدر حيث كان المسلمون ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا و الكفار ألف رجل و لم يكن للمسلمين من العتاد إلا شيئا ضئيلا بينما كان الكفار بأكمل السلاح و مع ذلك فقد غلب المسلمون عليهم بنصر الله سبحانه قد كان لكم أيها المسلمون أو أيها الكفار آية أي علامته على صدق الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و إن الله ينصره و يهزم الكفار في فتنتين أي جماعتين جماعة المسلمين و جماعة الكفار التقتا من الملاقاة إذ اجتمعتا في بدر ففئة تقاتل في سبيل الله و هم المسلمون و فئة أخرى كافرة و هم المشركون الذين أتوا من مكة يزؤونهم أي يرى المسلمون الكفار متأييهم أي ضعف أنفسهم رأى العين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٩

[سورة آل عمران (٣): آية ١٤]

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ النَّبِيِّنَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)

فلم يكن ذلك خيالا و إنما واقعا فإن الكفار في الواقع كانوا أكثر، و مع ذلك فقد غلب المسلمون، و لعل النكتة في ذكر ذلك بيان أن المسلمين غلبوا مع أنهم كانوا يعلمون بزيادة الكفار عليهم و إن ذلك يدل أن الله نصرهم و إلا فإن الجيش إذا علم أن العدو أكثر منه و هن في عضده و يسبب ذلك انهزامه في أكثر الأحيان، و في الآية أقوال أخر مذكورة في التفسيرات و الله يؤيد بنصره من يشاء أي يقوى بنصره فلا يضرهم قلة عددهم و عدتهم إن في ذلك المذكور و هو غلبة المسلمين على المشركين مع أن الكفار كانوا ثلاثة أضعافهم لغيره أي اعتبار و هي بمعنى الآية و إنما سميت الآية عبرة لأنها تعبر بالإنسان من الجهل و الغفلة إلى العلم و التذكير لأولى الأبصار أي أصحاب العقول، و ليس المراد بالبصر النظر بالعين و إنما النظر بالقلب كما يقال فلان بصير بالأمر أي يعرفها و يدركها.

[١٥] و هنا يتساءل الإنسان ماذا صرف الكفار عن الحق و هم يرونه؟ و يأتي الجواب إن الذي صرفهم هو جمال الدنيا و مالها كما

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «لكنهم حليت الدنيا في أعينهم و راقهم زبرجها» (١)

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ أَي أَن حُبَّ الْإِنْسَانِ لِلْمَشْتَهَاتِ وَ الْمَلذَّاتِ سَبَبٌ لَهُمْ أَن تَتَزَيَّنَ الدُّنْيَا فِي نَفْسِهِمْ فَيَطْلُبُونَ اللَّذَائِدَ وَ لَوْ

(١) نهج البلاغة: خطبة ٣-١٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٢٠

في المحرمات و لم يذكر الفاعل، لأنه ليس بمقصود و قد تقرر في علم البلاغة أن مقتضاه أن لا يذكر الفاعل أو المفعول حيث لم يكن مقصودا من النساء بيان «الشهوات» و النبين فإن حب الأولاد يسبب إطاعتهم و التحفظ عليهم و لو بذهاب الدين و القناطر المقنطرة جمع «قنطار» و هو ملء مسك ثور ذهب و إنما سمي قنطارا لأنه يكفي للحياة فكأنه قنطرة يعبر بها مدة الحياة، و المقنطرة بمعنى المجتمعة المكدسة كقولهم دراهم مدرهمة و دنانير مدنرة من الذهب و الفضة فإن الإنسان بحبه للأموال يعصى الله في جمعه و في عدم إعطاء حقوقه و الخيل عطف على النساء، و الخيل الأفراس المسومة من سوم الخيل التي علمها و لا تعلم إلا الجيد الحسن منها و الأنعام جمع نعم و هي الإبل و البقر و الغنم و الحَرْث أي الزرع فهذه كلها محببة للناس، لكن ذلك كله متاع الحياة الدنيا أي ما يستمتع به في الدنيا و لا تنفع الآخرة إلا إذا بذلت في سبيل الله - كل حسب بذله - و الله عنده حُسْنُ الْمَآبِ المرجع أي أن المرجع الحسن في الآخرة منوط بالله سبحانه فاللازم أن يتزهد الإنسان في الملذات و لا يتناول المحرم منها رجاء ثواب الله و نعيمه المقيم الذي لا زوال له و لا اضمحلال، فلا تسبب هذه المشتهيات عدول الإنسان عن الحق إلى الباطل و عن الرشاد إلى الضلال.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٢١

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٥ الى ١٦]

قُلْ أُوْتِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦)

[١٦] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلنَّاسِ الَّذِينَ زِينَ لَهُمْ حُبُّ الشَّهَوَاتِ أُوْتِبْتُكُمْ أَى هَلْ تَرِيدُونَ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمُ أَى بِأَحْسَنٍ مِنْ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ، وَ «كَمْ» خَطَابٌ لِلنَّاسِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا الْمُحْرَمَاتِ وَ عَمَلُوا حَسَبَ أَوْامِرِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَى مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَ نَخِيلِهَا وَ قُصُورِهَا خَالِدِينَ فِيهَا فَإِنَّهُمْ يَسْكُونُونَ الْجَنَّةَ أَبَدَ الْأَبَدِينَ لَا زَوَالَ لَهُمْ وَ لَا تَحْوِيلَ وَ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ أَى نِسَاءٌ طَاهِرَةٌ مِنَ الْأَقْدَارِ الظَّاهِرِيَّةِ كَالْحَيْضِ وَ الْوَسَاخَةِ، وَ الْأَقْدَارِ الْبَاطِنِيَّةِ كَسُوءِ الْخَلْقِ وَ الْحَقْدِ وَ الْعَدَاوَةِ وَ أَكْبَرَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ رَاضٍ عَنْهُمْ وَ مَتَى شَعَرَ الْإِنْسَانُ بِرِضَى اللَّهِ سَبَّحَانَهُ مِنْهُ تَنْعَمُ بِأَفْضَلِ نِعْمَةٍ نَفْسِيَّةٍ كَمَا لَوْ عَلِمَ فَرْدٌ مِنَ الرِّعِيَّةِ أَنَّ الْمَلِكَ يُحِبُّهُ وَ يَرْضَى عَنْهُ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ خَيْرٌ بِأَفْعَالِهِمْ وَ أَعْمَالِهِمْ فَيَجَازِيهِمْ حَسَبَ مَا يَفْعَلُونَ.

[١٧] ثُمَّ وَصَفَ سَبَّحَانَهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ بِقَوْلِهِ «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا» فَالْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا أَى صَدَقْنَا بِكَ وَ بَرَسَلْنَا وَ بِمَا أَمَرْتَ وَ وَعَدْتَ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا أَى تَجَاوِزْ عَمَّا صَدَرَ مِنَّا مِنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٢٢

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٧ الى ١٨]

الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْمُتَّقِينَ وَ الْمُتَّعِفِينَ بِالْأَشْحَارِ (١٧) شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)

الخطايا وَ قِنَا أَى أَحْفَظْنَا مِنْ «وَقَى» «يَقَى» بِمَعْنَى حِفْظِ عَذَابِ النَّارِ حَتَّى لَا نَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا.

[١٨] الصَّابِرِينَ صِفَةٌ أُخْرَى لِلْمُتَّقِينَ فَأَوْلئِكَ هُمُ الصَّابِرُونَ فِي الْمَصَائِبِ وَ عِنْدَ الطَّاعَةِ، وَ لَدَى الْمَعْصِيَةِ وَ الصَّادِقِينَ فِي نِيَّاتِهِمْ وَ أَقْوَالِهِمْ وَ أَعْمَالِهِمْ وَ الْقَانِتِينَ مِنَ الْقَنُوتِ بِمَعْنَى الْإِطَاعَةِ وَ الْخُضُوعِ وَ الْمُتَّقِينَ لِأَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَ الْمُتَّعِفِينَ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ غَفْرَانَ ذُنُوبِهِمْ بِالْأَشْحَارِ جَمْعُ سَحَرٍ وَ هُوَ مَا يَقْرَبُ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ آخِرَ اللَّيْلِ.

[١٩] وَ يَنَاسِبُ السِّيَاقَ هُنَا الْإِشَارَةُ إِلَى صِفَاتِ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ تَقَدَّمَ ذِكْرُ مَنْ اتَّقَى وَ أَوْصَافِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِلَّهِ سَبَّحَانَهُ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ شَهَادَةُ اللَّهِ لَفْظِيَّةٌ وَ وَاقِعِيَّةٌ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ إِظْهَارَ الْمَطْلَبِ بِاللِّسَانِ وَ قَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَحْدَتَهُ وَ سَائِرَ صِفَاتِهِ بِمَا هُوَ أَقْوَى وَ أَثْبَتَ وَ أَوْلَى مِنَ اللَّفْظِ، وَ هُوَ خَلَقَ الْمَصْنُوعَاتِ الَّتِي تَشْهَدُ جَمِيعَهَا بِصِفَاتِهِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

«و فِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ .. تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ» وَ إِنَّمَا تَشْهَدُ الْمَصْنُوعَاتُ عَلَى الْوَحْدَةِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَعَدَمُ الْفَسَادِ دَلِيلُ الْوَحْدَةِ- كَمَا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ- وَ الْمَلَائِكَةُ شَهِدُوا بِالْوَحْدَانِيَّةِ شَهَادَةً لَفْظِيَّةً وَ حَقِيقِيَّةً وَ أَوْلُوا الْعِلْمِ أَصْحَابُ الْعِلْمِ الَّذِينَ يَدْرِكُونَ، لَا كُلٌّ مِنْ يَدْعَى الْعِلْمَ، فَإِنَّهُ مِنْ يَنْظُرُ إِلَى الْكُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٢٣

نَظَرَ عَالَمٍ مُعْتَبَرٍ لَا يَدُلُّهُ مِنَ الْإِدْعَانِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ أَى فِي حَالِ كَوْنِهِ سَبَّحَانَهُ قَائِمًا بِالْعَدْلِ، فَإِنَّ الْقِسْطَ بِمَعْنَى الْعَدْلِ، وَ مَعْنَى قِيَامِهِ سَبَّحَانَهُ بِالْعَدْلِ أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ بِالْعَدْلِ فَخَلَقَهُ، وَ تَقْدِيرَهُ، وَ تَشْرِيْعَهُ، كُلٌّ بِالْعَدْلِ وَ مَعْنَى الْعَدْلِ الْإِسْتِوَاءُ، مُقَابِلُ الظُّلْمِ الَّذِي هُوَ الْإِعْوَجَاجُ وَ الْإِنْحِرَافُ، فَمَثَلًا جَعَلَ الشَّمْسُ فِي السَّمَاءِ عَدْلًا لِأَنَّهَا تَنِيرُ وَ تَشْرُقُ وَ تَقِيمُ الْمَجْمُوعَةَ الشَّمْسِيَّةَ بَيْنَمَا عَدَمُهَا انْحِرَافٌ وَ ظُلْمٌ، وَ كَذَلِكَ تَقْدِيرُ هَذَا غَنِيًّا وَ ذَاكَ فَقِيرًا، وَ هَذَا رَيْسًا وَ ذَاكَ مَرءٍ وَسَا بِالْعَدْلِ، وَ مَا يَشْهَدُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِنْحِرَافِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ التَّقْدِيرِ وَ إِنَّمَا مِنْ سُوءِ اخْتِيَارِ النَّاسِ، وَ كَذَلِكَ تَشْرِيْعُ الصَّلَاةِ وَاجِبَةً، وَ الْخَمْرِ مُحْرَمَةً بِالْعَدْلِ.

يَقَالُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ كَسْرِيَّ عَنْ سَبَبِ عَدْلِهِ قَالَ: لَعْدَةُ أَسْبَابٍ مِنْهَا أَنِّي رَأَيْتُ فِي الصَّحْرَاءِ يَوْمًا كَلْبًا كَسَرَ رَجُلًا غَزَالَ، فَمَا لَبِثَ أَنْ رَمَاهُ إِنْسَانٌ بِحِجْرٍ فَكَسَرَ رَجُلَهُ فَلَمْ يَمُضْ عَلَى الرَّجُلِ إِلَّا بَرَهَةً إِذَا بَفَرَسٍ رَفَسَهُ فَكَسَرَ رَجُلَهُ، فَلَمْ تَمُضْ عَلَى ذَلِكَ لِحِظَاتٍ إِلَّا بِالْفَرَسِ عَثَرَ

فانكسرت رجله، و هناك علمت أن الظلم عاقبته و خيمته .... و الإنسان إذا لم يعرف الصلاح و العدل في بعض الأشياء فليس له أن يعترض، و الحال أنه يجهل أكثر الأشياء، فهو كمن يعترض على أدوية وصفها الطبيب و هو لا يعرف من الطب شيئاً، و لفظه «قائماً» فيها إيماء لطيفة، فإن القائم يشاهد ما لا يشاهده القاعد، إذ هو مسيطر مشرف لا إله إلا هو تكرر للتأكيد، فإن العالم قبل الإسلام كان مرتطمًا في أو حال الشرك حتى جاء الإسلام فأظهر التوحيد و جدد ما محى من سنن الأنبياء عليهم السلام و إرشادهم حول المبدأ تعالى العزير في سلطانه الحكيم الذي يفعل كل شيء عن حكمه و علم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٢٤

[سورة آل عمران (٣): آية ١٩]

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)

[٢٠] و بعد ما تقرر التوحيد و العدل أتى دور الدين الذي أرسله الله سبحانه إلى العباد إن الدين عند الله الإسلام و الدين هي الطريقة التي تؤمن السعادة للبشر دنيا و آخرة، إنه عند الله الإسلام، و إن كان عند غيره اليهودية و النصرانية و المجوسية و غيرها، فإن الله سبحانه لم يرسل إلا الإسلام و الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً فإنه عبارة عن تسليم منهج الأعمال إلى الله الذي خلق الكون و هو أعلم بالنظام السماوي له الذي إن تبعه البشر عاش سعيداً و مات حميداً، و قد ذكرنا سابقاً أن الاختلاف بين الأديان السماوية الواقعية في شرائط و مزايا لا- في الجواهر و الأصول و ما اختلف الذين أوتوا الكتاب أي ليس اختلاف أهل الكتاب بعضهم مع بعض و جميعهم مع المسلمين إلا من بعد ما جاءهم العلم فعرفوا الصحيح من السقيم و الحق من الباطل، و إنما اختلفوا بغياً أي حسداً بينهم فلم يقبل اليهود أن يرضخوا لعيسى عليه السلام حسداً، و لم يقبل النصارى أن يؤمنوا بنبي الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم حسداً، كما قال سبحانه أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله «١» و مَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهَا فَلَا يظن أنه ربح و تهنأ بدنياً باقية بل خسر و ذهب دنياه و آخرته فإن الله سريع الحساب يحاسب الكفار

(١) النساء: ٥٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٢٥

[سورة آل عمران (٣): آية ٢٠]

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَ مَنْ اتَّبَعَنِ وَ قُلْ لِلَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ وَ الْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)

في الدنيا بأنواع من البلايا و المصائب كما قال و مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً «١» و في الآخرة بما اقترفوا من الكفر و الآثام، و الآخرة قريبة جداً فإن «من فاته اليوم سهم لم يفته غداً» قال الشاعر:

ألا إنما الدنيا كمنزل راكب أناخ عشياً و هو في الصباح راحل

[٢١] فَإِنْ حَاجُّوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ جَادَلُوكَ فِي أَمْرِ التَّوْحِيدِ بَعْدَ وَضُوحِ الْحُجَّةِ فَقُلْ لَهُمْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ فَأَنَا لَا أُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا أَتَّخِذُ لَهُ شَرِيكاً، و إسلام الوجه كناية عن الإسلام المطلق إذ تسليم الوجه إلى نحو يدل على تسليم القلب و سائر الجوارح و مَنْ اتَّبَعَنِ أَي الَّذِينَ اتَّبَعُونِي هُم أَيْضاً أَسْلَمُوا وَ جَوْهَهُمْ لِلَّهِ فَقَطْ دُونَ غَيْرِهِ وَ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ أَي أَعْطُوا الْكِتَابَ السَّمَاوِيَّ مِنَ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى وَ الْمَجُوسِ وَ قُلْ لِلَّهِ الْأُمِّيِّينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ وَ سَمُوا أُمِّيِّينَ إِمَّا لِجَهْلِهِمْ نَسَباً إِلَى الْأُمِّ وَ إِمَّا لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ - أم القرى - أَسْلَمْتُمْ أَي هَلْ أَسْلَمْتُمْ وَ جَوْهَكُمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ - بلا جدال و لا نقاش معهم بعد ما تمت عليهم الحجة - فَإِنْ أَسْلَمُوا وَ تَشَرَّفُوا بِدِينِ الْإِسْلَامِ فَقَدِ اهْتَدَوْا إِلَى

(١) طه: ١٢٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٢٦

[سورة آل عمران (٣): آية ٢١]

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١)

الحق و إلى طريق مستقيم وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ أَنْ تَبْلُغَهُمُ الْإِسْلَامَ وَ لَيْسَ عَلَيْكَ إِجْبَارُهُمْ حَتَّى لَا يَتَوَلَّوْا وَ حَتَّى لَا يَعْرُضُوا وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ فَهُوَ يُجَازِيهِمْ بِكَفْرِهِمْ وَ مِيثَاقِهِمْ كَمَا يُجْزِيهِمْ عَلَى إِيمَانِهِمْ وَ إِطَاعَتِهِمْ.

[٢٢] ثم بين سبحانه أن أهل الكتاب كفروا بالله قديما و قتلوا الأنبياء عليهم السلام، تسلياً للنبي صلى الله عليه و آله و سلم أن لا يضيق صدره بتكذيبهم و لجاجتهم إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ فَلَا يَقْبَلُونَهَا بَعْدَ وَضُوحِهَا وَ عِلْمِهِمْ بِهَا وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَإِنْ قَتَلَ النَّبِيُّ مَظْلُومًا لَيْسَ بِحَقٍّ وَ إِنَّمَا يَأْتِي الْقَيْدَ إِفَادَةً لِأَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حَتَّى أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ حَقٌّ مَدْعَى أَيْضًا وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ أَيْ بِالْعَدْلِ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ أَهْلَ الظُّلْمِ وَ الْبَاطِلِ الَّذِينَ تَمَثَّلَ فِيهِمُ الْقُوَّةُ غَالِبًا يَقْتُلُونَ مَنْ يَنْهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَ يَأْمُرُ بِالْقِسْطِ وَ الْعَدْلِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَ كَلِمَةُ الْبَشَارَةِ اسْتِهْزَاءٌ أَوْ بِعِلَاقَةِ اسْتِعْمَالِ الضَّدِّ فِي الضَّدِّ كَتَسْمِيَةِ الزَّنْجِيِّ بِالْكَافُورِ وَ الْأَعْمَى بِالْبَصِيرِ، أَوْ لِلْمُقَابَلَةِ نَحْوِ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ «١»، فَإِنَّ

(١) البقرة: ١٩٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٢٧

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٢٢ إلى ٢٣]

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُّعْرِضُونَ (٢٣)

المؤمن يبشر بالثواب و الكافر يبشر بالعقاب.

[٢٣] أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمُ الْخَيْرِيَّةُ فَإِنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَعْمَالَ خَيْرِيَّةً وَ إِنْ كَانَ كَافِرًا، وَ مَعْنَى حَبَطَ الْعَمَلُ بَطْلَانُهُ وَ عَدَمُ إِفَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ كَفْرَهُمْ سَبَبٌ هَدَرَ دِمَهُمْ فَعَمَلُهُمُ الْخَيْرِ لَمْ يَنْفَعَهُمْ فِي حَقْنِ دِمِهِمْ أَوْ أَعْمَالَ الْخَيْرِ الَّتِي تَدْفَعُ الْبَلَايَا وَ الْآفَاتِ لَا تَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ وَ الْإِنْحِرَافِ وَ الْآخِرَةِ فَلَا تَفِيدُهُمْ أَعْمَالُهُمُ الْحَسَنَةُ ثَوَابًا كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَ قَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا «١» وَ مَا لَهُمْ أَى لَيْسَ لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَ سَخَطِهِ.

[٢٤] أَلَمْ تَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَ مَعْنَاهُ إِفَادَةُ الْعِلْمِ بِهَذَا الْاسْتِفْهَامِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا أَعْطُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ أَى بَعْضًا مِنْهُ لِأَنَّهُمْ بِتَحْرِيفِهِمُ الْكِتَابَ قَدْ فَتَقَدُوا بَعْضَهُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ «٢» يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَجْعَلَ حُكْمًا بَيْنَهُمْ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ حَقٌّ أَمْ لَا فَقَدْ كَانَ فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ صِفَاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، وَ لِذَا كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى تَحْكِيمِ كِتَابِهِمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا

(١) الفرقان: ٢٤.

(٢) المائدة: ١٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٢٨

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٢٤ الى ٢٥]

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥)

ثم يتولى فريق منهم أى يعرض عن تحكيم الكتاب و إنما قال فريق لأن بعضهم دخل فى الإسلام بعد ما تمت له الدلالة و الإرشاد كعبد الله بن سلام و غيره و هم معرضون عن الحق و عن كتابهم و فى بعض الأحاديث أن الآية نزلت فى مسألة زنا وقعت بين يهودى و يهودية و كان حكمهما الرجم فى التوراة و رجعوا إلى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لعله يحكم بغير ذلك فحكم الرسول بينهم بما فى التوراة ففكروا ذلك.

[٢٥] ذَلِكَ الإِعْرَاضُ عَنِ كِتَابِهِمْ وَ عَنِ أَوْامِرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ أَمِنُوا الْعُقُوبَةَ بِمَا لَفَقُوهُ مِنَ الْكُذْبِ حَيْثُ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ أَى نَارِ جَهَنَّمَ عَلَى فَرَضِ كَفْرِنَا وَ عَصِيَانِنَا إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَ هَذِهِ الْمُدَّةُ الْقَلِيلَةُ فَلَا يَنْبَغِي تَرْكُ الشَّهَوَاتِ وَ الرِّئَاسَةِ لِأَجْلِهَا وَ غَرَّهُمْ أَى خَدَعَهُمْ فِي بَابِ دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ أَى الَّذِى افْتَرَوْا وَ نَسَبُوهُ إِلَى الدِّينِ مِنْ أَنَّ النَّارَ أَيَّامٌ مَعْدُودَةٌ فَقَطْ خَدَعَهُمْ وَ غَرَّهُمْ.

[٢٦] فَكَيْفَ حَالُهُمْ إِذَا انْكَشَفَ غُرُورُهُمْ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِى لَا رَيْبَ فِيهِ أَى لَيْسَ مَحَلُّ ارْتِيَابٍ وَ شَكٍّ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٢٩

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٢٦ الى ٢٧]

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُدِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)

أى يعطى كل إنسان جزاءه و افايا غير منقوص و هم لا يظلمون بل يجزون على حسب أعمالهم.

[٢٧] وَ هُنَا يَتَوَجَّهُ السِّيَاقُ إِلَى كَوْنِ الْمُلْكِ لِلَّهِ فَلَيْسَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يَحْسُدُوا الرَّسُولَ وَ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا أَوْتُوا مِنْ حَوْلٍ وَ طَوْلٍ وَ عِزَّةٍ وَ مَلِكٍ، وَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ مَا بَشَّرَ الرَّسُولَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُمْ يَفْتَحُونَ مَلِكَ فَارِسَ وَ الرُّومَ، فَاسْتَهْزَأَ الْكُفْرَانُ بِذَلِكَ وَ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ أَنْ يَسِيطَرُوا عَلَى تِلْكَ الدَّوْلَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ قُلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ اللَّهُمَّ أَى يَا اللَّهُ، وَ الْمِيمُ بَدَلٌ عَنِ حَرْفِ النَّدَاءِ مَالِكِ الْمُلْكِ مَالِكٍ مَنْصُوبٍ عَلَى أَنَّهُ مُنَادٍ مُضَافٍ أَى يَا مَالِكِ الْمُلْكِ فَكُلُّ شَيْءٍ لَكَ وَ حُدُوكَ لَا شَرِيكَ وَ مَلِكٌ مِنْ عِدَاكَ إِنَّمَا هُوَ مُجَازَى عِبْتَارَى تُؤْتِي أَى تُعْطَى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ أَنْ تُعْطِيَهُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ أَنْ تُنْزِعَهُ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمُلْكَ سُلْطَانًا أَوْ مَلِكًا لِشَيْءٍ كَالدَّارِ وَ الْعَقَارِ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ أَنْ تُعْزِيَهُ عِزَّةً ظَاهِرِيَةً أَوْ بَاطِنِيَةً بِالْإِيمَانِ وَ الطَّاعَةِ وَ تُدِلُّ مَنْ تَشَاءُ أَنْ تُدْلِيَهُ بِبِيَدِكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَتَقْدِرُ عَلَى الْإِعْطَاءِ وَ الْمَنْعِ وَ أَنْ تُعْزِ وَ تُدْلِ.

[٢٨] تُولِجُ أَى تَدْخُلُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ فَيَأْخُذُ اللَّيْلُ مَكَانَ النَّهَارِ، فِيمَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣٠

[سورة آل عمران (٣): آية ٢٨]

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَ يُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨)

ينقص اليوم و يزيد الليل، أو فيما إذا جاء الليل و ذهب النهار، و هو كناية، إذ ليس الإدخال حقيقة و تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ بِأَحَدِ الْمَعْنَيْنِ السَّابِقِينَ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ كَمَا يَخْرُجُ النَّبَاتُ الْحَيُّ مِنَ الْحَبِّ الْمَيِّتِ وَ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ، أَوْ يَخْرُجُ الْجِنِينُ الْحَيُّ مِنَ الْأَمِّ

الميتة كما قد تموت الأم و يخرج الولد منها حيا و تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ كما يخرج الحب الميت من النبات الحى و البيضه الميتة من الدجاجة و الولد الميت من المرأة الحية إذا مات الجنين فى بطنها، و فى التأويل إخراج المؤمن من الكافر، و الكافر من المؤمن و تَزُوقُ مَنْ تَشَاءُ من عبادك و خلقك بِغَيْرِ حِسَابٍ أى بغير تقدير كما يقال فلان ينفق بغير حساب، أو بلا حساب من المنفق عليه و إن كان كل شىء عنده تعالى بحساب.

[٢٩] و حيث ثبت أن الملك بيد الله و العزة و الذلة منه ف لا- يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ بَأَن يَصَادِقَ الْمُؤْمِنَ الْكَافِرَ بزعم أنه ينفعه لأن بيد الكافر الملك أو أنه يسبب عزته و شوخته مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أى من دون أن يتخذ المؤمنين أولياء بل اللازم أن يتخذ المؤمن المؤمن وليا، و يتخذ من الكافر عدوا و مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ الْإِتِّخَاذَ لِلْكَافِرِ وَلِيًّا فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ أى ليس ذا قدر عند الله سبحانه إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣١

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٢٩ الى ٣٠]

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) تخافوا من الكفار فلا بأس باتخاذهم أولياء تقيه و يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ أى يخوفكم الله من نفسه فإن من يتخذ الكافر وليا يشمله عقاب الله سبحانه و إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ أى المرجع فمن عصاه يجازيه بالنار و العذاب.

[٣٠] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ نَوَايَاكُمْ وَمَا فِي قُلُوبِكُمْ، كما لو اتخذتم الكافر وليا فى قلبكم مما لم يعلم به الناس أَوْ تُبْدُوهُ أى تظهروه يُعْلَمُهُ اللَّهُ فإنه العالم بالنوايا و ما فى الصدور و يُعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فهو العالم بكل شىء فكيف لا يعلم ما فى صدوركم و اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فهو العالم بالنوايا و القادر على العقاب فمن الجدير بالمسلم أن لا يتخذ الكافر وليا أو المؤمن عدوا حتى فى قلبه إذ يعلمه الله و يقدر على عقابه.

[٣١] اذكروا أيها الناس يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا أى تجد كل أعماله الخيرية حاضرة كما قال سبحانه و وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴿١﴾ و معنى حضور العمل حضور حساباتها و ثوابها و عقابها أو

(١) الكهف: ٥٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣٢

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٣١ الى ٣٢]

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)

تجسم الأعمال كما ذهب إلى ذلك بعض و ما عَمِلْتُمْ مِنْ سُوءٍ أى تجد أعماله السيئة حاضرة تَوَدُّ تِلْكَ النَّفْسَ الْعَاصِيَةَ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا أَى بين النفس و بَيْنَهُ أى بين ما عملت من سوء أَمِيدًا بَعِيدًا أى مكانا بعيدا تشبيه بالأمر المحسوس فكما أن المتباعدين لا يتلاقيان فعلا كذلك لو كان العمل السيئ بعيدا عن عامله و يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ حتى تخافوا من عقابه فتتقوه و اللَّهُ رَؤُفٌ ذُو رَأْفَةٍ وَ رَحْمَةٌ بِالْعِبَادِ و من رأفته يحذركم عن المعاصى حتى لا يأخذكم و بالها و عاقبتها.

[٣٢] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أو يا أهل الكتاب تُحِبُّونَ اللَّهَ حَقِيقَةً و تصدقون فى مقاتلكم هذه فَاتَّبِعُونِي فيما أمر الله و أنهى يُحِبُّكُمُ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَ رِسُولَهُ فى أوامره و نواهيه و إلا مجرد دعوى حب الله بلا شاهد و حقيقة لا يكفى فى حب الله تعالى للمدعى و يُغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ فَإِنَّ مِنْ أَحْسَنِ وَ اتَّبَعَ الرَّسُولَ يَغْفِرْ ذَنْبَهُ وَ يَمْحِ سَيِّئَتَهُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ بعباده.

[٣٣] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَإِطَاعَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ هِيَ إِطَاعَةُ الرَّسُولِ لَكِنْ ذَكَرَ ذَلِكَ تَعْظِيمًا لِلأَمْرِ وَإِرْدَافًا لِإِطَاعَةِ الرَّسُولِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣٣

[سورة آل عمران (٣): آية ٣٣]

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)

بذلك كما قال فَنَّ لِلَّهِ خُصْمَةٌ وَلِلرَّسُولِ «١» مع أن خمس الله إنما هو للرسول و يحتمل أن يكون ذكر الله و الرسول لإفادة وحدة الجهة أى إن الله و الرسول لهما إطاعة واحدة فهو من قبيل أطع العلماء لا من قبيل أطع العالم أو أطع أباك فَنَّ تَوَلَّوْا و أَعْرَضُوا فلم يطيعوا فَنَّ الله لا- يُحِبُّ الْكَافِرِينَ الذين يعرضون عن أوامر الله و رسوله و معنى لا يحبهم أنه يبغضهم لا النفى للحب فقط المجمع لعدم البغض.

[٣٤] و حيث كان الكلام حول وحدة الدين و أنه هو الإسلام و التعريض بالكفار و أخيرا انتهى المطاف إلى ميزان حب الله سبحانه ناسب السياق ذكر بعض الأفراد الذين اختارهم الله سبحانه أليسوا هم جميعا قادة دين واحد المنتهى إلى المسلمين فمن اللازم أن يعرفهم و يقدرهم، فقال سبحانه إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى أَى اختار لرسالته و وحيه و جعلهم أنبياء مرشدين آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ الأنبياء الذين من نسله إسحاق و إسماعيل و يعقوب و يوسف و عيسى و محمد «صلوات الله عليهم أجمعين» وَ آلَ عِمْرَانَ موسى و هارون عليهما السَّلام عَلَى الْعَالَمِينَ و إنما خصص هؤلاء الأنبياء، لكون آدم أبو البشر، و نوح و آل إبراهيم بما فيهم إبراهيم- فإنه يقال آل فلان للأعم منه و من آله- و آل عمران الذين فيهم الأنبياء، أولوا العزم هم مدار الرسائل العالمية.

(١) الأنفال: ٤٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣٤

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٣٤ إلى ٣٥]

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥)

[٣٥] حال كون نوح و آل إبراهيم و آل عمران ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فى أداء الرسالة و مناصرة الدين و إرشاد الناس، فإن من خرج عن دين آباءه ليس منهم كما قال سبحانه إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ «١» بخلاف من اتبع آباءه و اللَّهُ سَمِيعٌ لما تقوله الذرية عليهم بضمايرهم و أعمالهم و لذا فضلهم على من سواهم إن هؤلاء الأنبياء كلهم ذووا خصائص واحدة موروثه من جدتهم آدم عليه السلام مما تؤهلهم لحمل الرسالة الواحدة التى هى رسالة الإسلام.

[٣٦] و فى هذا الجو يأتى ذكر والده عيسى عليهم السَّلام و أنها كيف كانت طاهرة زكية بحيث أهلت لإيداع النبى العظيم عندها، اذكر يا رسول الله إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ وَ هِيَ حَنَّةٌ جَدَّةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام من الأم رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا و ذلك حين حملت لم تكن تعلم أنها أنثى فنذرت أن تجعل ما فى بطنها لخدمه المسجد و معنى المحرر الفارغ من الأعمال الدنيوية الصارف جميع أوقاته فى خدمه بيت الله سبحانه، و هكذا كان قلب أم مريم عامرا بالإيمان جاعله أعز شىء لديها لله و فى خدمه عباد الله فَتَقَبَّلْ مِنِّي نَذْرِي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ لدعائى العليم بما فى ضميرى من صدق و إخلاص.

(١) هود: ٤٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣٥



[سورة آل عمران (3): الآيات 36 الى 37]

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسِينًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37)

[37] فَلَمَّا وَضَعَتْهَا أَيُّ وَضَعَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ جَنِينَهَا خَابَ ظَنُّهَا وَرَأَتْ أَنَّهَا أُنْثَىٰ فَ قَالَتْ فِي يَأْسٍ وَ تَبْتَلُ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَ الْأُنْثَىٰ لَا تَصْلُحُ لِلْخِدْمَةِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْذُكَ كَانَتْ جَنِينًا فِي بَطْنِهَا بَيْنَمَا هِيَ لَا تَعْلَمُ إِلَّا بَعْدَ الْوَضْعِ وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ فَالذِّكْرُ يَأْتِي مِنْهُ الْخِدْمَةُ وَ لَا بِأَسْ بِحَشْرِهِ فِي مَكَانِ الْعِبَادَةِ فِي الْمَسْجِدِ بِخِلَافِ الْأُنْثَىٰ إِذْ لَا تَلَائِمُ الرِّجَالِ وَ لَا تَلَائِمُ عَادَتِهَا النَّسَائِيَّةِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ قَالَتْ وَ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ أَيُّ جَعَلْتُ اسْمَهَا «مَرْيَمَ» وَ هِيَ فِي لُغَتِهِمْ بِمَعْنَى الْعَابِدَةِ وَ إِنِّي أُعِيذُهَا أَيُّ أَجْعَلُهَا فِي حِفْظِكَ وَ حِرَاسَتِكَ بِكَ وَ أُعِيذُ ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَيُّ الْمَرْجُومِ بِاللَعْنِ وَ الْمَطْرُودِ عَنِ الْخَيْرِ.

[38] فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا أَيُّ تَقَبَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَرْيَمَ مَعَ أَنْوُثَتِهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ حَيْثُ قَدَّرَ لَهَا السَّعَادَةَ وَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهَا عِيسَى الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسِينًا أَيُّ جَعَلَ نَشْوَاهَا نَشَاً حَسَنًا بِالْفَضِيلَةِ وَ الْأَخْلَاقِ وَ الْعِفَّةِ وَ الطَّهَارَةِ وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا أَيُّ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كَفِيلَهَا زَكَرِيَّا وَ كَانَ زَوْجَ خَالَتِهَا مَرْيَمَ، وَ هُوَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّ أُمَّ مَرْيَمَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 336

[سورة آل عمران (3): آية 38]

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38)

ذَهَبَتْ بِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَ سَلِمَتْهَا إِلَى الْأَحْبَارِ فَتَنَازَعُوا فِي كِفَالَتِهَا حَتَّى اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا وَ خَرَجَتْ الْقِرْعَةُ بِاسْمِ زَكَرِيَّا فَكَانَتْ مَرْيَمَ تَخْدُمُ فِي صَغَرِهَا الْمَسْجِدَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ انْفَصَلَتْ عَنْهُمْ فِي غُرْفَةٍ خَاصَّةٍ بِهَا بَنَاهَا لَهَا زَكَرِيَّا فِي وَسْطِ الْمَسْجِدِ عَالِيَةً لَا يُمْكِنُ الْوَصُولُ إِلَيْهَا إِلَّا- بِسَلْمٍ وَ كَانَ يَأْتِي بِحَوَائِجِهَا كُلِّ يَوْمٍ وَ كَانَ مِنْ غَرِيبٍ أَمْرَهَا أَنْ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَ هِيَ غُرْفَتِهَا وَ سُمِّيَ مِحْرَابًا لِأَنَّهُ مَحَلُّ مِحَارَبَةِ النَّفْسِ وَ الشَّيْطَانِ وَ جَدَّ عِنْدَهَا رِزْقًا فَكَهَتْ فِي غَيْرِ حِينِهَا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا أَيُّ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الرِّزْقُ قَالَتْ مَرْيَمَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَرْسَلَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْجَنَّةِ كَرَامَةً لِي إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ أَيُّ بِغَيْرِ تَقْتِيرٍ أَوْ مُحَاسَبَةٍ مِنَ الْمَرْزُوقِ.

[39] هُنَالِكَ الَّذِي رَأَى زَكَرِيَّا إِكْرَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِمَرْيَمَ نَحْوَ خَرَقِ الْعَادَةِ مِنْ إِسْرَالِ الْفَاكِهِةِ إِلَيْهَا دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ أَيُّ مِنْ عِنْدِكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً أَيُّ نَسْلًا صَالِحًا إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ وَ كَانَ زَكَرِيَّا يَأْتِسُّ مِنَ الْأَوْلَادِ حَيْثُ كَبُرَ وَ شَاخَ وَ كَانَتْ امْرَأَتُهُ عَاقِرًا لَكِنْ طَلَبَ وَ دَعَا مَرِيدًا عَلَى وَجْهِ الْإِعْجَازِ وَ خَرَقِ الْعَادَةِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 337

[سورة آل عمران (3): الآيات 39 الى 40]

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَ امْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (40)

[40] فَ نَادَتْهُ أَيُّ نَادَتْ زَكَرِيَّا الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ إِذَا الْمُرَادُ الْمِحْرَابُ أَوْ نَفْسُ الْمَسْجِدِ وَ سُمِّيَ مِحْرَابًا لِأَنَّهُ مَحَلُّ مِحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ وَ النَّفْسِ حَيْثُ يَرِيدَانِ صَرْفَ الْإِنْسَانِ إِلَى الدُّنْيَا وَ الْمَسْجِدَ يَصْرِفُهُ إِلَى الْآخِرَةِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى سَمَاهُ سُبْحَانَهُ بِهَذَا الْاسْمِ قَبِيلِ الْوَلَادَةِ فِي حَالِ كَوْنِهِ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ الْمُرَادُ بِالْكَلِمَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيُّ أَنْ يَحْيَى يَصْدُقُ نَبُوَّةَ عِيسَى، وَ إِنَّمَا سُمِّيَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَةً لِلَّهِ لِأَنَّهُ كَانَ بِإِلْقَاءِ اللَّهِ إِيَّاهَا إِلَى مَرْيَمَ، كَمَا تَلَقَى الْكَلِمَةَ مِنَ الْفَمِّ وَ سَيِّدًا أَيُّ ذُو سِيَادَةٍ وَ شِرَافَةٍ وَ حَصُورًا يَحْصُرُ نَفْسَهُ عَنِ الْمَلَذَاتِ، أَوْ عَنِ النِّسَاءِ خَاصَّةً بِمَعْنَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ زَاهِدًا، وَ كَوْنِ حَصُورٍ مَدْحًا لِيَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

لأسباب خاصة لا- ينافي استحباب الزواج في الشرائع وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَصْلِحُونَ وَ لا- يكن فيهم فساد كما هو شأن جميع الأنبياء.

[٤١] فاستفسر زكريا عليه السّلام عن كيفية حصول الولد هل يرزقه و هما على ما هما عليه من الحالة أم تتبدل حالتهما قال زكريا في جواب الملائكة سائلا عن الله سبحانه رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ أَي كَيْفَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ أَي الشَّيْخُوخَةُ وَ امْرَأَتِي عَاقِرٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣٨

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٤١ إلى ٤٢]

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْبُكْرِ (٤١) وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢)

ليس لها قابلية الولادة قال الملك في جوابه كَذَلِكَ أَي كَالْحَالِ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ وَ الْعَقْرُ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فَإِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

[٤٢] قَالَ زَكْرِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً أَي عِلْمَهُ أَعْرَفَ بِهَا وَقْتِ الْحَمْلِ لِأَزِيدَ شُكْرًا وَ سُرُورًا أَوْ عِلْمَهُ أَعْرَفَ بِهَا اسْتِجَابَةَ دُعَائِي لِطَمَئِنُّ قَلْبِي وَ أَجِدُهُ مَحْسُوسًا مَلْمُوسًا بَعْدَ مَا وَجَدْتُهُ سَمَاعًا بِالْبَشَارَةِ قَالَ الْمَلِكُ، أَوَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ بِخَلْقِ الصَّوْتِ فِي الْفِضَاءِ آيَتُكَ أَي الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ أَي لَا تَقْدِرُ عَلَى التَّكَلُّمِ مَعَهُمْ كَلِمًا تُوْجَّهَتْ إِلَيْهِمْ بِالْكَلَامِ يَعْقِدُ لِسَانُكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا بِالْإِشَارَةِ بِالْيَدِ وَ الرَّأْسِ وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا فَإِنَّ لِسَانَكَ لَا يَنْعَقِدُ عَنِ الذِّكْرِ وَ التَّسْبِيحِ لِلَّهِ سَبَّحَانَهُ وَ سَبِّحْ أَي نَزَّهَ الْبَارِي تَعَالَى بِالْعَشِيِّ آخِرَ النَّهَارِ وَ الْبُكْرِ أَوَّلَ النَّهَارِ، مِنْ أَكْبَرَ فَهُوَ اسْمٌ مُفْرَدٌ لَا جَمْعَ.

[٤٣] ثُمَّ رَجَعَ السِّيَاقُ إِلَى بَقِيَّةِ قِصَّةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ حَيْثُ كَانَتْ قِصَّةُ زَكْرِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَسَّطَتْ فِي الْمَوْضُوعِ لِمُنَاسَبَةٍ وَ اذْكُرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ اخْتَارَكَ لِعِبَادَتِهِ وَ إِطَاعَتِهِ وَ أَنْ تَكُونِي وَعَاءَ لِنَبِيِّهِ وَ طَهَّرَكَ مِنَ الْآثَامِ وَ الذُّنُوبِ وَ الْأَدْنَسِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣٩

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٤٣ إلى ٤٤]

يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ اذْكُرِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلَى أُولَآئِكَ الَّذِينَ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤)

وَ الْعَادَاتِ النِّسَائِيَّةِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَ كَرَّرَ الْاصْطِفَاءَ تَأْكِيدًا وَ مَقْدَمَةً لِذِكْرِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَلَيْسَ الْاِخْتِيَارُ لَهَا فِي جَمَلَةٍ مَخْتَارَاتٍ وَ إِنَّمَا هِيَ مَخْتَارَةٌ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ زَمَانِهَا وَ عَوَالِمِهَا لِأَنَّ الْعَالَمِينَ فَإِنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ هِيَ الْمَخْتَارَةُ الْمَطْلُوقَةُ عَلَى جَمِيعِ النِّسَاءِ وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ تَقَالُ مُرَادًا بِهَا الْعَوَالِمُ الْمَعَاصِرَةُ لِأَنَّ الْعَوَالِمَ كَمَا يَقَالُ إِنَّ الدَّوْلَةَ الْفُلَانِيَّةَ أَقْوَى جَمِيعِ الدُّوَلِ يَرَادُ الدُّوَلُ الْمَعَاصِرَةُ لَهَا لَا كُلَّ دَوْلَةٍ فِي الْعَالَمِ أُمَّتٌ أَوْ تَأْتِي.

[٤٤] يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي الْقُنُوتَ الْخُضُوعَ وَ الْإِخْلَاصَ فِي الْعِبَادَةِ لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ اذْكُرِي مَعَ الرَّاكِعِينَ أَي فِي جَمَلَةِ الَّذِينَ يَرْكَعُونَ لِلَّهِ سَبَّحَانَهُ.

[٤٥] ذَلِكَ الَّذِي تَقَدَّمَ مِنْ قِصَصِ مَرْيَمَ وَ زَكْرِيَا وَ يَحْيَى مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ أَي الْأَخْبَارِ الْغَائِبَةِ عَنِ الْحَوَاسِ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ غَابَ عَنِ الْحَوَاسِ يُسَمَّى غَيْبًا نُوحِيهِ إِلَيْكَ أَي نَلْقِيهِ عَلَيْكَ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَإِنَّ الْإِخْبَارَ عَمَّا لَمْ يَحْضُرْهُ الْإِنْسَانُ وَ لَمْ يَعْلَمْهُ مِنْ طَرِيقِ التَّارِيخِ يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ بِالْإِعْجَازِ وَ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ وَ مَا كُنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَدَيْهِمْ أَي عِنْدَ الْأَخْبَارِ وَ الْمَعَاصِرِينَ لِمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ إِذْ يُتْلَى أُولَآئِكَ الَّذِينَ يَكْفُلُ مَرْيَمَ فَإِنَّ زَوْجَهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٤٠

[سورة آل عمران (3): الآيات 45 الى 46]

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46)

عمران لما أتت بمریم إلى المسجد اختلفت الأخبار في من يكفلها لأنها كانت بنت إمامهم و صاحب قربانهم فقال لهم زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقال له الأخبار: إنها لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التي ولدتها و لكن نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه، فانطلقوا و هم تسعة و عشرون رجلا إلى نهر جار فألقوا أقلامهم في الماء فأبرز قلم زكريا و ارتفع فوق الماء و رسبت أقلامهم و لذا أخذها زكريا و ما كنت لذيهم إذ يختصمون في شأنها و أن أيهم يكفلها.

[46] و اذكر يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذ قالت الملائكة مخاطبة لمریم عليها السلام يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه أي بولد هو كلمة الله تلقى عليك و يخرج منك بصورة عيسى المسيح عليه السلام اسمه المسيح عيسى ابن مريم قيل سمي مسيحا لأنه كان يمسح الأرض و يسير فيها، و ذكر في الكلام أمه دحضا لمن يفترى قائلا: أنه ابن الله، في حال كونه وحيها في الدنيا و الآخرة أي ذا جاه و قدر و شرف و من المقربين لله تعالى قرب شرف و جاه لا زمان و مكان.

[47] و يكلم الناس في المهدي أي في حال كونه صغيرا قبل أوان تكلم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 341

[سورة آل عمران (3): الآيات 47 الى 48]

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (47) وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ (48)

الأطفال و المهدي هو الموضع الذي يوضع فيه الطفل و يهز من خشب أو حديد أو ثوب أو نحوها و كهلا أي يكلمهم كهلا بالوحي و الكهل ما بين الشاب و الشيخ أو يراد الإخبار عن بقائه إلى ذلك الوقت و من الصالحين الذين فيهم الصلاح دون الفساد.

[48] قالت مريم لما سمعت هذا النبأ المدهش رب أنى يكون لى ولد و لم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (47) و يعلمه الكتاب و الحكمة و التوراة و الإنجيل (48)

منى على نحو النكاح فإنها كانت دون زوج قال الملك في جواب مريم كذلك أي هكذا بدون المس و الزوج الله يخلق ما يشاء فإنه ليس بخارج عن قدرة الله سبحانه إذا قضى أمرا أراد خلقه و تكوينه فإنما يقول له كن قولاً أو إرادة بدون تلفظ فيكون في الخارج، فإن الله يوجد الأشياء بصرف الإرادة.

[49] و يعلمه أي يعلم الله سبحانه المسيح الكتاب أي الكتابة أو مطلق الكتاب المنزل من السماء و الحكمة حتى يكون حكيما يعرف مواضع الأشياء أو المراد بالحكمة علم الشرائع من الحلال و الحرام و سائر الأحكام و التوراة و هو كتاب موسى عليه السلام و الإنجيل و هو الكتاب الذي أنزل على المسيح بنفسه و قد ذكروا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 342

[سورة آل عمران (3): آية 49]

وَ رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْتَلِيكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (49)

أن معنى التوراة «التعليم و البشارة» و معنى الإنجيل «البشارة و التعليم».

[50] و نجعله رسولا إلى بني إسرائيل لإرشادهم من الضلالة إلى الحق، و انتقل السياق إلى كلام عيسى عليه السلام الذي كان يتكلم به بعد النبوة، فكان يقول لبني إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أي بمعجزة و علامة تدل على صدق دعواتي للنبوة و أنى رسول إليكم أنى أخلق لكم أي أصنع لأجلكم من الطين كهية الطير أي على صورة الطائر فأنفخ فيه أي فى الطائر المصنوع من الطين فيكون

طَبِيراً يَأْذِنُ اللَّهُ وَإِرَادَتَهُ وَقُدْرَتَهُ، فَصَنَعَ صُورَةَ خَفَاشٍ مِنَ الطِّينِ وَنَفَخَ فِيهِ فَطَارَ وَ أُرِيئُ أَيِ أَشْفَى الْأَكْمَةِ الَّذِي وَلَدَ أَعْمَى، أَوْ مَطْلُوقِ الْأَعْمَى وَ الْأَبْرَصِ الَّذِي أَصِيبَ بِمَرَضِ الْبَرَصِ وَ هُوَ الْوَضْحُ وَ أَحْيَى الْمَوْتَى كُلَّ ذَلِكَ يَأْذِنُ اللَّهُ فَكَانَ يَقِفُ عَلَى الْقَبْرِ وَ يَقُولُ لِلْمَيِّتِ قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَيَقُومُ يَنْفُضُ عَن جَسْمِهِ الْغُبَارَ كَأَنَّهُ لَمْ يَمِتْ أَصْلاً وَ أُتْبِئُكُمْ أَيِ أَخْبَرَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ إِخْبَاراً عَنِ الْغَيْبِ وَ مَا تَدْخُرُونَ مِنَ الْإِدْخَارِ فِي بُيُوتِكُمْ فَكَانَ يَقُولُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٤٣

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٥٠ الى ٥١]

وَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَ لِأَحْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١)

للشخص تغذيت بكذا أو حفظت للليل كذا إن في ذلك الذي ذكرت من المعجزات لآية معجزة دالة على صدقي لكم إن كنتم مؤمنين بالله و إنما يقيد بالإيمان لأن من لا يؤمن بالله سبحانه لا يمكن أن يفرق بين المعجزة و السحر.

[٥١] وَ ذَلِكَ فِي حَالِ كَوْنِهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْ أَيِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيَّ وَ أَنْزَلَ قَبْلِي مِنَ التَّوْرَةِ فَإِنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ لَزُومِ تَصْدِيقِي حَيْثُ لَا أَبْطَلُ كِتَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لِأَحْلَ لَكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ هَذَا التَّحْلِيلُ إِنَّمَا كَانَ لِانْقِضَاءِ ظَرْفِ التَّحْرِيمِ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَيِ بِحُجَّةٍ تَشْهَدُ بِصَدْقِي وَ أَنِي مِنْ قَبْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَ هِيَ إِذَا إِجْمَالٌ لِمَا فَصَّلَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، جَمْعاً لِأَعْمَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، التَّصْدِيقِ، وَ التَّحْلِيلِ، وَ الْإِعْجَازِ، وَ إِذَا يَرَادُ بِهِ آيَةٌ أُخْرَى لَمْ تَذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ صَدَقُوا بِرِسَالَتِي وَ أَطِيعُوا فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَ أَنْهَاكُمْ عَنْهُ.

[٥٢] إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَلَسْتُ أَنَا ابْنُ لَه، قَالَ ذَلِكَ رَدًّا عَلَى النَّصَارِيِّ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُ إِلهًا فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ وَ لَا تَعْبُدُوا مِنْ دُونِهِ الشُّرَكَاءَ كَمَا عَبَدَتِ الْيَهُودُ عَزِيرًا، وَ عَبَدَتِ النَّصَارِيُّ الْمَسِيحَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٤٤

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٥٢ الى ٥٣]

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ أَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)

لا اعوجاج له و لا انحراف بخلاف سائر الطرائق التي هي طرق معوجة منحرفة زائغة.

[٥٣] وَ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَّةِ لَمْ يَزِدْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا عُنَادًا وَ اسْتِكْبَارًا فَلَمَّا أَحَسَّ مِنَ الْحَسِّ أَيِ وَجَدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُمْ الْكُفْرَ وَ أَنَّهُ لَمْ تَنْفَعَهُمُ الْحُجَّةُ وَ الدَّلِيلُ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ دِينِي لِلْوَصُولِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِذِ الْمُسْلِمُ يَقْطَعُ طَرِيقَ الْوَصُولِ إِلَى اللَّهِ لِيَنْتَهِيَ إِلَى ثَوَابِهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ هُوَ جَمْعُ حَوَارِيٍّ مِنَ الْحُورِ بِمَعْنَى شِدَّةِ الْبَيَاضِ وَ سُمِّيَ خَاصَّةً الْإِنْسَانَ بِالْحَوَارِيِّ لِتَقَاءِ قَلْبِهِ وَ صِفَاءِ بَاطِنِهِ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ الَّذِينَ نَنْصُرُ دِينَهُ وَ نَتَابِعُكَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ آمَنَّا بِاللَّهِ إِيمَانًا لَا يَشُوبُهُ شُرْكٌ وَ أَشْهَدُ يَا عِيسَى بِأَنَّا مُسْلِمُونَ فِي أَدْيَانِنَا.

[٥٤] ثُمَّ تَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ دَاعِينَ قَائِلِينَ رَبَّنَا أَيِ يَا رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ عَلَى رَسُولِكَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فِيمَا أَمَرَ وَ نَهَى فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ عَلَى الْأُمَّمِ كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً «١»

فالرسل

(١) البقرة: ١٤٤.

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٥٤ الى ٥٥]

وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ إِلَيْنِي الْأَلْطَفَةَ الَّتِي كَفَرُوا بِكَ مِنَ الدِّينِ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيْنِي مَرْجِعُكُمْ فَأَخُكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥)

شهداء على أصحابهم وهم شهداء على سائر الناس.

[٥٥] ذلك كان قول أنصار عيسى والمؤمنين به أما الكفار الذين جحدوه وأنكروه فلم يؤمنوا ومكروا لعيسى عليه السلام بأن يقتلوه ومكر الله بإنقاذه منهم وقتل كبيرهم عوضه، والمكر لغه بمعنى تطلب العلاج لأمر ما والغالب يستعمل في الشر، ولعل نسبة المكر هنا إلى الله سبحانه للمقابلة نحو قوله تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ «١» مع أن الله سبحانه ليس له نفس والله خير الماكرين لأنه أعرف بطرق العلاج، وفي بعض التفاسير أنه لما أراد ملك بني إسرائيل قتل عيسى عليه السلام دخل خوخته وفيها كوة فرفعه جبرائيل من الكوة إلى السماء وقال الملك لرجل خبيث من الكفار ادخل عليه فاقتله فدخل الخوخة فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج إلى أصحابه يخبرهم أنه ليس في البيت فقتلوه بظن أنه عيسى وكان قتله على نحو الصلب وكلما صاح أنه ليس بعيسى لم يقد.

[٥٦] واذكر يا رسول الله إذ قال الله أو ذاك إذ قال، أو ومكر الله إذ قال يا عيسى ابني مَتَوَفَّيْكَ أَي أَخَذَكَ وَايَا فَيَا مَعْنَى تَوَفَاهُ أَخَذَهُ وَايَا وَيَقَالُ تَوَفَى اللَّهُ فَيَا فَيَا حِينَ يَأْخُذُ رُوحَهُ وَايَا مَعْنَى الوَفَاءُ وَهُوَ فِي أَخْذِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ أَقْرَبُ إِلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ أَخْذِ الرُّوحِ فَقَطْ فَإِنَّهُ

(١) المائدة: ١١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٤٦

[سورة آل عمران (٣): آية ٥٦]

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦)

بعلاقة الكل والجزء أي أخذك ورافعك إلى فإنه عليه السلام رفع إلى السماء الرابعة كما في بعض الأحاديث وقد يظن أن ذلك ينافي ما اشتهر في العلم الحديث من عدم وجود سماوات ذات حجوم لكنه ظن غير تام إذ السماء حتى لو كان يراد بها المدار - كما هو معناه لغه - تكون هناك سماوات و للتوضيح راجع «الهيئة والإسلام» تأليف «العلامة الشهرستاني» ومطهرتك من الذين كفروا فإنهم أرجاس أنجاس فكما أن الجسم المحاط بالنجاسة إذا غسل يطهر عنها كذلك إن الإنسان الطيب في أناس كفره عصاة إذا أخرج من بينهم كان تطهيرا له في المعنى عن لوثهم وكفرهم وجاعل الذين اتبعوك من النصارى فوق الذين كفروا بك من اليهود إلى يوم القيامة وهذا من معجز القرآن الحكيم فإن النصارى دائما فوق اليهود إلى يومنا هذا وسيكونون كذلك إلى يوم القيامة ثم إلى مَرْجِعِكُمْ جميعا أنت وأصحابك الكفار، وذلك يوم القيامة فأخكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من التوحيد والشرك ومن كونك نبيا وسائر الأصول والفروع التي كنت تنادي بها وتبشر من أجلها وكان اليهود يكفرون بها.

[٥٧] فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَأَعْدَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٤٧

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٥٧ الى ٥٨]

وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) ذَلِكُمْ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨)

بضرب الذلة والمسكنة عليهم وإنهم دائما تحت حكم أصحابك وأنه لا تقوم لهم دولة إلا بحبل من الله وحبل من الناس وإنهم

مكروهون منفرون أبد الآبدین و الأخره بإدخالهم نارا أحاطت بهم سرادقها و إن يستغثوا يغاثوا بماء كالمهل و ما لهم من ناصرين ينصرونهم من بأس الله و عذابه.

[٥٨] و أمّا الذين آمنوا بك و بما بشرت به و عملوا الصالحات مما أمرناهم به و اجتنبوا عن المحرمات، فإنه لا- يقال يعمل فلان الصالحات إلا- إذا اجتنب الآثام إلى جنب إتيانه بالواجبات فيؤفئهم أى يعطيهم الله أجورهم كاملة غير منقوصة فإن الوفاء إعطاء المطلوب كاملا و الله لا يحب الظالمين الذين ظلموا بالكفر أو بعدم العمل الصالح.

[٥٩] ذلك المذكور هنا من أخبار زكريا و عيسى و يحيى و مريم عليهم السلام تثلوه عليك أى نقرأه عليك بسبب الوحي من الآيات أى من جملة الآيات و الحجج الدالة على صدقك و أنك نبي يوحى إليه و من الذكر إى القرآن الحكيم المحكم الذى لا يتطرق إليه بطلان أو زيغ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٤٨

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٥٩ الى ٦١]

إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)

[٦٠] و هنا تنهياً النفوس لإدراك حقيقة عيسى هل كان بشرا و كيف ولد من غير أب فقال سبحانه إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم فليس ولادة عيسى من غير أب عجيبا و بدعا و لا يدل ذلك على أنه رب، فآدم أعجب منه أليس الله سبحانه خلقه أى خلق آدم من تراب صنعه و جسده ثم قال له كُنْ إنسانا حيا فيكون كما قال و مقتضى القاعدة أن يقال «فكان» إلا أن هذه الجملة أخذت صيغة المثالية نحو الصيف ضيعت اللبن، و لذا يؤتى بها على لفظها و قد تقدم أن كلمة «كن» تعبر عن الإرادة الأزلية لا- أن فى اللفظ خصوصية.

[٦١] الحق من ربك يا رسول الله أى أن قصة عيسى هكذا أو خلقه كذلك حق من ربك فلا تكن من الممترين أى من الشاكين فإن امترى بمعنى شك و الخطاب و إن كان للرسول لكنه عام لكل أحد، و من المعلوم أن توجيه الخطاب لا يلازم احتمال وجود الصفة، و إنما أكد البيان بجملة «فلا تكن» لكثرة الشك و التشكيك لدى الناس فى مختلف شؤون عيسى عليه السلام.

[٦٢] فمن حاجك و جادلك يا رسول الله فيه أى فى عيسى قائلا أنه ليس بشرا و إنما هو رب انفصل عن الرب، و نزلت الآية فى وفد نجران من المسيحيين الذين جاءوا للمجادلة مع الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و لم تنفعهم الحجج و الدليل فقرر الطرفان أن يخرجوا إلى الصحراء ليدعو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٤٩

[سورة آل عمران (٣): آية ٦٢]

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَ مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢)

كل من الطرفين على الكاذب فخرج الرسول صلى الله عليه و آله و سلم يوم الموعد مع على و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام فلما رأتهم النصارى أحجموا و قال كبيرهم: إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا و لا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة و

قال الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: و الذى نفسى بيده لو لاعنوني لمسحوا قرده و خنازير و لاضطرم الوادى عليهم نارا، و لما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا

من بعد ما جاءك من العلم حول قصة عيسى عليه السلام فقل لهم يا رسول الله تعالوا أى هلموا إلى حجة أخرى ليست محل نقاش و

جدال ندع أي يدعو كل طائفة منا أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا أي من هو بمنزلة أنفسكم أي من هو بمنزلة أنفسكم، والمراد دعوة كل طرف خواصه ومن يقترب إليه من الأبناء والنساء ومن هو بمنزلة نفسه ثم نبتهل الابتهاال طلب اللعنة من الله سبحانه أي تدعو كل طائفة على الأخرى قائلين: لعن الكاذب، وقد يستعمل الابتهاال بمعنى مطلق الدعاء خيرا كان أو شرا فنجعل في ابتهاالنا لعنت الله على الكاذبين وقد أجمع المفسرون أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج معه إلا-ابنيه الحسن والحسين و بنته فاطمة و ابن عمه عليا عليهم السلام.

[٦٣] إن هذا الذي أوحينا إليك في أمر عيسى وغيره لهو القصص

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٥٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ٣٩٩

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٦٣ الى ٦٤]

فإن تولوا فإن الله عليهم بالْمُفْسِدِينَ (٦٣) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)

جمع قصة الحق الذي لا كذب فيه ولا زيغ وما من إله إلا الله فليس عيسى إلهها كما يزعم النصارى وإن الله لهو العزيز في سلطانه الحكيم في أفعاله فلا يتخذ البشر ابنا له كما يقول اليهود والنصارى.

[٦٤] فَإِنْ تَوَلَّوْا وَأَعْرَضُوا مَصْرِينَ عَلَى عَقَائِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ الَّذِينَ يَفْسُدُونَ عَقَائِدَ النَّاسِ وَأَعْمَالَهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَفُوتُونَهُ سُبْحَانَهُ بَلْ هُمْ بَعْلَمُهُ وَسَيَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ.

[٦٥] و حيث انتهى السياق من قصص عيسى عليه السلام تناول الحديث حول أهل الكتاب و انحرافاتهم للعلاقة الوثيقة بين الموضوعين فقال سبحانه قل يا رسول الله يا أهل الكتاب والمراد بهم اليهود والنصارى تعالوا أي هلموا نجتمع جميعا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أي إلى كلام عدل لا ميل له ونحن جميعا نعترف به و ندع ما سوى ذلك ما لم يدل عليه دليل ألا نعبد إلا الله فإن العبادة لا تجوز إلا له إذ هو الذي خلق الكون ولا نشرك به شيئا من إنسان أو حيوان أو جماد كما يصفه المشركون ولا يتخذ بعضنا بعضا أي بعض البشر أربابا وآلهة من دون الله كاتخاذ النصارى المسيح إلهها أو المراد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٥١

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٦٥ الى ٦٦]

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هُوَ لَاءِ حَاجُّونَ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦)

اتخاذ الأجر و الرهبان آلهة في الإطاعة فيما خالف الله سبحانه كما قال: اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا «١» فإن تولوا أي أعرضوا عن ذلك فقولوا لهم اشهدوا بأننا مسلمون لله وحده نتبع طريقه ولا نبتغي غير الإسلام دينا.

[٦٦] و قد كان أهل الكتاب يقولون أن إبراهيم كان على ديننا فاليهود منهم كانوا يقولون أنه عليه السلام كان يهوديا و النصارى منهم كانوا يقولون أنه عليه السلام كان مسيحيا فقال سبحانه في ردهم يا أهل الكتاب لِمَ أي لماذا تُحَاجُّونَ و تجادلون في إبراهيم عليه السلام و تنسبوه إلى اليهودية و النصرانية و الحال أنه متقدم زمانا على كلا الدينين، فإبراهيم جد موسى و عيسى و هو سابق عليهما بقرون فإنه ما أنزلت التوراة على موسى و الإنجيل على عيسى إلا من بعده أي بعد إبراهيم أ فلا تعقلون أ ليس لكم عقل حتى تعرفون التاريخ.

[٦٧] هَا تَفِيدُ التَّنْبِيهِ أَنْتُمْ هُوَ لَاءِ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْكِتَابِ حَاجُّونَ وَمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ مِمَّا تَعْلَمُونَ كَالْقَبْلَةِ

(١) التوبة: ٣١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٥٢

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٦٧ الى ٦٨]

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)

و نحوها فَلَمْ تَحِاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ إِذْ لَا تَعْلَمُونَ تَارِيخَ إِبْرَاهِيمَ وَ تَجَادَلُونَ فِي أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا وَاللَّهُ يَعْلَمُ تَارِيخَ إِبْرَاهِيمَ وَ دِينَهُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَمَا هَذِهِ الْمَخَاصِمَةُ وَ الْمَجَادَلَةُ.

[٦٨] مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا فَإِنَّهُمَا طَرِيقَتَانِ مُتَاخِرَتَانِ انْحَرَفَتَا عَنْ سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَنْ الْمَسِيحَ وَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامَ لَمْ يَكُونَا مُتَصِفِينَ بِهَاتَيْنِ الْمَلْتَيْنِ وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْتَقِيمًا فِي دِينِهِ لَا مُنْحَرَفًا مُسْلِمًا لَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ أَنْ الْإِسْلَامَ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَشَرِكِ الْيَهُودِ الَّذِينَ جَعَلُوا عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ وَ شَرِكِ النَّصَارَى الَّذِينَ جَعَلُوا الْمَسِيحَ إِلَهًا أَوْ ابْنَ اللَّهِ.

[٦٩] كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ نَحْنُ أَوْلَى بِإِبْرَاهِيمَ لِأَنَّهُ عَلَى دِينِنَا وَ كَانَتِ النَّصَارَى تَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ فَتَزَلَّتْ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي يَحِقُّ أَنْ يَفْتَخَرَ بِهِ وَ يَقُولُ أَنَا عَلَى طَرِيقَتِهِ وَ أَنَّهُ رَئِيسُ الْمَلَّةِ لِي لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي زَمَانِهِ وَ بَعْدَهُ إِذِ التَّابِعُ يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَفْتَخَرَ بِرَئِيسِهِ وَ مُتَبِعِهِ لَا مِنْ يَتَّبِعُ غَيْرَهُ كَالْيَهُودِ وَ النَّصَارَى الَّذِينَ خَالَفُوا إِبْرَاهِيمَ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا عَطَفَ عَلَى «الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ» فَإِنَّ هَذَا النَّبِيَّ وَ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا إِبْرَاهِيمَ وَ هُمُ عَلَى مِلَّةِهِ فَإِنَّ مِلَّةَ التَّوْحِيدِ وَ خَلَعَ الْأَنْدَادَ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٥٣

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٦٩ الى ٧١]

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضْمَلُونَ وَمَا يُضْمَلُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)

يلى أمورهم و ينصرهم على عدوهم.

[٧٠] وَدَّتْ أَى أَحَبَّتْ وَ رَغِبَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَى جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمْ يَكُنْ يَعْنِيهِمْ هَذِهِ الْأُمُورُ لَوْ يُضْمَلُونَ عَنْ دِينِكُمْ حَتَّى تَدْخُلُوا فِي دِينِهِمْ أَوْ تَرْجِعُوا كَفَارًا وَمَا يُضْمَلُونَ هَؤُلَاءِ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَإِنَّهُمْ بَرَكَهُمُ الْإِسْلَامَ وَ التَّزَامَهُمْ أَدْيَانَهُمُ الْمُنْحَرَفَةَ سَبَبًا ضَلَالًا لِأَنْفُسِهِمْ، أَوْ الْمَرَادُ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ وَ بَالِ إِضْلَالِهِمْ إِلَّا عَلَى أَنْفُسِهِمْ حَيْثُ يَجِبُ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيًا فِي الدُّنْيَا وَ عَذَابًا فِي الْآخِرَةِ وَ مَا يَشْعُرُونَ أَى مَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ أَضَلُّوا أَنْفُسَهُمْ أَوْ مَا شَعَرُوا بِأَنَّهُ رَجِعَ وَ بَالِ إِضْلَالِهِمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ.

[٧١] يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هُمُ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى، وَ الْمَجُوسُ وَ إِنْ كَانُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا أَنْ هَذِهِ الْمُبَاحَثَاتُ كَانَتْ مَعَ الطَّائِفَتَيْنِ فَقَطْ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنْ سِيَاقِ الْآيَاتِ لِمَ أَى لِمَاذَا تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ بِدَلَالَتِهِ وَ حُجْجِهِ الَّتِي أَقَامَهَا عَلَى التَّوْحِيدِ وَ الرِّسَالَةِ وَ سَائِرِ الْأُمُورِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ بَلْزُومِ الْإِقْرَارِ بِهَا شَهَادَةً فِيمَا بَيْنَكُمْ، أَوْ شَهَادَةً حَسَبَ كِتَابِكُمْ الدَّلَالَةَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ سَائِرِ الْأُمُورِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا.

[٧٢] يَا أَهْلَ الْكِتَابِ وَ خُطَابَهُمْ بِهَذَا الْخُطَابِ إِشْعَارًا بِأَنَّهُمْ يَنْبَغِي أَنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٥٤

[سورة آل عمران (٣): آية ٧٢]

وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَ أَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)

لَا يَكُونُوا كَذَلِكَ إِذْ هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَ الدَّرَايَةِ وَ فِيهِمْ نَزَلَ كِتَابُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِمَ أَى لِمَاذَا تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ أَى تَخْلُطُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ فَفِي أَعْمَالِكُمْ قِسْمٌ مِنَ الْحَقِّ وَ قِسْمٌ مِنَ الْبَاطِلِ فَالْإِيمَانُ بِمُوسَى وَ عِيسَى حَقٌّ وَ الْكُفْرُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بَاطِلٌ



و هكذا بعض كتابهم حق و بعضه الذى حرفوه باطل و تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أى تعلمون أنه حق فقد كان علماءؤهم يكتمون صفات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حتى لا يميلوا نحوه و تذهب رئاستهم.

[٧٣] و قد صدرت مكيدة من أهل الكتاب لتضليل الناس و أن لا يتعلقوا بدين الإسلام، حيث يظهرون عملا يصورهم عند الناس فى صورة المنصف و أنهم إنما لم يتبعوا الإسلام لأنهم لم يجدوه حقا وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ أَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ آمَنُوا أَى أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا أَى بِالْقُرْآنِ وَجَهَ النَّهَارِ أَى أَوَّلَ الصَّبْحِ، فقولوا إنا آمننا بمحمد و كتابه لأننا وجدناه فى كتبنا وَ أَكْفَرُوا آخِرَهُ أَى آخِرَ النَّهَارِ فقولوا بعد أن آمننا رجعنا إلى صفات محمد ثانيا فوجدناها ليست كما ذكر فى كتابنا، فإن هذا العمل يريكم فى أعين الناس منصفين حيث آمنتم بمحمد بمجرد علمكم بحقيقته، و إنما رجعتم حيث ظهر لكم عدم الحقيقه، فتوهمون الناس أنكم منصفون صادقون تريدون الحق لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أى لعل هذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٥٥

[سورة آل عمران (٣): آية ٧٣]

وَ لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣)

العمل الخداعى يسبب رجوع المسلمين عن إسلامهم حيث يوجب ذلك تشكيكا لهم.

[٧٤] وَ لَا تُؤْمِنُوا أَى لَا تَظْهَرُوا الْإِيمَانَ إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ فَإِيمَانَكُمْ وَجَهَ النَّهَارِ يَكُونُ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ لَا تُؤْمِنُوا قُلْ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ الْهُدَى الْحَقِيقَى هُدَى اللَّهِ لَا هَذَا الْهُدَى الْإِصْطِنَاعَى الَّذِي تَرِيدُونَ بِهِ خِدَاعَ أَصْحَابِكُمْ وَ الْمُسْلِمِينَ فَلَسْنَا فِى حَاجَةٍ إِلَى هِدَاكُم كَمَا لَا نَخَافُ مِنْ إِضْلَالِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا هَدَى شَخْصًا لَا يَرْجِعُ بِخِدَاعِكُمْ، ثُمَّ يَرْجِعُ السِّيَاقُ إِلَى كَلَامِ الْيَهُودِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَ لَا تُؤْمِنُوا أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ فَإِنَّمَا أُوتِيْتُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَ غَيْرِكُمْ فَلَا يَكُنْ إِيمَانَكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إِيمَانًا عَنِ الْقَلْبِ أَوْ صَدَقَ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَى لَا تُؤْمِنُوا أَنْ يَحَاجَّكُمْ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ رَبِّكُمْ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِذِ الْمَحَاجَّةُ لَا تَكُونُ مِنَ الْمَبْطَلِ - وَ الْمُسْلِمُ مَبْطَلٌ بِزَعْمِهِمْ - قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَدَا عَلَى قَوْلِهِمْ «أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ» إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ فَأَى مَانِعٌ مِنْ أَنْ يَعْطَى الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ الْيَهُودَ وَ أَفْضَلَ مِنْهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ الْفَضْلَ لَا يَنْفَدُ فَضْلُهُ بِإِعْطَائِهِ لِأَحَدٍ عَلِيمٌ بِمَصَالِحِ الْخَلْقِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٥٦

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٧٤ الى ٧٥]

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤) وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقَنْطَرٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) يعلم حيث يجعل رسالته.

[٧٥] يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فَإِنَّ فَضْلَهُ يَبْتَدِئُ بِالْخَلْقِ وَ يَنْتَهَى إِلَى حَيْثُ لَا قَابِلِيَهُ فَوْقَهُ.

[٧٦] وَ قَدْ جَمَعَ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى تِلْكَ الرِّذَالِ السَّابِقَةِ رَذِيلَةَ الْخِيَانَةِ وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَى بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ - وَ الْمُرَادُ بِهِ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ - مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقَنْطَرٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ أَى تَجْعَلُهُ أَمِينًا عَلَى قَنْطَرٍ مِنْ مَالٍ - لَا يَخُونُهُ بَلْ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَطَالِبَةِ، وَ قَدْ وَرَدَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ أَوْدَعَهُ رَجُلٌ أَلْفًا وَ مَائَتَى أَوْقِيَهُ مِنْ ذَهَبٍ فَأَدَاهُ إِلَيْهِ فَمَدَحَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ أَى تَجْعَلُهُ أَمِينًا عَلَى مَالٍ قَلِيلٍ كَدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَطَالِبَةِ فَإِنَّ رَجُلًا مِنْ قَرِيْشٍ اسْتَوْدَعَ «فَخَاصَّ» دِينَارًا فَخَانَهُ وَ لَمْ يَرِدْ إِلَيْهِ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا بِالضَّغْطِ وَ الْإِلْحَاحِ وَ الْمِرَاقَبَةِ ذَلِكَ الْاسْتِحْلَالُ وَ الْخِيَانَةُ مِنْهُمْ لِأَمْوَالِ النَّاسِ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ أَى الْخَائِنُ مِنْ أَهْلِ

الكتاب قالوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ أَي لا سبيل ولا غضاضة علينا في استحلالنا أموال الأُميين أى العرب حيث أنهم خرجوا عن دينهم أى غير الشرك وقد أودعونا حال شركهم فإذا رفضوا طريقتهم إلى الإسلام سقط

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 357

[سورة آل عمران (3): الآيات 76 إلى 77]

بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)

حقهم كذا كانوا يقولون و ينسبونه إلى كتبهم و يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ فإنه ليس ذلك في كتبهم، بل اللازم أداء الأمانة إلى البر و الفاجر وَ هُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ وَ أَنَّ عَدَمَ الْأَدَاءِ خِيَانَةٌ وَ رذيلة.

[77] بلى فيه نفى لما قبله و إثبات لما بعده أى لم يجز الله الخيانة بل أوجب الأداء ف مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَ أَدَّى الْأَمَانَةَ الَّتِي عِنْدَهُ وَ اتَّقَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْخِيَانَةِ وَ غَيْرِهَا فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ لا الخائنين الكاذبين.

[78] إِنَّ مِنْ يَأْكُلُ الْأَمَانَةَ وَ يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ فَقَدْ بَاعَ دِينَهُ بِثَمَنٍ قَلِيلٍ وَ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِمُقَابَلِ عَهْدِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْكِتَابُ وَ الدِّينُ وَ بَأْيَمَانِهِمْ أَي أقسامهم الكاذبة التي يحلفون بها لأجل الباطل ثَمَنًا قَلِيلًا وَ قد تقدم أن الأمور الدنيوية مهما عظمت فإنها قليلة بالنسبة إلى الآخرة أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَي لا نصيب لهم من رحمة الله و جنته في الآخرة وَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ كَلَامَ لَطْفٍ وَ حنان وَ هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ كَمَا أَنَّ مِنْ غَضَبِ عَلَى شَخْصٍ لَا يَكْلَمُهُ وَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ أَي لا يعمهم بلطفه و إحسانه وَ هُوَ كِنَايَةٌ أُخْرَى عَنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 358

[سورة آل عمران (3): آية 78]

وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ مَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (78)

الغضب كالذى يغضب على شخص فلا ينظر إليه يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذلك اليوم الذى يحتاج كل أحد إلى فضله و إحسانه تعالى وَ لَا يُزَكِّيهِمْ أَي لا يطهرهم من الدنس فإن قلب الخائن الكاذب أقدر ما يكون فلا يشمل الله سبحانه بلطفه الخاص الذى يلفظ به على المؤمنين وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَي مؤلم موجه.

[79] وَ إِنَّ مِنْهُمْ أَي بعض أهل الكتاب لَفَرِيقًا أَي جماعة يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ أَي يطوون ألسنتهم عند قراءة الكتاب و طى لسانهم إنما هو بالزيادة و النقيصة فكما أن لى الشىء يخرج عن الاستقامة بالزيادة فى جانب و النقيصة فى جانب كذلك لى اللسان بالكتاب، فإنهم أضافوا على التوراة و الإنجيل فى مواضع و نقصوا منهما فى مواضع لِتَحْسَبُوهُ أَيها المسلمون مِنَ الْكِتَابِ فيكون شاهدا لأباطيلهم المخترعة وَ مَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ بل من إضافاتهم و تحريفاتهم وَ يَقُولُونَ هُوَ مَا يَتْلُوهُ بِاسْمِ الْكِتَابِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تعالى وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بل من مخترعاتهم الكاذبة وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ فى نسبتهم ذلك التحريف إليه سبحانه وَ هُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْكِتَابِ وَ أَنَّهُمْ كاذبون.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 359

[سورة آل عمران (3): آية 79]

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79)

[80] و حيث أنه كان من أظهر تلك التحريفات تحريفهم حول المسيح عليه السلام و ادعائهم أنه شريك مع الله و أن ذلك موجود

في كتابهم، ردهم الله سبحانه بأن ذلك مستحيل في حق المسيح، لأن الله سبحانه لا يعطي النبوة لرجل كاذب يدعى لنفسه الربوبية فإنه ما كان لبشر أن يؤتيه الله أى يعطيه الكتاب والخكم بين الناس والنبوة والرسالة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله أى عبدونى دونه سبحانه، أو المراد عبدونى معه، فإن عبادة الشريك عبادة لمن دون الله، ولأن الشرك معناه عدم عبادة الله إطلاقاً إذ الله لا شريك له، فمن له شريك ليس هو بآله، وفي بعض التفاسير أن سبب نزول هذه الآية أن يهودياً سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ونزلت الآية ولكن اللّازم على الرسول أن يقول للناس كونوا ربّانيين منسوبين إلى الرب ترشدون الناس إلى التوحيد وتعبدون إلهاً واحداً بسبب ما كنتم أى كونكم تعلمون للناس الكتاب الذى أخذتموه من نبيكم وبما كنتم تدرسون أى بسبب درسكم إياه يعنى أن الرسول يقول للناس إنكم بسبب كونكم علماء معلمين مدرسين يجب أن تكونوا ربانيين منسوبين إلى الرب فقط لا إلى غيره من الأنداد والشركاء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦٠

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٨٠ الى ٨١]

وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)

[٨١] ولا يكون للنبي أن يأمركم عطف على «ما كان لبشر أن يؤتيه الله» أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً فإن ذلك محال إذ من يختاره الله للرسالة لا يأمر بالكفر أى هل يأمركم النبي بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون أسلمتم بآيمانكم بالنبي، وهذا استفهام إنكارى أى لا يكون ذلك أبداً فقد أخرجكم النبي من الكفر إلى الإسلام فكيف يأمركم بالكفر ثانياً بأن تتخذوه شريكاً لله.

[٨٢] وإذ تم الكلام حول عيسى وأنه ليس بشريك لله سبحانه رجع السياق إلى نبى الإسلام وأنه النبى بعد عيسى عليه السلام، واذكر يا رسول الله إذ أخذ الله ميثاق النبيين عهدهم المؤكد لما آتيتكم من كتاب وحكمه «ما» بمعنى «مهما» أى أخذ الله عهد النبيين أنه مهما أعطاه الله الكتاب والحكمة والرسالة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم يراد به نبى الإسلام، أو كل نبى يأتى بعدهم لتؤمنن به هذا جواب «مهما» فالله سبحانه كان يأخذ من النبيين الميثاق أنه مهما أعطى أحدهم الرسالة فإن عليه أن يؤمن برسول الإسلام، أو عليه أن يؤمن بالرسول الذى يتلوه وأن يناصره ويعاضده، وفي الوجه الأول إفادة أن الأنبياء جميعاً أقرؤا بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، واعترفوا به وآمنوا به وفي الوجه الثانى إفادة أن كل رسول كان يؤمن بالرسول الذى يأتى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦١

[سورة آل عمران (٣): آية ٨٢]

فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)

من بعده حتى أن الأنبياء كلهم كسلسلة واحدة يؤمن سابقهم بلأحقهم و يصدق لأحقهم سابقهم ولتنصرونه ومعنى نصره النبى السابق للأحق أن يأخذ له العهد من أمة قال الله تأكيداً لأخذ الميثاق أقررتم أى هل أقررتم أيها الأنبياء باستعدادكم للإيمان بالرسول ونصرته وأخذتم على ذلكم الإيمان بالرسول ونصرته إصري أى عهدى الأكيد من أممكم حتى يؤمنوا بالرسول وينصروه قالوا أى قالت الأنبياء فى جواب الله سبحانه أقررتنا بذلك وأخذنا الأمر قال الله سبحانه لهم فاشهدوا بذلك على أممكم أى كونوا شهداء عليهم حتى نحتج على المخالف يوم القيامة بشهادتكم وأنا معكم من الشاهدين فإنى أيضاً شهيد عليهم بأنهم أقرؤا بأن يؤمنوا بالرسول وينصروه، و

قد روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه لم يبعث الله نبياً آدم ومن بعده إلا أخذ عليه العهد بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمره بأخذ العهد بذلك من أمة «١».

[٨٣] فَمَنْ تَوَلَّى وَاَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالنَّصْرَةِ بَعِيدَ ذَلِكَ الْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ نَبِيِّهِ مِنْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ الْخَارِجُونَ عَنِ إِطَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَيْثُ نَقَضُوا الْعَهْدَ وَخَالَفُوا الْوَعْدَ.

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦٢

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٨٣ إلى ٨٤]

أَفَعَيِّرَ دِينَ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤)

[٨٤] إن عدم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم خلاف عهدهم أولاً وخلاف الواجب عليهم ثانياً أفعير دين الله يتبعون أى يطلبون ويريدون غير دين الله ودين الإسلام الذى ثبت بالآيات والحجج وله أى لله أسلم من فى السماوات والأرض فكل شىء فى الكون خاضع له سبحانه منقاد لأمره فما بال هؤلاء يخالفون دين الله الذى أذعن له كل الكون طوعاً وكرهاً فإن ذوى العقول من الملائكة ونحوه أسلم لله طوعاً والجمادات أسلمت كرها بمعنى أنها مستمرة حسب مشيئة الله سبحانه وإليه يرجعون أى إلى حكمه وأمره وثوابه وعقابه يرجعون عند الموت أو فى القيامة.

[٨٥] هنا يأتى دور إظهار الأمة المسلمة إيمانها بجميع الأنبياء، فإنه مقتضى وحدة الرسالات ومقتضى ما سلف من إيمان كل سابق باللاحق وتصديق كل لاحق للسابق قل يا رسول الله صيغته الإيمان التى يجب الاعتراف بها على كل أمتك آمناً بالله إلهاً واحداً وب ما أنزل علينا من القرآن الحكيم وسائر الأحكام وب ما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأشباط أولاد يعقوب الذين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦٣

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٨٥ إلى ٨٦]

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦)

كانوا أنبياء وب ما أوتى أى أعطى موسى من التوراة وعيسى من الإنجيل وبما أعطى النبىون من قبل ربهم لا نفرق بين أحد منهم أى من هؤلاء الأنبياء لا كاليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا كالنصارى الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ونحن له أى لله مسلمون منقادون فيما أمرنا ونهانا.

[٨٦] وَمَنْ يَبْتَغِ يَطْلُبُ وَيُرِيدُ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا مِنَ الْأديانِ السَّمَاوِيَّةِ أَوِ الْمَفْتَعَلَةِ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ أَبَدًا فِي الدُّنْيَا بَلْ تَجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْكُفْرِ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ جَمِيعًا.

[٨٧] إن الذين أدرکوا حقيقة وحدة الرسالات وحقيقة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودين الإسلام ثم أنكروا وعاندوا فقد ظلموا أنفسهم وأبعدوها عن لطف الله وهداياته فلا- يلطف بهم الله لطفًا خاصًا ولا يهديهم بل يتركهم فى ظلمات كفرهم كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم والمراد بالإيمان علمهم بحقيقة الرسول الإيمان فى الظاهر، إلا إذا أخذنا بما ورد فى بعض التفاسير والروايات من أنها نزلت فى رجل آمن ثم ارتد ثم ندم فأرسل إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من يسأله عن قبول توبته فأجاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦٤

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٨٧ الى ٨٩]

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩)

بالإثبات فتاب و حسن إسلامه، و لذا استثنى فى آخر الآيات «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ شَهَادَةً واقعية و إن لم يظهرها و لم يلتزموا بلوازمها و جاءهم البينات الأدلة الواضحة على صدق الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و حقيقة ما جاء به و الله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أى لا يطف بهم اللطف الخاص الذى يطف به بمن استقام و لم يظلم نفسه.

[٨٨] أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ بِإِعَادِهِمْ عَنْ رَحْمَتِهِ وَ مَغْفِرَتِهِ وَ ثَوَابِهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ عَلَيْهِم بِالْعَذَابِ وَ يلعنونهم.

[٨٩] خَالِدِينَ فِيهَا أى يخلدون فى اللعنة و الطرد أبد الأبدى لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ أى لا يسهل عليهم لأنهم بكفرهم استحقوا العقاب الدائم و لا هُمْ يُنظَرُونَ أى لا يؤخر عنهم العذاب من وقت إلى وقت، أو لا ينظر إليهم.

[٩٠] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا عَنْ كُفْرِهِمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْكُفْرَ بِأَنْ آمَنُوا وَ أَصْلَحُوا فى أعمالهم أى عملوا الصالحات فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦٥

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٩٠ الى ٩١]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَ أُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَ لَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٩١) لكفرهم و ذنوبهم رَحِيمٌ بِهِمْ فلا يؤاخذهم بسيئاتهم.

[٩١] هذا حال من آمن بعد ارتداده و تاب، أو آمن بعد علمه بالحق و كفره، أما من بقى على كفره بعد الإيمان فجزاؤه ما يأتى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بالنبى و بما جاء به ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا فَإِنَّ الْكُفْرَ يَزِدُّ كُفْرًا فَإِنْ كَلَّ سَاعَةً يَكُونُ كَافِرًا فِيهَا يَكُونُ أَكْثَرَ كُفْرًا مِنَ السَّاعَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، أو المراد ازدياد الكفر باستحكامه فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَمَا يَزِدُّ إِيمَانًا كَمَا رَأَى آيَاتِ اللَّهِ كَذَلِكَ يَزِدُّ كُفْرًا كَمَا أَعْرَضَ عَمَّا يَرَاهُ مِنَ الْآيَاتِ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ التى تَأْتى مِنْهُمْ حَالِ الْإِحْتِضَارِ فَإِنَّ الْمُحْتَضِرَ حَيْثُ يَرَى حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ يَتُوبُ فى قلبه و يندم و لكن لا تقبل توبته كما قال سبحانه وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ «١» وَ أُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ الَّذِينَ ضَلُّوا طَرِيقَ الْحَقِّ فى الدنيا و عذبوا فى الآخرة.

[٩٢] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ مِمَّنْ لَمْ يَتَّبِعْ حَتَّى فى حال الاحتضار كما قال سبحانه وَ لَّا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ «٢» بعد الآية

(١) النساء: ١٩.

(٢) النساء: ١٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦٦

[سورة آل عمران (٣): آية ٩٢]

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)

السابقة: «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ» أو المراد التعقيب على «لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ» أى أن أولئك الذين لم تقبل توبتهم فى الدنيا لا ينجون من عذاب الله يوم القيامة بإعطاء الفدية فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا أى مقدار ما يملأ الأرض من الذهب وَ لَوْ افْتَدَى بِهِ لا ينفعه أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مؤلم و موجه و ما لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ينصرونهم من عذاب الله و سخطه.

[٩٣] وحيث جرى حديث الإنفاق وأنه لن يقبل من الكافر يوم القيامة ناسب السياق بيان حكم الإنفاق وأنه لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ أَى لَنْ تَدْرِكُوا النِّعَمَ الَّتِي تَأْمَلُونَ مِنْ رِضَى اللَّهِ وَ ثَوَابِهِ وَ الْجَنَّةِ وَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَ غَيْرِهَا حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ لَا أَنْ تُنْفِقُوا مَا لَا تَحِبُّونَ كَإِنْفَاقِ مَا تَعَانِيهِ النَّفْسُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَ لَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا «١» وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ فِي مَخْتَلَفِ أَصْنَافِ الْأَشْيَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ فَيَجَازِيكُمْ عَلَى قَدَرِهِ.

(١) البقرة: ٢٦٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦٧

تقريب القرآن إلى الأذهان الجزء الرابع من آية (٩٤) من سورة آل عمران إلى (٢٤) من سورة النساء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ الْمُسْتَفَى وَ عِزَّتِهِ الطَّاهِرِينَ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦٩

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٩٣ إلى ٩٤]

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤)

[٩٤] يرجع السياق هنا إلى ما كانت الآيات بصدده من أحوال أهل الكتاب في أصولهم وفروعهم وعنادهم وجدالهم، وفي بعض التفاسير أنهم أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحليل لحم الجوزور و ادعوا تحريمه على إبراهيم عليه السلام وأن ذلك مذکور في التوراة فأنزل الله سبحانه ردا عليهم هذه الآية كُـلُّ الطَّعَامِ أَى كَلِّ الْمَأْكُولَاتِ، وَ الْمُرَادُ ب «الكل» الإضافة في مقابل ما ادعوا تحريمه كان حلالاً أي حلالاً لبني إسرائيل اليهود إلا ما حرم إسرائيل أي يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحم الإبل كان إذا أكله هيح عليه «الخاصرة» فحرمه على نفسه. و كان ذلك مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَيْسَ تَحْرِيمُهُ عَلَى إِسْرَائِيلَ دَلِيلًا عَلَى بَقَائِهِ عَلَى الْحَرَمَةِ فَإِنَّ التَّوْرَةَ لَمَا نَزَلَتْ لَمْ تَحْرِمْهُ فَلَمَّا ذَا تَقُولُونَ أَيُّهَا الْيَهُودُ بِحَرَمَتِهِ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ: فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا حَتَّى يَظْهَرَ أَنَّهُ لَمْ تَحْرِمِ التَّوْرَةَ كَمَا ذَكَرْتُمْ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنَّ التَّوْرَةَ حَرَمَتِ الْإِبِلَ، لَكِنْ لَمْ يَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ، فَتَبَيَّنَ كُذُوبُهُمْ، وَ قَدْ كَانَ الْيَهُودُ يَظُنُّونَ أَنَّ الرَّسُولَ -لأنه أمي- لا علم له بالتوراة فلماذا كانوا ينسبون إلى التوراة أشياء، لكن الوحي كان يفضحهم.

[٩٥] فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْبُرْهَانَ الدَّالَّ عَلَى عَدَمِ تَحْرِيمِ التَّوْرَةِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَنْعِهَا عَنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٧٠

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٩٥ إلى ٩٦]

قُلْ صِدْقَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦)

الهداية و ظلموا غيرهم بمنعهم عن الحق.

[٩٦] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلْيَهُودِ صِدْقَ اللَّهِ فِيمَا نَقَلْتَ لَكُمْ مِنْ عَدَمِ تَحْرِيمِ الْجُزُورِ وَ كُذُوبِكُمْ أَنْتُمْ، بَلْ تَبَيَّنَ أَنَّ كَلِّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا فَاتَّبِعُوا أَيُّهَا الْيَهُودُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا أَى مُسْتَقِيمًا، وَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ تَحَلَّلَ كَلِّ الطَّعَامِ وَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ دَحْضَ لِأَفْتِرَاءِ

آخر من أهل الكتاب حول إبراهيم عليه السلام، حيث كانوا يقولون أنه كان يهوديا أو نصرانيا- و كلاهما مشرك- ففي السابق نقل افتراءهم بالنسبة إلى الله في قصة الطعام، و هنا نقل افتراءهم على أنبيائه بالشرك.

[٩٧] إن أهل الكتاب دحضت حجبتهم في باب التحليل و التحريم، و دحضت حجبتهم في باب دين إبراهيم، كما دحضت حجبتهم من ذى قبل في سائر الشؤون التي ناقشوا فيها، و بقيت الآن لهم حجة أخرى هي: أن بيت المقدس أشرف من الكعبة، و أنه محل الأنبياء، فالقرآن يدحض حجبتهم هذه بأن الكعبة هي أشرف لأنها أول بيت وضع للناس، و لأن إبراهيم عليه السلام الذى تنتسبون إليه هو الذى بناها، و لأن الحج شرع إليها إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ أَى بنى لأجل انتفاع الناس دينا و دنيا، فإن الأرض دحيت من تحته، و لم يكن قبله بيت مبنى للذى اللام للتأكيد أى هو البيت الذى بَبَكَّةَ و هو اسم آخر لمكة، و سميت بكَّةَ لازدحام الناس فى الطواف و نحوه هناك، فإن بَكَّ بيبك بمعنى «زحم يزحم» مَبَارَكًا أَى كثير البركة و الخير فإن فيه خير الدنيا، حيث الألفه و الاجتماع و الاقتصاد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٧١

[سورة آل عمران (٣): آية ٩٧]

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)

و غيرها، و خير الآخرة حيث غفران الذنوب و رفع الدرجات و هُدَىِّ لِلْعَالَمِينَ أى سببا لهدايتهم فإنه مذكّر بالله سبحانه و فيه ذكريات أنبيائه و معالم عبادته.

[٩٨] فِيهِ أَى فى ذلك البيت آياتٌ بَيِّنَاتٌ أى دلالات واضحة على التوحيد و النبوة و نصره الإسلام مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ أى موضع قدمه حيث كان هناك حجر يضعه إبراهيم و يصعد عليه لبناء أعالي الكعبة حتى رسخت قدماه فى ذلك الحجر، فإنه آية واضحة من آيات الله سبحانه، و خص بالذكر لأهميته و تقديرا لإبراهيم الذى ضحى بكل ما لديه فى سبيل الله سبحانه و مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا إما ابتداء، أو عطف أى أن من آيات البيت أنه سبحانه جعله حرما آمنا فمن دخله فهو آمن على عرضه و ماله و دمه لا يمس بسوء و إن كان مجرما يستحق العقاب و الحد و لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ أى يجب على الناس أن يحجوا إلى البيت مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا أى من وجد إليه طريقا و ذلك بأن يكون له ما يكفيه ذهابا و إيابا لنفسه و لعائلته و يرجع إلى الكفاية، مع أمن الطريق و صحة الجسم، إلى غير ذلك من الشروط المذكورة فى الفقه «١» و مَنْ كَفَرَ فلم يحج مع الاستطاعة، و قد تقدم أن الكفر قسمان: كفر فى الاعتقاد و هو إنكار أصل من أصول الدين، و كفر فى

(١) راجع موسوعة الفقه/ ج ٣٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٧٢

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٩٨ الى ٩٩]

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصِيدُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبَوَّأَهَا عِوَجًا وَ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)

العمل و هو ترك واجب أو فعل محرّم. و قد كثر فى القرآن و الحديث استعمال الكفر بهذا المعنى فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ فلا يظن العاصى أن كفره يضر الله شيئا.

[٩٩] و يرجع السياق إلى أهل الكتاب قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ أدلته الواضحة الدالة على نبوة نبي الإسلام و ما جاء به، الذى هو منه شؤون بيت الله الحرام و اللَّهُ شَهِيدٌ أى يشهد و يعلم على ما تَعْمَلُونَ فيجازيكم عليها.

[١٠٠] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصِيدُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ أى تمنعون الناس عن الإيمان بالله، فإن أهل الكتاب كانوا يرصدون

لمن يريد الإيمان فيمنعونه، و كانوا يلقون الشكوك حول الإيمان و المؤمنين مَنْ آمَنَ مفعول «تصدون» أى تمنعون من آمن عن سبيل الله، و على هذا فالصد هنا خاص بالمؤمنين إلا أن يراد ب «من آمن» الأعم من المؤمن و من يريد الإيمان تَبْعُونَهَا أى تطلبون السبيل عَوْجًا منحرفا لا سبيلا مستقيما، أو تطلبون سبيل الله عوجا، أى تريدون أن تكون السبيل عوجا بإدخال الشكوك عليها، و العوج مفرد بمعنى الميل و الانحراف و أَنْتُمْ شُهَدَاءُ فى واقع الأمر و إقرار

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٧٣

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٠٠ الى ١٠١]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَزُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)

نفوسكم على عملكم الباطل و مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ بل مطلع عليه عالم به، و سيعاقبكم عليه.

[١٠١] و حيث تقدم أن أهل الكتاب يصدون من آمن عن سبيل الله، خاطب سبحانه المؤمنين أن لا يسمعوا إلى أهل الكتاب حتى يضلوا بتشكيكاتهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا جَمَاعَةً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَعْطُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ يَزُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ أى يرجعونكم كفارا بعد أن آمنتم، و إنما خص فريقا لأن أهل الكتاب لم يكونوا جميعهم سبب إضلال المؤمنين و إرجاعهم عن الإيمان.

[١٠٢] وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بعد الإيمان و أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَ دَلَّاهُ وَ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ وَ مثل هذا الإنسان لا يمكن أن يكفر و فِيكُمْ رَسُولُهُ الذى يدعو إليه بالبراهين و المعاجز، و هذا استفهام إنكارى تعجيبى، جىء به إبعادا لهم عن الكفر و إلفاتا لهم إلى الرصيد الإيمانى الموجود عندهم و مَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ أى يتمسك بآيات الله و كتابه و دينه و رسوله، فلا ينخرط إلى الشرك و الكفر و العصيان فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فى الدنيا حيث

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٧٤

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٠٢ الى ١٠٣]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)

يوصله إلى حياة حرة كريمة مرفهة المرافق، و فى الآخرة حيث يسعده فى جنات النعيم.

[١٠٣] كانت الجماعات المنضوية تحت لواء الإسلام بما فيهم الأوس و الخزرج معرضة للتطاحن و التشاحن و قد كان الكفار و أهل الكتاب يستغلون سوابق هؤلاء و طبيعة النفس البشرية فى إلقاء الفتن و التفرقة بينهم ليفتحوا ثغرة للنزاع بين أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و لذا نصحهم القرآن بأن يبقوا على وحدتهم و أن لا يتفرقوا و يتقوا الله فيما أمر و نهى و لا يطيعوا أهل الكتاب فى أقوالهم المفرقة و دسائسهم المشتتة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ خَافُوا عِقَابَهُ فَأَطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَ نَهَاكُمْ حَقَّ تَقَاتِهِ من «وقيت» أى كما يحق أن تتقوه، فإن التقوى من الله سبحانه أمر صعب جدا، إذ يلزم الإنسان فى جميع شؤونه و أحواله و لا- تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ فلا- يغرركم الشيطان بأن يخرجكم من الإيمان حتى تموتوا كافرين. و لعل المناسبة بين الجملتين أن من لا يتقى ينجر آخر أمره إلى الكفر كما قال سبحانه: ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوَاىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ «١».

[١٠٤] وَ اعْتَصِمُوا أى تمسكوا بِحَبْلِ اللَّهِ و حبل الله دينه و قرآنه، شبه بالحبل لمناسبة أن من يتمسك بالحبل لا بد و أن يرتفع به إلى الأعلى، و كذلك من يتمسك بالإيمان يصعد به فى الدنيا إلى المراتب الراقية و فى



(١) الروم: ١١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٧٥

الآخرة إلى جنات خالدة جميعاً أى جميعكم لا بعضكم دون بعض.

وَلَا تَفْرَقُوا بَأْنَ يَتَمَسَّكُ الْبَعْضُ بِحَبْلِ اللَّهِ وَ الْبَعْضُ بِحَبْلِ الشَّيْطَانِ، وَ هَذَا تَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِ «جَمِيعاً» وَ أَذْكَرُوا أَى تَذَكَّرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْنَكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَغْيَاداً قَبْلَ الْإِسْلَامِ يَعَادَى بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ جَعَلَهَا قَرِيبَةً بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، حَيْثُ أَدْخَلَ الْإِيمَانَ فِيهَا فَخَرَجَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الضَّغِينَةِ وَ الْإِحْنِ وَ الْحَسَدِ وَ الْعَدَاوَةِ فَاصْبِرْ بَحْتَمِّ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ بِنِعْمَتِهِ أَى بِسَبَبِ نِعْمَةِ الْأَلْفَةِ الَّتِي وَهَبَهَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ إِخْوَاناً أَحَدَكُمْ أَخَ الْآخَرَ فِي الْإِيمَانِ، لَهُ مَا لِأَخِيهِ وَ عَلَيْهِ مَا عَلَيْهِ.

و أن هذه النعمة قد خرقت المقاييس الجاهلية القبلية و العشائرية و العرقية و ما أشبهها.

وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ الشَّفَا: الطَّرْفُ، وَ الْحُفْرَةُ الْمَكَانُ الْمَحْفُورُ مِنَ الْأَرْضِ، أَى كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى طَرَفِ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، نَارِ الدُّنْيَا وَ هِيَ الْعُقُوبَاتُ وَ الْاضْطِرَابَاتُ، وَ نَارِ الْآخِرَةِ الَّتِي أَوْقَدْتَ لَكُمْ فَانْقَذَكُمْ مِنْهَا بِالْإِسْلَامِ الَّذِي نَظَّمَ أُمُورَ دُنْيَاكُمْ وَ آخِرَاكُمْ، حَتَّى لَا تَقْعُوا فِيهَا كَذَلِكَ أَى كَمَا بَيْنَ لَكُمْ هَذِهِ الْأُمُورِ وَاضِحَةٌ وَ جَلِيَّةٌ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ دَلَالَاتِهِ وَ حَجَبَهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٧٦

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٠٤ الى ١٠٥]

وَ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)

إلى الحق و إلى طريق مستقيم.

و ما ورد فى بعض الأحاديث أن المراد من حبل الله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أو الأئمة عليهم السلام أو القرآن «١»، فإنما هى مصاديق جلية.

[١٠٥] و حيث أنفذكهم الله من الهلاك، و هداكم فمن الجدير أن تهدوا سائر الناس وَ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ أَى يجب أن يكون منكم جماعة يدعون إلى الخير كل خير من الإسلام و الدين و الأحكام و غيرها وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ الْمَعْرُوفِ كل فعل استحسنة الشرع أو العقل سواء وصل إلى حد الوجوب أم إلى حد الندب، و إنما سمي معروفا لأن الناس يعرفونه وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ هُوَ بَعْضُ الْمَعْرُوفِ، كل ما استتبعه الشرع أو العقل، و سمي منكراً لأن الناس ينكرونه وَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَصَفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثَةِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَى الْفَائِزُونَ النَّاجُونَ.

[١٠٦] وَ لَا تَكُونُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ الْأَلْفَةِ وَ الْأَخْوَةَ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ تَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمْ بِسَبَبِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ تَفَرَّقُوا شِعْباً وَ أَحْزَاباً وَ مَذَاهِباً وَ مَبَادِئَ وَ اخْتَلَفُوا فَأَخَذَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ جَانِباً مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ الْأَدْلَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَى وَحْدَةِ الْعَقِيدَةِ وَ الْمَبْدَأِ وَ أركان الإيمان

(١) تفسير العياشى: ج ١ ص ١٩٤ و بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ١٥ باب ٢٧، أنه (صلوات الله عليه) حبل الله و العروة الوثقى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٧٧

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٠٦ الى ١٠٧]

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)

وَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا وَ خَالَفُوا الْحَقَّ مِنْهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ حَيْثُ بَدَّلُوا وَ غَيَّرُوا وَ حَرَّفُوا.

[١٠٧] ثم بين سبحانه أن ذلك العذاب العظيم فى أى وقت يكون؟ إنه يكون فى يوم هذه صفته تبيض فيه وجوه المؤمنين

الذين آمنوا و عملوا الصالحات و ابيضاض الوجه كناية عن فرحه و نصارته و تنعمه و تسود فيه وجوه الكافرين، و اسودادها حقيقة، فإن الوجه عند الهم الكبير يميل لونه إلى السواد و الكدرة لتهاجم الدم و نحوه، أو كناية عن كلوحه و بؤسه و همومه فأما الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ يقال لهم: أَ كَفَرْتُمْ عَلَىٰ نَحْوِ الِاسْتِفْهَامِ التَّوْبِيخِي بَعِيدَ إِيمَانِكُمْ إما أن يراد بـ «الإيمان» الإيمان الحقيقي بأن يكون المراد منهم الذين اختلفوا و تفرقوا و ارتدوا بعد الإيمان، و إما أن يراد به الإيمان الفطري فإن كل إنسان مؤمن فطرة كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «كل مولود يولد على الفطرة و إنما أبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه» (١)

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ أى بسبب كفركم.

[١٠٨] وَ أَمَّا الَّذِينَ أُبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ وَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَمِلُوا

(١) عدة الداعى: ص ٣٣٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٧٨

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٠٨ إلى ١١٠]

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩) كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)

الصالحات فَبِئْسَ رَحْمَتِ اللَّهِ ثَوَابَهُ وَ رِضْوَانَهُ وَ جَنَّتَهُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أبد الآبدین.

[١٠٩] تِلْكَ الْأُمُورُ الَّتِي ذَكَرْتَ فِي أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْكَافِرِينَ وَ غَيْرِهَا آيَاتُ اللَّهِ عَلَاتِمَهُ وَ دَلَالَتُهُ وَ حُجْجُهُ تَنْلُوهَا عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ فَإِنَّ التَّلَاوَةَ قَدْ تَكُونُ بِالْبَاطِلِ إِذَا كَانَ الْمَتَلُوُّ أَوْ الْغَرَضُ مِنَ التَّلَاوَةِ بَاطِلًا وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ أَى لَا يُرِيدُ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا. فقد تقرر فى علم الكلام أن إرادة الظلم - كالظلم نفسه - قبيحة، فما يصير إليه حال الكافرين من اسوداد الوجه ليس ظلما لهم، و إنما يكون بالعدل و جزاء لعملمهم.

[١١٠] وَ كَيْفَ يُرِيدُ اللَّهُ ظُلْمًا وَ الْحَالُ أَنَّهُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ الظلم ينشأ من الافتقار و هو الغنى المطلق وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ أمور الخلق فإن الله سبحانه يعيد المخلوق ليجازيه، و هذا تشبيه بالرجوع المادى «فى الدنيا» الذى يكون بين الحاكم و المحكوم حيث يساق المحكوم نحو الحاكم ليحكم عليه، و حيث أن الأمر يرجع إلى الله فلا- يظن الكافر أنه يتمكن من الفرار عنه سبحانه حتى لا يعاقب بما عمل من السيئات.

[١١١] وَ يَرْجَعُ السِّيَاقُ هُنَا إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ لُزُومِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ وَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ كُنتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَ «كَانَ» لِمَجْرَدِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٧٩

الربط، لا- بمعنى الماضى خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ أَى خَيْرِ جَمَاعَةٍ ظَهَرَتْ لِلنَّاسِ فَإِنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تَظْهَرُ لِلنَّاسِ فِي فِتْرَةٍ ثُمَّ تَخْتَفِي وَ تَغِيبُ لِتَأْخُذَ مَكَانَهَا أُمَّةٌ أُخْرَى. و إنما كان المسلمون خير أمة لخصال ثلاثة بها تترقى الأمم إلى أوج عزها هى: تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَإِنَّ الْمَجْتَمَعَ إِذَا خَلَا مِنْ هَذَيْنِ الْوَاجِبِينَ أَخَذَ يَهْوَى نَحْوَ السِّفْلِ لِمَا جَبَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَسَادِ وَ الْفَوْضَى وَ الشَّغْبِ، فَإِذَا تَحَلَّى الْمَجْتَمَعَ بِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ أَخَذَ يَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْكَمَالِ بِمَدَارِجِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَ الْحَضَارَةِ الْحَقِيقِيَّةِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى قِمَّةِ الْبَشَرِيَّةِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إِيمَانًا صَحِيحًا لَا كإِيمَانِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ، وَ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ بِاللَّهِ رَأْسُ الْفَضَائِلِ فَإِنَّهُ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِهِ إِدْرَاكَ لِأَعْظَمِ حَقِيقَةٍ كَوْنِيَّةٍ فَإِنَّهُ مُحَفَّرٌ شَدِيدٌ نَحْوَ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَ مَنْفَرَقُوعِيٌّ عَنِ جَمِيعِ أَصْنَافِ الشَّرِّ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِيمَانًا صَحِيحًا بَعْدَ الشَّرْكِ وَ قَبُولِ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نُبُوَّةِ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَكَانَ إِيمَانُهُمْ خَيْرًا لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَ دُنْيَاهُمْ حَتَّى تَنْظُمَ

دنياهم على ضوء الإسلام فتخلو من الجهل و المرض و الفقر و الرذيلة و يكونون فى الآخرة سعداء ينجون من عذاب الله، و ليس المراد بـ «خير» معنى التفضيل بل هو تعبير عرفى، حيث يظهر للناس أنهم فى خير فى الجملة، و على هذا يكون إيمانهم أكثر خيرا و أفضل.

ثم بين سبحانه أن ليس كل الذين كانوا من أهل الكتاب بقوا على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٠

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١١١ الى ١١٢]

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أذىً وَ إِن يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ (١١١) ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحِبْلِ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَ بَأْوُ بَعْضِ مِنَ اللَّهِ وَ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)

طريقتهم فإن منهم المومنون بالله و بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم و بما جاء به كالنجاشى و ابن سلام و غيرهما و أكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله باتباع أهوائهم المضلة و طرائقهم الزائفة.

[١١٢] و لقد كان كفار أهل الكتاب يؤذون المؤمنين منهم خاصة و سائر المؤمنين عامة و كان المؤمنون من حيلهم و مؤامراتهم فى قلق و اضطراب، و لذا هدا الله سبحانه من روع المؤمنين بقوله: لَنْ يَضُرُّوكُمْ أَى لَنْ يَضُرُّوكُمْ أى لن يضر أهل الكتاب إياكم أيها المؤمنون إلا أذى يسيرا فإن مؤامراتهم تفسل و حيلهم تخسر و لا تبقى إلا تشويشات و إشاعات و هى مما لا تضر ضررا معتدا به، أما ما يظن المسلمون أن أهل الكتاب يتمكنون من اقتلاع جذورهم و إبادة دينهم فلن يكون ذلك أبدا بل المسلمون هم المنصورون و إن يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَذْبَارَ جمع دبر و هو الظهر، أى ينهزمون فارين ثم لا يُنصِرُونَ أى لا تنصرهم أقوالهن، لما ألقى فى قلوبهم من رعب الإسلام و خوف الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و كان مصب الآية الكريمة اليهود فهم المعنيون بهذا الكلام بقرينة الآية التالية.

[١١٣] ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أى ضربها الله عليهم فهم أذلاء إلى الأبد و هى ثابتة لهم و محيطة بهم، و أية ذلّة أعظم من أنه ليست لهم دولة مستقلة و هم مهانون دائما، و جميع الدول تطاردهم إلا فى ظرف مصلحتها الخاصة فهم كالعبيد المسخرين إن استفاد مولاهم أطعمهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨١

و إلا طردهم أَيْنَ مَا تُقْفُوا أى وجدوا إلا بِحِبْلِ مِنَ اللَّهِ أى إلا إذا تمسكوا بحبل الله تعالى بالإيمان به و بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم و بما جاء به حتى يكونوا كالمسلمين لهم ما لهم و عليهم ما عليهم وَ حَبْلِ مِنَ النَّاسِ أى تمسكوا بحبل دولة قوية تحميهم، و «الواو» للتقسيم - نحو: الكلمة اسم و فعل و حرف - لا - للجمع و بأْوُ رجعوا بَعْضِ مِنَ اللَّهِ فكأن الناس جاءوا للاعتراف من مناهل الإسلام و كانت اليهود فيهم فالناس رجعوا بالإسلام و حب الله سبحانه و هؤلاء رجعوا بالكفر و غضب الله تعالى وَ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ أى الفقر الروحى الذى هو أعظم أقسام المسكنة فإن أرواحهم تهفو إلى المادة أكثر من روح أى فقير مسكين و هم على ثروتهم الظاهرة من أفقر الخلق نفسا و روحا ذَلِكَ الْعِقَابُ الدنوى لهم بسبب أنهم كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ فموسى عليه السلام نبيهم كان منهم فى نصب و تعب فإنهم ما خرجوا من البحر إلا قالوا: يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة، و اتخذوا العجل، و آذوا موسى إلى غير ذلك وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ أى كانوا يقتلونهم، و «بغير حق» تأكيد، إشارة إلى أنه لم يكن لهم حق فى قتلهم حتى ظاهرا، فإنهم يقتلون الأنبياء لمجرد الدعوة إلى الله و الإرشاد و الوعظ، لا لأنهم قتلوا منهم أحدا أو نهبوا مالا أو نحو ذلك - و إن كان الأنبياء لو فعلوا ذلك كان بأمر الله و بالحق - لكن الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا فعلوا ذلك - كما

قال الإمام الحسين عليه السلام: «بم تستحلون دمي ..؟ أعلى قتيل قتلته منكم

- إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٢

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١١٣ إلى ١١٤]

لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)  
آخر كلامه- «١».

ذَلِكَ أَي كَفَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِسَبَبِ مَا عَصَوْا أَي عَصِيَانَهُمْ لِأوامرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ سَبَبِ الْكُفْرِ وَالْقَتْلِ وَهُمَا سَبَبَا نِقْمَةِ اللَّهِ وَ لَعْنَتِهِ وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ بِتَجَاوُزِ الْهَدُودِ الدِّينِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ.

[١١٤] و لمرة أخرى استثنى القرآن الحكيم من آمن من أهل الكتاب، و أنه ليس كغيره ممن بقى على كفره و عناده و قد نزلت- كما قيل- حين أسلم جماعة من أهل الكتاب فقال الكفار منهم أنهم أشرارنا.

لَيْسُوا سَوَاءً أَي لَيْسَ أَهْلُ الْكِتَابِ مَتَسَاوِينَ فِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَوْصَافِهِمْ، ثُمَّ ابْتَدَأَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ عَلَى الْحَقِّ لَا زَائِفَةٌ زَائِلَةٌ، وَ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْإِسْلَامِ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ الْمَنْزُورَةَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاعَاتِهِ وَأَوْقَاتِهِ، فَإِنْ لَقَرَاءَةَ الْقُرْآنِ فِي اللَّيْلِ أَثْرًا كَبِيرًا حَيْثُ إِنْ هَدَوْهُ النَّفْسُ وَ هَدَوْهُ الْجَوْ يَوْجِبَانِ وَقُوعَ الْآيَاتِ فِي النَّفْسِ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي النَّهَارِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَ يَخْضَعُونَ لَهُ بِالصَّلَاةِ وَ التَّعْفِيرِ.

[١١٥] يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إِيْمَانًا صَحِيحًا وَ يُؤْمِنُونَ بِ الْيَوْمِ الْآخِرِ عَنْ حَقِيقَتِهِ فَإِنَّ مِنْ آمَنَ حَقِيقَتَهُ بِالْحِسَابِ انْقَلَعَ عَنِ الْكُفْرِ وَ الْمَعَاصِي

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣١٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٣

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١١٥ إلى ١١٦]

وَ مَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦)

وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ فَإِنَّ الْمَعْتَقِدَ بِيَوْمِ الْحِسَابِ يَسَارِعُ فِي الْخَيْرِ حَيْثُ لَا يَدْرِي أَي يَوْمٍ يَمُوتُ فَيَنْقَطِعُ عَمَلُهُ وَ لَا- يَتِمَّكَنُ مِنَ الْمَزِيدِ «وَ كَانَ الْإِتْيَانُ بِبَابِ الْمَفَاعَلَةِ لِلإِشَارَةِ إِلَى تَسَابُقِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا» وَ أُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَصْلِحُونَ وَ لَا يَفْسُدُونَ، وَ بِتَعْبِيرِ آخِرِ أَعْضَاءِ صَالِحِينَ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَ لَيْسُوا كَمَا ذَكَرَ الْكُفَّارُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ أَشْرَارُهُمْ، بَلْ هُمْ مِنْ أَفْضَلِ الْأَخْيَارِ وَ الصَّالِحِينَ.

[١١٦] وَ مَا يَفْعَلُوا أَي مَا يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ خَيْرٍ مِنْ طَاعَةٍ وَ عِبَادَةٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ أَي لَنْ يَمْنَعَهُمْ جَزَاؤُهُمْ بِخِلَافِ سَائِرِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ تَحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ لِكُفْرِهِمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمِ عَاصِفٍ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ يَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ وَ أَعْمَالَهُمْ فَيَجَازِيهِمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ.

[١١٧] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَي لَنْ تَفِيدَهُمْ وَ لَنْ تَدْفِعَ الْعَذَابَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ فَالْمَالُ وَ الْوَلَدُ إِنَّمَا يَنْفَعَانِ فِي الدُّنْيَا حَيْثُ يَدْفَعَانِ الْمَكْرُوهَ بِالرِّشْوَةِ وَ الْهَدِيَّةِ وَ الصَّلَاةِ، وَ الْمَدْفَعَةُ وَ الْمُنَاصَرَةُ مِنَ اللَّهِ أَي مِنَ عِقَابِ اللَّهِ وَ عَذَابِهِ شَيْئًا وَ لَوْ ضَيَّلًا وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يَلَازِمُونَهَا كَمَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٤

[سورة آل عمران (٣): آية ١١٧]

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ أَنفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ (١١٧)

يقال: صاحب فلان لمن يلازمه هُم فيها خالِدُونَ إلى الأبد.

وقد تكرر أن الخلود للمعاند كما

في دعاء كميل «من المعاندين»

أما القاصر فإنه يمتحن هناك كما دلّ العقل و الشرع.

[١١٨] و حيث تقدم حال المؤمن و حال الكافر، ذكر حال إنفاق الكافر مقابلة لما تقدم من خير المؤمن في قوله: وَ مَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ مَثَلٌ مَا يُنْفِقُونَ أى ينفقه الكفار فى هذه الحياه الدنيا و كان ذكر «هذه» الخصوصيه مع وضوحها للإشارة إلى أن الحياه التى هى مزرعه و من المقتضى أن تنمو و يبقى أثرها للانتفاع به فى الآخرة، لا ينفق الكافر كمثل ريح فيها صرّ هو البرد الشديد، أو السموم الحاره أصابت حرّت قوم فإنفاقهم كالحرث، و كفرهم الموجب لبطلانه كالريح السامه ظلّموا أنفُسَهُمْ بأن زرعوا فى غير موقع الزراعة فى مهب الرياح أو فى غير أوانه كالشتاء مثلا لو زرعوا بذور الصيف، أو المراد ظلّموا أنفسهم بالمعصيه فسلط الله عليهم الريح كما قال: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ «١» و إنما أوتى بهذه الجملة لظلم الكفار أنفسهم كظلم صاحب الحرث فَأَهْلَكَتْهُ أى أهلكت الريح الحرث- و هو الزرع- وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ فى إبطال نفقاتهم، أو

(١) الأعراف: ٩٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٥

[سورة آل عمران (٣): آية ١١٨]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَ مَا تُخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)

فى إهلاك الريح حرثهم و لكن أنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بكفرهم أو بظلمهم، و لا يخفى أن قوله: «مثل ما ينفقون» «كمثل ريح» ليس المراد أن الإنفاق كالريح، بل يضرب المثل فيما كان المجموع من «الأصل و الشبه» مرتبطين و إن كانت مفردات الشبه لم تذكر حسب السياق اللفظى، كما تقول: «مثل زيد فى تكلمه كمثل صوت الحمار» فالجملة شبهت بالجملة لأن الصوت شبه بزيد، و الحمار بالتكلم، كما يقتضيه السياق اللفظى فى الترتيب.

[١١٩] و فى سياق الكلام عن أحوال أهل الكتاب و بيان أنهم مختلفون مع المسلمين فى العقيدة و العمل يأتى دور أن المسلم لا ينبغي له أن يتخذ صديقا من هؤلاء يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ أى لا تتخذوا الكفار الذين هم غير المسلمين بطانته، و هى خاصه الرجل الذى يسرّ إليه بأمره و يستبطن خبره، من «بطانته الثوب» الذى يلى البدن لقربه منه، و «من» للتبيين كأنه قال: بطانته من المشركين، فقد كان المسلمون يواصلون رجالا من أهل الكتاب لسابق صداقه أو قرابه أو جوار أو نحوها فنهوا عن ذلك.

ثم بين سبحانه سبب ذلك، و يحتمل أن يكون المراد ب «دونكم» المنافقين، كما فى بعض التفاسير بدليل قوله: «قالوا آمنا» فإنهم لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا لا يألونكم أى لا يقصرون بالنسبه إليكم، و الخبال الفساد، أى هؤلاء البطانه لا يقصرون فى فساد أمركم و لا يتركون جهدهم فى مضرتهكم و دؤوا أى أحبوا ما عنتكم أى عنتكم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٦

[سورة آل عمران (٣): آية ١١٩]

هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَ لَا يُحِبُّونَكُمْ وَ تَوَمَّنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ اللَّهُمَّ إِنَّا نَمْلِكُ مِنَ الْغَيْظِ قُلُوبًا مُؤْتُوا

بَغِيظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩)

والعنت المشقة، وهذه كلها من صفات الأعداء قَدْ يَدَّتْ أى ظهرت البُغضاء و العداوة مِنْ أَفْوَاهِهِمْ فَإِنْ فلتات كلامهم تدل على عداوتهم الكامنة و مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ من الحقد لكم و العداوة أَكْبُرُ مما يظهر من ألسنتهم قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْآيَاتِ و الحجج التي تميزون بها الصديق من العدو إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ إِنْ كَانَ لَكُمْ عَقْلٌ و إدراك.

[١٢٠] ثم يبين سبحانه أنه كيف يمكن أن يحب المؤمن هؤلاء مع أنهم أعداؤه و مع الاختلاف بينهم فى العقيدة ها تنبيه أنتم أولاء أى الذين تُحِبُّونَهُمْ أى تحبون أولئك الكفار و لا- يُحِبُّونَكُمْ لأنهم يريدون لكم الكفر و الضلالة و تَوْمِنُونَ أَنْتُمْ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ و هم لا يؤمنون إلا ببعض الكتاب، أما البعض الآخر الذى فيه أوصاف محمد صلى الله عليه و آله و سلم و الإيمان به فلا يؤمنون به، أو المراد ب «كله» أى جنس ما نزل على أنبياء الله، بخلافهم فإنهم لا يؤمنون بكتاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم و إِذَا لَقَّوْكُمْ من الملاقاة أى رأوكم قالوا آمنا نفاقا منهم لا- أن الإيمان دخل قلوبهم، و يحتمل أن يراد الكفار، فإن من يتظاهر بالصدقة كثيرا ما يظهر قبول ما عليه صديقه مع أنه ليس بصدقه صديقه، و هذا بناء على قوله: «من دونكم» للكفار لا للمنافقين و إِذَا خَلَوْا أى خلا بعضهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٧

[سورة آل عمران (٣): آية ١٢٠]

إِنْ تَمَسَّسْكُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ و إِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا و إِنْ تَضْرِبُوا و تَتَّقُوا لا يُضْرِّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) مع بعض عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأُنَامِلَ أى يعضون أطراف أصابعهم مِنَ الْغَيْظِ عَلَيْكُمْ كيف تقدّمتم و قوى دينكم. قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ فَإِنَّ الْغَيْظَ لا يبرحكم لأن المسلمين يتقدمون و يستمرون فى أعمالهم. أو هو دعاء عليهم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ التي تضمن النفاق و الكيد للمسلمين، فيجازيهم بما اقترفوه من الآثام و الذنوب و «بذات الصدور» بمعنى: بتلك الصدور.

[١٢١] و كيف تتخذونهم بطانه و الحال أن صفتهم هكذا إِنْ تَمَسَّسْكُمْ حَسَنَةً أى يصبكم خير، من «المس» بمعنى الإصابة تَسْؤُهُمْ أى تحزنهم و إِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ أى بليته و مصيبة بإصابة العدو منكم أو فقر أو موت أو نحوها يَفْرَحُوا بِهَا أى بسببها- كما هو حال العدو مع عدوه- و إِنْ تَضْرِبُوا على أذيتهم، و على مقاطعتكم إياهم التي تجر إليكم عداؤهم الظاهري، فإن كثيرا من الناس يخافون من مقاطعة المنافقين لثلا- يبتلوا بعدائهم فى الظاهر و تَتَّقُوا اللَّهَ سبحانه حتى يكون هو نصيركم لا- يُضْرِّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ كَيْدُهُمْ و مكرهم و حيلتهم ضدكم شَيْئاً لأنه سبحانه ينصركم إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ هم جميعا المؤمنون و المنافقون مُحِيطٌ أى عالم بجميع أعمالهم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٨

[سورة آل عمران (٣): آية ١٢١]

وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ و اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)

كالمحيط من الأجسام الذى لا يخلو منه طرف من المحاط، فيجازيهم بأعمالهم.

[١٢٢] و هنا يستعرض القرآن الحكيم قصة واحدة تدل على مدى تطبيق أحوال المنافقين التي سبقت على الواقع الخارجى، و أن الله كيف ينصر المسلمين فى أخرج الساعات و أحلك الظروف، و

ذلك فى غزوة أحد حين خرجت قريش من مكة يريدون حرب النبى صلى الله عليه و آله و سلم فانتخب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم موضعا للقتال و عبّاد أصحابه الذين بلغوا سبعمائة رجل فجعل عبد الله بن جبير فى خمسين من الرماة على باب شعب فى الجبل ليحفظوه حتى لا يهاجم العدو من خلف المسلمين فقال لهم:

«لا تبرحوا من هذا المكان و الزموا مراكزكم، إن غلبنا أو غلبنا».

فلما انهزمت قريش و أخذ المسلمون ينهبون ثقلهم قال أصحاب ابن جبير له:

قد غنم أصحابنا ونحن نبقى بغير غنيمة. فقال لهم: اتقوا الله فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهانا أن نبرح أماكننا. فلم يقبلوا منه وأخذوا ينسل الرجل منهم فالرجل حتى خلت المراكز وبقى عبد الله في اثني عشر رجلا، واغتتم الكفار هذا الأمر فجاء خالد بن الوليد مع أصحابه ورفقوا من تبقى من المسلمين وقتلوهم على الشعب وهاجموا على المسلمين من خلفهم وهم مشغولون بالهيب ورجع الكفار فطوقوا المسلمين من جوانبهم ففر المسلمون ولم يبق مع الرسول إلا على عليه السلام وأبو دجانة، وقتل من المسلمين جمع كثير بلغوا السبعين وفيهم حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسد الله وأسود رسوله.

وَإِذْ غَدَوْتَ أَي خَرَجْتَ مِنْ أَهْلِكَ أَي مِنَ الْمَدِينَةِ غَدْوَةً، يَا رَسُولَ اللَّهِ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ أَي تَهَيِّئُ لَهُمْ مَرَكَزَ لِلْقِتَالِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 389

[سورة آل عمران (3): الآيات 122 إلى 124]

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَوَيْهَمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (124) فِي قِصَّةِ أَحَدٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِكَ عَلِيمٌ بِمَا تَنْوِيهِ مِنْ حُبِّ الْخَيْرِ وَالْهِدَايَةِ لِلنَّاسِ عَامَةً.

[123] إِذْ هَمَّتْ وَعَزَمَتْ طَائِفَتَانِ أَي جَمَاعَتَانِ مِنْكُمْ أَيهَا الْمُسْلِمُونَ، وَهَمَّا بَنُو سَلْمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ أَنْ تَفْشَلَا وَتَجِنَا وَتَرْجِعَا عَنِ الْقِتَالِ وَذَلِكَ لِأَنَّ ابْنَ أَبِي سَلُولِ الْمَنَافِقِ جَبَنَهُمَا عَنِ لِقَاءِ الْعَدُوِّ فَهَمَّا بِالرُّجُوعِ لَكِنَهُمَا لَمْ يَفْعَلَا وَاللَّهُ وَوَيْهَمَا نَاصِرُهُمَا فَلَمْ يَفْشَلَا وَالْخُوفَ وَالْعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَالتَّوَكَّلُ مَعْنَاهُ تَفْوِضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ «1».

[124] وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ أَيهَا الْمُسْلِمُونَ بِبَدْرٍ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ وَهِيَ اسْمُ بَيْتٍ كَانَتْ هُنَاكَ فَسُمِّيَتْ الْغَزْوَةُ بِاسْمِهَا وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ جَمْعُ ذَلِيلٍ لِأَنَّ عَدَدَهُمْ وَعَدَدَهُمْ كَانَتْ قَلِيلَةً لَا تَقْوَى عَلَى الْمَقَاوِمَةِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَتَوَانُوا عَنِ الْجِهَادِ بَعْدَ مَا رَأَيْتُمْ نَصْرَهُ اللَّهُ فِي بَدْرٍ وَهَذَا لِأَجْلِ تَقْوِيَةِ قُلُوبِكُمْ فِي «أَحَدٍ» وَتَصَدِيقِ لِقَوْلِهِ: «وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا» لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أَي نَصَرَكُمْ لِتَقْوَمُوا بِشُكْرِ نِعْمَةِ عَلَيْهِمْ.

[125] إِذْ تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ

(1) الطلاق: 4.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 390

[سورة آل عمران (3): الآيات 125 إلى 126]

بَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126) أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَذَلِكَ لِتَقْوِيَةِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَيَانَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مَلَائِكَةً لِتَقْوِيَتِهِمْ وَتَعْزِيزِ مَرْكَزِهِمْ، وَهَذَا تَذْكَيرٌ لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَحَدٍ بِسَابِقِ نَصْرِ اللَّهِ لَهُمْ مُنَزَّلِينَ أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ وَلَقَدْ حَارَبُوا الْكُفَّارَ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ.

[126] بَلَى لَيْسَ الْإِمْدَادُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ فَقَطْ، بَلْ قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ - تَقْوِيَةُ لِقُلُوبِهِمْ -: إِنْ تَصَبَّرُوا عَلَى الْجِهَادِ وَتَتَّقُوا الْمَعَاصِيَ وَيَأْتُوكُمُ الْكُفَّارَ مِنْ فُورِهِمْ أَي فُورَانِهِمْ مُنْذِفِينَ عَاجِلًا نَحُوكُمْ هَذَا الَّذِي شَهِدْتُمُوهُ إِذْ أَتَوْكُمْ كَالسَّيْلِ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ خَذَلُوهُمْ عِنْدَ مَجِيئِهِمْ لَمَّا رَأَوْا مِنْ كَثْرَتِهِمْ يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ وَالْإِمْدَادُ إِسْرَالُ الْمُدَدِ بِخَمْسَةِ آلَافٍ أُخْرٍ - غَيْرِ الثَّلَاثَةِ آلَافٍ - مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ مِنْ سَوْمِ الْخَيْلِ إِذَا عَلَّمَهُ بَعْلَامَةً، أَوْ عَلَّمُوا أَنْفُسَهُمْ بَعْلَامَةً حَيْثُ كَانَتْ عَلَيْهِمْ عِمَائِمُ بَيْضٍ وَأَرْسَلُوا أَذْنَابَهَا عَلَى أَكْتَافِهِمْ، وَهُنَاكَ قَوْلٌ آخَرٌ هُوَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: «بَلَى» لِمَوْضُوعِ أَحَدٍ، فَإِنَّ الْكُفَّارَ هَمُّوا بِالرُّجُوعِ مَرَّةً ثَانِيَةً بَعْدَ أَنْ نَالُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا نَالُوا وَخَالَفَ الْمُسْلِمُونَ فَوْعَدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ إِنْ رَجَعُوا أَمَدَّهُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَكِنِ السِّيَاقُ يُؤَيِّدُ الْمَعْنَى

الأول، والله أعلم.

[١٢٧] ثم بين سبحانه أن إنزال الملائكة و الوعد به ليس لأجل أنهم السبب في نصر المسلمين، بل لأجل البشارة و أما النصر فإنه من قبل الله وحده و لو بدون الملائكة، حتى تتقوى قلوب المسلمين في الجهاد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٩١

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٢٧ إلى ١٢٨]

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبَتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨) وَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ أَيَّ مَا جَعَلَ إِنْزَالَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْوَعْدَ بِهِ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ أَي بشاره لكم أيها المسلمون وَ لَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ أَي بهذا الإنزال وَ الْوَعْدَ وَ مَا النَّصْرُ أَي لَيْسَ الْعَوْنُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ فِي سُلْطَانِهِ الْحَكِيمِ فِي أَمْرِهِ.

[١٢٨] أما حكمه نصر المسلمين على أعدائهم في هذه الغزوة و سائر الحروب فهي لِيَقْطَعَ أَي يفصل طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الطرف من الأنفس بالقتل، و من الأراضي بالفتح و من الأموال بالغنيمه أَوْ يَكْتَبَتُهُمْ أَي يخزيهم حتى يرغموا و تقل شوكتهم فَيَنْقَلِبُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ خَائِبِينَ لم ينالوا بغنيمتهم بل انعكس الأمر فكتبوا و أرغموا.

[١٢٩] لَيْسَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْأَمْرِ الْمُرْتَبِطِ بِهِؤَلَاءِ الْكُفَّارِ شَيْءٌ فَإِنَّ النَّصْرَ وَ الْهَزِيمَةَ وَ الْكِبْتَ كُلُّهَا مَرْتَبَةٌ بِإِرَادَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (١) وَ قَالَ:

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ (٢) ثم رجع السياق إلى تميم قوله في الآية السابقة «أَوْ يَكْتَبَتُهُمْ» أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ بأن تكون نصره المؤمنين على الكفار سببا لهداية جماعه منهم إلى

(١) الأنفال: ١٨.

(٢) الحشر: ٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٩٢

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٢٩ إلى ١٣٠]

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)

الإيمان فيتوب الله سبحانه عليهم فيما فعلوا سابقا من الكفر و العصيان أَوْ يُعَذِّبُهُمْ بأن تظفروا عليهم فتأسروهم فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ فتعذيبهم ليس ظلما من الله عليهم بل لظلمهم أنفسهم فالأمر ليس بيدك يا رسول الله، و إنما ينصر الله المؤمنين لأحد أغراض أربعة: قطع طرف منهم، أو هزيمتهم و إرغامهم، أو هدايتهم، أو تعذيبهم. و الاعتراض بجملة «ليس لك» لتركيه كون النصر من عند الله، فإن اعتراض جملة في وسط جملة متسقة توجب إلفات الذهن و تركيز المطلب أكثر من بيان الجملة في موقعها الطبيعي.

[١٣٠] لَيْسَ لَكَ شَيْءٌ وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ فَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ بِمَنْ يَشَاءُ فَإِنَّهُ تَصَرَّفَ فِي مَلِكِهِ لِحِكْمِهِ وَ غَايَةُ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ اسْتَحَقَّ الْغُفْرَانَ بِالطَّاعَةِ وَ التَّوْبَةِ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ اسْتَحَقَّ الْعَذَابَ بِالْكَفْرِ وَ الْعِصْيَانِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فتعذيبه أقل من غفرانه فقد سبقت رحمته غضبه.

[١٣١] و يرجع السياق هنا إلى الربا و الإنفاق مما مر بنا سابقا، لمناسبة أن الربا من أسباب العذاب، و الإنفاق، من أسباب الغفران يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا- تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الرِّبَا أَنْ يَتَضَاعَفَ مَرَاتٍ وَ مَرَاتٍ فَإِنَّ رِبَا الْأَلْفِ لَوْ كَانَ خَمْسِينَ يَصْبِحُ رِبَا الْأَلْفِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٩٣



[سورة آل عمران (3): الآيات 131 الى 133]

وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (131) وَ اطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132) وَ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)

و الخمسين - فى سنة ثانية - ألفا و مائة و اثنين و نصف، و هكذا يتضاعف الربا، و يمتص مال الفقراء و عملهم الذى يؤدون به الدين و الربا معا وَ اتَّقُوا اللَّهَ خَافُوا عِقَابَهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أى لكى تفوزوا بالثواب و النعيم.

[132] وَ اتَّقُوا النَّارَ فَلَا تَفْعَلُوا مَا يوجبها الَّتِي أُعِدَّتْ وَ هِيَ آتٍ لِلْكَافِرِينَ الذين يكفرون فى الاعتقاد أو فى العمل، أو المراد الكفار العقائديون، و التخصيص بهم من أن العصاة أيضا يذهبون إلى النار، و أن دوامها و بقاءها عليهم، أو أنهم معظمهم أهلها.

[133] وَ اطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فيما يأمركم و ينهاكم، و ذكر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ للتعظيم و إفادة أمره أمر الله سبحانه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أى لكى ترحموا فى الدنيا و الآخرة.

[134] وَ سَارِعُوا أى بادروا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أى سبب المغفرة و هو الأعمال الصالحة الموجبة لغفرانه سبحانه وَ إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا أى سعتها - لا - العرض مقابل الطول - السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ فهى واسعة و سعة السموات و الأرض التى لا نهاية لها فى التصور - فإن الفضاء الذى يعبر عنه بالسماوات مما لا يصل الفكر إلى آخره و نهايته - أُعِدَّتْ وَ هِيَ آتٍ لِلْمُتَّقِينَ أى الذين يتقون المعاصى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 394

[سورة آل عمران (3): الآيات 134 الى 135]

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (135)

[134] ثم بين المتقين بقوله سبحانه: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أموالهم فى السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ أى فى حالتى اليسر و العسر، أو حالتى السرور و الاغتمام وَ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ الذين يكظمون غيظهم وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ يعفون عنهم إذا ظلموهم وَ مَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (135)

[135] ثم بين المتقين بقوله سبحانه: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أموالهم فى السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ أى فى حالتى اليسر و العسر، أو حالتى السرور و الاغتمام وَ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ الذين يكظمون غيظهم وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ يعفون عنهم إذا ظلموهم وَ مَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (135)

و سوف نفسر «المتقى» فى كل مكان ببعض صفاته.

[136] وَ الَّذِينَ عَظِفَ عَلَى «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ» أى أن المتقين هم الذين إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أى معصية تفحش، أى تتجاوز الحد أو ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بما لا يبلغ حد الفاحشة، من سائر أقسام المعاصى، فالفاحشة أخذ من مفهومها كون المعصية كبيرة ذَكَرُوا اللَّهَ أى تذكروا نهى الله و عقابه فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ أى طلبوا غفران الله و ندموا على ما فعلوا وَ مَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَ هُوَ اسْتِغْفَامٌ فَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ يستعطف المذنبين نحو التوبة و الاستغفار وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا مِنَ الْمَعَاصِي، بل أفلحوا و ندموا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ أى يعلمون كون الفعل خطيئة، فلا يصرون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 395

[سورة آل عمران (3): الآيات 136 الى 138]

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ نِعَمَ أَجْرٍ الْعَامِلِينَ (136) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (137) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138)

على الذنب مع علمهم به.

[137] أُولَئِكَ المتقون الذين هذه صفاتهم جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ يغفر ذنوبهم فى الدنيا بسترها، و فى الآخرة بالعفو عنها وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أى من تحت نخليها و أشجارها خَالِدِينَ فِيهَا أبد الأبدين وَ نِعَمَ أَجْرٍ الْعَامِلِينَ فإن الغفران و الثواب من أفضل

أجر العامل فإنّ أى أجر لا يبلغ مثل هذا الأمر الدائم الوارف.

[١٣٨] قَدْ خَلَّتْ أَى مَضَتْ وَ سَبَقَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ أَيْهَا الْمُخَاطَبُونَ سَيَنْتُمْ جَمْعُ سَنَةٍ بِمَعْنَى الطَّرِيقَةِ، فَقَدْ كَانَتْ فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ طَرِيقٌ، طَرِيقَةُ الْحَقِّ وَ طَرِيقَةُ الْبَاطِلِ، طَرِيقَةُ الْخَيْرِ وَ طَرِيقَةُ الشَّرِّ ..

وَ هَكَذَا فَسَيَرَوْنَ فِي الْأَرْضِ أَذْهَبُوا إِلَى الْبِلَادِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا تِلْكَ الْأُمَمِ الْمُنْقَرِضَةُ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ أَى تَعْرِفُوا عَلَى أَخْبَارِهِمْ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَرْبِحُوا وَ إِنَّمَا أَتَوْا وَ كَذَبُوا الرِّسْلَ وَ تَأْمَرُوا ثُمَّ مَاتُوا وَ دَفِنُوا وَ لَمْ يَبْقَى لَهُمْ ذِكْرٌ طَيِّبٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَمْ تَدَمْ لَهُمُ النِّعْمَةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا عَمِلُوا مَا عَمِلُوا وَ إِنَّمَا انْتَقَلُوا إِلَى عَذَابِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، لِيَكُونَ فِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لَكُمْ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُكذِّبِينَ بَلْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَصْدُقِينَ.

[١٣٩] هَذَا الْقُرْآنَ، أَوْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِ وَ الْكَافِرِ، وَ مَا

تَقْرِيبَ الْقُرْآنِ إِلَى الْأَذْهَانِ، ج ١، ص: ٣٩٦

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٣٩ الى ١٤٠]

وَ لَا- تَهِنُوا وَ لَا- تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمْ الْمَاعِلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠)

قَدَمْنَا مِنَ الْعِظَةِ وَ الْإِنذَارِ بَيَانًا لِلنَّاسِ لِذِلَّةِ وَ حِجَّةِ وَ تَوْضِيحِ لَهُمْ كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَسْلُكُوا وَ يَعْمَلُوا وَ هُدًى يَهْدِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ وَ مَوْعِظَةً وَعِظًا وَ إِرْشَادًا لِلْمُتَّقِينَ فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ، وَ إِنْ كَانَ بَيَانًا لِلنَّاسِ عَامَةً.

[١٤٠] وَ هُنَا يَرْجِعُ السِّيَاقُ إِلَى ذِكْرِ غَزْوَةِ أَحَدٍ، لِتَشْجِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَ تَصْيِيرِهِمْ عَلَى تَحْمَلِ الْمَكَارِهِ، بَعْدَ مَا بَيَّنَّ أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِ وَ الْكَافِرِ، حَتَّى تَقْوَى عَزِيمَتُهُمْ، وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ وَ لَا تَهْتَبُوا مِنَ الْوَهْنِ أَى لَا تَضَعِفُوا عَنِ قِتَالِ الْأَعْدَاءِ وَ لَا تَحْزَنُوا مِمَّا نَالَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَ الْجِرْحِ وَ الْهَزِيمَةِ وَ أَنْتُمْ الْمَاعِلُونَ الظَّافِرُونَ الْغَالِبُونَ فَإِنَّ الظَّفَرَ يَذْهَبُ بِحَرَارَةِ الْخَسَارَةِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا لَا يَهِنُ وَ لَا يَحْزَنُ فَإِنَّ طَاقَةَ الْإِيمَانِ تَوْمَنُ الْإِنْسَانَ بِالْقُوَّةِ وَ الْفَرَحِ أَمَا الْقُوَّةُ فَهِيَ مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ أَمَا الْفَرَحُ فَلِلْغَلْبَةِ أَوْ لِثَوَابِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فِيمَا لَوْ غَلِبَ.

[١٤١] ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ أَنْ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْمَكَارِهِ لَيْسَ خَاصًا بِهِمْ بَلْ أَصَابَ الْكَافِرِينَ مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ فَهَمُ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ، لَكِنْ الْمُؤْمِنِينَ يَرْجُونَ ثَوَابَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ مِمَّا لَا يَتَرَقَّبُهُ الْكَافِرُونَ فَهَمُ أَجْدَرُ بِالصَّبْرِ وَ الثَّبَاتِ وَ عَدَمِ الْوَهْنِ وَ الْحُزْنِ إِنْ يَمَسُّكُمْ أَى يَصِيبُكُمْ أَيْهَا الْمُسْلِمُونَ فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ قَرْحٌ جِرْحٌ وَ أَلَمٌ فِي أَحَدٍ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ قَرْحٌ مِثْلُهُ فِي أَحَدٍ حَيْثُ أَصِيبَ الْكَافِرُ بِالْأَلَمِ وَ الْجِرْحِ أَيْضًا، أَوْ الْمَرَادُ مَسَّهُمُ الْقَرْحُ فِي بَدَنِ حَيْثُ قَتَلَ الْمُشْرِكُونَ

تَقْرِيبَ الْقُرْآنِ إِلَى الْأَذْهَانِ، ج ١، ص: ٣٩٧

وَ هَزَمُوا وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ أَيَّامُ النَّصْرِ وَ الْهَزِيمَةِ وَ أَيَّامُ الْقَرْحِ نُدَاوِلُهَا أَى نَصَرَهَا بَيْنَ النَّاسِ فَيَوْمٌ لِهَوْلَاءَ عَلَى أَوْلِيكَ، وَ يَوْمٌ لَأَوْلِيكَ عَلَى هَوْلَاءَ، فَإِذَا نَصَرْنَا الْمُؤْمِنِينَ كَانَ ذَلِكَ لِإِيمَانِهِمْ وَ إِذَا هَزَمُوا كَانَ امْتِحَانًا لَهُمْ.

وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَى أَنْ صَرَفَ الْأَيَّامَ لِتَمَيِّزِ الْمُؤْمِنِ الْحَقِيقِيِّ مِنْ غَيْرِهِ فَإِنَّهُ

«عِنْدَ تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ تَعْرِفُ جَوَاهِرَ الرِّجَالِ»

«١» وَ

«عِنْدَ الْامْتِحَانِ يَكْرُمُ الرَّجُلُ أَوْ يَهَانُ»

«٢»، وَ مَعْنَى «لِيَعْلَمَ» أَنْ مَعْلُومُهُ سَبْحَانَهُ يَقَعُ فِي الْخَارِجِ، لَا أَنَّهُ كَانَ جَاهِلًا- سَبْحَانَهُ- ثُمَّ عَلِمَ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَمَّا كَانَ أَمْرًا إِضَافِيًا بَيْنَ الْعَالَمِ وَ الْمَعْلُومِ، يَقَالُ عِلْمٌ بِاعْتِبَارَيْنِ، أَمَا بِاعْتِبَارِ الْعَالَمِ فِيمَا كَانَ جَاهِلًا ثُمَّ عَلِمَ، وَ أَمَا بِاعْتِبَارِ الْمَعْلُومِ فِيمَا كَانَ الْمَعْلُومُ غَيْرَ خَارِجِيٍّ ثُمَّ صَارَ خَارِجِيًّا وَ لَمْ يَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ أَى أَنْ مَدَاوِلُهُ الْأَيَّامُ لِفَوَائِدِ وَ مِنْ جَمَلَةٍ تِلْكَ الْفَوَائِدُ أَنْ يَتَّخِذَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مِنْكُمْ مَقْتُولِينَ يَسْتَشْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْلُغُونَ الدَّرَجَاتِ الرَّاقِيَةَ بِالشَّهَادَةِ، أَوْ لِيَكُونَ جَمَاعَةً شُهَدَاءَ عَلَى آخِرِينَ بِالصَّبْرِ أَوْ الْجَزَعِ، بِالثَّبَاتِ أَوْ الْهَزِيمَةِ، فَإِنَّ

إيصال جماعة قابلة إلى مرتبة أن يكونوا شهداء نعمه و غرض رفيع، لكن المعنى الأول أقرب و الله لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يظلمون أنفسهم بالكفر، أو بالهزيمة.

(1) راجع بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٤٣.

(2) غرر الحكم: ص ١٠٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٩٨

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٤١ إلى ١٤٣]

وَلِيْمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣)

[١٤٢] و من فوائد تداول الأيام بين الناس أنه لِيْمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا أى يخلصهم من المنافقين فيتسبب المؤمن من المنافق، أو يخلصهم من الذنوب، فإن بالأهوال تذاب الذنوب، و بالشدائد تكفر الخطايا و ل يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ يهلكهم، فإن الكفار ينقصون شيئاً فشيئاً حتى يهلكوا جميعاً.

[١٤٣] ثم يبين سبحانه فائدة أخرى لتداول الأيام و هى أن المؤمن لا يدخل الجنة بمجرد إظهار الشهادتين و إنما اللازم أن يجاهد و يعمل و فى تداول الأيام يحصل هذا العمل و هذا الامتحان المؤهل لدخول الجنة، لكنه جاء الكلام فى صورة الاستفهام تلويحاً فى الكلام، و تفننا فى التعبير أَمْ حَسِبْتُمْ أى هل حسبتم و ظننتم أيها المسلمون أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بمجرد الإيمان بدون الامتحان و لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ أى لم يقع منكم جهاد حتى يتعلق علم الله به و لَمَّا يَعْلَمِ الصَّابِرِينَ فلم يقع منهم صبر حتى يتعلق به علم الله سبحانه و دخول الجنة بدون الجهاد و الصبر لا يكون، فتداول الأيام يوجب جهاد المؤمنين و صبرهم حتى يتأهلوا لدخول الجنة.

[١٤٤] ثم يشير القرآن الحكيم إلى تأنيب المؤمنين فى موقفهم يوم أحد، حيث أن جماعة منهم قبل الغزوة كانوا يتطلعون إلى الجهاد و يتمنون الاستشهاد ثم فروا منهزمين، و فوق ذلك أن إيمان بعضهم كان بدرجة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٩٩

[سورة آل عمران (٣): آية ١٤٤]

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)

من الوهن حتى أنهم لما سمعوا بموت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كادوا أن يرتدوا و لَقَدْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ و لقاء الموت كناية عن لقاء مقدماته و الوقوع فى الأهوال المنتهية إليه فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ فى الغزوة إذ رأيتم غلبه الكفار و قتل جماعة من المؤمنين و أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ أى تشاهدون المعركة، و هذا تأكيد لمعنى «رأيتموه» حتى لا يتوهم أحد أن الرؤية كانت بالقلب، فإن «رأى» يستعمل بمعنى «علم».

[١٤٥] و مَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ إِلَّا رَسُولٌ أى ليس هو إلهاً لا يموت إنما هو بشر اختاره الله للرسالة فيجرى عليه ما يجرى على البشر من الموت و القتل، و ليس بدعا من الرسل بل قَدْ خَلَتْ أى مضت و تقدمت مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الذين جرت عليهم سنة الله من الموت و مفارقة الحياة أَفَإِنْ مَاتَ مَوْتاً عَادِيّاً أَوْ قُتِلَ وَ اسْتَشْهَدَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ استفهام إنكارى توبيخى أى لم يكن حالكم هكذا، حتى ترتدوا بموت النبى، و كنى عن الارتداد بالمشى القهقرى «الانقلاب على الأعقاب» الذى هو رجوع نحو الوراء وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ أى من يرتد عن دينه فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً إذ الله سبحانه غنى مطلق لا يحتاج إلى إيمان أحد حتى يضره ارتداده وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ الذين يشكرون نعمه الإيمان و يثبتون عليه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٠٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ٤٤٩

[سورة آل عمران (٣): آية ١٤٥]

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا. وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥)

فإن الارتداد من أعظم أقسام الكفر، كما قال سبحانه: بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ «١».

[١٤٦] وهنا تلميح إلى عتاب آخر موجه للمسلمين لانهم يوم أحد خوف الموت، فلم الفرار؟ أمن خوف الموت، وليس الموت إلا- بإذن الله تعالى، و ما قدر من أجل للإنسان، فالفرار وعدمه سيان بالنسبة إلى الوقت المحدد لحياة الإنسان و ما كان لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إن النفوس ليست هملا حتى تموت من تموت و تبقى من تبقى بأسباب عادية من غير توسط مشيئة الباري سبحانه، فإن الموت لا يكون إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ و مشيئته كِتَابًا مُؤَجَّلًا أى كتب الله ذلك الوقت فى اللوح المحفوظ كتابا ذا أجل و مدة محدودة معلومة و مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا و خيرها و تعب و عمل لأجل المنافع الدنيوية نُؤْتِهِ مِنْهَا فإن الذى عمل يرى الله نتيجة عمله و مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ و خيرها و عمل لأجل ثواب الآخرة نُؤْتِهِ مِنْهَا بقدر ما عمل، فارغبوا أيها المسلمون فى ثواب الله و أجره الأخرى بالجهاد و الثبات و لا تفروا كما فررتم فى أحد و سَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ جزاء حسنا، و من الشكر يعرف الإنسان قيمة ما حوَّله الله سبحانه من الإسلام و وفقه للجهاد بين يدى رسوله لإعلاء كلمه الله، فمن شكر ذلك يجزى جزاء الشاكرين.

(١) الحجرات: ١٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٠١

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٤٦ الى ١٤٧]

وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَ مَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَ تَبَّتْ أَفْئِدَتُنَا وَ انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧)

[١٤٧] و ما لكم أيها المسلمون وهنتم فى غزوة أحد و فررتم؟ ألم يمكنكم الاقتداء بالمؤمنين السابقين الذين كانوا مع الأنبياء يصمدون فى وجه الباطل؟ وَ كَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ فإن كثيرا من الأنبياء عليه السلام قاتلوا، و جاهد معهم و تحت لوائم أناس من المؤمنين ربانيين منسوبون إلى الرب تعالى بالطاعة و العبادة و الإيمان، أو بمعنى أختيار فقهاء فما وَهَنُوا أى ما فتروا لِمَا أَصَابَهُمْ من القتل و السلب و الجروح و القروح فى سَبِيلِ اللَّهِ للتنبيه على شدايدهم التى كانت فى سبيل الله سبحانه و ما ضَعُفُوا عن عدوهم و مَا اسْتَكَانُوا أى ما خضعوا و لا تضرعوا لعدوهم وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ الذين يصبرون فى الشدائد و فى الحروب.

[١٤٨] وَ مَا كَانَ قَوْلُهُمْ أى قول أولئك الربانيون عند الجهاد و ملاقاته الأعداء إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا فكانوا يستغفرون عند اللقاء مما فات منهم من الذنوب استعدادا للقاء الله سبحانه طاهرين و إسْرَافَنَا فى أَمْرِنَا أى تجاوزنا الحدود و تفریطنا و تقصيرنا وَ تَبَّتْ أَفْئِدَتُنَا حتى لا تزل أمام الأعداء فنهزم و انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فهم جاهدوا و جلين من ذنوبهم لم يطلبوا إلا العفو فى تواضع و خشوع، و لم يقصدوا إلا نصره الدين على القوم الكافرين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٠٢

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٤٨ الى ١٤٩]

فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَ حَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩)

[١٤٩] فجزاء على ما سلف منهم من الصبر والثبات والجهاد في خشوع و تواضع آتاهم الله أى أعطاهم الله سبحانه ثواب الدنيا بالفتح والغلبة والعزة والرفاه وحسن ثواب الآخرة بجنات تجرى من تحتها الأنهار، أى ثواب الآخرة الحسن، والإتيان بكلمة «حسن» هنا دون «ثواب الدنيا» لعله للإشارة إلى أن ثواب الآخرة هو الذى يوصف بالحسن، أما الدنيا فإنها زائلة فلا قيمة لثوابها، أو المراد «أحسن» أقسام ثواب الآخرة الذى لا يعطى إلا للمجاهدين، بخلاف الدنيا فإن ثوابها عام للبر والفاجر والله يحب المحسنين ومحبته الله سبحانه فوق كل ثواب كما قال: وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١).

[١٥٠] لما اشتد الأمر يوم أحد أخذ جماعته من المنافقين يدعون الناس إلى الارتداد عن دينهم حتى يستريحوا فأنزل الله فيهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْمَنَافِقِينَ، أو من اليهود والنصارى الذين أخذوا يشيعون أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم قتل فارجعوا إلى دينكم وعشائركم يردوكم على أعقابكم كفارا كما كنتم فتتقلبوا خاسرين قد خسرتم الدنيا والدين، فإن دنيا الجاهلية كانت فوضى وفرا و رذيلة.

(١) آل عمران: ١٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٠٣

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٥٠ الى ١٥٢]

بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَ بئس مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)

[١٥١] بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ أى هو أولى بكم من الكفار والمنافقين، وهو ينصركم على أعدائكم وهو خير الناصرين لأن فى نصرته خيرا للدارين بخلاف نصره غيره.

[١٥٢] سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ أى نقذف الخوف والفرع فى قلوبهم حتى تغلبهم وهكذا ينصركم الله تعالى بما أشركوا بالله أى بسبب شركهم ما لم ينزل به سلطاناً أى برهانا و حجة، فإن شركهم كان تقليدا لا عن دليل و حجة ومأواهم أى محلهم ومستقرهم النار فى الآخرة وبئس مَثْوَى الظالمين أى أن النار بئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر. وقد ورد أن الآية نزلت حين هم المشركون- يوم أحد- بالرجوع إلى المسلمين لاستئصالهم عن آخرهم فلما عزموا ذلك ألقى الله فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به، ولا يخفى أن إلقاء الرعب فى قلب الكافر أمر طبعى فإن المسلم يستمد القوة من الله سبحانه أما الكافر فحيث لا يعتقد به سبحانه يكون قلبه هواء فيتسرب إليه الخوف.

[١٥٣] ثم بين سبحانه أن هزيمتهم يوم أحد لم تكن إلا- بسبب مخالفتهم أوامر الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا فالله سبحانه نصرهم كما وعد، حتى هزموا المشركين ولقد صدقكم الله وعده وفى لكم بما وعد من نصرته

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٠٤

على الكفار إذ تحسبونهم بإذنه أى تقتلونهم، فإن «حسه» بمعنى قتله وأبطل حسه و حياته، ومعنى «بإذنه»: بأمره، فإن الله أذن لهم فى القتال كما قال: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا (١)، حتى إذا فشلتكم جبتكم وكفتم وخالفتم أمر الرسول وتنازعتكم فى الأمر هل يبقى الرماة الخمسون فى الشعب كما أمرهم الرسول أم يخرجوا يجمعون الغنائم؟- كما تقدم- وبالآخر عصيتهم أمر الرسول فى لزوم أماكنكم فتخليتكم عن الشعب، فقد تخلى من الخمسين سبع و ثلاثون من بعد ما أراكم الله سبحانه ما تحبون من هزيمة الكفار ونصرة المسلمين منكم أيها المسلمون من يريد الدنيا وهم الذين خالفوا الرسول طلبا للغنيمه ومنكم من يريد الآخرة وهم: عبد الله رئيس

الرماء في الشعب و اثني عشر من أصحابه الذين ثبتوا في أماكنهم ثُمَّ صَيَّرَ فِكْمَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ أَيَّ عَنِ الْكُفَّارِ، بَلْ تَوَجَّهْتُمْ إِلَى الْغَنَائِمِ عَوْضَ أَنْ تَحْتَفِظُوا بِأَمَا كُنْتُمْ، فَإِنْ فِي حِفْظِ الْمَكَانِ كَانَ تَوَجُّهًا نَحْوَ الْكُفَّارِ لِنَلَا يَرْجِعُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ وِرَائِهِمْ، بِخِلَافِ التَّوَجُّهِ نَحْوَ الْغَنِيمَةِ فَإِنَّهُ كَانَ صَرَفًا عَنِ الْكُفَّارِ، وَ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ كَسَائِرِ الْإِضَافَاتِ نَحْوَ «وَمَنْ يَضِلَّ» أَوْ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الصَّرْفَ كَانَ عَقُوبَةً لَهُمْ عَلَى إِرَادَتِهِمْ لِلدُّنْيَا

(١) الحج: ٤٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٠٥

[سورة آل عمران (٣): آية ١٥٣]

إِذْ تُضَيِّعُ عِدْوَانَ وَ لَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا مَا أَصَابَكُمْ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣)

لِيُبَيِّنَ لَكُمْ أَيَّ يَمْتَحِنُكُمْ وَ يَخْتَبِرُكُمْ، حَتَّى يَظْهَرَ مَا أَنْتُمْ عَامِلُونَ وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَنْكُمْ خَطِيئَتَكُمْ بِمُخَالَفَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يَنْصُرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَ يَعْفُو عَنْ ذُنُوبِهِمْ، وَ مَعْنَى الْفَضْلِ: الْمَنِّ وَ النِّعْمَةِ، فَإِنَّهُ يُعْطِيهِمْ فَضْلًا أَيَّ فَوْقَ اسْتِحْقَاقِهِمْ.

[١٥٤] وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ إِذْ تُضَيِّعُ عِدْوَانَ أَيَّ تَذْهِبُونَ فِي وَادِي أَحَدٍ لِلانْهِيَامِ، فَإِنَّ الْإِصْعَادَ الذَّهَابَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ أَيَّ لَا تَلْتَفِتُونَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ وِرَائِكُمْ بَلْ كُلُّ هَمِّكُمْ السَّرْعَةَ فِي الْفِرَارِ حَتَّى لَا يَأْتِيَكُمْ الْطَلْبُ وَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ يَدْعُوكُمْ يَنَادِيكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ أَيَّ مِنْ وِرَائِكُمْ، يُقَالُ: جَاءَ فُلَانٌ فِي آخِرِ النَّاسِ أَيَّ مِنْ وِرَائِهِمْ فَأَثَابَكُمْ أَيَّ جَازَاكُمْ اللَّهُ عَلَى فِرَارِكُمْ غَمًّا مُتَّصِلًا بِغَمِّ الْهَزِيمَةِ وَ غَمِّ الْقَتْلِ الَّذِينَ قَتَلُوا مِنْكُمْ- وَ يَحْتَمِلُ فِي اللَّفْظَيْنِ أُمُورٌ- لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَ لَا مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الضَّرْرِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وَقَعَ فِي الشَّدَائِدِ وَ جَزَبَهَا وَ مَارَسَهَا تَصَلَّبَ نَفْسَهُ وَ تَقَوَّى رُوحَهُ فَلَا تَتْرَحَّحُ بِمُصِيبَةٍ وَ لَا تَهْتَرُ بِكَارِثَةٍ، وَ هَكَذَا كَانَتْ هَزِيمَةُ أَحَدٍ دَرَسًا وَ عِبْرَةً حَتَّى يَصْغُرَ فِي نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ كُلِّ مَا يَفُوتُهُمْ مِنْ خَيْرَاتٍ وَ كُلِّ مَا يَصِيبُهُمْ مِنْ شُرُورٍ وَ آلَامٍ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ ذُو خَبَرٍ وَ إِطْلَاعٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٠٦

[سورة آل عمران (٣): آية ١٥٤]

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعِسًا يُغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)

بِمَا تَعْلَمُونَ فَيَجَازِيكُمْ عَلَى حَسَبِ أَعْمَالِكُمْ.

[١٥٥] ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ الَّذِي غَشِيَكُمْ لِهَزِيمَتِكُمْ أَمْنَةً أَيَّ أَمْنًا نَاعِسًا أَيَّ نَوْمًا، وَ هُوَ بَدَلُ اسْتِمَالٍ ل «أَمْنَةً» فَإِنَّهُمْ نَامُوا مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ وَ النَّصَبِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ خَوْفُهُمْ وَ ذَهَبَ الْكُفَّارُ، وَ «أَمْنَةً» مُصَدَّرٌ كَالْعِظْمَةِ وَ الْغَلْبَةِ. لَكِنْ هَذَا النَّعَاسُ كَانَ يُغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ فَقَطُّ الَّذِينَ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حَقٌّ وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَتْرُكُهُ وَ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ يُوجِبُ الثَّوَابَ وَ الْفَائِدَةَ لَهُمْ وَ هُنَاكَ طَائِفَةٌ ثَانِيَةٌ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ مُنَاقِقِينَ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَفَكَّرُونَ فِي هَزِيمَتِهِمْ لَا يَنَامُونَ مِنَ الْحُزَنِ وَ الْخَوْفِ حِينَ انْتَشَرَ بَيْنَهُمْ أَنَّ الْكُفَّارَ عَازِمُونَ عَلَى الرَّجُوعِ وَ كَانُوا يَشْكُونَ فِي نَصْرَةِ اللَّهِ وَ لِذَا لَمْ يَتِمَّ كُنُوزُهُمْ أَنْ يَنَامُوا خَوْفًا يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ أَنَّهُ لَا يَنْصُرُ نَبِيَّهُ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْكُفَّارِ الْمَكْدُبِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ يَقُولُونَ مَا فِي نَفُوسِهِمْ مِنْ ظُنُونِ الْجَاهِلِيَّةِ: هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ أَمْرٌ الْغَلْبَةِ وَ النَّصْرَةَ مِنْ شَيْءٍ

في مقام الاستنكار و التعجب أن ينتصروا على الكفار إذا رجعوا قُلْ لهم يا رسول الله: إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ينصر من يشاء، فللمسلمين النصر و الغلبة بإعطاء الله لهم إياها يُخْفُونَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ فِي أَنْفُسِهِمُ النِّفَاقَ وَ الْكُفْرَ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٠٧

[سورة آل عمران (٣): آية ١٥٥]

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)

أى لا يتجرءون على إظهاره يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ أَى مِنَ النَّصْرَةِ وَ الْغَلْبَةِ شَيْءٌ وَ كُنَّا حَقِيقَةً مَنْصُورِينَ مَا قُتِلْنَا أَى مَا قُتِلَ أَصْحَابُنَا هَاهُنَا فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي جَوَابِهِمْ: إن كون الأمر لنا لا يلزم أن لا يقتل منا أحد فإن الإنسان يموت إذا جاء أجله و لو كان فى داره و منزله لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتِيلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ أَى خرج الذين كتب عليهم القتل - بأن رقم موتهم فى اللوح المحفوظ- إلى مصارعهم. و «مضاجع» جمع مضجع بمعنى محل النوم وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ يَخْتَبِرُ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ، فإن ما فى الصدور من الإخلاص و النفاق، و الثبات و الوهن، إنما يظهر عند الشدائد و المحن، و هذا عطف على قوله: «ليبتليكم» أو مستأنفة، أى فعل الله سبحانه ما فعل ليبتلى وَ لِيَمْحَسَّ أَى يخلص ما فى قلوبكم بأن يكشفه للناس و لكم، حيث أن الإنسان يظن أشياء فإذا حدث الحادث يظهر له خلاف ما كان يظن بنفسه وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فليس الامتحان لأن يعلم هو تعالى، بل لأن يظهر ما يعلمه.

[١٥٦] إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا أَدْبُرًا وَ انْهَزَمُوا مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٠٨

[سورة آل عمران (٣): آية ١٥٦]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَ مَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦)

يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ يَوْمَ أَحَدِ الذِي التَقَى فِيهِ جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِجَمْعِ الْمُشْرِكِينَ بِقِيَادَةِ أَبِي سَفْيَانَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ طَلَبَ زَلَّتْهُمُ وَ عَصِيَانَتَهُمْ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا أَى بسبب بعض المعاصى التى كانوا يعملونها فأخذتهم عاقبتها و شؤمها وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَ مَا نَدَمُوا وَ رَجَعُوا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ إِذَا تَابَ حَلِيمٌ لَا يَعْبَلُ بِالْعُقُوبَةِ بَلْ يَمَهِّلُ الْمُذْنِبَ كَى يَتُوبَ وَ يَتُوبُ.

[١٥٧] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ اعْتَدَا، وَ هُمُ الْكُفَّارُ الَّذِينَ لَا يَدِينُونَ بِمَا وَرَاءَ الْغَيْبِ، أَوْ كَفَرُوا عَمَلًا- وَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ وَ مِنْ أَشْبَهُهُمْ وَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ فِي الْعَقِيدَةِ، أَوْ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، حَتَّى يَشْمَلَ قَوْلَ الْكَافِرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ قَوْلَهُ: «لِإِخْوَانِهِمْ» أَى قَالُوا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِخْوَانِ الَّذِينَ سَافَرُوا فَمَاتُوا، أَوْ حَارَبُوا فَمَاتُوا، أَوْ حَارَبُوا فَمَاتُوا إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَى ذَهَبُوا لِأَجْلِ التِّجَارَةِ وَ نَحْوِهَا، يُقَالُ: ضَرَبَ فُلَانٌ فِي الْأَرْضِ إِذَا سَافَرَ، وَ تَخْصِيصُ الْأَرْضِ بِالذِّكْرِ، لِكُونَ السَّفَرِ غَالِبًا عَنِ طَرِيقِ الْبَرِّ أَوْ كَانُوا غُزًى جَمْعُ «غَازٍ»، أَى حَارَبُوا الْأَعْدَاءَ: لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مُقِيمِينَ فِي أَوْطَانِهِمْ مَا مَاتُوا وَ مَا قُتِلُوا فَقَدْ حَسَبُوا أَنَّ الْمَوْتَ وَ الْقَتْلَ إِنَّمَا هُمَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٠٩

بِالْأَسْبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ بِمَا وَرَاءَ الْمَادَّةِ وَ الْإِحْسَاسِ. مع أن الموت و القتل لا يكونان إلا بتقدير و قضاء و ليس يفيد فى ذلك البقاء، و فى هذا رد لإرجاف المنافقين الذين كانوا يلقون تبعه قتل المؤمنين فى أحد على النبى و أنه صلى الله عليه و آلِهِ وَ سَلَّمَ أخرجهم فقتلوا، و معنى القضاء و القدر فى الأمور التكوينية: التخطيط و تهيئته الأسباب، فكما أن المهندس الذى يريد بناء دار يخطط شكل الدار المراد بنائها ثم يحضر مواد البناء من آجر و جص و حديد و خشب، كذلك ما فى العالم من الأمور التكوينية خططت و علمها الله سبحانه و أحضرت موادها. لكن ليس معنى ذلك أن الأمور خارجة عن أيدي البشر و إنما جعل الدعاء و الصدقة و الأسباب الظاهرة مستثنيات

للتخطيط والآلات والأسباب و كل ذلك أيضا بعلمه سبحانه، و على كل فليس الموت و القتل مما يكون سببهما السفر و الغزو كما زعمه الكفار بل هناك أسباب خفية تدير هذين الأمرين إلى جنب الأسباب الظاهرية، فليس كل سفر و غزو موجبا للموت كما ليس كل إقامة موجبا للبقاء، و الكفار إنما قالوا ذلك يريدون تضييق الناس عن الجهاد ليَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ الاعتقاد - المفهوم من الكلام - حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ لما حصل لهم من الخيبة حيث رأوا رجوع إخوانهم من السفر و الجهاد بالربح و الظفر، و من الطبيعي أن يحزن و يخسر الشخص الجامد لما ناله الشخص المتحرك من الخير و التقدم المحتمومين، و اللام في «ليجعل» إما لام الأمر، لبيان التأكيد، أو لام العاقبة، أى كانت عاقبة هذا الاعتقاد الحسرة و الحزن و اللهُ يُحْيِي الأَرْض و الجماد و الإنسان و يَمِيتُ فليس السفر و الغزو تمام سبب الموت و اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فارغبوا في الطاعة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 410

[سورة آل عمران (3): الآيات 157 إلى 159]

وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (157) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (158) فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ اللَّهُ بِدَلِيلٍ لَنَا لَمُنَفَّسُونَ مِنْ حَوْلِكُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)

و الجهاد، و احذروا من المخالفة و الفرار، فإن الله سبحانه يعلم أعمالكم، و يبصر صنعكم.

[158] ثم لنفرض أن السفر و الغزو سبب الموت فهل الموت مع المغفرة خير أم الحياة لجمع الأموال التي يحيها الكافر الذي يبقى في بلده و لَئِنْ قُتِلْتُمْ أيها المؤمنون في سبيلِ اللهِ و جهاد أعدائه أَوْ مُتُّمْ في سبيلِ اكتساب الرزق و التجارة و الضرب في الأرض لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ حيث يغفر لكم و يرحمكم حيث كنتم مطيعين له ممثلين أمره خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ أى يجمع هؤلاء الكفار الباقون في بلدكم خوفا من الخروج، فإن من يبقى يكتسب و يجمع مالا.

[159] ثم أن الموت و القتل لا يسببان انقطاع الحياة حتى يخشاهما الإنسان و يرفع اليد عن مقاصده العالية من خشيتهما و لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فيجازيكم على أعمالكم فخير لكم أن تطيعوه حتى تكونوا مرادا لثوابه و فضله.

[160] و هنا يلتفت السياق ليشير في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ عاطفته الكامنة نحو المؤمنين حتى يعفو عن خطأهم في أحد، حيث أدخلوا الشعب حتى سيطر المشركون على المعركة، و فعلوا تلك الأفاعيل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ و أصحابه من جرح و قتل و تمثيل فَبِمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ «ما» زائدة أى بسبب رحمة من الله سبحانه على المؤمنين لَئِنْ لَمْ يَأْتِ اللَّهُ بِدَلِيلٍ لَنَا لَمُنَفَّسُونَ أى كنت لنا رحيمًا بهم فقد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 411

[سورة آل عمران (3): آية 160]

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160)

جعل الله سبحانه رحيمًا بهم لينا عليهم و لَوْ كُنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَظًا جَافِي اللسان قاسى القلب غَلِيظَ القلبِ غلظا معنويا و هو الذى لا يلين و لا يحنو لَانْفُصُوا مِنْ حَوْلِكَ أى تفرقوا عنك فَاعْفُ عَنْهُمْ إِذَا أَخْطَأُوا وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أى اطلب لهم من الله الغفران لما صدر من ذنوبهم، و الله سبحانه و إن كان أرحم بهم لكن ذلك لزيادة عطف النبي، فإن من يطلب المغفرة لأحد لا بد و أن يزول من قلبه ما علق به من الكراهية، و لتكثير محبة المؤمنين له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ حيث يعلمون بأنه يستغفر لهم و شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ لتأليف قلوبهم و لتعليمهم المشورة فى أمورهم، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ كان فى غنى عنهم بما كان يسدده الله سبحانه بالوحي فَإِذَا عَزَمْتَ بعد المشورة على فعل فتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ و لا تهتم بمن يخالف رأيه رأيك يا رسول الله إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ الواثقين به المعتمدين عليه الذين يوكولون أمورهم إليه.

[161] إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ أى المؤمنون، و ذلك إذا استحققتكم ذلك بإيجاد أسباب النصر و إطاعة أوامره سبحانه فَلَا غَالِبَ لَكُمْ أى لا



يقدر أحد على أن يغلبكم وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ وَخَذَلَانَ اللَّهَ سَبْحَانَهُ أَنْ يَكْلَهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَعِينُهُمْ فِي أُمُورِهِمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ اسْتِفْهَامِ اسْتِنْكَارِي، أَى لَا يَكُونُ نَاصِرًا لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ سَبْحَانَهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤١٢

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٦١ إلى ١٦٢]

وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَمَنْ يُغْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ يَثْقُونَ بِهِ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ.

[١٦٢] لقد كان من أسباب تخلى المسلمين عن مكانهم من الجبل - يوم أحد - خوفهم ألا يقسم لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الغنائم، وقد تكلم بعض المنافقين في وقعة بدر حول قطيفة حمراء فقدت فقالوا بأن الرسول أخذها، ولذا نزلت الآية نافية أن يغلل الأنبياء ويخونوا وما كان لنبي أن يغلل أى لا يجوز للأنبياء الغلول أى الخيانة، والخيانة محرمة مطلقا لكن المورد أتى خاصا حيث أن الكلام كان حوله ومن يغلل شريفا كان أو وضيعا قليلا كان غلوله أو كثيرا يأت بما غل يوم القيامة و في الحديث «يأتى به على ظهره»

«١». ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ أَى تعطى جزاء كسبها كاملا - غير منقوص وهم لا - يُظْلَمُونَ فلا - ينقص من أجورهم شىء ولا يعذبون فوق استحقاقهم.

[١٦٣] أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ بِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ كَمَنْ بَاءَ أَى رَجَعَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ فَكَأَنَّهُ رَجَعَ إِلَى أَعْمَالِهِ الدُّنْيَا بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَعَلِمَ مَاذَا يَرِيدُ، فَقَدْ رَجَعَ مَعَ السَّخَطِ بَيْنَمَا رَجَعَ غَيْرَهُ مَعَ الرِّضْوَانِ وَمَأْوَاهُ أَى مَرْجِعُهُ وَمَصِيرُهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ أَى

(١) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٦٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤١٣

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٦٣ إلى ١٦٤]

هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)

أن المحل الذى صار إليه محل سبى، فعلى الإنسان أن لا يفتر من الحرب ولا يتخلف عن أمر الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى يبوء بالغضب والسخط ويكون مصيره النار.

[١٦٤] هم أى هؤلاء الذين باءوا بالسخط والذين اتبعوا رضوان الله، ذوو درجات عند الله فللمؤمنين درجات رفيعة وغيرهم درجات بذيئة، أو أن لكل فريق درجات من حيث القرب والبعد، وحذف كلمة «ذوو» لما تعارف من المجاز فى هذه التعبيرات بعلاقة الحال والمحل فيقال عند العبد: زيد الدرجة الأولى، عمرو الدرجة الثانية، وهكذا والله بصير بما يعملون فيجازيهم حسب أعمالهم فلا يزهو الإنسان فى الإحسان لأنه لا يقدر، ولا يجرى العاصى فى المعصية لأنه لا يرى.

[١٦٥] إن النعمة التى أنعم الله بها على المسلمين مما يوجب شكرها والتضحية فى سبيلها فهى نعمة كبيرة جدا لا تماثلها نعمة ولا يبلغ شأنها إحسان ومنة لقد مَنَّ اللَّهُ أَى أنعم الله، فإن المن القطع، وتسمى النعمة منة لأنها تقطع الإنسان عن البلية والفاقة على المؤمنين إنما خصوا بالذكر مع أن المنه عامة لأنهم هم الذين استفادوا منها دون سواهم إذ بعث فيهم رسولا فإنه أعظم النعم، ولذا لم يمن الله على الإنسان بأية نعمة سواها، فإن فى الإرسال صلاح الدين والدنيا والآخرة وإكمال البشر حسب قابلياتهم من أنفسهم

تذكير بنعمة أخرى، إذ كون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من جنس البشر-

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤١٤

[سورة آل عمران (٣): آية ١٦٥]

أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)

لا الملائكة والجن - تشریف لهم وإظهار لفضل هذا النوع، وحيث أن السياق حول مؤمن الأنس لا يستشكل بأن المؤمنين أعم من الجن وليس الرسول من أنفسهم يَتْلُوا الرسول عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ تِلَاوَةً، كما يتلو المعلم الدرس على التلميذ وَيُرِّكِيهِمْ يطهرهم من الأذناس الظاهرية بأوامر النظافة وما أشبه، والأقدار الخلقية والاعتقادية بإرشادهم إلى الحق والفضيلة وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ يفهمهم معانيه، وهو غير التلاوة وَالْحِكْمَةَ وهو علم الشريعة، أو مطلقاً، بمعنى أنه يعلمهم مواضع الأشياء خيرا وشرها فإن الحكمة كما قالوا: «وضع الشيء موضعه».

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الرُّسُولُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ أى انحراف واضح فى عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم، فعلى المؤمنين أن يضحوا فى سبيل هذه النعمة بكل غال ورخيص، فما فعلوا يوم أحد كان خلاف الشكر، وما ضحوا فيه لم يكن كثيرا مقابل هذه النعمة العظمى.

[١٦٦] أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ أَى هل أنتم بحيث لما أصابتكم مصيبة فى أحد والحال أنكم فى بدر قد أصبتم من الكفار مِثْلَيْهَا فإنه قتل منكم فى أحد سبعين، وقد أصبتم من الكفار مائة وأربعين إذ قتلتم منهم سبعين وأسرتهم منهم سبعين فى واقعه بدر قُتِلْتُمْ أَنَّى هَذَا أى من أى وجه أصابنا هذا ونحن مسلمون، وهذه الجملة «أو لما..» استنكارية أى كيف تستنكرون إصابتكم بأحد والحال أنكم قد أصبتم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤١٥

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٦٦ إلى ١٦٧]

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) فى بدر مثلى ما أصابكم، ثم أن هذه الإصابة كانت لضعف نفوسكم حيث أغراكم المال وأخليتكم أما كنكم فى الجبل قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ:

هُوَ أَى ما أصابكم مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ الجشعة إلى حب الغنيمه والمال إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقدر أن ينصركم على أعدائكم كما يقدر أن يخذلكم حين تتركون أوامره، و

فى بعض الأحاديث أنهم فى بدر خيروا بين أخذ الفدية من الأسرى على أن يقتل منهم فى العام القابل سبعون بعدد الأسرى، و بين أن يقتلوا الأسرى ولا يأخذون الفدية.

فطلبهم للمال أوجب اختيار الأول، وعلى هذا كان ما أصابهم فى أحد «من عند أنفسهم».

[١٦٧] وَ مَا أَصَابَكُمْ أَيها المسلمون يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ أى حين تلاقى المسلمون والكفار فى يوم أحد فَيَاذَنَ اللَّهُ أى بعلمه، أو بأنه لم يحل بين الكفار وبينكم حتى أصابوا منكم. وهذا كالإذن تكويننا، وقد أذن سبحانه لفائدة التمييز بين المؤمن والمنافق وَلِيَعْلَمَ أى يتحصّل علمه فى الخارج الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ جَاهَدُوا.

[١٦٨] وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا أَظْهَرُوا الإسلام وأبطنوا النفاق وهم ابن أبى سلول وجماعته حيث أنهم انخذلوا يوم أحد نحو من ثلاثمائة رجل قالوا: علام نقتل أنفسنا؟! وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ عمرو بن حزام الأنصارى قال لهم هذه المقالة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤١٦

[سورة آل عمران (3): آية 168]

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168)

أو اذفَعُوا عن حريمكم و أنفسكم فإن الكفار إذا غلبوا نكلوا بكم قالوا أى قال أولئك المنافقون فى جواب المؤمنين: لو نعلم قتالاً لاتبَعْنَاكُمْ فإن هذا الذى تخوضونه ليس بقتال إذ لو كان قتالاً لأخذتم برأينا فيه، أو تريدون إلقاء النفس فى التهلكة فليس هذا قتالاً يتكافأ فيه الجانبان، هم أى هؤلاء المنافقون للكفر يومئذ أقرب منهُم للإيمان فكلما عمل المنافق بالخلاف كان أقرب إلى الكفر و كلما عمل بالوفاق كان أقرب إلى الإيمان يُقولون بِأَفْوَاهِهِمْ ما لَيْسَ فى قُلُوبِهِمْ فأفواههم تنطق بالإيمان و قلوبهم تضم الكفر و العصيان و الله أعلم بما يكتُمون فى قلوبهم فيجازيهم حسب نفاقهم المضمّر.

أقول: الظاهر أن قوله: «و ليعلم» إلى آخره، ليس عطفًا على «بإذن الله» إذ يكون المعنى حينئذ أن الإصابة علة للتمييز، و الحال أن إعلان الجهاد كان علة ذلك، فقوله: «ليعلم» جملة مستأنفة، أى أن حرب أحد كانت لأجل التمييز بين المؤمن و المنافق، فى جملة فوائدها الأخرى.

[169] ثم ذكر سبحانه صفة أخرى للذين نافقوا بأنهم هم الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ أى قالوا حول إخوانهم الذين ذهبوا إلى ساحات الجهاد فقتلوا وَقَعَدُوا أى قعد هؤلاء المنافقون عن القتال لو أطاعونا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 417

[سورة آل عمران (3): الآيات 169 إلى 170]

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170)

فى تركهم الخروج ما قتلوا جملة «لو أطاعونا ما قتلوا» مقول قولهم. قُلْ لهم يا رسول الله: فادْرَأُوا أى ادفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى مقالكم أن البقاء فى البيت موجب لعدم موت الإنسان، فمن أين لكم أن من يبقى فى بيته لا يموت، فكم من الذين بقوا فى بيوتهم و ماتوا و كم خرجوا فى القتال و رجعوا سالمين؟! [170] و لو فرضنا أن الخارج إلى الجهاد قتل، فما يضره ذلك، فإن من استشهد فى سبيل الله لا تنتهى حياته بل يبقى حيا يرزق و لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا فكما أن هذه الحياة المادية ذات مراتب، فمرتبة منها كاملة فيمن كان سعيدا فرحا، و مرتبة منها ناقصة فيمن كان شقيا حزينا. كذلك من مات يكون على قسمين - بعد بقاء كليهما فى حياة من لون آخر - قسم يكون حيا هناك أى سعيدا فرحا، و قسم يكون ميتا هناك أى شقيا حزينا، فليس للآية الكريمة مفهوم أن غير المقتول لا حياة له هناك بل أحياء عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ حياة غير مادية بل حياة عند ربهم و لهم رزقهم فيها بكرة و عشيا.

[171] فى حال كونهم فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ من الحياة الباقية و السعادة و الخير و يَسْتَبْشِرُونَ أى يسرّ هؤلاء المقتولون فى

سبيل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 1، ص: 418

[سورة آل عمران (3): الآيات 171 إلى 172]

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلِهِ وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172)

الله بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ من المؤمنين الذين بقوا فى الحياة و بقوا من خَلْفِهِمْ و استبشارهم بهؤلاء من جهة أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ إذ الله سبحانه يتولى أمورهم و لا- هُمْ يَحْزَنُونَ بالنسبة إلى من خلفهم، فهؤلاء المقتولون جمعوا بين خيرين خير أنفسهم حيث تعموا بنعمة الله سبحانه و خير إخوانهم الذين من خلفهم حيث علموا بأنهم لا خوف عليهم، و ذلك بخلاف من بقى و لم يجاهد فإنهم جمعوا بين

شرين مشاكل حياة أنفسهم و مشاكل حياة إخوانهم، حيث لا يعلمون ماذا تكون عاقبة أمر أنفسهم و أمر إخوانهم.

[١٧٢] يَسْتَبْشِرُونَ أَي هَؤُلَاءِ الْمَقْتُولُونَ يَسْرُونَ وَ يَفْرَحُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ يَنْعَمُهَا عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ وَ فَضْلُ أَي الزَّيَادَةُ عَلَى قَدَرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ أَوْ عَلَى مَا يَتَرَقَّبُونَ وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ مِنْ عِلْمِهِ أَنْ حَقَّهُ وَ أَجْرَهُ مَضْمُونٌ فَرِحَ وَ اسْتَبْشَرَ، فَهَؤُلَاءِ يَرُونَ عَيَانًا أَنَّ حَقَّهُمْ مَحْفُوظٌ بِخِلَافِ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ دُونَ أَنْ يَرَاهُ.

و في تكرار المطلب زيادة تمكين المعنى في النفس، و مثله كثير في التحذيرات و الترغيبات المستقبلية و بالأخص إذا لم يشاهد الإنسان أمثاله بل كان غيبا محضا فإن في التكرار تركيز المطلب في النفس حتى تعمل تلقائيا كالذي شاهد و حضر.

[١٧٣] لما انصرف أبو سفيان و أصحابه من «أحد» و بلغوا «الروحاء» ندموا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤١٩

[سورة آل عمران (٣): آية ١٧٣]

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)

على انصرافهم عن المسلمين و تلاوموا فيما بينهم قائلين بعضهم لبعض: لا محمدا قتلتم و لا الكواعب أردفتهم، قتلتموهم حتى لم يبق منهم إلا الشريد و تركتموهم، فارجعوا فاستأصلوهم. فبلغ ذلك الخبر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فأراد إرهابهم فخرج صلى الله عليه و آله و سلم و معه من به جرح من أحد حتى بلغ «حمراء الأسد» و بلغ الخبر المشركين فخافوا خوفا شديدا و ولوا منهزمين.

و وجه اتصال الآية أنه سبحانه بعد ما بين أجر الشهداء و أنهم يستبشرون بالأحياء ذكر وصف الأحياء الذين يستبشرون بهم المقتولون أنهم أولئك الذين لم تزل لهم المحنة و لم تقعدهم الجراحات عن مواصلة الكفاح و لم يرهبهم تجمع الأعداء و إرجافهم بهذا التجمع و هم متخنون بهذه الجراحات الذين استجابوا لله و الرسول أطاعوهما في أمرهما، و قد ذكرنا سابقا أن ذكر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم للتشريف و أن بيان أمره أمر الله سبحانه و إلا فالأمر واحد من بعد ما أصابهم القرح أي نالتهم الجراحات يوم أحد للذين أحسبوا منهم بعد الاستجابة و اتقوا معاصي الله سبحانه أجر عظيم لأنهم أطاعوا في ثلاث دفعات حضورهم في أحد و استجابتهم ثانيا و إحسانهم و تقواهم ثالثا.

[١٧٤] ثم وصفهم سبحانه بوصف آخر أنهم هم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فقد قال الناس لأصحاب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بعد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢٠

[سورة آل عمران (٣): آية ١٧٤]

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)

رجوعهم من أحد: إن «الناس» و هم أبو سفيان و المشركون قد جمعوا لكم، أي جمعوا المشركين لأجل محاربتكم فآخشوهم أي خافوا منهم لأنهم إذا رجعوا إليكم و أنتم - أيها المسلمون - متخنون بالجراح من أحد لن يبقوا منكم باقية فزادهم تجمع الناس عليهم إيمانا فإن عند كل كارثة يتذكر المؤمن الله سبحانه فتقوى نفسه بمعونته و تشتد عزيمته بنصره و قالوا حَسْبُنَا اللَّهُ أَي كَافِينَا اللَّهُ يَكْفِينَا شَرَّ أَعْدَائِنَا وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ فإنه خير من جعله الإنسان و كيلا- لعلمه بمواقع النفع و الضرر و قدرته على جلب النفع و دفع الضرر عن الموكل.

[١٧٥] فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ أَي رَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، تَصَحَّبَهُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ وَ فَضْلُهُ لَمْ يَمَسْسِهِمْ سُوءٌ فَهُمْ بَعْدَ مَا خَرَجُوا فِي طَلَبِ أَبِي سَفْيَانَ، هَرَبَ أَبُو سَفْيَانَ فَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ وَ هُمُ مَرْهُوبُونَ الْجَانِبِ أَشْدَاءَ النَّفُوسِ وَ قَدْ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ بِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ فِي تَعَقُّبِ الْمَشْرِكِينَ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ أَمْرَهُ فَهُوَ يَسْعُدُهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ. رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ عَجِبْتُ لِمَنْ خَافَ كَيْفَ لَا يَفْزَعُ إِلَى قَوْلِهِ: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ

يقول بعقبها: «فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَمْ يَمَسْسُهُمْ سُوءٌ»

«١».

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢١

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٧٥ الى ١٧٦]

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥) وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوهُمُ اللَّهُ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦)

[١٧٦] إِنَّمَا ذَلِكُمْ «كم» للخطاب، و «ذا» إشارة إلى التخويف من الأعداء أى أن التخويف الذى صدر عن بعض الناس بالنسبة إلى المسلمين من عمل الشيطان فإنه الشيطان يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فإن المؤمنين لا يخافون و إنما أولياء الشيطان يخافون لأنهم بانقطاع صلتهم من الله سبحانه يخافون من كل شيء كما قال سبحانه فى وصف المنافقين: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ «١»، فلا تَخَافُوهُمْ أى لا تخافوا الناس الذين جمعوا لكم، أو لا- تخافوا الشيطان و أولياءه و خافوا من الله سبحانه بمعنى إطاعته و ترك عصيانه فإن فى ترك ذلك، النار و العقاب إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فإن الإيمان يوجب أن لا يخاف الإنسان إلا من الله سبحانه، و ليس المراد عدم الخوف مطلقاً فإنه قهراً للإنسان و إنما المراد ترتيب الأثر على الخوف.

[١٧٧] وَلَا يَحْزُنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ أَى يتسابقون فى أعمالهم الكافرة كأنهم فى سباق من كثرة نشاطهم إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوهُمُ اللَّهُ فَإِن دَعَوْتَكَ التى هى مرتبطة بالله سبحانه لا بد و أن تتجح و تتقدم و هذه المسارعات الكافرة لا تضرها، فقد نسب موقف الدعوة إلى الله سبحانه، إفادة لعلوها و قوة المدافع و المتولى لها شيئاً أصلاً لا صغيراً و لا كبيراً، بل إنهم يضررون بذلك أنفسهم فإن

(١) المنافقون: ٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢٢

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٧٧ الى ١٧٨]

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوهُمُ اللَّهُ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨)

إعطاء الله القدرة لهم فى أن يفعلوا ما يشاءون لأنه يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فى الْآخِرَةِ و إنما أراد ذلك لأنهم أعرضوا عن الحق كما أنك إذا أدت إلى عبدك مالا ليتاجر به، ثم ذهب يقامر به، و أمهلته فلم تضرب على يده تقول: أريد أن أبدى سوءته و أعاقبه بعقاب كبير و لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ بكفرهم و مسارعتهم و نشاطهم ضد الإسلام.

[١٧٨] إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا أَى بدلوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوهُمُ اللَّهُ بتبديلهم الكفر بالإيمان شيئاً أى شيء أبداً و لَهُمْ أى للذين بدلوا الكفر بالإيمان عَذَابٌ أَلِيمٌ بما بدلوا.

[١٧٩] وَلَا يَحْسَبَنَّ أَى لا- يظن الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمُ الإمهال، أى أن إطالنا لأعمارهم و إمهالنا إياهم و توفير المال و الجاه لهم ليس خيراً لهم فإن الخير هو الذى لا- يسبب شراً و عقاباً أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ نطيل أعمارهم و نعطيهم ما نعطيهم لِيَزْدَادُوا إِثْمًا و معصية، فإنهم بإعراضهم عن الحق و خبت بواطنهم استحقوا العقاب و العذاب لكن حيث لا عقاب على الخبت الباطنى فقط كان الإمهال مظهراً لذلك الخبت، فبقاؤهم موجب لزيادة عقوبتهم و لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ يهينهم علاوة على ألمه و كربه و ربما

يقال: إن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢٣

[سورة آل عمران (٣): آية ١٧٩]

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمُّوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)

«اللام» في قوله «ليزدادوا» لام العاقبة كقوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا «١».

[١٨٠] ثم يرتد السياق إلى قصة أحد حيث انكشف هناك المؤمن الذي تبع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الحرب من المنافق الذي تخلف عن الجهاد كعبد الله ابن أبي سلول بمن تخلف معه ما كان الله أى ليس من سنته سبحانه أن لا يمتحن لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ أى يدعهم و يتركهم على ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ من ظاهر الإيمان الذى يتساوى فيه المؤمن و المنافق حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ لكى يظهر ما يضمه كل فريق. و فى بعض التفاسير: أن المشركين قالوا لأبى طالب: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا و من يكفر؟ فإن وجدنا خبره صادقاً آمنا به. فنزلت الآية. «٢» و على هذا فمعنى «على ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ» أى حالكم قبل الإيمان، فلا يترك سبحانه المؤمن على كفره بين سائر الكفار و ما كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ حتى تعلموا أن هذا مؤمن و هذا منافق، بدون الاختبار الخارجى المظهر للضمائر و لَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي أى يختار لاطلاعه على الغيب من رُسُلِهِ و أنبيائه مَنْ يَشَاءُ و هذا كقوله

(١) القصص: ٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٥٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢٤

[سورة آل عمران (٣): آية ١٨٠]

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)

تعالى: فَلَا يُظْهِرُهُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا\* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ «١» و لا ينافى ذلك اطلاع بعض الملائكة و الأئمة و بعض المؤمنين على بعض المغيبات إذ الملائكة خارج عن المستثنى منه و الباقيون إما بتعليم النبى أو بإلهام منه سبحانه و عدم استثنائه لندرته خارجاً، و القضايا الطبيعية- كما نحن فيه- لا تنافىها النوادر.

و حيث عرفتم قيمة الإيمان فَأَمُّوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ إيماناً حقيقياً لا يشوبه نفاق و خبث ضمير و إِنَّ تُؤْمِنُوا إيماناً صادقاً وَتَتَّقُوا المعاصى و تعملوا الصالحات فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ يبقى إلى الأبد فى جنه عرضها السماوات و الأرض و رضوان من الله.

[١٨١] و حيث تقدم الكلام حول الجهاد و التضحية عقبه سبحانه بذكر المال فهما يذكران غالباً مقترنين إذ الجهاد يحتاج إلى بذل المال و الدين إنما يقام ببذل النفس و بذل المال معاً، فقال سبحانه: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أى أعطاهم سبحانه فضلاً و إحساناً فإن المال و إن اجتهد الإنسان و كد فى جمعه إنما هو فضل من الله سبحانه لأنه من خلقه و صنعه فالنقدان مثلاً- معدنان مخلوقان له و سائر الأموال من نبات الأرض و ما أشبه كله له، هذا بالإضافة إلى أن أجهزة الإنسان التى بها يتمكن من كسب المال كلها منه سبحانه. و المراد بالبخل هنا هو الحرام منه مما يجب إعطاؤه فيمنع

(١) الجن: ٢٧-٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢٥

هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ حَيْثُ يَزْعَمُونَ أَنَّ الْبَخْلَ يُوْفِرُ عَلَيْهِمُ الْمَالَ فَيَبْقَى عِنْدَهُمْ وَلَا يَخْرُجُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَ «خيرا» مفعول «يحسبن» بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ إِنْ ذَلِكَ الْبَخْلُ شَرٌّ لَهُمْ يَعُودُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرِّ حَيْثُ أَنْ ذَلِكَ مُوجِبٌ لِسُوءِ السَّمْعَةِ الَّتِي بَدَوْرُهُ يُوْجِبُ عَدَمَ التَّمَكُّنِ مِنْ اِكْتِسَابِ الْمَزِيدِ مِنَ الْمَالِ وَيُوْجِبُ ذَهَابَ الْكَائِنِ مِنْهُ بِمُصَادِرَاتِ الْحُكَّامِ وَ ثَوْرَاتِ الْفُقَرَاءِ، وَ الْأَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ أَىْ يَجْعَلُ الْمَالَ الَّتِي بَخَلُوا بِهِ طَوْقًا فِي أَعْنَاقِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ هَذَا كُنْيَةٌ عَنْ لُزُومِ تَبَعَةِ الْمَالِ، كَمَا يَقَالُ: الْمَرْءُ طَوْقٌ فِي عُنُقِ الْإِنْسَانِ، وَ الدِّينِ طَوْقٌ فِي عُنُقِ الْمَدِينِ، وَ هَكَذَا، وَ فِي الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ الْأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُ «مَا مِنْ أَحَدٍ يَمْنَعُ مِنْ زَكَاةٍ مَالَهُ شَيْئًا إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَعْبَانًا مِنْ نَارٍ مَطْوُوقًا فِي عُنُقِهِ يَنْهَشُ مِنْ لَحْمِهِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الْحِسَابِ» (١) وَ فِي بَعْضِهَا تَفْسِيرُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِذَلِكَ.

ثم ما بال هؤلاء يبخلون؟ فإنه لا يبقى المال عندهم إلى الأبد، بل يذهبون و يذرون المال و لله ميراث السماوات و الأرض فكل من يموت فيهما و يخلف شيئا فلا- بد و أن يرثه الله سبحانه حيث تبقى الأموال له و حده بعد فناء الجميع فما بخل به عنه سبحانه و لم يصرف في سبيله لا بد و أن يرجع إليه، و ليس للبخل إلا الإثم

(١) الكافي: ج ٣ ص ٥٠٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢٦

[سورة آل عمران (٣): آية ١٨١]

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَ قَتَلَهُمُ الْآنبيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ يَعْلَمُهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ فَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا جَزَاءً حَسَنًا.

[١٨٢] و قد كان من بخلاء اليهود من لا- ينفق مما آتاه الله، ثم يزيد على ذلك فيقول: إن الله فقير لأنه يستقرض - تعريضا بقوله سبحانه: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ «١»- و أنا غني لما لدى من الأموال لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير و نحن أغنياء و يكفيه تهديدا أن الله سمع قوله فلينتظر الجزاء العادل و العقاب الأليم سنكتب ما قالوا حتى يكون كتابا مسجلا عليهم لا مجال لإنكاره يوم يعطى كل امرئ كتابه، و قد كان منطبق اليهود منحرفا إلى أبعد الحدود، و كيف يكون الله سبحانه فقيرا و هو الذي يملك كل شيء حتى روح هذا القائل؟! و إنما استقرضه امتحان و طلبه المال ابتلاء و اختبار، و كيف يكون هو غنيا و الحال أنه لا يملك روحه فكيف بماله؟! و سنكتب قتلهم أي قتل هؤلاء اليهود الأنبياء بغير حق و إنما عيرهم الله سبحانه مع أن آباءهم هم الذين فعلوا، لرضاهم بذلك أولا- و لبيان أن هؤلاء خلفا عن سلف مجرمون فلا عجب أن يقول الخلف كفرا بعد ما عمل السلف أفضح من ذلك ثانيا، و دخول «السين» في سنكتب، لعله لبيان أن الكتابة لا- تثبت إلا بعد أن يموتوا غير مؤمنين بمحمد صلى الله عليه و آلِهِ وَ سَلَّمَ و إلا فالكتابة لا تضر إذا محيت

(١) البقرة: ٢٤٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢٧

[سورة آل عمران (٣): آية ١٨٢]

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)

بالإيمان، و هذا يصح بالنسبة إلى قولهم، أما بالنسبة إلى قتل أسلافهم، و قد كتب قتلهم، فلأن كتابة ذلك عائد على الأخلاف إذا بقوا على الكفر، و لعل العطف على المعنى أي «و كتبنا قتلهم الأنبياء» من قبيل «نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض» و قوله: «علفته بنا

و ماء باردا».

وَنَقُولُ حِينَ عِقَابِهِمْ فِي الْآخِرَةِ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ الَّذِي يَحْرِقُ أَجْسَادَكُمْ بِفَعْلِكُمْ وَقَوْلِكُمْ.

[١٨٣] ذَلِكَ الْعَذَابُ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ، وَإِنَّمَا عُبِّرَ بِتَقْدِيمِ الْأَيْدِي لِأَنَّ الْإِنْسَانَ غَالِبًا يَقْدَمُ الْأَشْيَاءَ بِيَدِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ لِلْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ فَأَتَمَّ عِبِيدَهُ خَالَفْتُمْ أَوَامِرَهُ فَاسْتَحَقَقْتُمْ هَذَا الْعِقَابَ، وَ «ظَلَامٌ» لَيْسَتْ لَفْظَةً مَبَالِغَةً عَلَى غَرَارِ «عَلَامٌ» وَإِنَّمَا لِلنَّسْبَةِ نَحْوُ «تَمَارٌ» بِمَعْنَى ذِي تَمَرٍ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ:

و مع فاعل و فعال فعل في نسب أغنى عن اليا فقبل

و لعل اختيار هذه الكلمة لردّ التوهّم و هو أن الإحراق بالنار إنما يصدر من إنسان كثير الظلم، فيكون الإتيان به للمجانسة اللفظية كقوله:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخةً قلت اطبخوا لي جبةً و قميصاً

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢٨

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٨٣ الى ١٨٤]

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلاَءَ نُوْمِنَ لِرَسُوْلٍ حَتّٰى يَأْتِيَنَا بِقُرْبٰنٍ تَأْكُلُهٗ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنٰتِ وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ (١٨٣) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاؤُ بِالْبَيِّنٰتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤)

[١٨٤] إِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ، وَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَنْبِيَاءَهُمْ، هُمُ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِحُجَّةٍ مَّكَذُوبَةٍ، فَقَدِ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ إِنْ اللَّهُ عٰهَدَ إِلَيْنَا فِي التَّوْرَةِ أَنْ لَا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتّٰى يَأْتِيَنَا بِقُرْبٰنٍ تَأْكُلُهٗ النَّارُ، فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَكَ إِلَيْنَا فَجَنَّا بِالْقُرْبٰنِ حَتّٰى نَصَدِّقَكَ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي قَالُوا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ «الَّذِينَ» فِي مَوْضِعِ الْجَرِّ عَطْفًا عَلَى «الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ»: إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا أَمْرًا وَ وَضَانًا فِي الْكُتُبِ الْمُنزَلَةِ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ بَأَنَّ لَا نَصَدِّقُ بِنُبُوْتِهِ حَتّٰى يَأْتِيَنَا بِقُرْبٰنٍ أَى مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ تَأْكُلُهٗ النَّارُ تَأْتِي نَارٌ مِنَ الْغَيْبِ فَتَحْرِقُهُ، وَ قَدْ كَانَ ذَلِكَ عَلَامَةً لِّصَدَقِ نُبُوَّةِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي جَوَابِهِمْ: قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنٰتِ الْأَدْلَةَ الْوَاضِحَةَ وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ مِنَ الْقُرْبٰنِ الَّذِي أَكَلْتَهُ النَّارُ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ قَتَلُوا ذَكَرِيًّا وَ يَحْيَى وَ غَيْرَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْكُمْ تُؤْمِنُونَ بِالرَّسُولِ إِذَا جَاءَكُمْ بِقُرْبٰنٍ تَأْكُلُهٗ النَّارُ؟ وَإِنَّمَا يَنْسَبُ فَعْلُ الْأَسْلَافِ إِلَى الْأَخْلَافِ لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ فِيهِمْ وَاحِدَةٌ وَ الْإِتْجَاهُ وَاحِدٌ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنْ مَعَاصِرِي الرَّسُولِ لَمْ يَكُونُوا يَظْهَرُونَ الرِّضَا بِفَعْلِ أَسْلَافِهِمْ فِي قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ.

[١٨٥] فَإِنَّ كَذَّبُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِرِسَالَتِكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَلَسْتَ بِدَعَا فِي ذَلِكَ وَ لَا يَضِيقُ صَدْرَكَ بِتَكْذِيبِهِمْ، فَإِنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢٩

[سورة آل عمران (٣): آية ١٨٥]

كُلُّ نَفْسٍ ذٰئِقَةٌ الْمَوْتِ وَ إِنَّمَا تُؤَفَّفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَ مَا الْحَيٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ (١٨٥)

الناس قد كذبوا رسلا قبلك و الحال أنهم جاؤُ بِالْبَيِّنٰتِ الْأَدْلَةَ الْوَاضِحَةَ وَ الزُّبُرِ أَى الصَّحَفِ الَّتِي فِيهَا الْأَحْكَامُ وَ الشَّرَائِعُ وَ الْكِتَابِ الْمُنِيرِ وَ هُوَ الْكِتَابُ الْجَامِعُ لِلْأَحْكَامِ. وَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الزُّبُرَ صَحَافٌ مَّتَفَرِّقَةٌ فِيهَا أَحْكَامٌ مَّتَشْتَتَةٌ بِخِلَافِ الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ الْجَامِعُ الْمَتَسَلْسَلُ، كَمَا أَنَّهُ نَزَلَ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ الْأَحَادِيثَ الْقُدْسِيَّةَ وَ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ..

و هنا سؤال هو: إِنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَمْ يَأْتِ بِقُرْبٰنٍ تَأْكُلُهٗ النَّارُ؟ وَ الْجَوَابُ:

إِنَّهُمْ سَأَلُوا ذَلِكَ تَعْتَنَّا لَا- اسْتَرشَادًا، وَ إِذَا فَقَدَ كَانَ يَكْفِيهِمْ سَائِرُ الْأَدْلَةِ، وَ لَيْسَ شَأْنُ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَفْعَلُوا فَوْقَ الْإِلَازِمِ مِنَ الْمَعْجَزَةِ لِكُلِّ



متعنت و مجادل، و هذا هو السر في رد كثير ممن سأل المعجزة.

[١٨٦] إن عدم الجهاد لخوف الموت، و عدم الإيمان لخوف ذهاب الرئاسة، و عدم الإنفاق لخوف الفقر، مما له عاقبة سيئة هي النار، فكل إنسان يموت و تذهب حياته و رئاسته و ماله، فما أجدد أن يفعل ما يسبب له حسن العاقبة كل نفس ذائقة الموت تذوقه و تلاقيه و إنما توفون أيها الناس أجوركم الحسنه أو السيئه يوم القيامة فهنا عمل و لا حساب و غدا حساب و جزاء بلا عمل فمن زخزح عن النار أي بوعد عنها و أدخل الجنة فقد فاز لأنه سرور و راحة لا انقطاع لهما و لا تكدر فيها و ما الحياة الدنيا بلذاتها و شهواتها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣٠

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٨٦ الى ١٨٧]

لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَتَشْتَمِعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦) وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧)

إلا متاع العزور تسبب غرور الإنسان و غفلته عن الخير الدائم الباقي. فمن الجدير بالإنسان أن يحصل بحياته و رئاسته و ماله تلك الدار الباقية لا أن يغتر بالدنيا و يعصى الله سبحانه حتى يدخل النار.

[١٨٧] إن الدنيا دار محنة و ابتلاء لا دار راحة و سعادة فاعلموا أيها المسلمون لتبليون أي تقع عليكم المحن و البلايا بكل تأكيد في أموالكم بذهابها و نقصانها و وجوب الإنفاق منها و في أنفسكم بالأمراض و الشدائد و القتل في الجهاد و نحوه و تشتتكم من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اليهود و النصارى و المجوس و من الذين أشركوا من سائر أقسام الكفار أذى كثيراً سباً و شتماً و تهمةً و وقيةً و استهزاءً و إن تصبروا في البلايا و الأذى و تتقوا فلا تحملنكم البلية و الأذى على الابتعاد عن الدين و عمل المحرم فإن ذلك الصبر و التقوى من عزم الأمور أي الأمور التي يجب العزم عليها و المضى فيها. و في الكلام مجاز إذ نسب العزم الذي هو للإنسان إلى الأمر، مثل نسبة الإصرار إلى الأمر في قولك: «أصرت الأمر علي» لبيان أن الأمر قد صار عزمًا، من شدة لزومه، و فرض وجوبه.

[١٨٨] ثم يأتي السياق إلى ذكر صفة أخرى من أهل الكتاب مناسبة للمقام

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣١

[سورة آل عمران (٣): آية ١٨٨]

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَ يَجْحَبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)

حيث أنهم يعلمون رسالة الرسول و هي موجودة في كتبهم، لكنهم بدل أن يؤمنوا و يظهروا ذلك للناس يصرون على الجدل و العناد و يخفون الكتاب على الناس و اذكر يا رسول الله إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب أخذ عهدهم الأكيد بواسطة الأنبياء عليهم السلام لتبيننهم للناس أي تبيينون الكتاب الذي فيه الأحكام و البشارة برسالة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و لا تكتمونه أي لا تخفونه فتبدوه أي طرحوا الميثاق وراء ظهورهم كناية عن إهمالهم له و عدم اعتنائهم به كما أن الذي يريد إهمال متاع يلقه وراء ظهره و اشتروا به تمناً قليلاً أي بدلوا بأحكام الكتاب رئاسة قليلة في الدنيا و أموالاً قليلة كانوا يتفاضونها من سائر اليهود فبئس ما يشترون من الثمن حيث يستحقون بذلك العذاب الدائم.

[١٨٩] و من الناس من لا يدخل في عمل الخير مع العاملين، فإذا خسر العاملون ما أرادوا و صفوا أنفسهم بالحصانة و التعقل، و إذا ربحوا جعلوا أنفسهم من المؤيدين لهم، و توقعوا أن يشنى عليهم ثناء العاملين، إن أمثال هؤلاء الذين لا يشتركون فيما يجب الاشتراك فيه، لا بد و أن ينالهم العذاب لتركهم الواجب، و غالباً يكونون من المنافقين، و من الذين يقعدون عن الجهاد، و عن واجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و لهؤلاء ميزة أخرى و هي أنهم يفرحون بما يأتون من الأعمال حقا كان أو باطلاً، بخلاف المؤمنين الذين إذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣٢

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٨٩ إلى ١٩٠]

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)

عصوا استغفروا، وإذا أحسنوا خافوا، كما قال سبحانه: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ «١».

لا تَحْسَبَنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِينَ يُفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا مِنَ الْأَعْمَالِ صَالِحَةً كَانَتْ أَوْ طَالِحَةً وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا أَى يَحْمَدُهُمُ النَّاسُ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ فَلَا تَحْسَبَنَّ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْفَوْزِ، أَى النِّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ فَإِنَّهُمْ يَعَذِّبُونَ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ لِهَذِهِ الْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مُؤَلَّمٌ. وَ هَذِهِ الْآيَةُ كَمَا تَرَاهَا عَامَةً، فَتَفْسِيرُهَا بِالْمُنَافِقِ أَوْ نَحْوِهِ مِنْ بَابِ ذِكْرِ الْمَصْدَقِ.

[١٩٠] أَيْنَ الْمَفْرُوعُ لِهَؤُلَاءِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ الْفِرَارَ مِنْ حُكْمَتِهِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَلَا يَفُوتُهُ مَا يَرِيدُ وَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

[١٩١] وَ هُنَا يَنْتَهَى السِّيَاقُ بِأَدْلَةِ الْإِيمَانِ وَ أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنَّ أَعْمَالَ الْكَافِرِينَ فِي انْهِيَارٍ، مَنَاسِبَةٌ لِلْجَوْ الْعَامِ مِنَ السُّورَةِ الَّتِي كَانَ فِي الْإِيمَانِ وَ الْعَقِيدَةِ وَ أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْكَافِرِينَ، وَ مَرْتَبَةٌ بِالْآيَةِ السَّابِقَةِ

(١) المؤمنون: ٦١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣٣

[سورة آل عمران (٣): آية ١٩١]

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)

«وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ» إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَى فِي إِيجَادِهِمَا بِمَا تَشْتَمِلَانِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَجَائِبِ وَ مُخْتَلَفِ صُنُوفِ الْخَلْقِ وَ الْإِبْدَاعِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ تَعَاقُبُهُمَا وَ مَجِيءِ أَحَدِهِمَا خَلْفَ الْآخَرِ بِكُلِّ إِتْقَانٍ وَ انْتِظَامٍ لآيَاتٍ دَلَالَاتٍ وَ بَرَاهِينٍ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ صِفَاتِهِ لِأُولِي الْأَلْبَابِ أَى أَصْحَابِ الْعُقُولِ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ نَظَرَ إِلَى الْأَثَرِ لَا يَدْرِي أَنَّ يَعْقِلُ وَجُودَ الْمُؤَثَّرِ وَ كَلِمَا كَانَ الْأَثَرُ أَتَقَنَ وَ أَجْمَلَ دَلَّ عَلَى كَمَالِ عِلْمِ الْمُؤَثَّرِ وَ قُدْرَتِهِ وَ إِرَادَتِهِ وَ غَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْجَمَالِيَّةِ.

[١٩٢] ثُمَّ بَيْنَ صِفَاتِ أُولَى الْأَلْبَابِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ذِكْرًا بِالْقَلْبِ، أَى تَذَكُّرًا لَهُ سُبْحَانَهُ قِيَامًا فِي حَالِ الْقِيَامِ وَ قُعُودًا فِي حَالِ الْقُعُودِ وَ عَلَى جُنُوبِهِمْ فِي حَالِ الْاضْطِجَاعِ، يَعْنِي أَنَّهُمْ دَائِمًا فِي التَّفَكُّرِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ ذَكَرَهُ سِوَا مَا كَانُوا قَائِمِينَ أَوْ قَاعِدِينَ أَوْ مُضْطَجِعِينَ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كَيْفَ خَلَقْتَا بِهَذَا النُّحُوِّ الْمُتَقَنِّ الْمُدْهَشِ، وَ كَيْفَ جَرَيْتَا، وَ كَيْفَ كَانْتَا، وَ كَيْفَ سَتَكُونَانِ، وَ فِي حَالِ التَّفَكُّرِ وَ الدَّهْشَةِ لِسَانَ حَالِ هَؤُلَاءِ يَقُولُ: رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا الْكُونَ، وَ الْخَلْقَ بَاطِلًا عَبَثًا وَ لُغْوًا، بَلَا غَايَةَ وَ مَقْصُودَ سُبْحَانَكَ أَى أَنْتَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْبَاطِلِ وَ اللَّغْوِ، وَ هُوَ مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مُقَدَّرٍ، أَى نَسْبِحُكَ سُبْحَانَكَ فَقِنَا أَى احْفَظْنَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣٤

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٩٢ إلى ١٩٤]

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَمَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَ تَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَ لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْإِمْعَادَ (١٩٤)

و لعل دخول الفاء في «فقنا» لبيان أنهم يطلبون جزاء تصديقهم و إيمانهم و تفكرهم.

[١٩٣] و يقولون أيضا: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ فَضَحْتَهُ وَأَهْلَكَتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا بِالْكَفْرِ أَوْ الْعِصْيَانِ مِنْ أَنْصَارٍ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ.

[١٩٤] رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ هُوَ الرُّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَكُلٌّ مِنَ النَّاسِ لِلْإِيمَانِ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ، فَإِنْ أَوْلَى الْأَلْبَابِ يَعْتَرِفُونَ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ بِأَنَّهُمْ اسْتَجَابُوا لِمُنَادِيِ الْإِيمَانِ وَ لَمْ يَلُودُوا عَنْ نِدَاءِ الْحَقِّ فَقَدْ سَمِعُوا الْمُنَادِيَّ يُنَادِي: أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ لَا تَكْفُرُوا وَ لَا تَشْرِكُوا فَآمَنَّا بِكَ يَا سَيِّدَنَا رَبَّنَا فَاعْفُزْ لَنَا ذُنُوبَنَا الَّتِي صَدَرَتْ مِنَّا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَ رَبِّمَا يُقَالُ أَنَّ الْفَرْقَ أَنَّ الذُّنُوبَ هِيَ الْكِبَائِرُ لِأَنَّهَا ذَاتُ أَذْنَابٍ وَ تَبَعَاتٍ، وَ السَّيِّئَاتُ هِيَ الصَّغَائِرُ لِأَنَّهَا تَسِيءُ إِلَى الْإِنْسَانِ وَ إِنْ لَمْ تَكُنْ ذَاتَ تَبَعَةٍ لِأَنَّهَا مَكْفَرَةٌ لِمَنْ اجْتَنَبَ عَنِ الْكِبَائِرِ، وَ هُنَاكَ فِي الْفَرْقِ أَقْوَالٌ أُخْرَى، وَ لَعَلَّ التَّكْرَارَ لِلتَّكْيِيدِ إِظْهَارًا لِكَمَالِ الْخَوْفِ مِنَ الذُّنُوبِ وَ تَوَفَّنَا أَيَّ اقْبِضْنَا إِلَيْكَ عِنْدَ مَوْتِنَا مَعَ الْأَبْرَارِ فِي جَمَلَتِهِمْ، وَ الْأَبْرَارُ جَمْعُ «بَرٍّ» وَ هُوَ الَّذِي يَبْرُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ إِيَّاهُ.

[١٩٥] رَبَّنَا وَ آتِنَا أَيَّ اعْطَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا مِنَ الْخَيْرِ وَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣٥

[سورة آل عمران (٣): آية ١٩٥]

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي وَ قَاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)

على لسان رُسُلِكَ وَ أنبيائك وَ لَا تُخْزِنَا أَيَّ لَا تَفْضَحْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ الَّذِي وَعَدْتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَ خَيْرِ الْآخِرَةِ.

[١٩٦] فَاسْتَجَابَ لَهُمْ أَيَّ لِهَوْلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ دَعَا بِالْأَدْعِيَةِ السَّابِقَةِ رَبُّهُمْ أَيَّ لُبِّي دَعْوَتِهِمْ وَ قَبْلَ كَلَامِهِمْ، قَائِلًا: أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ أَيَّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى فَكُلُّ مُؤْمِنٍ مَحْفُوظٌ عَمَلُهُ لِيُعْطَى جِزَاءَهُ بَعْضُكُمْ أَيَّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ بَعْضٍ فَكُلُّكُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فِي نَصْرَةِ بَعْضِكُمْ وَ لَسْتُمْ كَالْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَيْسَ بَعْضُهُمْ يَبِينُ بَعْضًا فَلِكُلِّ فِتْنَةٍ مِنْهُمْ لَوْنٌ وَ صِبْغَةٌ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ أَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ مَكَّةَ. وَ الْآيَةُ عَامَةٌ لِكُلِّ مُهَاجِرٍ عَنْ دِيَارِهِ، وَ مَخْرَجٌ مِنْ بِلَادِهِ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي لِأَنَّهُمْ آمَنُوا وَ أَطَاعُوا وَ قَاتَلُوا لِأَجْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ قَاتَلُوا قَتْلَهُمُ الْكُفْرَانَ أَيَّ أَمْحَوْا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ فَلَا آخِذَهُمْ بِهَا وَ لَمَّا دُخِلَتْهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَيَّ تَحْتَ نَخِيلِهَا وَ قُصُورِهَا- كَمَا تَقَدَّمَ- ثَوَابًا أَيَّ جِزَاءَ لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَ مَشَاقِقِهِمْ فِي سَبِيلِهِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣٦

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٩٦ إلى ١٩٨]

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ أَيَّ الْجِزَاءِ الْحَسَنِ، وَ لَيْسَ كَعِيره مِمَّنْ لَا يَقْدِرُ وَ لَا يَمْلِكُ الثَّوَابِ الْحَسَنَ.

[١٩٧] وَ هُنَا يَتَأَمَّلُ الْإِنْسَانُ كَيْفَ يَكُونُ الْكُفْرَانُ فِي هَذِهِ النِّعْمَةِ وَ الرَّاحَةِ وَ السِّيَاحَةِ وَ الْأَسْفَارِ وَ الثَّمَارِ، وَ الْمُسْلِمُونَ مُضْطَهَدِينَ يَخْرُجُونَ مِنْ بِلَادِهِمْ وَ يُؤَذُونَ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ نَاصِرُهُمْ وَ ظَهِيرُهُمْ؟ وَ يَأْتِي الْجَوَابُ: لَا يَغُرَّنَّكَ وَ أَصْلُ الْغُرُورِ إِيهَامُ حَالِ السَّرُورِ فِيمَا الْأَمْرُ بِخِلَافِهِ، فَالْمَعْنَى لَا يُوهِمَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّ الْكُفْرَانَ فِي سُرُورٍ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ فَإِنَّ تَقْلِبَهُمْ لَا يَعُودُ إِلَيْهِمْ بِنَفْعٍ.

[١٩٨] فَإِنَّ ذَلِكَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ أَيَّ يَتَمَتَّعُونَ بِذَلِكَ فِي زَمَانٍ قَلِيلٍ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ مُصِيرُهُمْ جَهَنَّمُ وَ بئْسَ الْمِهَادُ أَيَّ سَاءَ ذَلِكَ الْمَسْتَقَرُّ لَهُمْ.

[١٩٩] لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بِأَنَّ آمَنُوا وَ أَطَاعُوا فَإِنَّهُمْ وَ إِنْ كَانُوا فِي أَذْيَةٍ وَ ضَغْطٍ فَعَلَا لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ الْجَارِيَةُ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا مَتَاعَ لِقَلِيلٍ كَمَتَاعِ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ النَّزْلُ مَا يَعِدُّ لِلضَّيْفِ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْبِرِّ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْكَرَامَةِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ مِنْ تَقَلُّبِ الْكُفَّارِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣٧

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٩٩ إلى ٢٠٠]

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)

[٢٠٠] ثم يرجع السياق إلى أهل الكتاب الذين تقدم أنهم يكفرون ويمكرون وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله يصدق بوحدانيته ويعترف بما يعترف به المؤمنون وب ما أنزل إليكم من القرآن الحكيم وب ما أنزل إليهم بخلاف سائر أهل الكتاب الذين لا يؤمنون بما أنزل إليهم إذ أنهم يحلون ويحرمون ويخالفون كتابهم في أحكامه، في حال كونهم خاشعين لله سبحانه فيما أمر ونهى لا يشترون بآيات الله أي بمقابل آيات الله ودلائله وبراهينه ثمنًا قليلًا كما كان يفعل ذلك رؤسائهم الذين كانوا يرتشون ويخفون الكتاب لئلا تزول رئاستهم أولئك الذين لهم هذه الصفات الخيرة من أهل الكتاب لهم أجرهم عند ربهم يجازيهم بما فعلوا من الخيرات وآمنوا وصدقوا إن الله سريع الحساب فليس أجرهم بعيدا عنهم فإن أمد الدنيا ولو طال قليل كما قال الشاعر:

ألا إنما الدنيا كمنزل راكب أناخ عشيا وهو في الصبح يرحل

[٢٠١] وأخيرا يتوجه الخطاب للمؤمنين وتنتهي السورة بهذه العظة البليغة يا أيها الذين آمنوا اصبروا على الإيمان والمكاره وصابروا أي غالبوا في الصبر، ولعل المراد مصابرة الأعداء فكلما صبر الكفار زاد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣٨

المؤمنون صبرا على صبر أولئك حتى يغلبوا ويأخذوا المعركة و رابطوا وهو المرابطة في ثغور المسلمين للتطلع على أحوال الكفار و اتقوا الله في أعمالكم فلا تأتوا بالمعاصي لعلكم تفلحون أي كى تفوزوا وتنجحوا في الدنيا والآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣٩

#### ٤ سورة النساء مدنية / آياتها (١٧٧)

نزلت كلها في المدينة على المشهور و سميت بهذا الاسم، لأنها بينت كثيرا من حقوق النساء في الشريعة الإسلامية.

[سورة النساء (٤): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تقدم تفسيرها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٤٠

[سورة النساء (٤): آية ٢]

وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢)

[٢] يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ يَا طَاعَةَ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَهَذِهِ الْفَاتِحَةُ تَلَاثُ خَاتَمَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هِيَ نَفْسُ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ خَلَقَ مِنْهَا أَيَّ مِنْ تِلْكَ النَّفْسِ، إِمَّا بِالْخَلْقِ مِنْ فَضْلِهِ طِينَتِهِ، أَوْ الْمَرَادِ مِنْ جِنْسِ تِلْكَ النَّفْسِ زَوْجَهَا وَ هِيَ حَوَاءٌ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَإِنَّ هَذَا الْإِلَهَ الْخَالِقَ الْقَادِرَ حَقِيقَ التَّقْوَى، وَ لَا يَخْفَى أَنْ ذَلِكَ لَا يَنَافِي خَلْقَ

زوجتين جديدتين لهاييل وقايل حتى نشأ منهما أبناء عمّ - كما عن الأئمة عليهم السّلام - إذ الكلام في ابتداء الخلقه وَبَثَّ أى نشر و فرق مِنْهُمَا أى من هاتين النفسين رجلاً كثيراً وَ نِسَاءً و هذا أيضاً لا ينافى إذ أصل البث منهما، و لعل عدم ذكر لفظه «كثير» هنا لمعلومية ذلك، أو للتفنن في العبارة و الذى هو من أساليب البلاغة وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ أى يسأل بعضكم بعضا بسببه فتقولون: أسألك بالله إلّا ما فعلت كذا، و صنعت كذا وَ الْأَرْحَامَ أى اتقوا الأرحام، و تقوى الله عدم مخالفته، و تقوى الأرحام عدم قطعها، و هذا مناسب لما سبق من خلقهم جميعا من نفس واحدة، فهم متشابكون من أسرة واحدة، فلا ينبغي لبعضكم أن يقطع بعضا إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا يَرْقُبُ أَعْمَالَكُمْ و أقوالكم و نياتكم، فلا تفعلوا ما يوجب سخطه و عذابه و عقابه.

[٣] وَ اتُّوُا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ أى أعطوا اليتامى الذين فقدوا آباءهم أو أمهاتهم و ورثوا منهم أموالهم التى بأيديكم أيها الأوصياء، أو كل من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٤١

[سورة النساء (٤): آية ٣]

وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِمُوا فِي الْيَتَامَى فَمَا نَكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (٣)

كان مالهم بيده، و المراد عدم أكل أموالهم، و «الإتيان» في حال صغرهم الصرف عليهم، و في حال كبرهم إعطاؤهم إياها و لا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ أى لا تعطوهم الرديء في مقابل الجيد كأن تأخذوا أراضيمهم الجيدة و تعطوهم أراضى رديئة و هكذا و لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ أى بضمها إلى أموالكم بأن تخلطوا بعضها مع بعض و تأكلوها جميعا إنَّه أى أن كل واحد من التبديل و الأكل كَانَ حُوبًا أى إثما كبيراً.

[٤] و قد كانت تحت وصاية الرجل يتيمة فيأخذها طمعا في مالها، فنهى الله عن ذلك بقوله: وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِمُوا أى لا تعدلوا في اليتامى أى لا تعملوا بالعدل في زواجهن فتظلموهن - يابقائها معلقة - تريدون بذلك أكل أموالهم بحجة الزواج فأنكحوا غيرهن من ما طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ فَإِنَّ الْيَتِيمَةَ لَعَدَمِ كَفِيلٍ لَهَا مَعْرُضَةٌ لِلظُّلْمِ وَ الْحَيْفِ أَمَا غَيْرَهَا فَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، ثم بمناسبته حكم النكاح يمتد الكلام إلى موضوع تعدد الزوجات مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ أى انكحوا اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة، و المراد تزويج نوع الرجل هكذا لا تزويج كل فرد لذلك العدد، إذ لا يجوز تزويج ثلاثة و ثلاثة - مثلا - في وقت واحد، و ذلك مثل: باع القوم أمتعتهم لأهل البلد، يراد أن ذلك وقع في الجملة لا أن كل فرد فعل ذلك سواء في طرف البيع أو الشراء.

و لا يخفى أن خوف عدم القسط لا يوجب حرمة النكاح وضعا بمعنى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٤٢

[سورة النساء (٤): آية ٤]

وَ اتُّوُا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (٤)

بطلانه إذا نكح بل النهى عنه تكليفا، و هل هو حرام أو إرشاد احتمالان، كما لا يخفى أن جواز النكاح مثنى و ثلاث و رباع لمن أمن من نفسه و أنه يتمكن من أن يعدل فيما فرض الله لهن من الحقوق فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا بينهن في ما فرض الله تعالى فَوَاحِدَةً وَ هَذَا مِنْ بَابِ الْمَثَالِ وَ إِلا فَمَنْ عِلْمٌ أَنَّهُ يَتِمَكَّنُ أَنْ يَعْدَلَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَلَهُ أَنْ يَنْكَحَ اثْنَيْنِ لَا أَزِيدُ وَ هَكَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الثَّلَاثِ.

و هذه الآية لا تنافى قوله تعالى: وَ لَنْ تَشِدَّ تَطْيَعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ «١» إذ المراد بها العدل في كل شىء حتى الميل القلبي أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أى اقتصروا على الإماء فإنهن لا - يحتجن إلى القسم و نحوه من الحقوق الواجبة على الرجال في مقابل الحرائر، و الملك نسب إلى اليمين لأن اليد هي الغالبة في العمل، و اليمنى من اليدين أكثر عملا - من اليسرى ذِكْرُ الزَّوْجِ مِنَ الْوَاحِدَةِ أَوْ الْاِقْتِصَارِ عَلَى مَا مَلَكَتِ الْيَمِينُ أَدْنَى أَقْرَبِ أَلَّا تَعُولُوا أى لا تميلوا عن الحق و لا تجوروا.

[٥] وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ أَي مهورهن نِحْلَةً أَي عطية فإن الله سبحانه أعطاهن إياهن في مقابل الاستمتاع بهن لا على نحو الابتاع و نحوه و لعل في كلمة «نحلة» إشارة إلى تقدير المرأة و رفعها عن مستوى المعاملة فإن طِبْنَ لَكُمْ أيها الأزواج

(١) النساء: ١٣٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٤٣

[سورة النساء (٤): الآيات ٥ الى ٦]

وَ لَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَ ارزُقُوهُمْ فِيهَا وَ اكسُوهم وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥) وَ ابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَ لَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَ بِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَ مَنْ كَانَ عَنِيًّا فَلْيَسِّرْ تَعْفُفٌ وَ مَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦)

عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ أَي من المهر نفساً تمييزاً ل «طبن» أي أعطين عن طيب نفس لا- بالجبر و الإ- كراه فكلوه هنيئاً مريئاً الهنيء الطيب المستساغ، و المرء المحمود العاقبة.

[٦] و لما تقدم الأمر بدفع أموال الأيتام، عقب ذلك بعدم الدفع إلى السفیه و لا تَوْتُوا أَي لا تعطوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ و إنما أضاف المال إليهم لأن المال إنما هو للمجتمع بصورة عامة فإذا دفع إلى السفیه أتلفه و كان نقصاً بالنتيجة لمال المجتمع. و ليس المراد بكون المال للمجتمع عدم الملكية الفردية بل المراد أن هذا المجموع من الأموال لا تنفع المجموع فإذا تلف منه شيء كان نقصاً على المجموع الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا فَإِنْ بِالْمَالِ يَقُومُ أَمْرُ الْبَشَرِ إِذْ لَوْ لَا- المال لم تستقم أمور الناس و معاشهم و المعاملة بينهم وَ ارزُقُوهُمْ فِيهَا أَي في تلك الأموال، و لعل عدم ذكر «منها» بدل «فيها» مع أنه الأنسب، لإفادة لزوم أن لا يقطع من المال قطعة ثم قطعه حتى تفنى بل يكون الرزق في المال بأن يبقى المال على أصله، و ذلك لا- يكون إلا- بتدبيره باتجار و نحوه حتى لا ينقص منه وَ اكسُوهم و ذكر هذين من باب المثال و إلا- فاللازم القيام بجميع نفقاتهم وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا بأن تتلطفوا لهم في القول، و ذلك لأن اليتيم و السفیه معرضان للمخاشنة و النهي.

[٧] وَ ابْتَلُوا أَي امتحنوا اليتامى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ أَي السن الذي يتمكنون من النكاح و الواقعة فيه و هو سن البلوغ الشرعي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٤٤

فَإِنْ آنَسْتُمْ أَي وجدتم مِنْهُمْ رُشْدًا وَ الرشد عبارة عن تمكن الشخص من إصلاح أمواله بلا سرف و لا تبذير و لا سفه فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمُ المودعة عندهم وَ لَا تَأْكُلُوهَا أَي لا تأكلوا أموال اليتامى إِسْرَافًا أَي زيادةً على قدر أجرتمكم في حفظها فَإِنْ الإسراف التعدي عن الحد وَ بِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا أَي لا تأكلوا أموالهم سريعاً من جهة خوف أن يكبروا فيأخذوها منكم فقد كان بعض الأولياء يتلف مال اليتيم قبل أن يكبر حتى إذا كبر قال له: أنفقته عليك وَ مَنْ كَانَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَنِيًّا يجد مؤونه سنة كاملة فَلْيَسِّرْ تَعْفُفٌ يقال: استعفف من الشيء إذا امتنع منه، و المعنى: أن الولي الغني لا يأخذ شيئاً لنفسه من مال اليتيم بعنوان الأجره و العوض وَ مَنْ كَانَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فَقِيرًا لا يملك مؤونته لا قوة و لا فعلاً فله الحق في أن يأكل من مال اليتيم بِالْمَعْرُوفِ الذي هو قدر أجرته على حفظ أمواله لا أزيد من ذلك فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهَا الْأَوْلِيَاءَ إِلَيْهِمْ أَي إلى الأيتام الذين بلغوا و رشدوا أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ حتى لا ينكروا في المستقبل فَإِنْ الشهود حينئذ يكونون في جانبكم لدى الإنكار وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا أَي محاسباً و شاهداً، فارقوه في أعمالكم، فإنه يعلم ما تفعلونه بأموال الأيتام.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٤٥

[سورة النساء (٤): الآيات ٧ الى ٩]

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧) وَ إِذَا

حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩)

[٨] وقد كان أهل الجاهلية لا- يورثون البنات، فكان الولي يدفع المال كله إلى أولاد الميت دون بناته فنهى الله عن ذلك بقوله: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ أَي أقرباء الرجال، فلا يعطى الرجل أكثر من حظه و نصيبه و للنساء نصيب مما ترك الوالدان و الأقربون فلا- تحرم من نصيبها كما لا تعطى أكثر من حصتها مما قل منه أى مما ترك أو كثر فالمهم أن يعطى كل واحد نصيبه على أن لا يكون ما يعطى كثيرا أو قليلا نصيباً مفروضاً فرضه الله سبحانه و أوجهه فلا يزداد عليه و لا ينقص منه.

[٩] و إذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أى شهد وقت قسمة التركة أُولُو الْقُرْبَىٰ الميت الذين لا يرثون و الْيَتَامَى و الْمَسَاكِينَ من غير أقربائه فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ أى أعطوهم شيئا من المال الموروث و قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا حسنا غير خشن حتى يطيب خاطرهم و يجبر كسر عدم إرثهم و كسر يتمهم و مسكتهم.

[١٠] ثم بين سبحانه أن من يأكل مال اليتيم أو يظلمه لا- بد و أن يفعل ذلك بذريته اليتامى من بعده و لِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٤٦

[سورة النساء (٤): آية ١٠]

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا (١٠)

أى يجب أن يخاف ولى اليتيم من أكل ماله فإن الولي لو خلف يتيما من بعده كيف يخاف أولياء يتيمة أن يأكلوا أمواله كذلك فليجتنب هو عن ذلك، و الحاصل أن من كان فى حجره يتيما فليفعل به ما يجب أن يفعل بذريته. و لا يرد على هذا المعنى أنه كيف يزر وازره و زر أخرى، إذ الجواب أن معنى ذلك أن الله سبحانه لا- يعرعى يتيمة حتى لا- يقع فى مخالبا أولياء ظلمة، بل يتركهم يفعلون به ما فعل أبوه بأيتام الناس، و هكذا يفسر ما ورد من عقوبة الأبناء بفعل الآباء، و «ضعاف» جمع ضعيف فليتقوا الله فى أمر الأيتام فلا يأكلوا أموالهم و لا يؤذوهم و ليقولوا للأيتام قولا سديدا صحيحا موافقا للعدل و الشرع، فلا ينهروا الأيتام و لا يخشونهم فى الكلام كما جرت عادة كثير من الأولياء.

[١١] ثم هددهم سبحانه بعذاب الآخرة بقوله: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا بِلَا مَبْرَرٍ وَ اسْتَحْقَاقٍ وَ الْقَيْدِ تَوْضِيحِي، لإفاده أن أكل أموالهم ظلم و جور إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ أى يملئون بطونهم نارا فإن مال اليتيم ينقلب نارا و سَيَصْلُونَ يَقَال: صلى الأمر إذا قاسى شدته و حره سعييرا أى نارا مسعرة مؤججة، و الأكل فى الآية كناية عن التصرف فى المال و لو كان مثل الدار و اللباس فإن الأكل يستعمل بهذا المعنى كثيرا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٤٧

[سورة النساء (٤): آية ١١]

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَ إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَ لِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِأُمَّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ ذَيْنَ آبَاؤِكُمْ وَ أبنائوكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً (١١)

[١٢] يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ و الوصية منه سبحانه فرض، كما قال سبحانه: وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَ صَاكُم بِهِ «١» و معنى «فى أولادكم» أى فى ميراث أولادكم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فإن الابن يرث ضعف البنت و قد كان هذا التقدير دقيقا جدا حيث أن كلفة الرجل أكثر من كلفة البنت لوجوب نفقة المرأة على الرجل غالبا و فى كثير من الأحيان هو يقوم بالنفقة و إن لم تجب عليه فإن كُنَّ المتركات الوارثات للميت نساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ أى اثنتين فما فوقها، فإن ذلك يعبر غالبا بمثل هذه العبارة، يقال: من

له فوق العشرة يؤخذ منه و من له دونها لا يؤخذ منه، يراد العشرة فما فوقها فَلَهَنَّ ثُلثًا ما تَرَكَ فإذا كان للميت بنتان فما فوقهما و كان هناك وارث آخر فى طبقتهم كالأم و الأب كان لهن الثلثان و البقية لسائر الورثة و إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً أى أولاد الميت منحصرة فى بنت واحدة فَلَهَا النِّصْفُ من التركة و لِأَبَوَيْهِ أى الأب و الأم للميت اللذين اجتمعوا مع الأولاد لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فنصيب كليهما الثلث مِمَّا تَرَكَ الميت إِنْ كَانَ لَهُ أى للميت و لَدَّ سواء كان الولد واحداً أو

(١) الأنعام: ١٥٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٤٨

متعددا، ذكرا أو أنثى، أو بالاختلاف. و أما تفصيل ميراثهم فموكول إلى كتب الفقه «١» فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أى للميت و لَدَّ لا صليبا و لا حفيدا و وَرَثَهُ أَبَوَاهُ الأب و الأم للميت فَلِأُمَّهِ الثُّلُثُ و الثلثان الباقيان للأب فَإِنْ كَانَ لَهُ أى للميت الذى خلف الأبوين بدون الأولاد إِخْوَةٌ من الأبوين أو الأب، و المراد بالأخوة اثنين فما فوق، و الأختان تقومان مقام الأخ، فلو كان للميت أب و أم و أخوان أو أخ و أختان أو أربع أخوات، فما فوق فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ و ذلك لأن الأخوة يمنعون الأم عن السدس و يوفرونه للأب فلا- ترث الأم الثلث مع وجود الأخوة. و تقسيم التركة هكذا إنما هو مِنْ بَعْدِ إِنْفَاقِ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا الميت أو دَيْنٍ على الميت، فأولا يؤخذ الدين من التركة ثم تنفذ الوصية من التركة- إلى حد الثلث- ثم يقسم الباقي بين الورثة كما ذكر، فلو كان للميت عشرة دنانير، و كان عليه دين قدره أربعة دنانير، و وصّى بالإنفاق فى الخيرات، مقدار ثلثه، كان للوارث مقدار أربعة دنانير فقط، لأن أربعة خرجت دينا، و دينارين ثلثا، فلم يبق إلا أربعة آباؤكم و أبنائكم لا تدرؤن أئهم أقرب لكم نفعاً فلا تميلوا إلى توريث الآباء أكثر من الأبناء بظن أنهم أحق من جهة الأبوة و لا إلى العكس بظن أنهم أحق من جهة الضعف الفطرى الموجود فى الأبناء

(١) موسوعة الفقه: ج ٨٢ و ٨٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٤٩

[سورة النساء (٤): آية ١٢]

و لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ و لَدَّ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ و لَدَّ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِينَ بِهَا أو دَيْنٍ و لَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ و لَدَّ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ و لَدَّ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوصُونَ بِهَا أو دَيْنٍ و إِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أو امْرَأَةً و لَهَ أَخٌ أو أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلْثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا أو دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّتِهِ مِنَ اللَّهِ و اللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)

فإنكم لا تعلمون أيهم أقرب نفعاً، و الله الذى هو يعلم الأشياء يقرر الحق كما تقدم فلا تخالفوا تحديده فى أنصبه الميراث جريا وراء العاطفة و الأهوام، فإنكم لا تعلمون أنكم بأيهما أسعد فى الدنيا و الآخرة فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ أى فرض الله هذه الأنصبه فريضة واجبة إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا فهو عالم بالمصالح حكيم فيما يفعل و يقرر.

[١٣] و لَكُمْ أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ أى زوجاتكم، فإن ماتت زوجه أحدكم فللزوجة النصف إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ أى للزوجات و لَدَّ سواء كان من هذا الزوج أو من غيره فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ و لَدَّ واحد أو متعدد فَلَكُمْ أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ مِيرَاثِهِنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِينَ بِهَا أو دَيْنٍ فأولا يخرج الدين ثم تخرج الوصية إلى حد الثلث ثم تقسم التركة فللزوجة الربع و البقية للأولاد و لَهُنَّ أى للزوجة التى بقيت بعد وفاة زوجها الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ من الميراث إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ و لَدَّ و قد دلت الشريعة أن الزوجة لا ترث من الأرض فَإِنْ كَانَ لَكُمْ و لَدَّ واحد أو متعدد،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٥٠



## تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ٤٩٩

ذكر أو أنثى، من تلك الزوجة الباقية أو من غيرها فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُم مِّنَ المِيرَاثِ مِّن بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تَوْصُونَ بِهَا أَيُّهَا الأزواجُ أَوْ دِينٍ وَ لعل تقديم الوصية في الآيات- مع أن الدين مقدم في الإخراج- أن الغالب وجود الوصية بخلاف الدين. وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً الْكَلَالَةُ هُم: الأخوة سواء كانوا من الأب أو الأبوين أو الأم، والمعنى أنه إن كان الوارث كلاله بأن لم تكن المرتبة الأولى موجودة، فإن الأبوين والأولاد في المرتبة الأولى، والأخوة والأجداد في المرتبة الثانية، والأعمام والأخوال والعمات والخالات في المرتبة الثالثة، والزوجان يرثان مع كل مرتبة. و«كلاله» في الإعراب منصوب على الحالية، فالمعنى إن وجد رجل يرثه قريب له في حال كون ذلك القريب كلاله له أو إن كان امرأة تورث كلاله، أى وجدت امرأة يرثها قريب لها في حال كون ذلك القريب كلاله لها، والحاصل أنه لو مات رجل أو امرأة وَلَهُ أَى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الرِّجَالِ وَ الْمَرَأَةِ الَّذِينَ مَاتَ أَحٌ أَوْ أُخْتُ وَ الْمَرَادُ هُنَا كَلَالَةُ الْأُمِّي خَاصَّةً بِأَنَّ كَانَ الْوَارِثَ شَرِيكًا مَعَ الْمَيِّتِ فِي الْأُمِّ فَقَطْ، بِأَنَّ بَقِيَ أَخُوهُ أَوْ أُخْتُهُ الْأَمِيَانِ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِنْ تَرَكَهَ الْمَيِّتِ فَإِنْ كَانُوا أَى كَانَتِ الْكَلَالَةُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْوَاحِدِ، بِأَنَّ كَانَتِ الْكَلَالَةُ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا فَهُمْ شَرَكَاءُ فِي التُّلْثِ يَقْسُمُونَهُ بَيْنَهُمْ بِالسُّوِيَةِ فَإِنَّ الْكَلَالَةَ الْأُمِّي يَرِثُونَ مَتَسَاوِينَ،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٥١

[سورة النساء (٤): آية ١٣]

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣)

للمذكر مثل حظ الأنثى مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا مِنْ قَبْلِ الْمَيِّتِ أَوْ دِينٍ فَإِنَّ الدِّينَ وَ الْوَصِيَّةَ يَخْرُجَانِ مِنَ الْمَالِ ثُمَّ يُعْطَى لِلوَاحِدِ مِنَ الْكَلَالَةِ السُّدُسُ وَ لِثَلَاثِينَ فَصَاعِدًا التُّلْثُ غَيْرُ مُضَارٍّ أَى لَا يُضَارُّ الْكَلَالَةُ بِأَنَّ يَحْرَمُوهُ مِنَ التُّلْثِ، أَوْ يَكُونُ الْمَعْنَى: إِنَّمَا تُنْفَذُ الْوَصِيَّةُ إِذَا كَانَ الْمَوْصَى غَيْرَ مُضَارٍّ بِأَنَّ لَمْ يُوصَى بِأَكْثَرَ مِنَ التُّلْثِ وَ إِلَّا- لَمْ تُنْفَذْ الْوَصِيَّةُ فِيمَا زَادَ عَلَى التُّلْثِ وَ صِيَّتُهُ مِنَ اللَّهِ أَى هَذِهِ الْأَنْصِبَةُ يُوصِيكُمُ اللَّهُ بِهَا وَصِيَّةً وَ اللَّهُ عَلِيمٌ فَيَقْدِرُ الْأَنْصِبَةَ حَسَبَ مَا يَعْلَمُ مِنَ الْمَصَالِحِ حَلِيمٌ لَا يُعَاجِلُ الْعَصَاءَ بِالْعُقُوبَةِ فَمَنْ خَالَفَهُ فِي الْإِرْثِ وَ لَمْ يَرِ عِقُوبَةً عَاجِلَةً فَذَلِكَ لِحِلْمِهِ سَبْحَانَهُ فَلَا يَغْرَهُ ذَلِكَ.

[١٤] تِلْكَ التِّي بَيَّنَّتْ فِي أَمْرِ الْإِرْثِ حُدُودَ اللَّهِ أَى الْحُدُودَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِمُقَادِيرِ الْإِرْثِ فَلَا يَجُوزُ التَّجَاوُزُ عَنْهَا وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِتَطْبِيقِ أَوْامِرِهِمَا وَ اجْتِنَابِ عَنِ مَخَالَفَتِهِمَا يُدْخِلْهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَى مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَ أَشْجَارِهَا خَالِدِينَ فِيهَا فَلَا- زَوَالٌ لَهُمْ عَنْهَا بِالموتِ أَوْ الْإِخْرَاجِ أَوْ مَا أَشْبَهَ وَ ذَلِكَ أَى نَيْلُ الْجَنَّةِ وَ الْخُلُودُ فِيهَا الْفَوْزُ وَ الْفَلَاحُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَمَاتُ شَيْءٌ فَلَا يَحْسَبُ أَحَدٌ أَنَّ الْفَوْزَ بِبَعْضِ التَّرَكَةِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٥٢

[سورة النساء (٤): الآيات ١٤ إلى ١٥]

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٤) وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥)

ظلمًا شىء يعتد به فإنه لا فوز كفوز الجنة الدائمة.

[١٥] وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِمَخَالَفَةِ أَوْامِرِهِمَا وَ ارْتِكَابِ نَوَاهِيهِمَا وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ فَيَتَجَاوَزُ مَا حَدَّ لَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا أَى دَائِمًا. وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ ذَلِكَ لِمَنْ خَالَفَ جَمِيعَ الْأَوْامِرِ لَا بَعْضُهَا الَّتِي دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى عَدَمِ خُلُودِهِ، وَ لَعَلَّ عَمُومَ «حُدُودِهِ» حَيْثُ أَنَّهُ جَمْعٌ مُضَافٌ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَ لَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ فِيهَا فِي الْعَذَابِ حَتَّى يَجْتَمِعَ عَلَيْهِ عَذَابُ الرُّوحِ وَ عَذَابُ الْجَسَدِ.

[١٦] وَ حَيْثُ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ حُكْمَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ فِي بَابِ النِّكَاحِ وَ الْمِيرَاثِ بَيَّنَّ حُكْمَ الْحُدُودِ فِيهِنَّ إِذَا ارْتَكَبْنَ الْحَرَامَ فَقَالَ سَبْحَانَهُ: وَ اللَّاتِي جَمَعَ «الَّتِي» أَى النِّسَاءَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ أَى الزَّوَانِي، وَ إِنَّمَا سَمِيَتْ بِالْفَاحِشَةِ لِأَنَّهُ أَمْرٌ يَفْحَشُ وَ يَتَجَاوَزُ الْحُدُودَ مِنْ نِسَائِكُمْ سِوَا

كُنْ ذَوَاتِ أَزْوَاجٍ أَوْ لَا فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَهُ مِنْكُمْ أَىِ اطْلُبُوا شَهَادَةَ أَرْبَعَةٍ رِجَالٍ أَوْ الزَّانَا كَالْمِيلِ فِى الْمَكْحَلَةِ فَإِنَّ شَهِيدًا أَرْبَعَةً عَدُولٌ عَلَى ذَلِكَ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ أَىِ فَاحْبِسُوهُنَّ فِيهَا. وَ قَدْ كَانَ ذَلِكَ حَكْمَ الْإِسْلَامِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّانِيَةِ ابْتِدَاءً حَتَّى يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٥٣

[سورة النساء (٤): الآيات ١٦ إلى ١٧]

وَ الَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنَّ تَابَا وَ أَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١٦) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧)

أى حتى تموت أو يجعل الله لهن سبيلاً أى يجعل لهن أمراً آخر غير الحبس. وقد نزلت آية الحدود و هى قوله تعالى: الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ «١» فارتفع حكم الحبس فى البيت. و ما ورد فى الأخبار من أن آية الحد ناسخة لآية الحبس، يراد به أن حكم الحبس ارتفع لانقضاء أمده، لأنه كان مؤقتاً بجعل السبيل.

[١٧] وَ الَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ لَعَلَّ الْمَرَادُ ب «الذنان» اللائط و الملوط به فالضمير يرجع إلى الفاحشة لا بمعناها الأول بل بالمعنى المنطبق، أما تفسيره بالزانيين - فإن لم يرد بذلك حديث عن المعصوم عليه السلام - فبعيد.

فَأَذُوهُمَا الْأَذِيَةُ أَعْمٌ مِنَ الْحَدِّ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْقَوْلِ بِنَسْخِ الْحُكْمِ - إِنْ لَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ حَدِيثٌ مُعْتَبَرٌ - فَإِنَّ تَابَا مِنْ فَعْلِهِمَا وَ أَصْلَحَا وَ الْمَرَادُ بِالْإِصْلَاحِ الْإِيْتِيَانِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا وَ لَا تَتَعَرَّضُوا لَهُمَا بِسُوءِ إِنْ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا.

[١٨] ثُمَّ يَبَيِّنُ سَبْحَانَهُ مِمَّنْ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَ مِمَّنْ لَا تَقْبَلُ؟ لِمُنَاسَبَةِ قَوْلِهِ: «فإن تابا» فقال: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ أَىِ أَنْ يَقْبَلَ التَّوْبَةَ حَقَّ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ - جَعَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ - أَوْ الْمَرَادُ تَوْبَةُ اللَّهِ أَىِ رَجُوعُهُ عَنِ الْمَعَاصِي، فَإِنَّ كَلِمَةَ مِنَ اللَّهِ وَ الْعَبْدُ تَوَّابٌ بِمَعْنَى رَاجِعٌ إِلَى الْآخِرِ، فَإِنَّ رَجُوعَ الْعَبْدِ بِمَعْنَى إِقْلَاعِهِ عَنِ الذَّنْبِ وَ رَجُوعَ اللَّهِ بِمَعْنَى لَطْفِهِ وَ إِحْسَانِهِ

(١) النور: ٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٥٤

[سورة النساء (٤): آية ١٨]

وَ لَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)

و إعادة نظره إلى العبد للذين يعملون الشؤء العمل المحرم بجهالة الظاهر أنه ليس المراد بالجهالة الجهل مقابل العلم، بل المراد مطلق العصيان، فإنها و إن صدرت عن عمد، لكن حيث أنها يدعو إليها الجهل بما يترتب عليه الذنب، يصح أن يقال: أنها عن جهل، و ليس القيد احترازيا حتى يقال: فما هو السوء بغير جهالة؟ بل فائدته أن السوء لا يصدر إلا عن جهل ثم يتوبون من قريب قبل أن يروا علائم الموت فأولئك يتوب الله عليهم يرجع عليهم بمحو ذنوبهم و إعادة لطفه عليهم و كان الله عليماً بمصالح العباد فيحكم بمقتضى علمه حكيماً يضع الأشياء فى مواضعها حسب ما تقتضيه الحكمة.

[١٩] وَ لَيْسَتْ التَّوْبَةُ الْمَقْبُولَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ الْمَعَاصِي، وَ إِنَّمَا سُمِّيَتْ سَيِّئَةً لِأَنَّهَا تَسَى إِلَى صَاحِبِهَا حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ بَانَ رَأَى آثَارَهُ مِنْ مَشَاهِدَةِ مَلِكِ الْمَوْتِ وَ نَحْوِهِ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ فَإِنَّهَا تَوْبَةُ الْمَضْطَرِ الَّذِى يَرِيدُ الْخَلَاصَ مِنَ الْعِقَابِ لَا تَوْبَةَ النَّادِمِ الْمَطِيحِ، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ فِى قِصَّةِ فِرْعَوْنَ:

الآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ «١»

(١) يونس: ٩٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٥٥

[سورة النساء (٤): آية ١٩]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)

ولما الذين يموتون وهم كفار فقد انقطعت الحياة التي هي محل العمل وجاءت دار الحساب التي فيها حساب ولا عمل أولئك الطائفتان اعتدنا لهن عذاباً أليماً أي هيناً لهن عذاباً يؤلمهن بسبب ما فعلوا من المعصية، ولا يخفى أنه بالنسبة إلى من عمل السيئات حتى جاءه الموت لا يكون العصيان سبباً موجباً للعقاب، فإن ذلك معلق بعدم الشفاعة والعفو.

[٢٠] ثم انتقل السياق إلى حكم آخر من الأحكام المرتبطة بالعائلة، وهو حكم المهر، فقال سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَالْحُكْمُ وَإِنْ كَانَ عَاماً لِلْمُؤْمِنِ وَغَيْرِ الْمُؤْمِنِ لَكِنِ الْإِصْغَاءُ حَيْثُ كَانَ خَاصاً بِالْمُؤْمِنِينَ تَوَجُّهُ الْخُطَابِ إِلَيْهِمْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا فَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا مَاتَ بَعْضُ ذَوِيهِمْ حَسَبُوا زَوْجَتَهُ حَتَّى تَمُوتَ عِنْدَهُمْ وَيَرِثُونَهَا أَيْ يَأْخُذُونَ مِيرَاثَهَا وَ لَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ تَرِيدُ ذَلِكَ بَلْ تَرِيدُ الزَّوْجَ مِنْ رَجُلٍ آخَرَ فَيَمْنَعُونَهَا عَنْ ذَلِكَ وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ الْعَضْلُ: هُوَ إِمْسَاكُ الْمَرْأَةِ فِي الْبَيْتِ دُونَ تَرْوِيحِهَا، فَإِنَّهُ لَغَةٌ بِمَعْنَى الْمَنْعِ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ فَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا لَمْ يَرْغَبُوا فِي زَوْجَاتِهِمْ لَمْ يَطْلُقُوهُنَّ وَ تَرَكَوهُنَّ وَ مَنَعُوهُنَّ عَنِ الزَّوْجِ حَتَّى تَفْتَدِيَ بِبَعْضِ مَهْرِهَا أَوْ سَائِرِ أَمْوَالِهَا إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ أَيْ بِمَعْصِيَةٍ ظَاهِرَةٍ مِنْ زَنَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٥٦

[سورة النساء (٤): آية ٢٠]

وَ إِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أ تَأْخُذُونَهُ بِهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبَيَّنًا (٢٠) أو غيره فإنه يحق حينئذ لكم أن تضيقوا عليهن حتى يفتدين ببعض ما آتيتموهن وعاشروهن أي عاشروا النساء - مطلقاً - بالمعروف الذي يعرفه أهل العقل والدين فإن كرهتموهن فلا تعجلوا بالطلاق فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً من ائتلاف وحب في المستقبل، أو أولاد صالحين، أو نحو ذلك. فإنه كثيراً ما تقع نفرة بين الزوجين وتنتهي بوثام ووداد وحب و ألفة.

[٢١] وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ بَأَنْ أَرَدْتُمْ طَلِيقَ امْرَأَةٍ وَأَخَذْتُمْ أُخْرَى مَكَانَهَا وَ آتَيْتُمْ أَيْ أُعْطَيْتُمْ مِنْ بَابِ الْمَهْرِ إِحْدَاهُنَّ وَ هِيَ الْمَرْأَةُ السَّابِقَةُ قِنطَارًا مَلءُ جِلْدِ ثَوْرٍ ذَهَبًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَيْ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْطَى لَهَا مَهْرًا، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَرَادَ طَلِيقَ امْرَأَةٍ وَأَخَذَ أُخْرَى مَكَانَهَا ضَيِّقَ عَلَى زَوْجَتِهِ الْأُولَى أَوْ بَهْتًا بِفَاحِشَةٍ حَتَّى يَجْبِرَهَا أَنْ تَفْتَدِيَ نَفْسَهَا فَيَجْعَلَ فِدَاءَهَا مَهْرًا لِلزَّوْجَةِ الثَّانِيَةِ أ تَأْخُذُونَهُ بِهْتَانًا هُوَ مَصْدَرٌ فِي مَكَانِ الْحَالِ، وَ هَذَا اسْتِفْهَامٌ اسْتِنكَارِيٌّ، أَيْ هَلْ تَأْخُذُونَ بِبَعْضِ مَالِهَا بِالْبَهْتَانِ؟! وَإِنَّمَا مُبَيَّنًا أَيْ بِالْإِثْمِ الْوَاضِحِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٥٧

[سورة النساء (٤): الآيات ٢١ إلى ٢٣]

وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١) وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ وَ عَمَّاتُكُمْ وَ خَالَاتُكُمْ وَ بَنَاتُ الْأَخِ وَ بَنَاتُ الْأَخْتِ وَ أُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِيَّاتِ أَرْضُكُمْ مِنْ الرِّضَاعِ وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَ رَبَائِكُمُ اللَّائِيَّاتِ فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِيَّاتِ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣)

[٢٢] وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ تَعْجَبٌ مِنْ أَخْذِ بَعْضِ مَهْرِ الْمَرْأَةِ بِهَذَا النُّحُوِّ الْمَشِينِ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ هُوَ كُنَايَةٌ عَنِ الْجَمَاعِ، أَيْ وَ

الحال أنكم اقتربتن منهن فذهب المهر لما حصلتم عليه من البضع، والإفضاء هو الوصول إلى شيء بالملامسة وَأَخَذَنَ مِنْكُمْ مِيثاقًا غَلِيظًا و الميثاق هو العهد الذي أخذته الزوجة من الزوج بالعقد لأن العقد معناه مقابلة المهر بما تستحل من نفسها له، وقد كان لازم العقد الإمساك بالمعروف أو التسريح بالإحسان.

[٢٣] وَلَا تَنْكِحُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ فَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْكِحُونَ زَوْجَاتِ آبَائِهِمْ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ، فَهِيَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَنْ ذَلِكَ سِوَاءِ دَخَلَ الْأَبُ بِهَا أَمْ لَا إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ قَبْلَ إِسْلَامِكُمْ فَلَا تَتَّخِذُوا بِذَلِكَ الذَّنْبَ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ، يَعْنِي أَنَّ ذَنْبَ أَخْذِكُمْ نِسَاءَ آبَائِكُمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مَعْفُوٌّ عَنْهُ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً أَيْ زِنًا فَإِنَّ زَوْجَةَ الْأَبِ مِنْ مَحَارِمِ الْإِبْنِ فَمَقَارِبَتُهَا زِنًا وَمَقْتًا أَيْ مَوْجِبًا لِمَقْتِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ وَسَاءٌ سَبِيلًا فَإِنَّهُ سَبِيلُ الْكُفَّارِ وَالْعِصَاةِ.

[٢٤] ثم ذكر سبحانه سائر أصناف المحرمات من النساء، و من المعلوم أن التحريم يقوم بالطرفين فكما تحرم المرأة على الرجل كذلك يحرم الرجل على المرأة، وقد كانت هذه المحرمات، محللات عند بعض

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٥٨

الناس كالمجوس، ولذا صرح القرآن الكريم بتحريمها، فقال:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَهِيَ كُلُّ امْرَأَةٍ يَرْجِعُ نَسَبُهَا إِلَيْكُمْ بِالْوِلَادَةِ بِنْتًا أَوْ بِنْتًا أَوْلَادِكُمُ الذُّكُورَ أَوْ الْإِنثَاءَ وَأَخَوَاتُكُمْ وَهِيَ اللَّاتِي جَمَعَكَ وَإِيَاهُنَّ رَحِمَ أُمَّ أَوْ صَلْبَ ذَكَرٍ وَعَمَّاتُكُمْ وَهِيَ أَخَوَاتُكَ لَذَكَرٍ يَرْجِعُ نَسَبُكَ إِلَيْهِ مِنْ طَرَفِ الْأَبِّ، كَأَخْتِ الْأَبِّ وَأَخْتِ الْجَدِّ الْأَبِيِّ، أَوْ مِنْ طَرَفِ الْأُمِّ كَعَمَّةِ الْأُمِّ الَّتِي هِيَ أَخْتُ لَأَبِّ الْأُمِّ وَخَالَاتُكُمْ وَهِيَ اللَّاتِي يَكُنُّ أَخَوَاتُكَ لِأَنْثَى يَرْجِعُ نَسَبُكَ إِلَيْهَا مِنْ طَرَفِ الْأُمِّ كَأَخْتِ الْأُمِّ وَأَخْتِ الْجَدَّةِ الْأُمِّيَّةِ، أَوْ مِنْ طَرَفِ الْأَبِّ كَأَخْتِ أُمِّ الْأَبِّ الَّتِي هِيَ خَالَهَ أَبِيكَ وَبَنَاتُ الْأَخِ بِلَا وَسْطَةٍ أَوْ مَعَ الْوَسْطَةِ كَحَفِيدَةِ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ بِلَا وَسْطَةٍ أَوْ مَعَ الْوَسْطَةِ كَحَفِيدَةِ الْأَخْتِ. وَهَذِهِ السَّبْعَةُ هِيَ أَصْنَافُ الْمَحْرَمَاتِ بِالنَّسَبِ.

ثم بين سبحانه المحرمات بالسبب فقال: وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ بِلَا وَسْطَةٍ كَأُمَّكَ بِالرِّضَاعِ، أَوْ مَعَ الْوَسْطَةِ كَالْأُمِّ بِالرِّضَاعِ لِلأَبِّ، وَالْأُمِّ بِالرِّضَاعِ لِلأُمِّ وَهَكَذَا وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعِيَّةِ وَلَمْ يَذَكَرْ الْأَصْنَافَ الْأُخْرَى مِنَ الْمَحْرَمَاتِ بِالرِّضَاعِ كَالْعَمَّةِ وَالْخَالَهَ، إِمَّا لِفَهْمِ ذَلِكَ مِنَ السِّيَاقِ أَوْ لِدُخُولِهِنَّ فِي «أَخَوَاتِكُمْ» فَإِنَّ الْعَمَّةَ أَخْتِ الْأَبِّ وَالْخَالَهَ أَخْتِ الْأُمِّ، وَإِذَا تَحَقَّقَتْ حَرَمَةُ الْأَخْتِ تَحَقَّقَتْ حَرَمَةُ بِنْتِ الْأَخِ وَبِنْتِ الْأَخْتِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٥٩

وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ أُمَّ الزَّوْجَةِ مَبْشَرَةً كَانَتْ أَوْ لَا، كَأُمِّ أَبِي الزَّوْجَةِ، وَأُمِّ أُمِّ الزَّوْجَةِ، وَحَيْثُ أُطْلِقَ سَبْحَانَهُ، تَبَيَّنَ أَنَّهُ بِمَجْرَدِ الْعَقْدِ عَلَى الْمَرْأَةِ تَحْرِمُ أُمَّهَا سِوَاءِ دَخَلَ بِالزَّوْجَةِ أَوْ لَا وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمُ الرَّبَائِبِ: جَمْعُ «رَبِيئَةٍ» وَهِيَ بِنْتُ زَوْجَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِهِ سِوَاءِ كَانَتْ قَبْلَ هَذَا الزَّوْجِ أَمْ بَعْدَ هَذَا الزَّوْجِ، وَقَيْدُ «اللَّاتِي» لِلْغَلْبَةِ فَإِنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ لَهَا بِنْتُ رَبَاهَا فِي حَجْرِهِ، وَ الْحُجُورُ جَمْعُ حَجْرٍ. ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَفْرُقُ فِي الرَّبِيئَةِ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ بِلَا وَسْطَةٍ كَبِنْتِ الزَّوْجَةِ، أَمْ مَعَ الْوَسْطَةِ كَبِنْتِ الرَّبِيئَةِ، أَوْ بِنْتُ ابْنِهَا، أَوْ أَخْتُ بِنْتِهَا مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ أَيْ حَصَلَ مِنْكُمْ جَمَاعٌ لِهِنَّ، فَإِنَّ الرَّبِيئَةَ لَا تَحْرِمُ بِمَجْرَدِ الْعَقْدِ عَلَى أُمَّهَا، وَإِنَّمَا تَحْرِمُ لَوْ دَخَلَ بِأُمَّهَا، فَلَوْ تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا، ثُمَّ فَارَقَهَا بِطَلَاقٍ أَوْ فُسْخٍ أَوْ انْقِضَاءِ مَدَّةٍ فِي الْعِدَّةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، حَلَّ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِرَبِيئَتِهَا. وَ هَذَا هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَ «أُمِّ الْمَرْأَةِ» وَبَيْنَ «بِنْتِ الْمَرْأَةِ» فَإِنَّ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ، بَعْدَ خُرُوجِ الْأُمَّهَاتِ عَنْ حَبَالَتِكُمْ وَحَالَاتِكُمْ حَالَاتِكُمْ حَالَاتِكُمْ: جَمْعُ حَلِيلَةٍ، وَهِيَ الزَّوْجَةُ، أَيْ زَوْجَاتِ أَبْنَائِكُمْ، سِوَاءِ كَانَ الْإِبْنُ بِلَا وَسْطَةٍ، أَوْ مَعَ الْوَسْطَةِ كَابْنِ الْإِبْنِ، وَابْنِ الْبِنْتِ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَذَلِكَ مُقَابِلُ «الدَّعَى» وَهُوَ مَنْ يَتَّبِعُهُ الْإِنْسَانُ،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٦٠

فإنه لا يحرم على الأب المتبني زوجة الابن الذي تبناه، لقوله سبحانه:

وَمَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ «١» أما الابن الرضاعي فإنه بمنزلة الابن النسبي لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «الرضاع لحمه كلحمه النسب»  
 (٢).

وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْمُؤَخَّيْنِ أَى يَحْرَمُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ بِأَنْ تَكُونَا فِي حَبَالْتِهِ مَعَا، وَ يَجُوزُ أَخْذُ وَاحِدَةٍ ثُمَّ إِخْرَاجُهَا عَنْ حَبَالْتِهِ وَ نِكَاحِ الْأُخْرَى إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ فَإِنْ أَعْمَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالنَّسْبِ إِلَى نِكَاحِ الْمُحْرَمَاتِ غَيْرِ مُؤَاخِذِينَ عَلَيْهَا فِي الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا يَغْفِرُ ذُنُوبَكُمْ السَّابِقَةَ رَحِيمًا يَرْحَمُ بِكُمْ فَلَا يَجَازِيكُمْ بِسَيِّئَاتِكُمْ.

(١) الأحزاب: ٥.

(٢) الوسيلة إلى نيل الفضيلة: ص ٣٠١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٦١

تقريب القرآن إلى الأذهان الجزء الخامس سورة النساء من آية (٢٥) الى (١٤٨)

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٦٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَ عْتَرَتِهِ الطَّاهِرِينَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٦٣

[سورة النساء (٤): آية ٢٤]

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَحْلَلْ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)

[٢٥] وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ أَى النِّسَاءُ اللَّاتِي أَحْصَنَ بِالْأَزْوَاجِ، أَى حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ النِّسَاءَ ذَوَاتِ الْأَزْوَاجِ، يُقَالُ: أَحْصَنَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، أَى حَفَظَهَا مِنَ الْفُجُورِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَ هُنَّ الْإِمَاءُ ذَوَاتِ الْأَزْوَاجِ الَّتِي يَسْبِيهِنَّ الْمُسْلِمُونَ، فَإِنَّ السَّبْيَ يَقْطَعُ عَصْمَتَهُنَّ بِأَزْوَاجَهُنَّ الْكُفَّارِ وَ يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِ إِيقَاعُهُنَّ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَى كَتَبَ اللَّهُ - تحريم النساء المذكورات - عليكم كتابا، فهو منصوب على المصدر بفعل محذوف و أَحْلَلْ لَكُمْ أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ الْمَذْكُورِ فَإِنَّ كُلَّ امْرَأَةٍ لَا يَقَعُ عَلَيْهَا أَحَدُ الْعَنَاوِينَ الْمَذْكُورَةِ سَابِقًا قَرِيبَةً كَانَتْ أَوْ لَا، فَهِيَ مُحَلَّلَةٌ عَلَى الشَّخْصِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ أَى تَطْلُبُوا بِأَمْوَالِكُمْ - التي تجعلونها مهرا لهن - نكاحهن في حال كونهم مُحْصِنِينَ أَى تَحْصِنُونَ إِيَّاهُنَّ بِالزَّوْجِ غَيْرِ مُسَافِحِينَ السَّفَاحُ هُوَ الزَّانَا، بِأَنْ لَا تَبْتَغُوا بِالْأَمْوَالِ السَّفَاحِ كَمَا يَفْعَلُهُ الزَّانُونَ حَيْثُ يَسَافِحُونَ بِالنِّسَاءِ فِي مَقَابِلِ الْمَالِ، فَفِي مَا وَرَاءَ ذَلِكَ التَّحْرِيمِ الْمُتَقَدِّمِ حَلَالٌ أَنْ تَبْتَغُوا بِالنِّسَاءِ بِالْمَالِ لَكِنْ مِنْ طَرِيقِ الزَّوْجِ لَا عَنْ طَرِيقِ السَّفَاحِ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ «مَا» مَوْصُولَةٌ يَرَادُ بِهَا الْمَرْأَةُ، وَ الضَّمِيرُ فِي «بِهِ» عَائِدٌ إِلَى «مَا» أَى النِّسَاءِ اللَّاتِي اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِنَّ مِنْهُنَّ أَى مِنَ النِّسَاءِ، وَ هَذَا بَيَانٌ «مَا» وَ الْمُرَادُ الْاسْتِمْتَاعُ طَلَبُ الْمَتْعَةِ أَى اللَّذَّةُ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ أَى: فَالنِّسَاءُ اللَّاتِي اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِنَّ مِنْ طَرِيقِ الْإِحْصَانِ وَ الزَّوْجِ يَجِبُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٦٤

عليكم إعطاءهن أجورهن. و هذه الآية وردت في نكاح المتعة، و المعبر عنه بالنكاح المنقطع، كما ورد بذلك الروايات «١»، و الفرق بينه و بين الدائم أنه محدد بمدة طالت أو قصرت، فإذا انتهى أمده انفسخ من نفسه، بخلاف الدائم الذي يحتاج فسخه إلى الطلاق أو نحوه، و يؤيد كون الآية في النكاح المنقطع لا الدائم، ذكر كلمة الاستمتاع التي هي ظاهرة في المتعة، و ذكر الأجور فإن المنصرف من الأجر ما يعطى لقاء الاستمتاع لا النكاح الدائم، و لا ينافي أن يكون السابق على هذه الجملة عاما يشمل الدائم و المنقطع، و هذه الجملة خاصة للمنقطع، فإنه كثيرا ما يذكر الخاص بعد العام، فالمنقطع مصداق من مصاديق «مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ» و في ذلك فائدة

لطيفة، حيث تنبه الآية على عدم الاحتياج إلى الزنا والحال أن النكاح المنقطع بمكان من الإمكان فريضةً أى فرضت ووجبت الأجور فريضةً فلا يجوز للرجل عدم إعطاء الأجور للمستمتع بها.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْتَمْتَعُونَ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ فِي الْمَقْدَارِ الَّذِي تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ أَى الْمَقْدَارِ السَّابِقِ مِنَ الْمَهْرِ، فَإِذَا تَرَضَيْتُمْ بزيادة المدة بعقد جديد أو إنقاصها بالهبة، بزيادة المهر أو نقصانه جاز لكما ذلك، والحاصل أن ما تباينا عليه سابقاً فريضةً، لا يجوز العدول عنها إلا برضا جديد إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِالصَّالِحِ حَكِيمًا فِيمَا شَرَعَ مِنَ الْأَحْكَامِ، التى منها المتعة التى تفيد

(١) الكافى: ج ٥ ص ٤٤٩ ج ٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٦٥

[سورة النساء (٤): آية ٢٥]

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥)

المسافرين والغرباء ومن لا يتمكن من الدائم، فإن ذلك وقاية للمجتمع من فتح أبواب الزنا والسفاح واللواط والسحق وما أشبه إذا ما سد باب المتعة.

[٢٦] وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ طَوْلًا أَى مِنْ جِهَةِ الْغِنَى وَالثَّرَةِ، بَأَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَكْفِيهِ أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ أَى الْحَرَائِ الْمُؤْمِنَاتِ وَإِنَّمَا قِيلَ لِهِنَّ مُحْصَنَاتٍ لِإِحْصَانِهِنَّ أَنْفُسَهُنَّ عَنِ الْبَغَاءِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا «١» فالمرأة العفيفة «محصنة» بالكسر، و«محصنة» بالفتح، بالاعتبارين، والمعنى:

أن الرجل لو كان فقيراً لا يقدر على مهر الحرة ونفقتها فليتكح مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ينكح أمه ملكتها يمين أخيه المسلم من فتياتكم جمع فتاة وهى المرأة الشابة، والمراد بها هنا الأمة،

فقد ورد «أن الرسول نهى - تنزيهاً - أن يقول أحد: عبدى وأمتى بل يقول: فتاى وفتاتى»

«٢» جبرا لخاطرها المؤمنات فإن مهر الأمة أقل وتكاليفها أيسر وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ فليس المراد التنقيب عن حقيقة إيمان الأمة المراد تزوجها بل يكفى الظاهر، أما الإيمان الراسخ القلبي فليس إلى ذلك سبيل بل الله أعلم به.

(١) التحريم: ١٣.

(٢) كنز العمال: ج ٣ ص ٦٥٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٦٦

بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فليس الرجل الحر بأعلى إيمانا من الأمة المؤمنة بل المؤمنون سواء كانوا أحرارا أو عبيدا أمة واحدة بعضهم من بعض، من طبقة أعلى من طبقة الآخرين، وإنما شرعت أحكام العبيد والإماء لمصالح خاصة، كما شرعت أحكام الرجال والنساء مختلفة لمصالح خاصة فأنكحوهن أى تزوجوا بالفتيات المؤمنات بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ أى سادتهن ومواليهن فإنه لا يجوز نكاحهن بدون رضى السادة و آتوهن أى أعطوا الفتيات المؤمنات أَجُورَهُنَّ أى مهورهن، وإعطاء الفتيات لا يراد به إلا الدفع إلى تلك الجهة، وإن كان المولى يستحق المهر بالمعروف من دون عطل وإضرار، وليكن نكاحكم إياهن بإذن أهلهن فى حال كونهن مُحْصَنَاتٍ عفيفات غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ أَى غير زانيات، وإنما قيد بذلك لأن «النكاح» يطلق على الوطء، كما يطلق على العقد الشرعى، قال سبحانه: الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ «١» أى لا يزنى بها، ولا تزنى به، وقد كان فى الجاهلية من يجبر إمامه

على الزنا، فكان نكاحا- أى جماعا- بأجر، ياذن الأهل كما قال سبحانه: وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴿٢﴾ و لعل ذلك لمقابلة قوله سبحانه بالنسبة إلى الحرائر: «محصنين غير مسافحين».

(١) النور: ٤.

(٢) النور: ٣٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٦٧

وَلَا تُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ أَى لَنَكُنِ الْفَتَاةَ عَفِيفَةً غَيْرَ مَتَّخِذَةً لَصَدِيقٍ، فَإِنَّ الْأَخْدَانَ جَمْعُ خَدَنٍ وَ هُوَ الصَّدِيقُ، وَ الْحَاصِلُ أَنَّ تَكُونَ الْأُمَّةَ الَّتِي تَرِيدُونَ الزَّوْجَ بِهَا غَيْرَ زَانِيَةٍ وَ لَا صَدِيقَةً لِأَحَدٍ، وَ قَدْ كُنَّ بَعْضُ الْإِمَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَذَلِكَ، فَنَهَى اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَنِ التَّرَوُّجِ بِهِنَّ فَإِذَا أُحْصِنَ أَى تَزَوَّجْنَ فَأَحْصَنَهُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ أَى بِالزَّنَا فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ أَى إِنْ حَدَّهِنَّ نِصْفَ حَدِّ الْحُرَّةِ الزَّانِيَةِ وَ هُوَ خَمْسُونَ جَلْدَةً، وَ قَدْ كَانَ مِنْ حِكْمَةِ الْإِسْلَامِ أَنْ جَعَلَ الْمُحَارِبِينَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ - إِذَا غَلَبُوا عَلَيْهِمْ - عَيْدًا وَ إِمَاءً، لِأَنَّ يَقْتُلُ الْجَمِيعَ أَوْ يَسْجُنُهُمْ، ثُمَّ جَعَلَ الْعَبُودِيَّةَ تَمْشَى فِي أَعْقَابِهِمْ، حَتَّى لَا يَجْرَأُ أَحَدٌ عَلَى مُحَارَبَةِ الْمُسْلِمِينَ خَوْفًا مِنْ ذَلِكَ، أَوْ عَلَى الْأَقْلِ يَحْدُ مِنْ نَشَاطِ الْحُرُوبِ، فَأَيُّ إِنْسَانٍ يَسُوعُ الْعَبُودِيَّةَ؟ مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَسْتَسِيغُونَ الْقَتْلَ وَ السَّجْنَ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ جَعَلَ لِلْعَيْدِ أَحْكَامًا خَاصَةً تَشْدِيدًا تَارَةً وَ تَخْفِيفًا تَارَةً أُخْرَى لِيُقَابَلَ التَّخْفِيفُ التَّشْدِيدَ، ثُمَّ لِيَكُونَ لَهُمْ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ مِيزَةٌ خَاصَةٌ يَعْرِفُونَ بِهَا عَنِ الْأَحْرَارِ، وَ تَفْصِيلُ فِلْسَفَةِ الْأَمْرَيْنِ يَطْلُبُ مِنَ الْكُتُبِ الْخَاصَةِ بِهَذَا الشَّأْنِ «١».

ذَلِكَ النِّكَاحُ لِلْإِمَاءِ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنْتَ مِنْكُمْ الْعَنْتُ هُوَ

(١) فى بعض الاعداد من نشره «الأخلاق والآداب» الكربلائية تفصيل للجهة الأولى اى فلسفه تشريع العبد والإماء و انه بمعناه الاسلامى- لا الغربى السائد فى الأذهان- لم يلع و لا يلغى الى يوم القيامة، كسائر احكام الإسلام.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٦٨

[سورة النساء (٤): الآيات ٢٦ الى ٢٧]

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)

الجهد و الشدة، أى خاف أن يقع فى جهد و شدة من جهة ترك الزواج، أو خاف الوقوع فى الزنا لشدة رغبته الجنسية و أن تصبروا فلا تتزوجوا بالإماء خير لكم فإنه لو اعتاد نكاح الإماء بقيت الحرائر بلا أزواج لقله الكلفة بالنسبة إلى الأمة، و كثرة الكلفة بالنسبة إلى الحررة، فيقبل الناس على تزوجهن، و ليس أمر العبيد و الإماء و الفروع المتصلة به قصة تاريخية لظروف خاصة، كما يقوله بعض من بهرته الثقافة الغربية، و لو جاز ذلك فى هذا الحكم لجاز فى كل حكم إسلامى، و لم يبقى للإسلام اسم و لا- رسم. و الله غفورٌ لذنوبكم رحيمٌ بكم فلا تأسوا من رحمته لما اقترفت من المحرمات المرتبطة بهذا الباب بعد عزمكم على التوبة منها.

[٢٧] ثم بين سبحانه أن هذه المحرمات إنما حرمت لمصلحة البشر لا- اعتبارا فقال: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ أَحْكَامَ دِينِكُمْ وَ دُنْيَاكُمْ وَ يَهْدِيَكُمْ يَرْشِدُكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ السَّنَنُ جَمْعُ سَنَةٍ، وَ هِيَ طَرِيقَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ الْمُرْسَلِينَ وَ عِبَادَ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ أَى يَرْجِعُ عَلَيْكُمْ بِلُطْفِهِ وَ مَنَّةٍ حَيْثُ أَنْكُمْ تَعْمَلُونَ بِطَاعَتِهِ- بَعْدَ مَا كُنْتُمْ فِي زَمَانِ الْجَاهِلِيَّةِ تَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي وَ الْآثَامِ- فَيُبَيِّنُ لَكُمْ الْأَحْكَامَ لِتَعْمَلُوا بِهَا فَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَصَالِحِكُمْ حَكِيمٌ فِيمَا يَأْمُرُ وَ يَنْهَى.

[٢٨] وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ كَزَّرَ لِفَائِدَةِ الْمَقَابَلَةِ بِقَوْلِهِ سَبْحَانَهُ:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٦٩

[سورة النساء (٤): الآيات ٢٨ الى ٢٩]

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)

وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ فِي مَوَاقِعِهِ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْحَلِّ وَالْحَرَمَةِ وَالْمَصْلُحَةِ وَالْمُفْسَدَةِ أَنْ تَمِيلُوا عَنِ الْحَقِّ مَيْلًا عَظِيمًا أَى انحرافا، فَإِنْ اقْتَرَفَ مُحْرَمَاتِ النِّكَاحِ مِنْ أَكْبَرِ الْآثَامِ.

وَالْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ عَامَةً لِكُلِّ بَاطِلٍ وَلِكُلِّ مَيْلٍ إِلَّا أَنْ قَرِينَهُ السِّيَاقُ تَخَصُّصَهَا بِمَا ذَكَرْنَا.

[٢٩] يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ فِي أُمُورِ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ وَلِذَا أَحَلَّ كُلَّ النِّسَاءِ إِلَّا مَا فِيهِ مَضْرَةٌ، وَيَقْبَلُ تَوْبَتِكُمْ، وَ لَوْ أَرَادَ التَّشْدِيدَ لَمْ يَقْبَلِ تَوْبَتِكُمْ، وَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَقْسَامًا أُخْرَى مِنَ النِّسَاءِ كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ (١) وَ فِيهِ إِفَادَةٌ أَنَّ تَحْرِيمَ مَا ذَكَرَ لَيْسَ تَثْقِيلًا- وَإِنَّمَا هُوَ تَخْفِيفٌ، فَإِنَّ التَّخْفِيفَ قَدْ يَكُونُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الشَّيْءِ وَ قَدْ يَكُونُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَتَائِجِهِ، وَ تَحْرِيمُ الْمُحْرَمَاتِ الْمَذْكُورَةِ تَخْفِيفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النِّتَائِجِ لِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْمُحْرَمَاتُ مِنْ وَخَامَةِ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ الَّتِي مِنْهَا ضَعْفُ النَّسْلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نِكَاحِ الْمُحْرَمَاتِ كَمَا ثَبَتَ فِي الطَّبِ الْحَدِيثِ وَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا فَهُوَ لَا يَصْبِرُ عَلَى شَهَوَاتِهِ وَ يَرِيدُ اقْتِرَافَ آثَامِ الزُّنَا مِمَّا يَضُرُّهُ فِي دُنْيَاهِ وَ آخِرَتِهِ [٣٠] وَ لَمَّا بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ مُحْرَمَاتِ النِّسَاءِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِ «الْفَرْجِ»، بَيَّنَّ مُحْرَمَاتِ

(١) النساء: ١٦١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٧٠

الأموال مما يتعلق ب «البطن»

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن «من وقى شر لقلقه و قبقبه و ذبذبه فقد وقى الشر كله»  
«١»، و المراد بقلقه:

لسانه و قبقبه: بطنه، و ذبذبه: فرجه. فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَقَدَّمْ أَنْ الْحَكْمِ وَإِنْ كَانَ عَامًا لِلْمُؤْمِنِ وَ غَيْرِهِ إِلَّا أَنْ إِصْغَاءِ الْمُؤْمِنِ فَقَطْ أَوْ جَبَ تَوْجِيهِ الْخُطَابِ إِلَيْهِ فَقَطْ لَا- تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَ الْمَرَادُ بِالْأَكْلِ مَطْلُوقُ التَّصْرِيفِ، وَ أَتَى بِلَفْظِ الْأَكْلِ لَشِيوعِ هَذَا النُّوعِ مِنَ التَّصْرِيفِ، فَهُوَ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْخَاصِّ وَ إِرَادَةِ الْعَامِ، وَ كَلِمَةُ «بَيْنَكُمْ» إِنَّمَا أَتَى بِهَا لِإِفَادَةِ أَنَّ الْأَكْلَ بِالْبَاطِلِ إِنَّمَا يَعُودُ ضَرَرُهُ إِلَيْهِمْ أَجْمَعٍ فَلَيْسَ الْأَكْلُ لِمَالِ غَيْرِهِمْ، وَ إِنَّمَا أَكَلَ لِأَمْوَالِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَ يَعُودُ ضَرَرُهُ إِلَى مَجْتَمِعِهِمْ، وَ الْبَاطِلُ هُوَ خِلَافُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَقْرَهُ الشَّرْعُ وَ الْعَقْلُ، أَمَا أَخَذَ الْخَمْسَ وَ الزَّكَاةَ وَ سَائِرَ الْحَقُوقِ الْمَالِيَّةِ وَ الْوَاجِبَاتِ فَلَيْسَ أَكْلًا بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ الْاسْتِثْنَاءُ مَنْقُوعٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَكْلًا لِلْمَالِ بِالْبَاطِلِ. وَ كَثِيرًا مَا يَأْتِي مِثْلُ هَذَا الْاسْتِثْنَاءِ فِي الْكَلَامِ فَيَقَالُ: لَا تَجَالِسِ الْأَشْرَارَ إِلَّا الْأَخْيَارَ، وَ لَا تَأْكُلِ الْمَضْرُورَ إِلَّا الْمَفِيدَ، وَ قَوْلُهُ «عَنْ تَرَاضٍ» يَفِيدُ عَدَمَ جَوَازِ أَكْلِ الْمَالِ مُقَابِلِ التَّجَارَةِ الْجَبْرِيَّةِ بَدُونَ الرِّضَا وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَى لَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَإِنَّ الْقَتْلَ مَهْمَا وَقَعَ عَلَى الْعَدُوِّ فَإِنَّهُ وَقَعَ عَلَى الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ، وَ الْمُنَاسِبَةُ بَيْنَ الْقَتْلِ وَ أَكْلِ الْمَالِ، أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ حَرَّمَ انْتِهَاكَ الْأَعْرَاضِ، وَ أَكَلَ الْأَمْوَالِ وَ إِرَاقَةَ الدَّمَاءِ،

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٦٣ ص ٣٣٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٧١

[سورة النساء (٤): الآيات ٣٠ الى ٣١]

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ غَدُونًَا وَ ظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) إِنْ تَجَتَّبْتُمْ أَسْبَابَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا (٣١)



فحيث ذكر الأولين، أشار إلى الثالث إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا و من رحمته بكم أن جعل أموالكم و أعراضكم و دماءكم محترمة لا يجوز لأحد أن يتصرف فيها.

[٣١] وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ الْقَتْلَ، أَوْ أَكَلَ الْمَالَ وَالْقَتْلَ، أَوْ انْتَهَاكَ الْعَرَضَ وَ أَكَلَ الْمَالَ وَالْقَتْلَ، وَ السِّيَاقُ يُؤَيِّدُ الْمَعْنَى الثَّلَاثَ، وَ إِنْ كَانَ قَرَبَ اللَّفْظِ يُؤَيِّدُ الْمَعْنَى الْأُولَى عُرْدُونَاً وَ ظُلْمًا فَإِنَّهُ تَعَدَّى لِلْحُدُودِ وَ ظَلَمَ لِلنَّفْسِ وَ لِلغَيْرِ، وَ فِي ذَلِكَ إِخْرَاجَ لِلسَّهْوِ وَ النِّسْيَانِ وَ الْخَطَأِ فَسَوْفَ نُضَيِّلُهُ مِنْ أَصْلَاهُ أَى أَدْخَلَهُ، نَارًا فِي الْآخِرَةِ وَ كَانَ ذَلِكَ الْإِدْخَالَ فِي النَّارِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا فَلَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ وَ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ.

[٣٢] إِنْ الْإِنْسَانَ لَا- بَدَ وَ أَنْ تَقَعَ مِنْهُ مَخَالَفَاتٌ، وَ حَيْثُ أَنْ الْمَخَالَفَاتُ مُخْتَلِفَةٌ: مِنْ كَبِيرَةٍ، كَقَتْلِ النَّفْسِ، وَ صَغِيرَةٍ كَكَذْبَةٍ عَفْوِيَّةٍ وَ نَحْوَهَا.

لذا يختم الله سبحانه تلك الآيات المحذرة عن المحرمات المذكورة بقوله سبحانه: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ كَانَتْهَاكَ الْأَعْرَاضُ وَ أَكَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَ إِرَاقَهُ دِمَاءَ الْأَبْرِيَاءِ تُكْفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ مَعْنَى التَّكْفِيرِ: السَّرُّ وَ الْغُفْرَانُ، أَنْ نَغْفِرَ سَائِرَ سَيِّئَاتِكُمْ، وَ لَا نُوَازِحَكُمْ بِمَا لَا بَدَ وَ أَنْ يَقَعَ فِي الْحَيَاةِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٧٢

[سورة النساء (٤): آية ٣٢]

وَ لَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)

وَ نُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا أَى مَكَانًا حَسَنًا طَيِّبًا يَكْرَمُ صَاحِبَهُ فِيهِ، وَ «كَرِيمٌ» صِفَةُ الْإِنْسَانِ، يُطْلَقُ عَلَى الْمَحَلِّ بِعِلَاقَةِ الْحَالِ وَ الْمَحَلِّ، وَ الْمُرَادُ بـ «المدخل الكريم» الجنة.

[٣٣] وَ حَيْثُ سَبَقَ الْكَلَامُ حَوْلَ أَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ، جَرَى السِّيَاقُ فِي مَوْضِعٍ أَدَقُّ وَ هُوَ تَمَنَّى بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ نَصِيبَهُمْ كَنْصِيبِ الْآخَرِينَ، وَ التَّمَنَّى قَدْ يَكُونُ مَقْرُونًا بِزَوَالِ النِّعْمَةِ مِنَ الْآخِرِ، وَ هَذَا هُوَ الْحَسَدُ الْمَذْمُومُ الَّذِي نَهَى عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَ قَدْ يَكُونُ طَلِبًا لِأَنْ يَكُونَ لِلْإِنْسَانِ مِثْلُ مَا لِأَخِيهِ وَ هَذِهِ هِيَ الْغِبْطَةُ، وَ هَذِهِ وَ إِنْ كَانَتْ خِلَافَ الْأَدَبِ- بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ- لِأَنَّهَا تَكْشِفُ عَنْ ضِعْفِ فِي النَّفْسِ، لَكِنَّا لَيْسَتْ بِمَحْرَمَةٍ.

و ذكر صاحب «مجمع البيان» في سبب النزول ما لفظه: «قيل:

جاءت وافدة النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله! أليس الله رب الرجال والنساء وأنت رسول الله إليهم جميعا، فما بالناس يذكر الله الرجال ولا يذكرنا، نخشى أن لا يكون فينا خير ولا الله فينا حاجة. فنزلت هذه الآية. وقيل: إن أم سلمة قالت: يا رسول الله يغزوا الرجال ولا تغزوا النساء. فنزلت الآية. عن مجاهد، وقيل: لما نزلت آية الميراث قال الرجال: نرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون أجرا على الضعف من أجر النساء. وقالت النساء: إنا نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا. فنزلت الآية» (١).

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٧٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٧٣

و على أى حال فقد كان هناك تمنى من أحد الجانبين فهى الله عن ذلك بقوله: وَ لَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فَإِنَّ التَّمَنَّى مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ عَدَمِ جَدْوَاهُ يَكْشِفُ عَنْ ضِعْفِ النَّفْسِ وَ عَدَمِ تَبَصُّرِ الْإِنْسَانِ بِالْأُمُورِ إِذِ التَّفْضِيلُ لَمْ يَقَعْ اعْتِبَاطًا، وَ إِنَّمَا خَلَقَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ، وَ سَائِرَ الْمَلَابِسَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، أَوْجِبَتْ هَذِهِ الْمَفَاضِلُ مِنَ عَلِيمِ حَكِيمٍ، فَلَا يَقِلُّ أَحَدُكُمْ: لَيْتَ مَا أُعْطِيَ

فلانا من المال و الجاه و التشريع كان من نصيبى للرجال نصيب مما اكتسبوا من المال و الجاه و العمل و للنساء نصيب مما اكتسبن من الأمور المذكورة. ثم ليس كل ما اكتسبه الرجل له، بل قسم منه لله سبحانه يجب صرفه فى سبيله من مال أو جاه أو طاقة، و لذا قال: «مما اكتسبوا» و كذلك بالنسبة إلى النساء. فهذا النصيب الذى قدره سبحانه هو الذى ينبغى لكل منهما أن يقنع به و لا يتوقع أن يكون له مثل ما للصنف الآخر و سئلوا الله من فضله أن يعطيكم ما تريدون لا أن تحسدوا و تتمنوا زوال نعمه الآخرين و انتقالها إليكم فإنه سبحانه هو القاسم و المعطى إن الله كان بكل شئ عليمًا فيعلم ما تضررونه من التمنى و الحسد، أو ما تنوون فى قلوبكم من الالتجاء إليه سبحانه فى أن يوفر عليكم الناقص الذى تريدون كماله.

ثم إن ظاهر قوله سبحانه: «للرجال .. الخ» أن التمنى كان بالنسبة إلى الأمور الاكتسابية لا الأمور التكوينية.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٧٤

[سورة النساء (٤): آية ٣٣]

وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣)

[٣٤] ذكر سبحانه أن للرجال نصيب مما اكتسبوا و للنساء نصيب مما اكتسبن، أما القسم الآخر من الكسب أى بعض ما اكتسب الرجال و بعض ما اكتسبن النساء، فإنه من نصيب الوارث، و ليس ذلك على وجه الفريضة و إنما على نحو القضية الطبيعية الغالبة جرت على أن يتنعم الإنسان بقسم مما اكتسبه و يخلف قسما آخر من كسبه للوارث و لكل من الرجال و النساء جعلنا موالى هو جمع مولى، من ولى الشئ يلية ولاية، و هو اتصال الشئ بالشئ من غير فاصل، يعنى جعلنا للصنفين أشخاصا وارثين هم أولى فى التصرف فيما تركا إرثا، و هؤلاء الموالى الوارثون يرثون مما ترك الوالدان و الأقربون كل حسب تشريع الله له قسما خاصا من الإرث، فلكل من الرجال و النساء حق فى الكسب و حق فى الإرث فلا يتمنى أحد ما لغيره فإن الله سبحانه جعل ذلك.

و الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصَبَهُمْ لعل المراد أن الذين تعاقدتم معهم بالأيمان لإعطائهم حصه من تركتكم فاللازم إعطاؤهم نصيبهم المشروع من دون الثلث إذا كان عقد اليمين غير ملزم، و ما زاد عن الثلث إذا كان العقد ملزما، و على أى حال فليس لهؤلاء إرث، إذ لكل موالى خاصة فلا يزداد عليهم بعقد الأيمان إن الله كان على كل شئ شهيداً أى حاضرا شاهدا، فلا تخالفوا أوامره بجعل غير

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٧٥

[سورة النساء (٤): آية ٣٤]

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ بِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ أَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا (٣٤)

الوارث و ارثا بعقد اليمين، أو عدم إعطاء «الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ» نصيبهم المقرر فى الشريعة.

[٣٥] و حيث تقدم إن لكل من الرجال و النساء نصيب، أراد سبحانه أن يبين علة زيادة الرجل فى نصيب الإرث، و نصيب الأمر و النهى، على المرأة، فقال: الرِّجَالُ قَوَّامُونَ جمع قوام و هو القائم بالأمر المسلط على الشئ على النساء و من المعلوم أن المراد قوامه الرجل فى الجملة، لا أن كل رجل قريب قوام على كل امرأة قريبة بما فضل الله أى أن القوامه بسبب تفضيل الله سبحانه بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فإن الله سبحانه فضل الرجل على المرأة عقلا و جسما و تحملا- كما هو واضح و قد ثبت فى العلم الحديث- و لم يكن تفضيل الله سبحانه اعتبارا فقد خلقت المرأة لغاية غير ما خلق لها الرجل فمثلها مثل «مركبتين» صغيرة تحمل الركاب، و كبيرة تحمل الحديد و الأخشاب و بسبب ما أنفقوا من أموالهم فإن نفقة الزوجة واجبة على الزوج، و من المعلوم أن هذا الواجب يلزم أن يعوض بحق فأعطى للزوج القوامه فى قبال ما وجب عليه من النفقة، و كذلك بالنسبة إلى المهر.

فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ وَ إِذْ ثَبَتَتْ هَذِهِ الْقَوَامَةُ، فالنساء الصالحات الخيرات سيحافظن على الهدوء و السكون و الموافقة

لأزواجهن و يتجنبن الشغب و التمرد و الاستعلاء و تجاوز الحدود

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٧٦

و النشوز، و القنوت بمعنى الإطاعة، أى فهن مطيعات للأزواج يحفظنهم فى حضورهم و غيابهم كما أن ذلك مقتضى كونهن مولى عليهن، و المراد بالغيب حالة غيبوبة الزوج بخروج أو سفر أو نحوهما، فلا يخنهن فى أنفسهن أو أموالهن أو نحو ذلك، و يكون هذا الحفظ منهن لهن بسبب ما حفظ الله لهن من الكرامة و الحقوق، أو مستعينات بحفظ الله تعالى فإن الإنسان لا يتمكن من حفظ شىء إلا إذا شاء الله حفظه، أو بمقابله حفظ الله، كأن يكون حفظ الله عوضاً لحفظهن إياهم، فالباء سببية، أو استعانة أو مقابلة.

أما المرأة التى لا تقنت و تريد الاستعلاء على الزوج، و لا تراعى حقوق الرجل، فلها حكم خاص بينه سبحانه فى قوله: وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ مِنْ نُشْرٍ إِذَا ارْتَفَعْنَ، أى عصيانهن، فكأنها ارتفعت عن حدّها فِعْظُوهُنَّ مِنَ الوَعْظِ، بالنصح و الإرشاد، و ما أشبهها وَ أَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ إِنْ لَمْ يَفِدِ الوَعْظُ، و «المضاجع» جمع مضجع، و هو محل النوم و فراشه، و ذلك بتحويل الظهر، أو بعزل فراشه عن فراشها وَ أَضْرِبُوهُنَّ وَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنْ الضَّرْبَ بالسواك، و لا يخفى أن هذه المراتب بالتدرج و إن كانت الواو العاطفة لا تفيد ذلك- كما قالوا- كما أن المرأة كثيراً ما تتأدب بالهجر و الضرب الخفيف لأنهما يبعثان فيها العاطفة نحو الزوج و يتطلبان منها تحسين سلوكها ليرجع إليها قلب الزوج فَإِنَّ أَطْعَمَكُمْ وَ مِنَ الْمَقْرَرِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٧٧

[سورة النساء (٤): آية ٣٥]

وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتِئِنَّا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥)

الشرعية أن الإطاعة الواجبة على المرأة ليست إلا عدم خروجها بدون إذنه و مطاوعتها له فى الاستمتاع بها متى أراد فلا تَبَغُّوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا أى لا تطلبوا لضررهن طريقاً، بإيذانهن و عدم القيام باللطف و العطف المترقب من الزوج، بل سامحوهن، فقد قال الرسول صلى الله عليه و آله و سلم «إن من حق المرأة على الرجل أن يغفر لها إذا جهلت»

«١»، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا فَلَا يَتَعَالَى عَلَيْهِ أَحَدٌ بِقُوَّتِهِ كَبِيرًا فَلَا أَكْبَرَ مِنْهُ.

[٣٦] وَ إِنْ خِفْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْمُحِيطُونَ بِالزَّوْجِينَ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا أَى المخالفة و العداوة بين الزوجين، كأن كل واحد منهما فى شق و جانب، غير شق الآخر و جانبه فَابْتِئِنَّا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا فَإِنَّ الْحَكَمِينَ حَيْثُ يَعْرِفَانِ مَلَاسَاتِ الزَّوْجِينَ يَتِمَكَّنَانِ مِنْ فَصْلِ الْأَمْرِ عَلَى أَحْسَنِ الْوَجْهِ، و للحكمين الإصلاح و ليس لهما الطلاق إلا برضى الزوج أو وكالة سابقة إن يُرِيدَا يعنى الحكمين إِصْلَاحًا بَيْنَهُمَا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا وَ الضَّمِيرُ عَائِدٌ إِلَى الْحَكَمِينَ لِقَرْبِ اللَّفْظِ، و ربما يقال: عائد إلى الزوجين. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِمُصَالِحِ الْعِبَادِ خَبِيرًا بما يضرهم الحكمين و يفعلاه فى أمر

(١) جواهر الكلام: ج ٣١ ص ١٤٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٧٨

[سورة النساء (٤): آية ٣٦]

وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَ بِالنِّسَابِ وَ الْقُرْبَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَ الْجَارِ الْجُنُبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا (٣٦)

الإصلاح و الإفساد.

[٣٧] ثم يتوجه البيان إلى العلاقات الإنسانية العامة بما فيها الأقربون و غيرهم، بعد ما فرغ من نظام الأسرة، و ربطها بعبادة الله سبحانه الذى أمر بذلك، و بيّن ما يجب على الإنسان تجاه الخالق و تجاه المخلوق، فقال: وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ معنى العبادة منتهى الخضوع مما

يطلب من العبد قبل سيده، فإن العبادة و العبد من مادة واحدة و لا تُشْرِكُوا بِهِ أَي بِاللَّهِ شَيْئًا أَي لا تجعلوا له شريكا من حجر أو مدر، أو جماد أو نبات، أو ملائكة أو بشر، فإنه هو الإله الواحد الذي لا شريك له و أحسنوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا فَإِنَّهُمَا وَاسِطَةُ خَلْقِكُمْ، و كثيرا ما يقرن الإحسان إليهما بعبادة الله سبحانه في القرآن الكريم، لإفادة تأكيد لزوم الإحسان إليهما و أحسنوا بِذِي الْقُرْبَى الْقُرْبَى كاليسرى من اليسر، أى أصحاب القرابة، و هذا تعميم بعد التخصيص و التيامى و هم الذين مات آباؤهم، أو الأعم منهم و ممن ماتت أمه و المساكين هم الفقراء بصورة عامة و الجارِ ذِي الْقُرْبَى و لمثله حقان: حق الجوار، و حق القرابة و الجارِ الْجُنُبِ جنب بضم الأولين كعق، صفة بمعنى الغريب، و كأنه باعتبار أن كلاً من الطرفين فى جنب و الصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ أى صاحبك الذى بجنبك، سواء كان فى مدرسة أو دكان أو سفر أو حضر، أو غيرها و ابْنِ السَّبِيلِ أى المنقطع عن بلده سواء كان ثريا أو لا، و يسمى «ابن السبيل» لأنه لا يعرف شيئا من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٧٩

[سورة النساء (٤): آية ٣٧]

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧)

ملايساته إلا السفر، يقال ابن البلد و ابن السبيل و ابن العمل لمن يرتبط بهذه الأمور و ما ملكت أيمانكم من العبيد و الإماء.

و قد أطلق سبحانه الإحسان إلى هؤلاء ليشمل مطلق صنوف الحفاوة و الإكرام، و قد كان تأكيد الإسلام بالإحسان إلى هؤلاء تمشيا مع روحه العامة فى توثيق صلة البشر بعضهم مع بعض، و جمعهم فى رباط الود و الحب و الوئام إنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا المختال: المتبختر المتكبر، و الفخور: الذى يفخر بمناقبه كبرا و اعتزازا و تطاولا- ذكر هذه الجملة هنا بمناسبة أن من أمره سبحانه بالإحسان إلى الأصناف المذكورة كثيرا ما يتناول و يتكبر، فلا يخضع للإحسان، كما هو المشاهد إلى الآن، فنهى سبحانه عن ذلك بعد ما أمر بالإحسان ليؤكد إثباتا و نفيا.

[٣٨] و حيث أن الإحسان إلى هؤلاء كثيرا ما يحتاج إلى بذل المال، ذم سبحانه الذين لا يبذلون أموالهم فى سبيل الله بقوله: الَّذِينَ صَفَهُ «مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا» يَبْخُلُونَ فلا ينفقون الأموال فى سبيله سبحانه و يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ و كأن هذا ملازم لصفة البخل فإن البخل حيث جبل على حب المال لا يتمكن أن يرى غيره ينفق ماله، و قد تشدد هذه الصفة فى البخل حتى يبخل على نفسه، فلو أنفق عليه غيره نهاه و أمره بالكف. وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨٠

[سورة النساء (٤): آية ٣٨]

و الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨)

البخلاء يكتمون أموالهم لئلا يعرفون فيذمهم الناس بعدم إنفاقهم فى سبيل المعروف، أما ما اشتهر من «استر ذهبك و ذهابك و مذهبك» فإنه فى محل الخوف لا- مطلقا و أَعْتَدْنَا أَي هَيَّئْنَا لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِنِعْمِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ لَا يَعْمَلُونَ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مِنْ إِنْفَاقِ أَمْوَالِهِمْ عَذَابًا مُهِينًا يهينهم و يكسر كبرياءهم، كما تكبروا فى الدنيا و لم يحسنوا إلى من وجب الإحسان إليه، اختيالا- و افتخارا، كما قال سبحانه: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ «١» [٣٩] و هناك صفة أخرى ملازمة لعدم الإحسان إلى الأصناف السابقة، فإن المختال الذى لا يحسن و يبخل، لا بد و أن يكون إنفاقه رياء و سمعة، لأن كبرياءه يجبره على أن يشوب إنفاقه بما يلائم صفته. فقال سبحانه: وَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ «الَّذِينَ يَبْخُلُونَ» يعنى أن إنفاقهم لأجل أن يراهم الناس، حتى يعظمون فى نفوسهم، و يمدحونهم بأنهم أهل خير و إنفاق، و المراد بالرياء المثال، و إلا فالسمعة كذلك و لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حتى يكون حافزهم على الإنفاق أمر الله سبحانه و رضاه و لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ حتى يكون باعثهم على البذل رجاء الثواب و خوف العقاب.

ثم إنه كثيرا ما يعبر بهذا التعبير عن عدم الإيمان الكامل، لا مطلق الإيمان، أو عدم الإيمان من هذه الجهة، وإن كان هناك إيمان من سائر

(١) الدخان: ٥٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨١

[سورة النساء (٤): الآيات ٣٩ إلى ٤٠]

وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَانْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩) إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُمْضِعْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)

الجهات، إذ أن الإيمان الكامل والإيمان من جميع الجهات، يقتضى أن يكون باعث كل حركة و سكون هو الإيمان لا غيره، وذلك كما يقال: فلان لا يطيع أباه، إذا لم يطعه إطاعة كاملة، أو إطاعة من جميع الجهات، فإنه لا يراد بذلك عدم الإطاعة مطلقا، بل عدم الإطاعة الكاملة من جميع النواحي.

وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا مَقْتَرِنًا، بأن صاحبه و لآزمه و أتمر بأوامره فى البخل و الرياء و عدم الإيمان فساء قَرِينًا لأنه يدعوه إلى المعصية الموجبة لذهاب دينه و دنياه.

[٤٠] و مَا ذَا عَلَيْهِمْ أَى: أى شىء يكون عليهم و أى ضرر يتوجه إلى هؤلاء الذين لا يؤمنون و لا ينفقون لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ انْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ! فإنه بالعكس مما يظنون من أن الإيمان و الإنفاق يسببان أضرارا و مشاكل، إذ الإيمان يوجب الهدوء و السكينة و الاطمئنان و خير الدارين، و الإنفاق يوجب تقدم المجتمع و ازدهاره مما يعود إلى المنفق بأكثر مما أنفقه و كَانَ اللَّهُ بِهِمْ أَى بهؤلاء، سواء أنفقوا و آمنوا، أم لا عَلِيمًا فيجازيهم بأعمالهم إن خيرا فخير، و إن شرا فشر.

[٤١] إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ المِثْقَال الثقل، و الذرة هى واحدة «الهباء» التى يرى إذا دخل شعاع الشمس من الكوة، فمن أنفق

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨٢

[سورة النساء (٤): الآيات ٤١ إلى ٤٢]

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢)

فلا يظن أن إنفاقه يذهب هباء، فإن الله سبحانه يجازيه على إنفاقه و لا يظلمه قدر مِثْقَال ذرة و إِنَّ تَكَ الذرة التى أتى بها العبد حَسَنَةً عملا خيرا يُمْضِعْهَا فإن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها و يُؤْتِ لمن أحسن مِنْ لَدُنْهُ دلالة على صدق الوعد و عظمه حيث أنه من لدن صادق كريم أَجْرًا عَظِيمًا و هو الثواب الباقي أبد الأبدين.

[٤٢] و إذا كان الله تعالى بهذه المثابة من العلم و العدل فَكَيْفَ بحال الناس الذين انحرفوا عن الجادة، و كفروا و بخلوا و عصوا إذا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ يشهد على أعمالهم، و هم أنبيأؤهم و من جعله الله سبحانه واسطة بينه و بينهم فى التبليغ و بلاغ الأحكام و جِئْنَا بِكَ يا رسول الله على هَؤُلَاءِ القوم الذين أنت فيهم شَهِيدًا تشهد على أعمالهم فى ذلك الموقف الرهيب.

[٤٣] يَوْمَئِذٍ أَى فى يوم القيامة يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوْا الرَّسُولَ «الواو» إما للتقسيم، أى يود كل واحد منهما، أو للجمع أى يود الكافر العاصى لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ أى يجعلون متساوين مع الأرض كما قال سبحانه: وَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا «١»

(١) النبأ: ٤١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨٣

[سورة النساء (٤): آية ٤٣]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا (٤٣)

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمَ لَا يُكْتُمُونَ اللَّهَ أَيُّ لَا يَخْفُونَ عَنِ اللَّهِ حَدِيثًا بَلْ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَجَوَارِحُهُمْ بِكُلِّ مَا عَمَلُوا مِنَ الْكُفْرِ وَالسَّيِّئَاتِ وَالشُّرُورِ، فَفِي مَقَابِلِ تَكْبِيرِهِمْ فِي الْحَيَاةِ يَتَمَنُونَ بَلْعَ الْأَرْضِ لَهُمْ هُنَاكَ، وَفِي مَقَابِلِ كِتْمَانِهِمْ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا لَا يَتِمَكَّنُونَ مِنَ الْكِتْمَانِ هُنَاكَ.

[٤٤] قد تقدم الأمر بعبادة الله سبحانه فارتد السياق هنا إلى بعض مصاديق العبادة وهي الصلاة والغسل فقال سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى وَالنَّهْيُ عَنْهُ «الاقتراب من الصلاة حال السكر» كالنهْي عن نفس الشيء «الصلاة حال السكر» لكن للمبالغة في التنزيه، كما قال سبحانه: لَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ «١» و«سكاري» جمع سكران. ومن المعلوم أنه لا منافاة «تكويننا لا شرعا» بين السكر الخفيف والصلاة، وإنما السكر الشديد المزيل للعقل تماما لا يجتمع مع الصلاة حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ فَإِنَّ الصَّلَاةَ إِنَّمَا شَرَعَتْ لِلْإِقْبَالِ وَالسُّكْرَانَ لَا يَعْلَمُ مَا يَقُولُ وَلَا يَحْضُرُ قَلْبُهُ فِيمَا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانَهُ، وَ«حَتَّى» هُنَا تَصْلِحُ عَلَهُ لِلْحُكْمِ كَمَا تَصْلِحُ غَايَةٌ فَإِذَا شَرِبَ أَحَدُ الْخَمْرِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَلَا يَقْبَلُ عَلَى الصَّلَاةِ إِلَّا وَقَدْ زَالَ أَثَرُهَا بَحِثْ يَعْلَمُ مَا يَقُولُ وَلَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ جُنُبًا بِالْإِدْخَالِ أَوْ الْإِنْزَالِ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ أَيُّ فِي حَالِ

(١) الأنعام: ١٥٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨٤

السفر فإن الغالب أن المسافر - قديما - كان لا يجد الماء فيصلى جنبا بتميم إذ التيمم لا يرفع جميع أثر الجنابة ولذا لو وجد الماء بطل تيممه ويلزم عليه الغسل حَتَّى تَغْتَسِلُوا أَيُّ لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ جُنُبًا حَتَّى تَغْتَسِلُوا. والاعتسال: غسل للرأس والرقبة ثم الطرف الأيمن ثم الأيسر مع النية، أو الارتماس في الماء دفعة واحدة مع النية وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى جَمْعُ مَرِيضٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْمَرِيضُ الَّذِي يَضُرُّ مَعَهُ الْمَاءُ وَإِنْ كَانَ جَرْحًا أَوْ نَحْوَهُ أَوْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ أَيُّ مُسَافِرِينَ وَكَانَ الْإِتْيَانُ بِلَفْظَةِ «عَلَى» لِمَا يَكُونُ الْمَسَافِرُ عَلَيْهِ مِنَ الرُّكُوبِ عَلَى شَيْءٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْكُونَ عَلَى السَّفَرِ لَا يَبِيحُ بِنَفْسِهِ التَّيْمُمَ، وَإِنَّمَا لِعَلْبَةِ صَعُوبَةِ الْمَاءِ فِيهِ - فِي السَّابِقِ - أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُونَ لِلصَّلَاةِ مِنَ الْغَائِطِ الْغَائِطُ هُوَ الْمَكَانُ الْمُنْحَفِضُ مِنَ الْأَرْضِ، وَسَمِيَ «البراز» بِهِ لِعِلَاقَةِ الْحَالِ وَالْمَحَلِّ، وَالْمُرَادُ أَنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ قَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ أَرَادَ الصَّلَاةَ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ أَيُّ جَامِعْتُمْ مَعَهُنَّ فَإِنَّ الْمَلَامَسَةَ كُنَايَةٌ عَنِ الْجَمَاعِ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً مُرْتَبِطًا بِالثَّلَاثَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الْمَسَافِرِ وَالْمُحَدَّثِ وَالْمَجَامِعِ فَتَيَمَّمُوا أَيُّ اقْصِدُوا صَعِيدًا أَيُّ أَرْضًا، سِوَاهُ كَانَ عَلَيْهَا تَرَابٌ أَوْ لَا طَيِّبًا أَيُّ طَاهِرًا حَلَالًا إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النِّجْسِ وَالْمَغْضُوبِ خَبِيثٌ غَيْرٌ طَيِّبٌ. وَالتَّيْمُمُ هُوَ مَعْنَاهُ التَّقْصِدُ ثُمَّ غَلَبَ فِي الشَّرِيعَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْمَخْصُوصَةِ حَتَّى إِذَا قِيلَ: «تيمم» لَا يَتَبَادَرُ مِنْهُ إِلَّا الْأَعْمَالُ الْمَخْصُوصَةُ شَرْعًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَقَدْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨٥

[سورة النساء (٤): آية ٤٤]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤)

دلت الشريعة على أن كفيته أن يضرب الإنسان بيديه معا وجه الأرض - ما لم يخرج عن اسم الأرضية لكونه معدنا أو نحوه - ثم يمسح بهما جبهته من قصاص الشعر إلى طرف الأنف الأعلى، ثم يمسح بباطن الكف اليسرى ظهر الكف اليمنى من الزند إلى رؤوس الأصابع، ثم يمسح بباطن الكف اليمنى ظاهر الكف اليسرى من الزند إلى رؤوس الأصابع. وهناك احتياط بالضرب ثانيا و مسح

اليدين. وقد ثبت في الطب الحديث أن الأرض تطهر الجراثيم في مرتبة أدنى من تطهير الماء، فقد كان من حكمه الشارع أن جعلها مطهرة في المشى عليها والتعفير بها، في النجاسة الخبيثة، والتيمم بها في النجاسة الحديثة إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا يُغْفِرُ عَن الَّذِي لَهُ حُرْجٌ فِي اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ، وَيُظْهِرُ جَمَالَ الْعَفْوِ إِذَا قَاسَى الْإِنْسَانَ أَحْكَامَهُ سَبْحَانَهُ بِأَحْكَامِ الْمَلُوكِ وَالْحُكُومَاتِ وَالسَّادَةِ الَّذِينَ لَا يَبَالُونَ بِالنَّاسِ فَهَمَّ يَطْلُقُونَ أَوْامِرَهُمْ مَهْمَا كَلَّفَ الْأَمْرَ عَفْوَرًا يُغْفِرُ الذُّنُوبَ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا الْإِنْسَانُ فِي تَكَالِيفِهِ، وَهَذَا كَالْتَسْلِيَةِ لِمَنْ أَفَلَتْ مِنْهُ ذَنْبٌ لَثَلَا يَبِئْسَ مِنْ مَغْفِرَتِهِ سَبْحَانَهُ.

[٤٥] ثم يعود السياق إلى الذين كفروا وعصوا الرسول وأن قسما من أهل الكتاب يبيعون أنفسهم بالضلالة ويحرفون الكلم ويؤذون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَلَمْ تَرَ أَيُّ الْآتِ تَتَعَجَّبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَنْظُرُ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ أَيُّ قِسْمًا مِنْهُمْ وَالْيَهُودَ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَإِنَّمَا ذَكَرَ «نَصِيبًا» لِأَنَّهُمْ لَمْ يُعْطُوا الْكِتَابَ - أَيُّ الْأَحْكَامِ - كَامِلًا، وَإِنَّمَا أُعْطُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨٦

[سورة النساء (٤): الآيات ٤٥ الى ٤٦]

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَ أَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِاللِّسَانِ تَتَّبِعُهُمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)

قسما من الأحكام، والبقية الباقية للمسيح عليه السلام والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ يبيعون أنفسهم بالضلالة فعوض أن يصرفوا أعمارهم وطاقاتهم ليشتروا الهداية بالإيمان بالرسول والعمل الصالح يبيعون أنفسهم وطاقاتهم مقابل الكفر والأعمال السيئة، والحال أنهم من أهل الكتاب ويعلمون الحق ويريدون أَنْ تَصَدَّقُوا أَنْتُمْ الْمُسْلِمُونَ السَّبِيلَ فَتَحْرَفُوا عَنْ جَادَةِ الْهُدَايَةِ إِلَى السَّبِيلِ الْمَلْتَوِيَةِ الْمُؤَدِيَةِ إِلَى الْهَلَاكِ وَالْدَمَارِ.

[٤٦] وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ مِنْكُمْ فَلَا تَتَّخِذُوا هَؤُلَاءِ أَوْلِيَاءَ ظَنَّا مِنْكُمْ أَنَّهُمْ أَحِبَّاؤُكُمْ وَاعْتَرَارًا بِظَاهِرِهِمْ وَزَعَمًا بِأَنَّهُمْ ظَهَرَكُمْ وَسَدَّكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا أَيُّ أَنْ وَلايَةَ اللَّهِ لَكُمْ تَغْنِيكُمْ عَنْ وَلايَةِ الْكُفَّارِ وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا فَنَصَرْتَهُ إِيَّاكُمْ تَكْفِي عَنْ نَصْرَةِ الْكُفَّارِ.

[٤٧] ثم ذكر سبحانه بعض صفات هؤلاء الكفار الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَاتَّخَذُوا الْيَهُودِيَّةَ دِينًا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ جَمْعَ كَلِمَةٍ، وَالْمُرَادُ بِهَا أَحْكَامُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ فَيَضَعُونَ الْحَلَالَ مَكَانَ الْحَرَامِ وَالْحَرَامَ مَكَانَ الْحَلَالَ وَهَكَذَا وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا كَلَامَكَ وَاحْتِجَاكَ يَا مُحَمَّدٌ وَعَصَيْنَا أَوْامِرَكَ لِأَنَّا لَا نَعْتَقِدُ بِكَ نَبِيًّا صَادِقًا. وَرَبَّمَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨٧

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ عَصِيَانَهُمْ عَمَلًا لَا قَوْلًا فَإِنَّ «القول» يَرَادُ بِهِ تَارَةَ الْكَلَامِ وَتَارَةَ الْعَمَلِ، يُقَالُ: «قَالَ بِيَدِهِ كَذَا» أَيُّ أَسْأَرَ.

وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ يَقصدون الدعاء على الرسول بأنه لا يسمع، كما يقال: اسمع لا - أسمعك الله. فإنهم كانوا يقصدون بهذا الكلام السب والدعاء عليه ويظهرون أنهم يريدون معنى آخر وهو: اسمع غير مأمور بالسمع، فإنه يقال: الكلام للرجل العظيم احترامًا وإشعارًا بأن أمره ب «اسمع» ليس أمرًا فهو لا يؤمر بالاستماع لأنه أجل من الأمر.

وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ لِلرَّسُولِ: رَاعِنَا يَقصدون بذلك السب باطنًا ويظهرون أنهم يتأدبون حيث أن ظاهر لفظه «راعنا» طلب المراعاة لَيَّا بِاللِّسَانِ مِنْ «لوى يلى» إِذَا حَرَفَ وَأَمَالَ، وَالْأَلْسِنَةُ جَمْعُ لِسَانٍ، وَلِيَ اللِّسَانَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا بِأَنْ يَحْرَفَ لِسَانَهُ، وَقَدْ يَكُونُ بَاطِنًا بِأَنْ يَقُولُ شَيْئًا ظَاهِرًا أَمْرًا، وَهُوَ لَا يَرِيدُ ظَاهِرَهُ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ فَإِنَّ الطَّعْنَ فِي رَأْسِ الدِّينِ طَعْنٌ فِي الدِّينِ، لَوْ هُنَّ سَبَبٌ وَهِيَ رَأْسُهُ.

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَيُّ أَنْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا مَا جِئْتُ بِهِ، بِأَنْ صَارُوا مُتَدِينِينَ بِالْإِسْلَامِ وَأَسْمِعْ بِدُونِ أَنْ يُضَيِّفُوا «غَيْرَ مُسْمِعٍ» وَانظُرْنَا عَوْضَ قَوْلِهِمْ «راعنا» مِمَّا فِيهِ إِيمَانٌ وَأَدَبٌ وَاسْتِقَامَةٌ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ حَيْثُ يَنْعَمُونَ بِرَاحَةِ الْمُسْلِمِينَ وَرِفَاهِهِمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨٨

[سورة النساء (٤): آية ٤٧]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧)

و تقدمهم، و في آخرتهم حيث يسعدون بجنات النعيم و أقوم أي أكثر عدلا و استقامة.

و لكن لعنهم الله أي أبعدهم عن رحمته و لطفه و فضله بكفرهم فإن الإنسان إذا لم يقبل الإيمان بعد ما عرفه طرده الله سبحانه عن فضله، كما أن الأب إذا رأى ولده لا يقبل نصحه طرده عن ألطافه فلا يؤمنون إلا قليلا منهم كعبد الله بن سلام و أصحابه.

و هذا ليس استثناء من قوله سبحانه «لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ» بل من أصل الكتاب. و قد ذكرنا سابقا أن الاستثناء قد يراعى فيه أصل المطلب من دون النظر إلى قيوده، كقوله تعالى: لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ «١»، و لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ «٢» و من المحتمل مراعاة القيد في «إلا قليلا» أي أن إيمان هؤلاء ممكن تقبله حتى بعد لعن الله لهم إذا تيقظ ضميرهم و رجعوا عن الغفلة إلى الحق.

[٤٨] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ أَي نزل على نبيهم الكتاب السماوي و التزموا به، و تخصيص الخطاب بهم مع أن الأمر بالإيمان عام، لكونهم محل الحوار و البحث آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا من الفرقان على رسولنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم في حال كونه مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ فإن القرآن

(١) النساء: ٣٠.

(٢) الأنعام: ١٥٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨٩

[سورة النساء (٤): آية ٤٨]

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)

يصدق بالكتب السماوية السابقة من قبل أن نطمس ووجوها طمس الشيء إذهب أثره فنرُدّها على أَدْبَارِهَا جمع «دبر» و هو الخلف، و الظاهر من الآية أنه في يوم القيامة إذ تطمس فيه الوجوه من بعض الناس حتى تتساوى جميع أجزاء الوجه فلا- تنوء فيها، ثم يجعل الوجه إلى الخلف، كما ورد في بعض الأحاديث. و

في بعض الروايات

طمسها عن الهدى وردها على أَدْبَارِهَا في ضالتها

«١» أَوْ نَلْعَنَهُمْ عاجلا- قبل يوم القيامة فنجعل منهم القردة و الخنازير كما لعننا أصحاب السبت و هم اليهود الذين اعتدوا في السبت باصطياد السمك فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين «٢» و

في بعض الأحاديث أنه في آخر الزمان يتلى بعض الفساق بالمسح

«٣»- و العياذ بالله- و كان أمر الله مفعولا كائنا فلا تظنوا أنه لا يكون ذلك و إنما هذا مجرد تهديد و توعد.

[٤٩] و لا يظن أهل الكتاب أنهم إن بقوا على شركهم حتى ماتوا يشملهم غفران الله سبحانه فيبقوا على كفرهم و شركهم إن الله لا يغفر أن يُشْرَكَ بِهِ فإن الإنسان إذا مات مشركا لم يكن له الخلاص و يغفر ما دون ذلك أي دون الشرك من المعاصي لمن يشاء ممن يكون أهلا للغفران، فلا يقاس الشرك بسائر المعاصي و الذنوب

(١) بحار الأنوار: ج ٧ ص ١٤١.



(٢) البقرة: ٦٦.

(٣) راجع تأويل الآيات الظاهرة: ص ٥٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٩٠

[سورة النساء (٤): الآيات ٤٩ الى ٥٠]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا (٥٠)

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ أَيُّ جَعَلَ لَهُ شَرِيكًا فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا فَإِنَّهُ افْتَرَى عَلَى مَقَامِ الْأُلُوهِيَّةِ بِأَنَّهُ لَمْ يَشْرِكْ، وَ أَى إِثْمٍ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ. [٥٠] أَلَمْ تَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ اسْتَفْهَمَ تَعْجَبِي إِلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ أَى يمدحونها و يصفونها بالطهارة و الزكاة و النزاهة فقد كانوا يقولون عن أنفسهم أنهم نزيهون و أنهم أبناء الله و أحبأوه بلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ فَإِنَّ الطهارة بيد الله فمن شاء غفر ذنوبه و برأه من العيوب و من شاء لم يغفر ذنبه فيبقى في أدران المعصية، إنه سبحانه هو الذى يختار أمه ما و لا يختار أخرى و لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا الفتيل هو ما فى شق النواة من خيط ضعيف، و المعنى أنه سبحانه بعدم تطهيرهم لا- يظلمهم و إنما ذلك بسبب عدم إيمانهم و عصيانهم.

[٥١] أَنْظُرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ- و ليس المراد النظر بالعين بل ملاحظتهم، فإن النظر كما يقع بالعين كذلك يقع على ملاحظة الأشياء بسائر القوى و الحواس- كَيْفَ يَفْتَرُونَ أَي يفتري هؤلاء اليهود على الله الكذب فى قولهم: نحن أبناء الله و شعبه المختار و أحبأوه و لن تمسنا النار إلا أياما معدودة، و إنهم المزكون من عنده، و فى تحريفهم أحكامه و كفى به أَى بكذبهم عليه سبحانه إنما معصية مُّبِينًا واضحا و أَى عصيان أعظم من التجرؤ على ساحة الله سبحانه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٩١

[سورة النساء (٤): الآيات ٥١ الى ٥٣]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣)

[٥٢] كانت اليهود تفضل المشركين على المسلمين و قد قال كعب- و هو أحد رؤسائهم- لأبى سفيان: أتمم و الله أهدى سبيلا مما عليه محمد، فتزل قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ اسْتَفْهَمَ تَعْجَبِي إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا أَي أعطوا نصيباً من الكتاب و هم اليهود الذين أنزل الله على نبيهم الكتاب فبقى بعضه فى يدهم يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ هما صنمان لقريش، فقد سجد كعب للصنمين استماله لقلوب المشركين و يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَي أبو سفيان و أصحابه هَؤُلَاءِ المشركون أهدى من الذين آمنوا سبيلا أى أن سبيل المشركين أحسن من سبيل محمد صلى الله عليه و آله و سلم و أصحابه، فقد أوجب حقه على الإسلام أن يفضل الكفار الذين لا يعترفون حتى بموسى عليه السلام على المسلمين الذين يشتركون معهم فى كثير من الأصول و الفروع.

[٥٣] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ أَي أبعدهم عن رحمته و طردهم عن الخير و مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ينصره فيدفع اللعنة عنه و ينجيهِ من عقاب يوم القيامة.

[٥٤] إن اليهود الذين حكموا بأن المشركين أهدى من الذين آمنوا سبيلا، لا قيمة و لا وزن لحكمهم هذا، فإنهم لا يملكون تفضيلا حتى يفضلوا الكفار على المؤمنين، و لو فرض أنهم ملكوا أنفهم شىء من الأمور

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٩٢

[سورة النساء (٤): الآيات ٥٤ الى ٥٥]

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ

وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥)

المادية لحرمو الناس جميعا من أقل الأشياء و أبخسها أم لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ استفهام إنكارى، أى هل لهم شىء من ملك التفاضل حتى يهبوا من يشاءون فضلا؟ كلا- إنهم لا- يملكون ذلك، و إذا فرض أنهم ملكوا شيئا فإذًا لا- يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا النقيير هو النقرة الصغيرة التى تكون فى ظهر النواة.

[٥٥] ثم إن تفضيل هؤلاء اليهود للمشركين ليس إلا حسدا للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ الرَّسُولَ وَأَصْحَابَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ حَيْثُ اخْتَارَ الرَّسُولَ لِلرَّسَالَةِ وَهَدَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْإِيمَانِ فَلَا مَوْعِدَ لِلْحَسَدِ، فَإِنَّ الْفَضْلَ قَدْ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَقَدْ مَنْ سَابِقًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ لَا بِالنَّبُوَّةِ فَحَسَبَ بَلْ بِالْمُلْكِ وَ النُّبُوَّةُ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ وَقَدْ ذَكَرْنَا سَابِقًا أَنَّهُ قَدْ يُقَالُ: «آلُ فُلَانٍ» وَيُرَادُ الْأَعْمُ مِنْهُ وَمِنْ آلِهِ- تَغْلِيْبًا- الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ عِلْمَ الشَّرَائِعِ مِمَّا يَفِيدُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فَهُوَ أَعْمُ مِنَ الْكِتَابِ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا حَيْثُ جَعَلَ بِأَيْدِيهِمْ أَرْزُقًا مِنَ الْحَيَاةِ وَجَعَلَهُمْ مَلُوكًا وَأَنْبِيَاءَ.

[٥٦] فَمِنْهُمْ أَى مِنَ النَّاسِ، الْمَعْلُومُ مِنَ الْكَلَامِ كَقَوْلِهِ: لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ «١» أَوْ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَى

(١) النساء: ١٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٩٣

[سورة النساء (٤): آية ٥٦]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦)

بإبراهيم عليه السلام و صدق نبوته. و المراد من آل إبراهيم «مرجع الضمير» إما قومه الذين بعث إليهم، أو عشيرته و أحفاده و منهم مَنْ صَدَّ عَنْهُ أَى أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ أَوْ عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ كَأَوْلئِكَ فِى أَنْ بَعْضُهُمْ آمَنَ بِالرَّسُولِ وَ بَعْضُهُمْ صَدَّ عَنْهُ. وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا أَى يَكْفَىٰ هَؤُلَاءِ الصَّادِقِينَ سَعِيرَ جَهَنَّمَ، وَ الْمُرَادُ بِالسَّعِيرِ: الْإِشْتِعَالُ وَ اللَّهَبُ.

[٥٧] ثم ذكر سبحانه عاقبة كل واحد من المكذب و المصدق إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا أَى بَدَلْنَا الَّتِى أَقْمَنَاهَا عَلَى رَسُولِنَا وَ مَا جَاءَ بِهِ سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا مِنْ «أصلى يصلى» يقال: أصلاه النار إذا ألقاه فيها كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ وَ احْتَرَقَتْ بِالنَّارِ بَدَلْنَا لَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا أَى جَعَلْنَا لَهُمْ جُلُودًا جَدِيدَةً مَكَانَ الْجُلُودِ الْمُحْتَرَقَةِ لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ وَ لَا يَنْقَطِعَ عَنْهُمْ، وَ الْجُلُودُ الْجَدِيدَةُ هِىَ الْجُلُودُ الْقَدِيمَةُ الَّتِى خَلَقْتَ مِنْ جَدِيدٍ، إِذِ الشَّيْءُ الْمُحْتَرَقُ تَنْفَرِقُ أَجْزَاؤُهُ فِى الْفِضَاءِ فَيَجْمَعُهَا سَبْحَانَهُ وَ يُعْطِيهَا الصُّورَةَ الْجَدِيدَةَ مِنْ جَدِيدٍ، هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ لَوْ خَلَقْتَ جُلُودَ جَدِيدَةً لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ بَأْسٌ إِذِ الْمُتَأَلِّمُ هُوَ الرُّوحُ فَلَا يُقَالُ: بِمَا اسْتَحَقَّ الْجِلْدَ الْجَدِيدَ الْعَذَابَ؟ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا فَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ وَ لَا يَمْتَنَعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ فَإِنَّ الْعِزَّةَ تَلَازَمُهَا الْغَلْبَةُ وَ الْقُدْرَةُ حَكِيمًا يُصْنَعُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٩٤

[سورة النساء (٤): الآيات ٥٧ الى ٥٨]

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَ سَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)

كل شىء بحكمة و يضع الأشياء فى مواضعها، فليس تعذيب هؤلاء بهذه الكيفية خارجا عن نطاق قدرته و لا مخالفا للحكمة و المصلحة.

[٥٨] وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَ مَا جَاءَ بِهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَى الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ سَنُدْخِلُهُمْ وَ لَعَلَّ دُخُولَ ل «س» هُنَا وَ «سَوْفَ»

هناك للدلالة على أن الجنة أقرب إلى المؤمنين من النار إلى الكافرين، فإن الكفار حيث أنهم يقضون برزخا مؤلما يطول عليهم الأمد بخلاف المؤمنين الذين يقضون برزخا مريحا، فإن الإنسان إذا كان في راحة زعم أن الوقت انقضى بسرعة بخلاف من كان في تعب و أذية فإنه يطول عليه الوقت جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ البساتين ذات القصور التي تجرى من تحت أشجارها أنهار الماء خالدين فيها أريداً كما أن الكفار خالدون في النار و كلما نضجت جلودهم بدلّت غيرها لهم فيها أى فى الجنات أزواج مطهرة من القذارات الخلقية و القذارات الخلقية و نُذِلُّهُمْ ظُلْمًا هو الوقاية من نور الشمس و نحوه ظليلاً أى ليس فيه حرّ و لا برد، و هو مبالغه حسن الظل كقولهم:

ليل أليل.

[٥٩] إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا تامة غير ناقصة، و لعل الارتباط بين هذه الآية و ما سبقها أن أهل الكتاب خالفوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٩٥

[سورة النساء (٤): آية ٥٩]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)

ما أمروا به و خانوا الأمانة الإلهية كما قال سبحانه: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ «١» فى حين أن الله تعالى يأمر بأداء الأمانة المادية، فكيف بأعظم الأمانات الروحية؟! كما أنهم حكموا بالجور حين قالوا: إن المشركين أهدى من الذين آمنوا سبيلا، بينما يحكم الله تعالى الحكم بالعدل و إذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ فى أمور دينهم أو دنياهم أن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ فلا تميلوا إلى ناحية دون ناحية لمجرد الهوى أو الرشوة أو العاطفة أو ما أشبه إنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ أى نعم الشىء الذى يعظكم به و هو أداء الأمانة و الحكم بالعدل و ضمير «به» راجع إلى «ما» إنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا يَسْمَعُ كلامكم بصيرة يبصر حركاتكم و أعمالكم، فإنكم إذا خنتم الأمانة أو حكمتم بالجور فإنه لا يذهب ذلك على السميع البصير.

[٦٠] و حيث بين سبحانه ما يجب على الحاكم من العدل، بين ما يجب على الأمة تجاه الحاكم العادل من الطاعة و السمع، و بين الحاكم الذى يحق له أن يحكم، بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ بِالْإِثْمَارِ بِأوامره و الانزجار عن زواجره و أَطِيعُوا الرَّسُولَ قد تقدم سابقا أن إطاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ هى إطاعة الله و إنما يذكران معا تبجيلا للرسول و لإفادة أن أوامره كأوامر الله سبحانه و أطيعوا أُولَى الْأَمْرِ أى أصحاب

(١) الأحزاب: ٧٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٩٦

السلطة الذين بيدهم الأمر منكم و قد عيّن أولو الأمر

فى غير واحد من الأحاديث أنهم الأئمة الهداة الاثنى عشر عليهم السلام و هم: على أمير المؤمنين، و الحسن، و الحسين، و على، و محمد، و جعفر، و موسى، و على، و محمد، و على، و الحسن، و المهدي «١». أما إطاعة العلماء المراجع فهى طاعة لأولى الأمر، إذ هم نوابهم.

أما من زعم أن المراد بأولى الأمر كل حاكم فهذا يستلزم التناقض، فكيف يمكن الجمع بين من يبيع الخمر، و الله سبحانه الذى يحرمها؟ و هكذا ... و لذا اشترط الشيعة فى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و الأئمة عليهم السلام العصمة، و فى العلماء العدالة. فَإِن تَنَازَعْتُمْ أى حدثت بينكم المنازعة و المخاصمة فى شىء من أمور دينكم فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ حتى ترون أن القرآن و السنة

مع أى جانب. و من حسن الحظ أنه ليس هناك شىء تحتاج إليه الأمة فى أى دور أن مصير يخلو منه الكتاب و السنة، إما بالخصوص أو بالعموم. و من المعلوم أن «الرد» الرجوع إلى أحاديث أهل البيت عليهم السّلام رجوع إلى الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم كما أن الرجوع إلى العلماء النواب لهم، رجوع إليهم كما قال عليه السّلام «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم و أنا حجة الله» (٢).

إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَمَا الرَّجُوعُ إِلَىٰ غَيْرِهِمَا

(١) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٢٨٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٤٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٩٧

[سورة النساء (٤): آية ٦٠]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)

فذلك من مقتضيات الكفر كما قال سبحانه: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ «١»، ذلك الرجوع إلى الله و الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم فى صورة التنازع خير لكم لأن إرشاداتهما لصلاح دينكم و دنياكم و أحسن تأويلاً أى من جهة الأول و العاقبة، فإن عاقبة الحق خير من عاقبة الباطل. و العاقبة تسمى تأويلاً لأنها مآل الأمر و مرجعه، و يحتمل أن يكون المراد: أنه أحسن من تأويلكم إياه.

[٦١] و لما بين سبحانه وجوب الرجوع فى موارد النزاع إلى حكم الله و الرسول أبدى التعجب من الذين يدعون الإيمان ثم يرجعون فى قضاياهم إلى أحكام مخالفة لأحكام الله و الرسول بقوله: أَلَمْ تَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ لِيَعْدُوا أَنفُسَهُمْ فِي زَمرة المسلمين و ما نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ فَإِنَّهُمْ يظهرون الإيمان بكل رسل الله و كتبه اتباعاً لقوله: و ما نُزِّلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ و إِسْمَاعِيلَ و إِسْحَاقَ .. «٢»، و هذا لتأكيد أنهم فى سمات المؤمنين بكل مقوماتها يريدون أن يتحاكّموا أى يرفعوا مشاكلهم و قضاياهم المتنازع فيها إلى الطّاغوت مبالغه فى الطغيان و كل حكم غير

(١) المائدة: ٤٥.

(٢) البقرة: ١٣٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٩٨

[سورة النساء (٤): آية ٦١]

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١)

حكم الله سبحانه، فإنه للطّاغوت، لأن حكم الله هو العدل و ما سواه زيف و انحراف و طغيان، فهم ينتحلون الإيمان و يسلكون غير طريق الإيمان يريدون بذلك أن يوفروا على شهواتهم فيظهرون الإيمان ليحققن دماءهم و أعراضهم و أموالهم، و يرجعون إلى الطّاغوت ليعطى الحكم لهم حينما علموا أن العدل لا يعطيهم الحكم - إذ هم على الباطل - و قد أمرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ كما قال الله سبحانه: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا «١»، و يريد الشيطان بما يزين لهم أن يضّ لهم ضللاً بعيداً عن الحق فإن مراجعة الطّاغوت ضلال و زيف.

جاء في «مجمع البيان»: أنه كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي: أحاكم إلى محمد، لأنه علم أنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل الرشوة ولا يجوز في الحكم، فقال المنافق: لا، بينى وبينك كعب بن الأشرف، لأنه علم أنه يأخذ الرشوة (٢). فنزلت الآية.

[٦٢] وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ لِيَحْكَمْ بَيْنَنَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ أَيَّ عَرَضٍ عَنكَ صُدُّوْا أَيَّ عَرَضًا.

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١١٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٩٩

[سورة النساء (٤): الآيات ٦٢ إلى ٦٣]

فَكَئِيفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاؤُكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣)

[٦٣] فكَئِيفَ يَكُونُ حَالُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ إِذَا اضْطُرُّوا لِلرُّجُوعِ إِلَيْكَ، وَكَيْفَ لَا يَخْجَلُونَ فِي مَرَاجَعَتِكَ لِتَخْلِيصِهِمْ مِنْ مَصَائِبِهِمْ، بَعْدَ مَا أَعْرَضُوا عَنْكَ فِي مَنَازِعَاتِهِمْ؟! فِيمَا إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ أَيَّ سَبَبِ أَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ قَدْ تَوَرَّثَ الْمَصَائِبَ وَالنَّكَابَاتِ ثُمَّ جَاؤُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَرِيدُونَ مِنْكَ إِسْعَافَهُمْ فِي مَصِيبَتِهِمْ مُعْتَذِرِينَ عَنِ مَرَاجَعَتِهِمْ إِلَى الطَّاغُوتِ مِنْ قَبْلِ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا أَيَّ مَا أَرَدْنَا فِي مَرَاجَعَتِنَا إِلَى الطَّاغُوتِ إِلَّا إِحْسَانًا إِلَيْكَ حَتَّى لَا تَنَازِحَمَكَ وَنَأْخُذَ مِنْ وَقْتِكَ وَتَوْفِيقًا بَيْنَ أُمُورِنَا، وَ لَمْ يَكُنْ لَنَا غَرَضٌ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْكَ.

[٦٤] أُولَٰئِكَ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ وَإِنْ قَصَدْتَهُمْ لَمْ يَكُنْ الْإِحْسَانُ وَالتَّوْفِيقُ وَإِنَّمَا الْإِعْرَاضُ عَنْكَ لِأَنَّكَ تَحْكُمُ بِالْحَقِّ وَلَا تَقْبَلُ الرِّشْوَةَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَلَا تَظْهَرْ لَهُمُ الْقَبُولَ حَتَّى يَتِمَادُوا فِي غِيهِمْ وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ تَمَكَّنُوا مِنْ إِغْوَاكَ وَعِظْهُمْ بِأَنَّ تَبَيَّنَ لَهُمْ خَطَأُ طَرِيقَتِهِمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ أَيَّ قَلِّ لَهُمْ قَوْلًا يَبْلُغُ قَرَارَهُ نَفْسِهِمْ، فَإِنَّ مِنَ الْأَقْوَالِ مَا يَقَالُ وَلَا يَنْفِذُ إِلَى الْقَلْبِ لِعَدَمِ وَجُودِ حَرَارَةٍ وَحِمَاسٍ فِي الْقَوْلِ لِيَعِيَهُ الْقَلْبُ، وَ مِنَ الْأَقْوَالِ مَا يَقَالُ وَيَنْفِذُ فِي النَّفْسِ فَكأن النَّفْسَ مَحَلَّ إِيْدَاعِ الْقَوْلِ قَوْلًا بَلِيغًا يَبْلُغُ نَفْسَهُمْ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠٠

[سورة النساء (٤): الآيات ٦٤ إلى ٦٥] تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ص ٥٤٩

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)

[٦٥] وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَيْسَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِمَجْرَدِ الْوَعْظِ حَتَّى يَرَاغِبَ النَّاسُ مَهْمَا شَاءُوا وَ يَرَاغِبُوا غَيْرَهُ إِذَا لَمْ يَشَاءُوا مَرَاجَعَتَهُ، بَلْ إِنْ الرَّسُولُ أَرْسَلَ لِإِطَاعَةِ النَّاسِ لَهُ فِي جَمِيعِ شُؤْنِهِمْ فَهُوَ الْمَأْذُونُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَنْ يُطَاعَ، أَيَّ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُطِيعَ أَحَدًا جَبْرًا إِلَّا إِذَا كَانَتِ السُّلْطَةُ نَاشِئَةً مِنْ قَبْلِ اللَّهِ وَإِذْنَهُ، وَ إِذَا فُيِّئَتْ سَيْطَرَةً لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مَلَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ.

ثُمَّ إِنْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَقْطَعُ صِلَتَهُ بِهِؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ بَلْ يَفْتَحُ لَهُمْ مَجَالَ الرَّجُوعِ وَ الْإِنَابَةِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَيَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَ الْعَصَاةِ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ بِالنَّفَاقِ وَ الْمَعْصِيَةِ، فَإِنَّ الْعَصِيَانَ يَعُودُ ضَرَرُهُ إِلَى الْعَاصِي جَاؤُكَ تَائِبِينَ مُعْتَذِرِينَ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ أَيَّ طَلَبُوا غَفْرَانَهُ وَ عَفْوَهُ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ بِأَنْ وَجَدَهُمْ أَهْلًا لَطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ مِنْ اللَّهِ لَهُمْ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا أَيَّ كَثِيرِ التَّوْبَةِ. وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَعْنَى كَوْنِ اللَّهِ تَوَّابًا:

أنه كثير الرجوع على عبده العاصي كلما تاب العبد و رجع رَجِيماً يرحمهم و يغفر ذنوبهم.

[٦٦] و هنا يتردد سؤال هو أنه: كيف يقال عن هؤلاء أنهم «يزعمون أنهم آمنوا بك»؟ أليس إيمانهم حقيقياً، فإنهم آمنوا بالله و رسوله و اليوم الآخر و التزموا بشرائع الإسلام من صلاة و زكاة و صيام؟ و الجواب:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠١

فلا- وَ رَبِّكَ أَى لِسُوا بِمُؤْمِنِينَ- قَسَمَا بِرَبِّكَ- يَا رَسُولَ اللَّهِ لا- يُؤْمِنُونَ إِيْمَانًا مَرَضِيًّا أَمْرَ بِهِ اللَّهُ وَ رَبُّ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ وَ الثَّوَابُ حَيْثُ يُحْكَمُوكَ أَى يَجْعَلُوكَ حَاكِمًا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ أَى فِيمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْخِصْمَةِ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا أَى لَا يَجِدُوا فِي قُلُوبِهِمْ صَعُوبَةً مِنْ قَضَائِكَ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمَغْلُوبِينَ فِي الْقَضَاءِ حَيْثُ لَا يَقْبَلُونَ الْحُكْمَ بِسَهُولَةٍ بَلْ يَظُنُّونَ أَنَّ الْحَاكِمَ بِخِصْمِهِمْ حَقَّهُمْ مِمَّا قَضَيْتَ وَ حَكَمْتَ وَ يُسَلِّمُوا أَى يَنْقَادُوا لِقَضَائِكَ وَ حَكْمِكَ تَسْلِيمًا مُطْلَقًا بَلَا صَعُوبَةٍ وَ لَا حَرَجٍ يَجِدُونَهُ فِي نَفْسِهِمْ.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال «لو أن قوما عبدوا الله و أقاموا الصلاة و أتوا الزكاة و صاموا شهر رمضان و حجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله: ألا صنع خلاف ما صنع؟ أو وجدوا من ذلك حرجاً في أنفسهم، لكانوا مشركين، ثم تلا هذه الآية» (١).

و فى بعض التفاسير: إن الآية نزلت فى الزبير و ابن أبى بلتعنه حيث تنازعا فحكم الرسول للزبير فخرجا و قال ابن أبى بلتعنه متهما الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: إنه قضى لابن عمته، و غيرهم بذلك يهودى فقال: كيف تعتقدون أنه رسول الله ثم تتهمونه فى قضاء قضاه «٢»؟

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٩٨.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠٢

[سورة النساء (٤): الآيات ٦٦ إلى ٦٧]

وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ احْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيثًا (٦٦) وَ إِذَا لَأْتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧)

[٦٧] كيف أنهم يجدون حرجاً من قضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الحال أنه يجب إطاعة الرسول فى كل شيء حتى لو أمر بأن يقتلوا أنفسهم، كما أمر موسى قومه: فَتَوَبَّوْا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ «١» فتابوا و فعلوا ما أمرهم به و لو أننا كتبنا أى أوجبنا عليهم أى على هؤلاء الذين يجدون حرجاً فى أنفسهم مما قضيت أن اقتلوا أنفسهم بأن يقتل بعضهم بعضاً أو يقتل الشخص نفسه أو احْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ بأن تهجروا مساكنكم إلى بلاد الغرب، كما خرج قوم موسى إلى التيه من منازلهم التى كانت فى مصر ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ لما فى ذلك من إهلاك النفس و المشقة و لو أنهم فعلوا ما يُوعَظُونَ بِهِ من عدم الحرج فى قضاء رسول الله و اتباع أوامره و أحكامه لكان فعلهم ذلك خيراً لهم فى دنياهم و آخرتهم و أَشَدَّ تَثْبِيثًا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَلِمًا أَطَاعَ دِينَهُ وَ قَوَىٰ مَلَكَةَ عَقِيدَتِهِ، فَإِنَّ الْعَقِيدَةَ بِتَكَرُّرِ التَّعَقُّلِ وَ تَكَرُّرِ التَّذَكُّرِ وَ الْإِسْتِسْلَامِ تَقْوَىٰ وَ تَشَدُّدٍ، فَمَا أَمَرُوا بِهِ لَيْسَ فِيهِ جَهْدٌ قَتْلِ النَّفْسِ وَ إِخْرَاجِهَا مِنَ الدِّيَارِ، وَ مَعَ ذَلِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَ تَثْبِيْتُ لِعَقِيدَتِهِمْ الْمُؤَدِيَةَ لِكُلِّ سَعَادَةٍ.

[٦٨] وَ إِذَا أَى إِذَا فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَأْتَيْنَاهُمْ أَى أَعْطَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَى لَدُنْ أَنْفُسِنَا. وَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَفِيدُ تَأْكِيدَ الْوَعْدِ، إِذْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ

(١) البقرة: ٥٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠٣

[سورة النساء (٤): الآيات ٦٨ الى ٦٩]

وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)

ليس عاجزا لا يتمكن من إنجاز وعده ولا بخيلا أو مخلفا لوعده حتى لا يفى بما قال أجراً عظيماً أى كبيرا. و

فى الأحاديث: إن نعيم الجنة بنحو «لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (١).

[٦٩] وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا أى ثبتناهم، وقد تقدم فى سورة الحمد اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ أن المعنى «ثبتنا»- بالتقريب الذى سبق- أو المراد هدايتهم صراط يوم القيامة الذى هو جسر على جهنم.

[٧٠] ثم ينتهى السياق إلى القاعدة العامة التى توجب خير الدنيا والآخرة وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ باتباع أوامرهما ونواهيهما بصورة عامة فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فى الدنيا فى المكانة الرفيعة فى القلوب والذكر الرفيع والنصرة، كما قال سبحانه: إِنَّا لَنُضَيِّرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٢) مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ الصديق هو الملازم للصدق فى أقواله وأعماله، أو هو المداوم على التصديق بما يوجهه الحق والشهداء الذين استشهدوا فى سبيل الله، ويسمى الشهيد شهيدا لشهادة الملائكة والناس له بأنه من أهل الجنة وَالصَّالِحِينَ الفاعلين للصالح الملازمين له وَحَسُنَ أُولَئِكَ

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٩٢.

(٢) غافر: ٥٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠٤

[سورة النساء (٤): الآيات ٧٠ الى ٧٢]

ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا (٧١) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢)

الأشخاص رَفِيقًا أى مرافقين لمن يطع الله والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

[٧١] ذَلِكَ التوفيق للإطاعة المعقب لكون رفقاء الإنسان النبيين و سائر من ذكر الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ أى تفضل منه سبحانه لمن اهتدى بمثل هذه الهداية وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا أى يكفى الله سبحانه عالما بما يفعله الإنسان من خير و شر، فإنه إذا علم شيئا رتب عليه الأثر.

[٧٢] وإذا انتهى الكلام حول الإطاعة المطلقة لله والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يلتفت السياق إلى حكم شاق من أحكام الإسلام هو القتال لتدريب المؤمنين على هذا العمل الجهادى العظيم، و تقرير الواجب عليهم فقال سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا- ذكرنا سابقا أن أحكام الإسلام عامة لكل شخص، و تخصيص المؤمنين بالخطاب لأنهم المستفيدون من ذلك- خُذُوا حِذْرَكُمْ يقال: خذ حذرك، أى احذر و تأهب لملاقاة الأمر بالمكروه، أو المراد بالاحذر: الأسلحة- مجازا- لأنه آلة الحذر فيكون من باب المجاز فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أى أخرجوا إلى الجهاد. و «ثبات» جمع مفردة «ثبة» الجماعة فى فرقة، أى ليكن خروجكم فرقة بعد فرقة، كما تخرج سرايا سرية إلى هنا و سرية إلى هناك، أو جماعة إثر جماعة أو انفروا و اخرجوا جميعاً فى عسكر واحد.

[٧٣] وَإِنَّ مِنْكُمْ أَيْهَا المسلمون لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ أى يتأخر عن الخروج استئقلا من الجهاد، و إرادة للفرار، كما كان ذلك حال المنافقين فإنهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠٥

[سورة النساء (٤): الآيات ٧٣ الى ٧٤]

وَلِئِنْ أَصَابَكُمْ فُضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣) فَلْيُقَاتِلْ فى سَبِيلِ اللَّهِ

الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤)

كانوا لا يريدون الجهاد، ولذا كانوا يستثقلونه رجاء الفرار فإن أصابكم مصيبة من هزيمة أو قتل لبعض أفرادكم قال ذلك المنافق المبطن وهو مسرور جدلاً: قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا أَي شاهدة حاضراً في القتال، حتى يصيبني ما أصابهم، وهذا دائماً عادة المنافقين في كل حركة، أنهم يبطنون حتى يذهب الناس، و يترقبون الأبناء حتى إذا وجدوا في الذاهبين كسرا سرّوا بأنهم كانوا بعداء عن المعركة.

[٧٤] وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فِي جِهَادِكُمْ فَضَلُّ مِنَ اللَّهِ بِالْفَتْحِ وَالْغَنِيمَةُ لَيَقُولَنَّ ذَلِكَ الْمُبْطِئُ مَتَحَسِّرًا- كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ جَمَلَةٌ مَعْتَرِضَةٌ لَيْسَتْ مَقُولَةٌ لِلْقَوْلِ، وَإِنَّمَا هِيَ حِكَايَةُ حَالِ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَرِيدُ إِلَّا النِّفْعَ وَالْمَادَةَ، وَلَا يَخْلُصُ لِلدِّينِ وَالِدَعْوَةِ-: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ حَاضِرًا فِي الْجِهَادِ، لِأَنَّا مَالًا وَفَخْرًا فَافُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى الْحُضُورَ لَا لِنَصْرَتِكُمْ بَلْ لِأَنَّ الْفَوْزَ هُوَ بِشَرَفِ الْجِهَادِ وَغَنِيمَةِ الْفَاتِحِينَ.

[٧٥] لما تقدم ذكر المنافقين الذين يبطنون عن القتال، بين سبحانه ما هو واجب المسلم بالنسبة إلى هذا الأمر المهم فقال: فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَي لِأَجْلِ أَمْرِهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠٦

[سورة النساء (٤): آية ٧٥]

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥)

أى يبيعون الحياة القريبة الفانية بالحياة الآخرة الباقية، فإن من أقدم على الحرب، كان كمن باع نفسه و كل ما يملك لأجل الآخرة و مَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَأَنَّ تَكُونَ مَقَاتِلَتَهُ لِأَجْلِ إِعْلَاءِ أَمْرِ اللَّهِ وَ تَنْفِيذِ حُكْمِهِ فَيُقَاتِلُ يَسْتَشْهَدُ أَوْ يَغْلِبُ يظفر على الأعداء فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا فَهُوَ بَيْنَ إِحْدَى الْحَسَنِينَ، الْإِسْتِشْهَادِ وَالْجَنَّةِ، أَوْ الْغَلْبَةِ وَالْفَتْحِ.

[٧٦] وَمَا لَكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَ تَطْبِيقِ حُكْمِهِ فِي الْبِلَادِ وَ فِي سَبِيلِ نَصْرَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ بِإِنْقَادِهِمْ مِنْ بَرَاثِنِ الْحُكَّامِ الْجَائِرِينَ وَ السَّادَةِ الظَّالِمِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ بقوا محصورين في أيدي الجائرين، فإنه يحق للمسلم أن يقاتل لأجل أحد هذين الأمرين، و لا يحق له أن يقاتل لأجل نشر السيطرة و الاستثمار و السيادة- كما هي العادة عند غير المسلم من المحاربين- وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا أَي الْمَدِينَةَ الَّتِي هُمْ فِيهَا مِمَّا لَا يَجِدُونَ مَحِيصًا عَنْهَا، فَلَا يَتِمَكِّنُونَ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْهَا لِضَعْفِهِمْ وَ مَنَعَ الظَّالِمِينَ لَهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ، وَ لَا لَهُمْ حَوْلٌ لِدَفْعِ ظَلَمِ الظَّالِمِينَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ أَي مِنْ عِنْدِكَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠٧

[سورة النساء (٤): الآيات ٧٦ الى ٧٧]

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ لَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَ لَا تُظَلِّمُونَ فَتِيلًا (٧٧)

وَلِيًّا يَلِي أُمُورَنَا وَ يَسِيرُ بِنَا بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ عِنْدَكَ نَصِيرًا يَنْصُرُنَا عَلَى الظَّالِمِينَ.

[٧٧] ثم شجع سبحانه المجاهدين بأنهم أقوى من أعدائهم فإن الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِمَرْضَاتِهِ وَ إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ الَّذِي هُوَ طَاغٍ مَتَجَاوِزٌ لِلْحُدُودِ، فَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَرِيدُونَ بِقِتَالِهِمْ إِلَّا الظُّلْمَ وَ الطُّغْيَانَ وَ إِبْقَاءَ الْأَنْظُمَةِ



الفاسدة و العادات و التقاليد الزائفة فقاتلوا أيها المؤمنون أولياء الشيطان و أحبائه الذين يتولونه إن كيد الشيطان و مكره و حيلته في سبيل إبقاء أمره و تقوية جيشه كان ضعيفاً فيغلبه نصر الله و ولاية للمؤمنين.

و لا مجال لأن يقال: فكيف نرى غلبة الكفار في كثير من الأحيان؟ فإن الجواب: إن ذلك لعدم توفر شروط المقاتلة في المؤمنين، إذ أن الله سبحانه لم يعد النصر مطلقاً بل مشروطاً بأن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة، و أن يصدقوا في الجهاد و المثابرة إلى غير ذلك، نعم مع توفر الشروط لا يفيد الأعداء جمعهم و كثرتهم، كما دلت التجارب على ذلك و صدق الخبر الخبر.

[٧٨] كان المسلمون و هم بمكة يطلبون من الرسول صلى الله عليه و آله و سلم الإذن لهم في قتال الكفار حينما كانوا يلاقون منهم الأذى و لما جاء دور القتال في المدينة تولى بعضهم، كما هو العادة عند الناس غالباً حيث أنهم يحرضون الرؤساء على الإقدام فلما أن أقدموا كانوا أول المنهزمين ألم تر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠٨

يا رسول الله استفهام تعجبي إلى المسلمين الذين قيل لهم بمكة- و القائل هو الرسول صلى الله عليه و آله و سلم-: كُفُوا أَيَدِيكُمْ أَي أمسكوها و اقبضوها عن القتال و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة فإنه لا يجب عليكم الجهاد الآن، و كان النهي عن الجهاد لقتلهم و عدم تمكنهم من مقابلة العدو، و أنهم إن قاتلوا أيدوا و اجتث جذور الإسلام، بالإضافة إلى إرادة رسوخ الإيمان في قلوبهم، فإن الإنسان مهما ابتلى بالمشقات و الشدائد يصفو جوهره و تصقل نفسه فلما أتوا إلى المدينة و كتبت عليهم القتال أي فرض عليهم إذا فريق منهم أي من هؤلاء المسلمين الذين كانوا يطلبون الإذن بالقتال يخشون الناس الكفار أن يقتلهم إذا بارزوا كخشية الله كما يخافون من الله سبحانه أن يميتهم أو أشد خشية إذ خوف الإنسان من الموت غالباً أقل من خوفه من القتل، إذ القتل يكتنف في الأغلب بالأهوال و المرعبات بخلاف الموت.

و قالوا أي قال هؤلاء الفريق: ربنا لم كتبت علينا القتال أي لأي علمه فرضت علينا أن نقاتل فعلاً؟! لو لا أخرجتنا إلى أجل قريب أي لماذا لم تؤخر الأمر بالقتال إلى زمان آخر قريب، حتى نستعد للحرب. فقد ورد في بعض التفاسير: أنه كان بالنسبة إلى «حرب بدر» حيث كان بعض المسلمين يكرهون ذلك لأنهم لم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠٩

[سورة النساء (٤): آية ٧٨]

أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)

يستعدوا و يطلبون التأخير إلى أجل قريب ليستعدوا.

قل يا رسول الله لهؤلاء: إن كان خوفكم من الحرب لأجل احتمال القتل فما فائدة البقاء في الدنيا؟ إذ متاع الدنيا أي ما يستمتع به في الدنيا قليل الأمد يفنى بعد مدة و الآخرة خير لمن اتقى المعاصي و عمل بالواجبات و لا تظلمون شيئاً أي مقدار فتيل، و هو ما في شق النواة فإذا قتلتم، لا تهدر أتعابكم و أعمالكم.

[٧٩] ثم لماذا الفرار من القتال، الخوف الموت؟ فإن الموت لا محاله يدرك الإنسان أيما تكونوا من الأماكن يدرككم الموت أي يلحقكم و ينزل بكم و لو كنتم في بروج مسيَّدة البروج جمع برج، و هو القصر أو البناء المستحکم الذي يرصد فيه للأعداء و يشرف منه على القادم و الذاهب، و ال «مسيَّدة» هي التي شيدت و بنيت بإحكام، أي أن الموت لا- يهاب البروج و القلاع و الحصون و المراصد.

ثم وصف سبحانه حاله هؤلاء الضعاف الإيمان من المسلمين الذين قالوا: «لم كتبت علينا القتال» فإن دخائل نفوسهم تلوّن و لا تبقى في جهة واحدة و إيمان راسخ و ذلك لأنه إن تصببهم حسنة من نماء و زرع و بركة و تقدم في الحرب و صحة و ما أشبه يقولوا هذه

الحسنه مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْمَتَفَضَّلُ الْمُحْسَنُ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ مِنْ غَلَاءٍ وَ قَحْطٍ وَ تَأَخَّرَ وَ مَرَضٌ وَ مَا أَشْبَهَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١٠

[سورة النساء (٤): آية ٧٩]

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَ أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)  
يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ أَصَابَنَا بِسَبَبِكَ، كَمَا حَكَى اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَنْ قَدَمِ ذَلِكَ، حَيْثُ قَالَ سَبْحَانَهُ: وَ إِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَ مَنْ مَعَهُ «١».

قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ: كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَهُوَ الَّذِي يَجْدِبُ وَ هُوَ الَّذِي يَخْصِبُ وَ هُوَ الَّذِي يَمْرُضُ وَ هُوَ الَّذِي يَشْفِي ... وَ هَكَذَا، فَلَيْسَ  
مصدر الكوارث الرسول صلى الله عليه وآله و سلمَ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ أَى مَا شَأْنُ هَؤُلَاءِ الضعاف الإيمان؟ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا  
أى بعداء عن فهم ما نحدثهم به من القرآن الحكيم.

[٨٠] وَ حَيْثُ تَبَيَّنَ أَنَّ مَصْدَرَ الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ هُوَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ يَبْقَى السُّؤَالُ: مَا هُوَ سَبَبُ الشَّرِّ؟ وَ لِمَاذَا يَبْتَلَى اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ، وَ  
الحال أنه سبحانه لا يريد بعباده إلا الخير؟ وَ يَأْتِي الْجَوَابُ: مَا أَصَابَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مِنْ حَسَنَةٍ كَالزَّرْعِ وَ الرِّخْصِ وَ الصَّحَّةِ وَ الْغِنَى فَمِنَ  
اللَّهِ إِنَّهُ يَتَفَضَّلُ عَلَيْكَ بِلَا سَبَبٍ، وَ إِنْ كَانَ قَسْمٌ مِنْهَا أَيْضًا بِسَبَبِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَ مَا أَصَابَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مِنْ سَيِّئَةٍ قَحْطٍ وَ غَلَاءٍ وَ  
مرض و ما أشبه فَمِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ أَعْمَالَكَ الشَّرِيرَةَ هِيَ الَّتِي سَبَبَتْ ابْتِلَاءَكَ بِالسَّيِّئَاتِ وَ الْمَصَائِبِ وَ أَرْسَلْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلنَّاسِ  
رَسُولًا فَهَمَّتْكَ تَخْصُّ التَّبْلِيغَ وَ لَا يَرْتَبِطُ وَجُودُكَ بِالْمَصَائِبِ وَ الْآفَاتِ - كَمَا

(١) الأعراف: ١٣٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١١

[سورة النساء (٤): الآيات ٨٠ إلى ٨١]

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠) وَ يَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ  
الَّذِي تَقُولُ وَ اللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١)

يزعم هؤلاء - بل العكس، إنك منبع الخير و مبعث الهداية و الصلاح و كفى بالله شهيداً أى يكفى كون الله شاهداً على رسالتك و  
أنك لا ترتبط بالشرور، لا يقال: كيف يمكن إثبات أن الله يشهد على رسالته صلى الله عليه وآله و سلم و الحال أن أحداً لم يسمع  
من الله ذلك؟ الجواب: لأننا نقول: إن الشهادة التكوينية بإجراء المعجزة على يديه الكريمتين من أكبر أقسام الشهادة.

[٨١] مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فِي أَوْامِرِهِ وَ زَوَاجِرِهِ، الَّتِي مِنْهَا أَمْرُهُ بِالْجِهَادِ - كَمَا سَبَقَ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ - فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ لِأَنَّ أَمْرَ الرَّسُولِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ هُوَ أَمْرُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى «١» وَ مَنْ تَوَلَّى وَ أَعْرَضَ عَنِ أَوْامِرِ الرَّسُولِ، فَلَا  
يَهْمُكَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا تَحْفَظُهُمْ عَنِ الْمَخَالَفَةِ وَ التَّوَلَّى، كَمَا قَالَ  
تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: فَذَكَرْهُمْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ «٢».

[٨٢] ثم حكى سبحانه حال المنافقين الذين تقدم بعض أحوالهم من أنهم يبطنون عن الجهاد، و يقولون: لو لا أخرجنا إلى أجل قريب،  
وَ مَا أَصَابَتْهُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ يَطِيرُوا بِالرَّسُولِ وَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ: أَمْرُكَ طَاعَةٌ إِنَّا مُسْتَعِدُونَ لِتَنْفِيذِهِ وَ مُسْتَسْلِمُونَ لَهُ فَإِذَا بَرَزُوا أَى خَرَجُوا

(١) النجم: ٤ و ٥.

(٢) الغاشية: ٢٢ و ٢٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١٢

[سورة النساء (٤): آية ٨٢]

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)

مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ أَى قَدَّرَ لَيْلًا- طَائِفَةً أَى جَمَاعَةً مِنْهُمْ أَى مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ غَيْرِ الَّذِي تَقُولُ فَيَتَشَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ بِاللَّيْلِ لِيُخَالِفُوكَ وَ يَنْقُضُوا أَمْرَكَ وَ اللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُشِئُونَ أَى مَا يَتَوَاطُونَ عَلَيْهِ لَيْلًا، مِنْ نَقْضِ أَمْرِكَ، فَيُجَازِيهِمْ عَلَى الْمَخَالَفَةِ وَ الْعِصْيَانِ فَأَعْرَضَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْهُمْ فَلَا تَوَاحُذَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ حَتَّى تَنْشَقَّ صَفُوفَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ ظَهَرَتْ خَبَايَاهُمْ شَقُوا الصَّفُوفَ وَ خَالَفُوا وَ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ الَّذِي يَنْصُرُكَ وَ يَعِينُكَ فِي جِهَادِكَ الْأَعْدَاءَ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكَيْلًا فَمَنْ وَ كَلَّ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ أَمْرَهُ أَنْجَزَهُ أَحْسَنَ إِنْجَازٍ وَ أَكْمَلَهُ أَحْسَنَ إِكْمَالٍ.

[٨٣] فَهَلْ يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْعِصَاءَ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ الرَّسُولَ وَ يَبْتَغُونَ غَيْرَ مَا يَقُولُ، أَنَّ الرَّسُولَ يَأْمُرُ وَ يَنْهَى عَنِ نَفْسِهِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ كَلَامَهُ مِنَ الْوَحْيِ، وَ أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ كَلَامِهِ لَا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَ لَذَا يَسْهَلُ مَخَالَفَتُهُ؟

فَإِنْ كَانَ هَذَا ظَنَّهُمْ فَهُوَ خَطَأٌ مُحْضٌ، إِذِ الْقُرْآنُ الَّذِي يَقْرَأُ الرَّسُولُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ، لَا مِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ تَدْبِيرًا عَمِيقًا حَتَّى يَعْرِفُوا أَنَّهُ فَوْقَ كَلَامِ الْبَشَرِ وَ لَا يُمْكِنُ لِلْبَشَرِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ حَتَّى لَوْ كَانَ مِنَ عِنْدِ الرَّسُولِ- عَلَى عَظَمَتِهِ- لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا لِأَنَّ الْبَشَرَ مَهْمَا أَوْتُوا مِنَ الْمَوْهَبَةِ لَا- بَدَ وَ أَنْ تَخْتَلِفَ تَعْبِيرَاتُهُمْ وَ تَتَفَاوَتَ أَفْكَارُهُمْ حَسَبَ الْأَزْمَانِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١٣

[سورة النساء (٤): آية ٨٣]

وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)

وَ الظُّرُوفُ، فَعَدَمُ الْاِخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ مِنْ جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ، أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ وَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ إِلَهٍ حَكِيمٍ.

[٨٤] وَ يَعُودُ السِّيَاقُ إِلَى حَالَةِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَقَدَّمَتْ بَعْضُ صِفَاتِهِمْ، فَقَالَ سَبْحَانَهُ: وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَى جَاءَ هَؤُلَاءِ أَمْرٌ أَى شَيْءٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ مِنْ ظُهُورِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَدَدِهِمْ الْمَوْجِبِ لِلْأَمْنِ، أَوْ انْهِزَامِ الْمُسْلِمِينَ الْمَوْجِبِ لِلْخَوْفِ، وَ نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَوْجِبُ أَمْنًا أَوْ خَوْفًا أَذَاعُوا بِهِ أَى أَفْشَوْهُ فِي الْأَوْسَاطِ، فَقَدْ كَانَتْ الْأَخْبَارُ الْمَخْتَلِفَةُ تَدَاعَى وَ تَنْشُرُ فِي الْمَدِينَةِ لِمُغْرَضِ الدَّعَايَةِ لِلْمُسْلِمِينَ أَوْ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ هَؤُلَاءِ الضَّعَافُ الْإِيمَانَ يَتَلَفَفُونَهَا فُورًا وَ يَأْخُذُونَ فِي إِشَاعَتِهَا، مِنْ دُونَ نَظَرٍ إِلَى عَاقِبَةِ الْأَمْرِ، وَ إِلَى أَنَّ الْخَبَرَ هَلْ هُوَ صَحِيحٌ أَوْ لَا. وَ مِنَ الْأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْحَرَكَاتِ أَنْ تَكُونَ أَخْبَارُهَا طَى الدَّرْسِ عِنْدَ الْقَادَةِ، لِيُرَوا هَلْ مِنَ الصَّلَاحِ إِشَاعَتُهَا أَمْ لَا إِذْ كَثِيرًا مَا يَكُونُ الْخَبَرُ مَكْذُوبًا وَ كَثِيرًا مَا تَكُونُ إِشَاعَةُ خَبَرِ الْأَمْنِ، ضِدَّ الْمَصْلُحَةِ- وَ لَوْ كَانَ صَحِيحًا- حِينَمَا يَقْتَضِي الْحَالُ الْحَذَرَ وَ الْاِسْتِعْدَادَ، وَ كَثِيرًا مَا تَكُونُ إِشَاعَةُ خَبَرِ الْخَوْفِ ضِدَّ الصَّلَاحِ- وَ لَوْ كَانَ صَادِقًا- حِينَمَا يَقْتَضِي الْحَالُ الْأَمْنَ وَ الْأَمَانَ، لِئَلَّا يَجِبَ النَّاسُ عَنِ الْاِسْتِعْدَادِ وَ الْحَرَكَةِ.

وَ لَوْ رَدُّوهُ أَى أَرْجَعُوا ذَلِكَ الْخَبَرَ الَّذِي سَمِعُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ وَ الْمُرَادُ بِهِ الْأُئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَ الَّذِينَ هُمْ مَعِينُونَ مِنْ قَبْلِ الرَّسُولِ وَ الْأُئِمَّةِ، فَإِنَّهُ لَا أَوْلَى أَمْرٍ إِلَّا هَؤُلَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ لَعَلِمَهُ أَى: لَعَلِمَ ذَلِكَ الْأَمْرَ صَدَقَهُ وَ كَذَبَهُ وَ كَوْنَ الصَّلَاحِ فِي نَشْرِهِ أَوْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١٤

[سورة النساء (٤): آية ٨٤]

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَنَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤)

كَتَمَانِهِ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ أَى يَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْهُمْ أَى مِنْ أَوْلِي الْأَمْرِ فَلَا يَبْقَى الْخَبَرَ مَرْدَّدًا بَيْنَ الصَّدَقِ وَ الْكُذْبِ، وَ لَا بَيْنَ الصَّلَاحِ فِي

إشاعته وعدمه، و لم يكن محل للظنون و الأوهام و لم ترج- بعد- الأكاذيب لأنها تحت الرقابة. و لم يقل «لعلموه» للإشارة إلى علته علمهم و أنهم بسبب استنباطهم يعلمونه.

و لولا- فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحِمْتُهُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، حيث يرشدكم إلى مواقع الزلل و مهاوى الخطأ لَأَتَّبِعْتُمُ الشَّيْطَانَ فِي مَا يَلْقَاهُ عَلَيْكُمْ مما يوجب بلبلة صفوفكم و انشطار كلمتكم إِلَّا قَلِيلًا من الذين قويت عقولهم فلا يتبعون خطوات الشيطان، حتى إذا لم يكن رسول، كما كان ذلك في زمن الجاهلية حيث أن بعضهم لم يكن يتبع الشيطان بما أوتى من قوة في العقل و سداد في الرأي فليس المراد- لو لا فضل الله إطلاقاً- بل المراد الفضل الخاص.

[٨٥] و عند ما بين القرآن سلوك القوم في الجهاد و أن الله هو الذي يتفضل على المؤمنين، يتوجه السياق إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ قَائِلًا: فَقَاتِلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَ تَفْيِذِ حُكْمِهِ لَا- تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ فَإِنَّكَ لَا تَضُرُّ بِفِعْلِ الْمُنَافِقِينَ وَ إِرْجَافِهِمْ وَ مَا يَبْدُو مِنْهُمْ، فإنك لست مكلفاً بأفعالهم و أعمالهم كما أنك لست مسئولاً عن المؤمنين إلا بقدر نطاق التبليغ و الإرشاد وَ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْ حَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ عَسَى اللَّهُ أَى لَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَكْفَى وَ يَمْنَعُ بِسَبَبِ قِتَالِكَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١٥

[سورة النساء (٤): الآيات ٨٥ إلى ٨٦]

مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَ مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَبِتًا (٨٥) وَ إِذَا حُجِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦)

أى شدة الكفار و قوتهم بأن يغلبك عليهم فيعودوا خائبين و الله أشدُّ بأساً فأنتم بقوة الله و شدته تتقدمون و هو أشد من الكفار قوة و أشدُّ تنكياً أى أشد من حيث العقوبة و النكال.

[٨٦] و حيث تقدم أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لَا- يَكَلِّفُ إِلَّا- نفسه، استدرك الأمر بأن ليس المراد بذلك أن الإنسان الوسيط لا يكون له شيء بالنسبة إلى ما توسط فيه بل مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً أى يكون قد شفع صاحبه في الأمور الخيرية، و ذلك إما بالتوسط، أو بالتحريض أو بالإرشاد يَكُنْ لَهُ أى للشفيع نصيب و حصه منها أى من تلك الحسنه فإن الدال على الخير كفاعله وَ مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً بَأَنَّ تَوْسُطَ فِي الْأَمْرِ السَّيِّئِ أَوْ حَرَضَ أَوْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ يَكُنْ لَهُ أى للشفيع كِفْلٌ أى نصيب منها لأنه قد تعاون على الإثم و العدوان وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَبِتًا أى مقتدرًا فهو القادر في أن يعطى الشفيع نصيباً من الحسنه أو كفلاً من السيئه. أو معنى المقيت: المجازى، أى يجازى على الأمرين.

[٨٧] و قد ناسب الكلام الذي هو حول القتال و الجهاد، الكلام حول السلام و الكف عن القتال، لتقابل الضدين بين الأمر، و يأتي الجو عاماً لا يخص سلام الحرب، بل السلام المطلق، فقال سبحانه: وَ إِذَا حُجِّتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ بِتَحِيَّةٍ وَ التَّحِيَّةُ: السلام، يقال: «حَيَّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١٦

[سورة النساء (٤): الآيات ٨٧ إلى ٨٨]

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَمْ تُلِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مِنْ أَضَلِّ اللَّهُ وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨)

يحيى» إذا سلم فحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أى من تلك التحية. و الآية عامة تشمل كل تحية. قال في «المجمع»: «فلما أمر سبحانه بقتال المشركين عقبه بأن قال: من مال إلى السلم و أعطى ذاك من نفسه و حيَّ المؤمنين بتحية فاقبلوا منه» (١). أو رُدُّوها بمقدارها فإذا قال أحد لك:

«السلام عليكم» فالرد الأحسن أن تقول: «السلام عليكم و رحمة الله» و الرد المساوى أن تقول: «السلام عليكم» إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا أى حفيظاً محاسباً، فيحسب ردكم إن كان بالأحسن أو بالمساوى ليجازيكم عليه.

[٨٨] اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهُوَ الْمَالِكُ الْمَطْلُوقُ ذُو الصِّفَاتِ الْكَمَالِيَّةِ لِيَجْمَعَنَّكُمْ بِعَثْكُمْ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَيَحْشُرَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَيْ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ لِيَجْازِيَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَمَا عَمَلْتُمْ فِي دُنْيَاكُمْ مِنْ حَرْبٍ وَسَلْمٍ أَوْ غَيْرِهِمَا لَا بَدَّ وَأَنْ تَجَاوَزُوا عَلَيْهِ هُنَاكَ لَا رَيْبَ فِيهِ أَيْ لَيْسَ مَحَلًّا لِلرَّيْبِ وَإِنْ ارْتَابَ فِيهِ الْمَبْطُولُونَ، أَوْ أَنَّهُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْوَاقِعِ لَيْسَ فِيهِ رَيْبٌ وَشَكٌّ، فَهُوَ أَمْرٌ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ مِنْهُ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا فَحَدِيثُهُ صَادِقٌ لَا خَلْفَ فِيهِ، وَلِيَأْتِيَنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَجَاوَزُونَ بِمَا عَمَلْتُمْ فِي الدُّنْيَا.

[٨٩] ثم يرد السياق إلى الجهاد وما يتخلله من الاختلاف والانشقاق ويذكر

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٤٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١٧

اللَّهُ سبحانه المؤمنين بأنه لا ينبغي لهم أن يختلفوا في جهاد الكفار والمنافقين لأعداء واهيئه، فقال سبحانه: فَمَا لَكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ صرتم في المنافقين أمر المنافقين فتبين فئه تؤيد محاربتهم لأنهم كفار واقعا، وفئه لا تؤيد لأنهم أظهروا الإسلام في يوم ما والحال أن الله أركسهم أي ردهم إلى حكم الكفر بما كسبوا أي بسبب كسبهم للنفاق والشقاق أ تريدون أي هل تريدون أيها المسلمون أن تهيدوا من أضل الله أي: أطمعون في هداية هؤلاء المرتدين، وقد أضلهم الله؟ وقد تقدم أن معنى إضلال الله تركهم وضلالتهم، بعد أن عرفوا الحق فأعرضوا عنه وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَيتركه على كفره وضلالة فلن تجد له سبيلا لإنقاذه، وكيف يمكن إنقاذه وهو معاند يتعامى عن الحق عمدا.

و

قد روى عن الإمام الباقر عليه السلام: «أن هذه الآية نزلت في قوم قدموا المدينة من مكة فأظهروا للمسلمين الإسلام ثم رجعوا إلى مكة، لأنهم استوخموا المدينة فأظهروا الشرك، ثم سافروا ببضائع المشركين إلى اليمامة، فأراد المسلمون أن يغزوهم فاختلّفوا فقال بعضهم: لا نفعل فإنهم مؤمنون، وقال آخرون: إنهم مشركون. فأنزل الله فيهم هذه الآية» (١).

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٤٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١٨

[سورة النساء (٤): آية ٨٩]

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩)

وهذا الأمر عام دائما في كثير من الحركات فإن قسما من الذين يؤمنون لا بد وأن ينقلبوا ثم يختلف فيهم الباقون، هل أنهم خارجون حقيقة أم لا، والآية تبين وجوب وحدة الصف أمام هؤلاء بعد ما ظهر منهم الارتداد. ثم لا يخفى أن تعبير الآية بالمنافقين لا يدل على أنهم لم يكفروا إذ النفاق أعم من الكفر، ومن المحتمل أن الآية تريد بيان وجوب وحدة الصف أمام المنافقين، حتى يكون التجنب عنهم عاما وليقروا بالعزلة، وهذا أقرب إلى ظاهر الآية بمناسبة ما سبق من أحكام المنافقين كما أن صريح الرواية وظاهر الآية اللاحقة «وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ» يدل على المعنى الأول، وأنه أريد بالنفاق الكفر.

[٩٠] وَدُّوا أَيْ أَحَبُّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَظْهَرُوا الشَّرْكَ لَوْ تَكْفُرُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ كَمَا كَفَرُوا هُمْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً فِي الْكُفْرِ وَمِثْلَ هَؤُلَاءِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْقَسِمَ الْمُسْلِمُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ قَسَمِينَ فَلَا تَتَّخِذُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ أَحْبَاءَ وَأَخْلَاءَ، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَصَادِقُ الْكَافِرَ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ «١» حَتَّى يُهَاجِرُوا مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَذَلِكَ يَلْزِمُ الْإِيمَانَ، إِذِ الْهَجْرَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْإِيمَانِ فَإِنْ تَوَلَّوْا وَأَعْرَضُوا عَنِ

## الإيمان الملازم للهجرة

(١) المجادلة: ٢٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١٩

[سورة النساء (٤): آية ٩٠]

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَرَفُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠)

فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ أَى أَيْنَمَا أَصْبِتُمُوهُمْ مِنْ حَلٍّ أَوْ حَرَمٍ، وَ لَا إِشْكَالَ فِي مُحَارَبَةِ الْجَانِي فِي الْحَرَمِ، أَوْ الْمَرَادِ أَيْنَمَا كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَ لَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا أَى صَدِيقًا خَلِيلًا وَ لَا نَصِيرًا أَى نَاصِرًا يَنْصُرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، فَإِنَّ الْكَافِرَ لَا يَنْصُرُ الْمُسْلِمَ وَ لَوْ نَصَرَهُ فِي الظَّاهِرِ فَإِنَّهُ لَا يُؤْمِنُ شَرَهُ.

[٩١] ثم استثنى سبحانه عن وجوب مقاتله هؤلاء من كان داخلا في حلف قوم بينهم وبين المسلمين معاهدة، فإن دخوله في ذلك الحلف يحقن دمه، و من لا يريد محاربة المسلمين و إنما يريد معاهدتهم، فقال سبحانه - مستثنيا من قوله «فخذوهم ..» -: «إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ أَى لَهُمْ مَوَاصِلَةٌ وَ أَحْلَافٌ مَعَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ أَى بَيْنَ أَوْلِيَّكَ الْقَوْمِ مِيثَاقٌ وَ فِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ هَلَالَ بْنَ عُوَيْمِرَ السَّلْمِيِّ وَ اتَّقَى الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَنْ لَا يَتَعَرَّضُ هُوَ لِأَحَدٍ أَتَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَ لَا يَتَعَرَّضُ الرَّسُولُ لِمَنْ أَتَى هَلَالَ بْنَ عُوَيْمِرَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ نَاهِيًا أَنْ يَمَسَّ مِنْ يَأْتِي هَلَالَ مِنَ الْكُفَّارِ بِسُوءٍ» (١).

أَوْ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ أَى أَتَوْا إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَى ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ - وَ السَّبَبُ أَنْ مِنْ يَهْمُهُ أَمْرٌ تَتَنَفَّخُ رِثْتُهُ لِتَجْلِبَ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الْهَوَاءِ، لِيَرْفَهُ عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي حَمَى بِوَاسِطَةِ

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٤٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢٠

غليان الدم، فيضيق الصدر لتوسع الرئة - أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ أَى تَضِيقُ صُدُورَهُمْ مِنْ قِتَالِكُمْ وَ قِتَالِ قَوْمِهِمْ فَلَا يَكُونُونَ لَكُمْ وَ لَا عَلَيْكُمْ.

و

فِي «الْمَجْمَعِ»، قَالَ: «إِنَّمَا عَنَى بِهِ بَنِي أَشْجَعٍ، فَإِنَّهُمْ قَدَمُوا الْمَدِينَةَ فِي سَبْعِمِائَةٍ يَقُودُهُمْ مَسْعُودُ بْنُ دَخِيلَةَ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَحْمَالَ التَّمْرِ ضِيَاءَةً، وَ قَالَ: نَعَمْ الشَّيْءُ الْهَدِيَّةُ أَمَامَ الْحَاجَةِ وَ قَالَ لَهُمْ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: لِقَرَبِ دِيَارِنَا مِنْكَ، وَ كَرِهْنَا حَرْبَكَ وَ حَرْبَ قَوْمِنَا - يَعْنُونَ بَنِي حِمْرَةَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهُمْ عَهْدٌ - لَقَلَّتْنَا فِيهِمْ، فَجِئْنَا لِنُؤَادِعَكَ، فَقَبِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَ وَادَعَهُمْ فَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ» (١).

وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ أَى سَلَطَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ عَلَيْكُمْ بِأَنْ لَمْ يَلْقَ فِي قُلُوبِهِمْ رَعْبَكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخَافُوكُمْ فَيَسَالِمُوكُمْ، فَقَدْ كَانَ هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَكُمْ مَحَلَّ هَيْبَةٍ وَ مَنَعَةٍ، مَعَ أَنْ عَدَدَكُمْ وَ عَدَدَكُمْ لَا يَقْتَضِيَانِ ذَلِكَ، وَ لَوْ لَمْ يَلْطَفْ بِكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ لَكِنْ حَيْثُ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ فَلَا تَمْدُوا إِلَيْهِمْ يَدَ الْمُحَارَبَةِ فَإِنْ اعْتَرَفُوكُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرُوا وَ هُمْ «الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ ..» أَوْ «جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ..» فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ السَّلَمَ يَعْنِي صَالِحُوكُمْ وَ اسْتَسَلَمُوا لَكُمْ

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٥٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢١

[سورة النساء (٤): آية ٩١]

سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا كَمَا يَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُذِّقُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (٩١)  
فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا فلا تباح دماؤهم، ولا أموالهم، ولا أعراضهم.

وما في بعض التفاسير من أن الآية منسوخة، لم يظهر وجهه، إذ الجملة الأولى لا تقبل النسخ فإن المعاهدات تبقى إلى أمدها، و الجملة الثانية في مورد خاص، ومثله لا يقبل النسخ.

[٩٢] سَتَجِدُونَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ جَمَاعَةً آخِرِينَ مِمَّنْ يَبْطِنُونَ الْكُفْرَ وَيُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا كَمَا أَيُّ يَأْمَنُونَ مِنْ طَرَفِكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ أَيُّ يَأْمَنُونَ مِنْ طَرَفِ قَوْمِهِمُ الْكَافِرِينَ، وَهَؤُلَاءِ كُلُّمَا أَتَوْكُمْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ وَإِذَا رُذِّقُوا إِلَى الْفِتْنَةِ بَأْنَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْكُفْرِ- وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْفِتْنَةِ هُنَا- أُرْكَسُوا فِيهَا أَيُّ وَقَعُوا فِيهَا وَارْتَدَوْا عَنِ إِسْلَامِهِمْ وَالْإِسْلَامَ لَا يَعْتَرِفُ بِهَكَذَا أَنَا، فَإِنْ مَثَلَهُمْ خَطَرُونَ عَلَى سَلَامَةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا- بَدَ وَأَنْ يَحْدُدَ هَؤُلَاءِ مَوْقِفَهُمْ، إِمَّا أَنْ يَعلِنُوا سَلَامَهُمُ الْعَامَ وَاعْتَرَاهُمْ- حِيَادِيَا- عَنِ الْمَشَارِكَةِ فِي التَّحْرِكَاتِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَشْتَرِكُوا فِي حَرْبٍ عَلَيْهِمْ، فَهَمُّ فِي أَمَانٍ مِنْ جَانِبِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِمَّا أَنْ يَحَارِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ كَسَائِرِ الْكُفَّارِ، لَا- فَضْلَ لَهُمْ وَلَا- حَرَمَةَ فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ أَيُّ لَمْ يَعْتَرِلْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَمْ يُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ بَأْنَ يَسَالِمُوكُمْ وَيَصَالِحُوكُمْ وَ لَمْ يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢٢

[سورة النساء (٤): آية ٩٢]

وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢)

بأن لا- يشاركون في حرب و تحرك ضدكم فخذوهم أي فأسروهم، ولا تراعوا نفاقهم في إظهارهم الإسلام إذا جاءوكم وأقتلوهم حيث تَقِفْتُمُوهُمْ أي أينما وجدتموهم وأولئك أي هؤلاء المذبذبون جعلنا لكم أيها المسلمون عليهم سلطاناً مبيناً أي برهاناً واضحاً، فإنه لا وسط بين الحرب والحياد، فإن أخذوا جانب الحياد فهو، وإلا فالحرب حالهم حال سائر الكفار.

ومن المحتمل أن لا يكون المراد من «يؤمنوكم» إظهارهم الإسلام، بل إظهارهم الموادعة والمسالمة، وسوق الآية إلى آخرها- على هذا المعنى واضح- وهذا هو الذي يؤيده

ما في بعض التفاسير من «أن الآية نزلت في عيينة بن حصين الفزاري، أجذبت بلادهم فجاء إلى رسول الله و وادعه على أن يقيم بطن نخل ولا يتعرض له، وكان منافقاً ملعوناً، وهو الذي سماه رسول الله الأحمق المطاع».

وعلى هذا يكون الفرق بينه وبين ما تقدم في قوله سبحانه: «أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ» أن الأولين جاءوا بحسن نية و صدق طويئ، بخلاف هؤلاء حيث جاءوا نفاقاً ومكراً، فقبل من أولئك دون هؤلاء.

[٩٣] هذا ما كان حول معارك المسلمين مع غيرهم، و حكم إراقة الدماء بالنسبة إلى الطرفين. أما المسلمون بعضهم مع بعض فلا يحق لأحد أن يريق قطرة من دم أحد و ما كان للمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢٣

الاستثناء منقطع، أي لا- يجوز لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا أن يخطأ في قتله، كما لو أراد قتل حيوان فأخطأ و أصاب الرمي مؤمناً، أو نحو ذلك و مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فعليه أن يكفر عن خطأ ب تحريير رقبته مؤمته أي أن يعتق إنساناً عبداً مؤمناً، و يقال للعبد: رقبته، بعلاقته

الجزء و الكل، من باب استعمال اللفظ الموضوع للجزء في الكل، كما يقال للجاسوس: عين. و عليه دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ الدية من «ودي يدي»، أى أعطى المال المقابل للدم، و يجب أن تكون «مسلمة» أى يسلمها إلى أهل المقتول كاملة غير منقوصة، و المراد بكون الدية عليه، و جوب الدية في الجملة، لا أنها عليه بالذات، فإنها في الخطأ على «العاقلة» و هذه الدية تقسم بين أولياء المقتول إلاً أَنْ يَصَدَّقُوا أى يتصدق أولياء المقتول بالدية على القاتل فلم يأخذوها منه، و لا يخفى أن أصل «يصدقوا» يتصدقوا، فأدغمت التاء في الصاد لقرب مخرجهما على ما هو المعروف في باب التفعّل.

فَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ أَى كَانَ مِنْ طَائِفَةٍ هُمْ أَعْدَاءُ لِلْمُسْلِمِينَ، بَأَن كَانُوا كَفَارًا مُحَارِبِينَ وَ هُوَ أَى الْقَتِيلُ مُؤْمِنٌ وَ كَانَ قَتْلُهُ لَهُ خَطَأً- كما يقتضيه العطف على الجملة الأولى- فعلى قاتله كفارة هى تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ أَمَا الدية فلا تجب إذ ليس للمقتول أهل مسلمون. و من المعلوم أن الحربى لا يرث المسلم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢٤

[سورة النساء (٤): آية ٩٣]

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)

وَ إِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا لَيْسَ بِمُسْلِمٍ وَ لَكِنَّهُ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَ مَعَاهِدَةٌ وَ قَتَلَهُ الْمُسْلِمُ خَطَأً فعلى القاتل دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ أَى أَهْلَ الْمَقْتُولِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَتْلُ الْمَعَاهِدِ كَمَا لَا يَجُوزُ قَتْلُ الْمُؤْمِنِ فَمَنْ لَمْ يَجِدِ الْعَبْدَ وَ لَا ثَمَنَهُ فعليه صيام شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ أَى متوالين فلا يصح التفريق في أيام الشهرين، لكن إذا صام شهرا و يوما كفاه في التتابع، و جاز أن يصوم البقية بعد زمان غير متصل بالأول تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ أَى شرع ذلك في القتل لأجل التوبة و الرجوع من الله سبحانه على العبد القاتل، و القاتل و إن كان مخطئا مما يوجب عدم الذنب عليه، إلا أن بعده الطبيعى بسبب هذا العمل القبيح يعد ذنبا، فإن بعض الأعمال لها آثار وضعية، كمن شرب الخمر جهلا، فإنه يسكر و تصيبه الأمراض الملازمة للخمر و كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا يعلم مصالحكم حكيما فيما يأمر و ينهى.

[٩٤] قد تقدم حكم القتل الخطأ و مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ظاهر الآية أن القتل وقع عمدا مقابل قتل الخطأ فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا أبدأ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢٥

[سورة النساء (٤): آية ٩٤]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبْنَا وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَتُّعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)

الآبدن، إلا أن تدركه شفاعه أو عفو، و هذا الاستثناء بدليل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ «١» وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ الْمُرَادُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الصِّفَاتِ نَتَائِجُهَا، وَ إِلا فَالله سبحانه ليس محلا للحوادث وَ لَعَنَهُ أَى طرده عن رحمته وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا وَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا «٢».

[٩٥] ثم أشار القرآن الحكيم إلى بعض الاحتياطات اللازمة على المجاهدين، لئلا يقتلوا مسلما خطأ، و ذلك إثر وقوع حادثه و هى

أن أسامة بن زيد و أصحابه بعثهم النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى سرية فلقوا رجلا قد انحاز بغنم له إلى الجبل و كان قد أسلم فقال لهم: السلام عليكم، لا إله إلا الله محمد رسول الله، فبدر إليه أسامة فقتله و استاقوا غنمه، فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أخبره بذلك، فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «أفلا- شققت الغطاء عن قلبه، لا ما قال بلسانه قبلت و لا ما فى نفسه علمت» «٣»،

و نزلت الآية يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَى خَرَجْتُمْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ الضَّرْبَ بِمَعْنَى السَّفَرِ، لِأَنَّ الْمَسَافِرَ يُضْرَبُ بِرِجْلِهِ الْأَرْضُ فَتَبَيَّنُوا أَى ميزوا بين الكافر و المؤمن ليكون أمركم واضحا مبينا و لا تفعلوا شيئا بدون التثبت و التبين



والتأني ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام

(١) النساء: ٤٩.

(٢) المائدة: ٣٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٢٣٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢٦

[سورة النساء (٤): آية ٩٥]

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)

أى حياكم بتحية الإسلام و أظهر لكم أنه مسلم و اعترلكم فلم يقاتلكم: لست مؤمناً حقيقته و إنما إيمانك صرف لقلقه لسان خوفا من القتل تبتغون عرض الحياة الدنيا أى هل تطلبون الغنيمة و المال، حيث تنكرون إسلام من ألقى إليكم السلام؟ فيكون الكلام على الاستفهام التويخي، أى لماذا تقتلون مظهر الإسلام لغنيمة الزائلة التي هي عرض الحياة الدنيا؟ أو أن الاستفهام ليس تويخيا بل على ظاهره، أى إن كنتم تطلبون المال فعند الله مغنم كثيرة جمع «مغنم» و هي الغنيمة في الدنيا بما ستحوزونه من الكفار، و في الآخرة، و فسرت الغنيمة لغه بأنها الفائدة كذلك الذى ألقى إليكم السلام كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَإِنكُمْ كُنْتُمْ كَفَارًا كَمَا كَانَ هُوَ كَذَلِكَ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بأن هداكم إلى الإيمان، فكما لم يصح لأحد أن يقول: إن إيمانكم عن خوف، كذلك لم يصح لكم أن تقولوا: إن إيمان من ألقى إليكم السلام عن خوف، و إذا علمتم خطأكم فى هذه المرة فتبينوا من بعد. و قد كرر اللفظ تأكيدا، و لكى يقع الكلام موقع القبول بعد قيام الحجّة، فكان «تبينوا» فى الأول مجرد أمر و «تبينوا» هنا بعد الدليل و البرهان على لزوم التبين عقلا إن الله كان بما تعملون خبيراً فهو يعلم أعمالكم و بواعثها، فراقبوا الله فى كل عمل تقومون به.

[٩٦] ثم يأتي السياق ليبين فضل المجاهدين تحريضا على الجهاد و تحفيزا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢٧

للقاعدتين على النهوض لا يستوى القاعدون من المؤمنين الذين يقعدون فى محلهم و لا ينهضون لمقاتلة الأعداء غير أُولِي الضَّرَرِ يعنى القاعدتين الذين ليس بهم ضرر يمنعهم عن الجهاد كالأعمى و الأعرج و نحوهما، أما من بهم ضرر فهم معذورون ليس عليهم حرج. و لعل المفهوم من الآية أن من به ضرر، و كان مستعدا نفسيا أن يجاهد لو لا الضرر، كان له أجر المجاهدين حسب الحديث المأثور: «نية المؤمن خير من عمله» (١).

و عليه فإن هؤلاء القاعدون لا يستون و المجاهدون فى سبيل الله بأموالهم و أنفسهم بأن أنفقوا أموالهم للجهاد و قدموا أنفسهم للقاء الكفار فى سبيل إعلاء كلمة الإسلام. وسمى الجهاد جهادا لما يستلزمه من الجهد و المشقة، فإن فى بذل المال و النفس أعظم المشقات فضل الله المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدتين دَرَجَةً إذ المجاهد يفضل على القاعد بالجهاد، و لكن لكل منهما فضل الإيمان و الصلاة و الصيام و سائر شرائع الإسلام و كلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى أى المجاهد و القاعد، فإن الجهاد فرض كفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الآخرين، و لذا فكلاهما موعود بالصفة الحسنى من الخير و السعادة و إن كان المجاهد أفضل.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٨٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢٨

[سورة النساء (٤): آية ٩٦]

دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٩٦)

و في تفسير «الأصفي» ورد: «لقد خلفتم في المدينة أقواما ما سرتهم مسيرا و لا قطعتم واديا إلا كانوا معكم، و هم الذين صحت نياتهم و نضجت جيوبهم و هوت أفئدتهم إلى الجهاد، و قد منعهم من المسير ضرر أو غير ضرر». أقول: كان هذا في غزوة تبوك.

وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

فقد ورد: «إن فوق كل برٍ برٌ إلا الجهاد في سبيل الله» (١)

، كما

ورد: «إن الأجر على قدر المشقة»

«٢»، و

ورد: «ما أعمال البر كلها ... إلا كنفته في بحر لحي»

«٣» و كان قوله «أجرا عظيما» لدفع و هم ربما يتوهم من قوله «درجة» فيقال: أنه لا فرق بين المجاهد و القاعد إلا درجة، فيقال في الجواب: أنه لا أهمية للدرجة في مقابل تعب الجهاد و مشقته فقد جعل الله له أجرا عظيما.

[٩٧] ثم بين سبحانه الأجر العظيم بقوله: ذلك الأجر هو دَرَجَاتٍ مِنْهُ أَي من قبل الله سبحانه، و هذا تعظيم للأمر، فإن الدرجة لو كانت من غيره لكانت هينة، إذ الدنيا عرض زائل أما التي منه سبحانه فإنها شيء عظيم باق. و

في الحديث «إن الله فضل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة، بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفا للفرس الجواد المضمرا».

«٤» وَمَغْفِرَةً أَي غفرانا لذنوب المجاهد وَرَحْمَةً أَي يرحم الله

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٨٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٧٥.

(٣) نهج البلاغة: حكمه رقم ٣٧٣.

(٤) كنز الدقائق: ج ٢ ص ٥٨٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢٩

[سورة النساء (٤): آية ٩٧]

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧)

المجاهد بإعطائه النعم الكثيرة و كان الله غفورا رحيمًا فيغفر للمجاهد ذنوبه السابقة و يرحمه برحمته الواسعة. قال البعض: إن المراد بالدرجة الأولى علو المنزلة، كما يقال: فلان أعلى درجة عند الخليفة من فلان، و أراد بالثانية الدرجات في الجنة التي بها يتفاضل المؤمنون.

[٩٨] ثم يأتي السياق إلى طائفة أخرى من القاعدين الذين لم يعدهم الله الحسنی، بل وعدهم العذاب لأنهم هم السبب في ظلم الكفار لهم و سلبهم حقوقهم إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَي تقبض الملائكة أرواحهم، فإن لملك الموت أعوانا، كما ورد في السنة، و دلت عليه هذه الآية ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ أَي في حال كونهم ظالمين لأنفسهم، لأنهم بقوا في دار الهوان حيث يسومهم الكفار العذاب و يمنعوهم من الإيمان بالله و الرسول، و قد كان بإمكان هؤلاء أن يهاجروا إلى دار الإيمان و يؤمنوا. و لعل الآية أعم منهم و من المؤمنين الذين بقوا في دار الكفر و لا- يتمكنون من إظهار واجبات الإسلام و العمل بما أوجبه الله سبحانه قَالُوا أَي قالت الملائكة لهم عند قبض أرواحهم: فِيمَ كُنْتُمْ أَي في أي شيء كنتم من أمر دينكم، و هو استفهام توبيخي قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ يستضعفنا

أهل الشرك في بلادنا فلا يتركوننا لأن نؤمن، أو لا يتركوننا نعمل بالإسلام قالوا أى قالت الملائكة لهم: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْ سُلْطَةِ الْكُفَّارِ، وَتَتِمَكَّنُوا مِنَ الْعَمَلِ بِالْإِسْلَامِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٠

[سورة النساء (٤): الآيات ٩٨ الى ٩٩]

إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا (٩٩)

و بشرائعه. فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَبَقَ وَصْفَهُمْ مَا وَاهُمْ مَرْجِعُهُمْ وَ مَحَلُّهُمْ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا أى أنها مصير سيئ لعذابها و أهوالها.

[٩٩] ثم استثنى سبحانه من هؤلاء من لا- يتمكن من المهاجرة فإنه ليس مكلفا، وإنما أمره إلى الله تعالى إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ استضعفهم الكفار فى بلادهم مِنَ الرِّجَالِ الْعِزَّةِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ وَ هَاتَانِ الطَّائِفَتَانِ فِي طَبِيعَتِهِمُ الْعِزَّةُ عَنِ الْفِرَارِ وَ الْهَجْرَةَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً أى علاجاً لأمرهم وَ فَكَا لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ سُلْطَةِ الْمُشْرِكِينَ وَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا لِلْفِرَارِ وَ الْهَجْرَةَ.

[١٠٠] فَأُولَئِكَ الْعَاجِزُونَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ أى لعل الله سبحانه يغفر لهم ذنبهم، و دخول «عسى» فى مثل هذه الآية للدلالة على كون الأمر بيد الله سبحانه، و أنه كان قادراً أن يأمرهم بما يحرجهم من وجوب خروجهم و إظهار دينهم، و إن بلغ بهم الأمر ما بلغ، و لا- يقال: إن كان المراد بالمستضعفين الكفار فكيف يعفى عن الكفر؟ لأن الدليل العقلى و النقلى قد دل على امتحان الضعفاء و العجزة و البله و من إليهم فى الآخرة، و ذلك بخلاف الكافر المعاند الذى مصيره النار حتماً وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا يَغْفِرُ عَمَّنْ يَشَاءُ غَفُورًا يَغْفِرُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣١

[سورة النساء (٤): آية ١٠٠]

وَ مَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَ سَعَةً وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠)

الذنوب. و لعل الفرق بين العفو و الغفران: أن العفو غفران بلا ستر، و الغفران عفو مع الستر، فإن عدم العقاب لا يلازم الستر.

[١٠١] و قد يمنع عن الهجرة خوف أن لا يجد الإنسان فى محلّه الجديد ما يلائم مسكنه و مكسبه، و لكنه ليس إلا توهما، فإن الأرض واسعة و الكسب ممكن فى كل مكان وَ مَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَمْرِهِ سَبْحَانَهُ وَ مَنْ أَجَلُهُ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا «المراغم» مصدر بمعنى «المتحول» و أصله من الرغام و هو التراب وَ سَعَةً أى فى الكسب و سائر شؤون الحياة وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا يهجر وطنه و محله، و ينقطع عنه إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْهَجْرَةُ إِلَى اللَّهِ بمعنى: إلى محل أمره، و الهجرة إلى الرسول إما حقيقته كما فى زمان حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، و إما مجازية كما إذا هاجر إلى بلاد الإسلام حسب أمر الرسول ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ أى يموت فى طريقه فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ وَ حَسَبَ أَمْرَهُ فَأَجْرُهُ وَ ثَوَابُهُ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا يَغْفِرُ ذُنُوبَ الْمُهَاجِرِ رَحِيمًا يَرْحَمُهُ بِإِعْطَائِهِ الثَّوَابَ.

و فى الحديث «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض و إن كان شبرا من الأرض، استوجب الجنة، و كان رفيق إبراهيم و محمد عليهما السلام»

«١».

و قد ورد فى بعض التفاسير: أن السبب فى نزول هذه الآية أنه لما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٢

[سورة النساء (٤): آية ١٠١]

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (١٠١)

نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من المسلمين كان بمكة يسمى «جندب بن حمزة» فقال: والله ما أنا مما استثنى الله إنى لأجد قوة، و إنى لعالم بالطريق، و كان مريضاً شديداً المرض فقال لبيه: والله لا أبيت بمكة حتى أخرج منها، فإنى أخاف أن أموت فيها، فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم مات، فنزلت الآية «١».

[١٠٢] و لما أمر سبحانه بالجهاد و الهجرة، بين كيفية الصلاة في السفر و الخوف إشفاقاً على الأمة و رحمة بهم و تفضلاً عليهم، و الآية و إن كانت ظاهرة في الخوف فقط لأنه سبحانه قال: «إن خفتهم» لكن القيد على الغالب في ذلك الزمان عند نزول الآية، و إنما الاعتبار بالضرب في الأرض، و قد، كثر في القرآن الحكيم «القيد الغالبى» كقوله تعالى:

وَرَبَائِبِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ «٢» مع أن كونهن «في حجوركم» ليس بشرط، و كقوله: وَلَا تَكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا «٣» و غيرهما.

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ أَى سافرتم أيها المسلمون في الأرض و من المعلوم أن السفر مشروط بأمور أخرى مذكورة في الكتب الفقهية فليست عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ لَيْسَ لَفْظِ «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» للإباحة كما هو الظاهر منه، بل في مقام دفع توهم «الحضر»، كقوله: فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا «٤» فقد كان التمام واجبا، و في السفر، حيث يتوهم بقاؤه على الوجوب،

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٧١.

(٢) النساء: ٢٤.

(٣) النور: ٣٤.

(٤) البقرة: ١٥٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٣

[سورة النساء (٤): آية ١٠٢]

وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَ لَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنْ اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٠٢)

نفى سبحانه وجوبه و أجاز القصر، و ذلك لا ينافى وجوب القصر، على ما دل الدليل عليه، و المراد بالقصر تنصيف الرباعية بأن يصلى الظهر و العصر و العشاء ركعتين، فإذا تشهد التشهد الوسط سلم و لم يبق للركعتين الباقيتين، أما الصبح و المغرب فتبقيان على ما كانتا عليه إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَى خفتهم فتنة الذين كفروا، و الفتنة:

العذاب و القتل و ما أشبهه، فإنهم إذا أرادوا الصلاة أربعاً، طال الأمد عليهم و أمكن أن يهجم عليهم الكفار و يعذبوهم أو يقتلوهم، فمن الله عليهم بالقصر ليقط الأمد و لا يبقى للكفار- في ساحة الحرب- مهلة ينتهزونها للهجوم. و لصلاة السفر و الخوف و المطاردة تفصيل مذكور في الكتب الفقهية.

إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَيْسَ مَعْنَى «كَانَ» الْمَاضِي، بَلْ مَجْرَدُ الرِّبْطِ كَمَا فِي مِثْلِ: إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَيَّا «١» و ما أشبهها لكم أيها المسلمون عدوًّا

مُبيناً أى واضحاً لظهور عداوتهم للمسلمين، فإذا لم تقصروا من الصلاة انتهبوا مدة انشغالكم بها فرصة للعدو أن يفتنكم. [١٠٣] ثم يبين سبحانه صلاة الخوف إذا أرادوا أن يصلوها جماعة فإن المجاهدين ينقسمون إلى طائفتين، طائفة تقتدى بالإمام، و طائفة تبقى فى الميدان، فإذا سجد الإمام السجدين من الركعة الأولى، تقوم الطائفة المقتدية للركعة الثانية و تأتى بها فرادى و تشهد و تسلم و الإمام بعد

(١) النساء: ٣٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٤

لم يركع، فنذهب هذه الطائفة إلى الميدان و تأتى الطائفة الثانية و تقتدى بالإمام فى الركعة الثانية، حتى إذا جلس الإمام للتشهد قامت و أتت بالركعة الثانية فرادى و لحقت بالإمام فى التشهد و أتمت الصلاة معه فتطول صلاة الإمام بمقدار صلاتيهما و إذا كُنْتَ يا رسول الله فِيهِمْ فِيمَنْ ضَرَبَ فِي الْأَرْضِ لِأَجْلِ الْجِهَادِ- و من المعلوم أن الحكم لا يخص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بل هذا عام لكل إمام فى المجاهدين يريدون الصلاة جماعة- فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ يَاقْتَدُونَ بِكَ فِي الصَّلَاةِ، و تقوم طائفة ثانية من المجاهدين فى وجه العدو و لِيَأْخُذُوا أَى الطائفة الذين يصلون معك أَسْلِحَتَهُمْ لئلا يستسهل أمرهم العدو فيهجم عليهم، و يكونون عزلا فيخرج موقفهم. و قد استثنى من كراهية حمل السلاح فى الصلاة هذا الموضوع، و لم يبين أخذ الطائفة المقاتلة أسلحتهم لوضوح ذلك. فَإِذَا سَجَدُوا وَ قَمْتَ أَنْتَ لِلرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، أتموا صلاتهم فرادى و ذهبوا مكان الطائفة المقاتلة، و هذا هو المراد بقوله سبحانه: فَلْيُكُونُوا مِنْ وَّرَائِكُمْ و إنما قال بصيغة الجمع و لم يقل: «من ورائك» باعتبار صلاة الطائفة الثانية مع الإمام، و هذا لا ينافى قوله بعد ذلك «وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى إِذْ الْمُرَادُ كُونَهُمْ وَرَاءَ الْمُصَلِّينَ بِاعْتِبَارِ الْأَوَّلِ وَ لَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا وَ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْمِيدَانِ فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ أَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٥

ليكونوا حذرين متأهين للقتال آخذين أسلحتهم، و لعل إضافة كلمة «حذرهم» هنا بخلاف الجملة الأولى، أن هجوم العدو على هؤلاء أقرب من هجومهم على الطائفة الأولى، لأنه بمجرد الانقسام إلى طائفتين و انسحاب طائفة من الحرب لأجل الصلاة لا يدرك العدو الأمر، و لذا لا يأخذ استعدادة الكامل للهجوم- بظن كون الجميع فى حال القتال- بخلاف الأمر إذا طال الأمد و تبين الأمر، و أن قسما من المسلمين رفعوا أيديهم عن الحرب لأجل الصلاة. و إنما حكم بانقسام الجيش طائفتين لما بينه سبحانه بقوله: وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْمُحَارِبِينَ لَكُمْ، أَى تمنوا لو تَغْلُوبُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ فلا- تحملوها و أَمِعْتِكُمْ فتبتعدون عنها فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَهُ وَاحِدَةً أَى يحملون عليكم حملته واحدة و أنتم متشاغلون بأجمعكم بالصلاة فيقضون عليكم قضاء مبرما حيث أصابوكم على غرة بلا سلاح يقيكم و لا متاع يمدكم، و لذا فقد أمروا بأن ينقسموا طائفتين حالة الصلاة و يحملوا أسلحتهم و هم فى الصلاة و لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَى لا حرج و لا إيجاب لحمل السلاح إِنْ كَانَ بِكُمْ أَيُّهَا الْمَجَاهِدُونَ الَّذِينَ تَرِيدُونَ الصَّلَاةَ جَمَاعَةً أَدَى وَ صَعُوبَةً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ فلا تحملوها فى حال الصلاة للاستراحة بقدر الصلاة من ثقل السلاح، أما المريض فواضح أذية السلاح له، و أما المطر فلأن هطوله يثقل على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٦

[سورة النساء (٤): آية ١٠٣]

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا أطمأننتهم فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا (١٠٣)

الإنسان، فإذا اجتمع مع السلاح كان أثقل و أتعب و هكذا بالنسبة إلى حمل الدرع الموصل حال السجود و نحو ذلك و لكن إذا

وضعتم سلاحكم لجهة الأذى ف خذوا جذركم أى احتسروا عن هجوم الكفار حتى إذا هاجمكم تكونون على استعداد لا أن تكونوا غافلين إن الله أعد للكافرين أى هيا لهم عذاباً مهيناً أى يذلهم، عذاباً فى الدنيا بأيديكم وفى الآخرة بالنار والجحيم. قال فى «المجمع»: وفى الآية دلالة على صدق النبى وصحة نبوته وذلك أنها نزلت و النبى بعسفان و المشركون بضجنان فتوافقوا فصلى النبى و أصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع و السجود فهّم المشركون بأن يغيروا عليهم، فقال بعضهم: إن لهم صلاة أخرى أحب إليهم من هذه يعنون صلاة العصر، فأنزل الله عليه هذه الآية فصلى بهم العصر صلاة خوف «١».

[١٠٤] فإذا قضيتُم أى أديتم أيها المجاهدون الصلاة المأتى بها على نحو الخوف فأذكروا الله قياماً وقعوداً أى فى حال كونكم قائمين وقاعدين، و هما جمعان ل «قائم وقاعد» و على جُنوبِكُم أى فى حال الاضطجاع فإذا اطمأننتُم و ذهب الخوف فأقيموا الصلاة كاملة بحدودها و شروطها

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٧٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٧

[سورة النساء (٤): آية ١٠٤]

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤) إِنْ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا أَى كَتَبَ كِتَابًا، بمعنى فرضت فريضة موقوتاً أى ذات وقت محدد لأدائها.

[١٠٥] ثم كرر سبحانه الحث على لزوم الجهاد فقال: وَلَا تَهِنُوا مِنْ «وهن يهن» بمعنى ضعف، أى لا تضعفوا ولا تكاسلوا فى ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ أى طلب الكفار و محاربتهم إِنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ تَأْلَمُونَ مِمَّا يَنَالُكُمْ مِنَ الْجَرْحِ وَ الْمَشَقَّةِ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّهُمْ أَيُّ الْقَوْمِ الْكُفَّارِ يَأْلَمُونَ مِمَّا يَنَالُهُمْ مِنَ الْجَرْحِ وَ الْمَشَقَّةِ كَمَا تَأْلَمُونَ فَكَلَاكَمَا سَوَاءٌ فِي التَّأَلَمِ وَ تَرْجُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ اللَّهِ أَى مِنْ قَبْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ الْفَتْحِ وَ الظَّفَرِ وَ الثَّوَابِ مَا لَا يَرْجُونَ هُمْ، فأنتم أولى و أحرى أن تطلبوهم و تجدوا فى قتالهم من أولئك، حيث ليس لهم وعد بالنصر و لا بالثواب وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِكُمْ فأنتم بعلم الله سبحانه - كما تعتقدون - و هم و إن كانوا بعلم الله لكنهم لا يعتقدون بذلك حَكِيمًا فَأوامره و نواهيه عن تدبير و تقدير.

و

ورد أن المسلمين قالوا يوم أحد للمشركين: لا سواء، قتلاتنا فى الجنة و قتلاكم فى النار، فقال أبو سفيان: نحن لنا العزى و لا عزى لكم، فقال النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ للمسلمين: قولوا الله أعلى و أجل.

و

روى القمى أن الآية نزلت بعد رجوع النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ من واقعة أحد، فإن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لما رجع إلى المدينة نزل جبرائيل عليه السلام فقال:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٨

[سورة النساء (٤): الآيات ١٠٥ الى ١٠٦]

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَ لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦)

يا محمد إن الله يأمرك أن تخرج فى أثر القوم و لا يخرج معك إلا من به جراحة، فأقبلوا يضمدون جراحاتهم و يداوونها فخرجوا على ما بهم من الألم و الجراح

«١».

[١٠٦] و بعد ذكر جملة من الأحكام المتعلقة بالحرب و الجهاد يرجع السياق إلى ما تقدم من لزوم العدل في الحكم كما قال: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ «٢» فَإِنَّ الْجِهَادَ لَمْ يَشْرَعْ إِلَّا لِلْعَدْلِ، وَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَمْ يَبْعَثْ إِلَّا -لِإِقَامَةِ الْعَدْلِ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ أَيْ أَنْزَلْنَا مَقَارِنًا بِكَوْنِهِ بِالْحَقِّ فَإِنَّ الْإِنزَالَ قَدْ يَكُونُ بِالْبَاطِلِ إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ، أَوْ إِلَىٰ غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ، وَ بِمَا هُوَ بَاطِلٌ لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْعَادِلَةِ وَ لَا تَكُنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً أَيْ لِأَجْلِ الْخَائِنِينَ خَصِيماً عَلَى الْأَبْرِيَاءِ بِمَعْنَى لَا تَأْخُذْ جَانِبَ الْخَائِنِ عَلَى الْبَرِيءِ فَتَعْطَى الْحَكْمَ لِلْمَجْرَمِ.

[١٠٧] وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهُ أَيْ اطْلُبِ غَفْرَانَهُ، وَ هَذَا تَنْبِيهُ لِلْأُمَّةِ حَيْثُ يَرِيدُونَ الْقَضَاءَ، فَإِنَّ الْقَضَاءَ يَحْتَاجُ إِلَى سِتْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَتَّى لَا يَزِلَّ الْقَاضِي إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً يَسْتُرُ الْعُيُوبَ وَ يَرْحَمُ الْمُسْتَرْحَمَ.

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ١٢٤.

(٢) النساء: ٥٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٩

[سورة النساء (٤): آية ١٠٧]

وَ لَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيماً (١٠٧)

وَ قَدْ وَرَدَ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَ مَا بَعْدَهُمَا مَا مَجْمَعُهُ: أَنَّ بَنِي أَبِي بَرْقٍ الْمَسْمُومِينَ بِشِيرًا وَ مَبْشَرًا وَ بَشْرًا وَ كَانُوا مُنَافِقِينَ نَقَبُوا عَلَى عَمِّ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ فَأَخْرَجُوا طَعَامًا وَ سَيْفًا وَ دَرْعًا، فَشَكَا قَتَادَةُ ذَلِكَ إِلَى مَوْئِنَا فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ، وَ قَالَ: أُوَيْسِي بِالسَّرِقَةِ وَ أَنْتُمْ أَوْلَىٰ بِهَا مِنِّي وَ أَنْتُمْ الْمُنَافِقُونَ تَهْجُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ تَنْسُبُونَ الْهَجَاءَ إِلَى قَرِيشٍ، فَدَارُوهُ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ رَهْطِ بَنِي أَبِي بَرْقٍ وَ كَانَ مُنَافِقًا بَلِيغًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ قَتَادَةَ عَمِدَ إِلَى أَهْلِ بَيْتِ مَنْ أَهْلُ شَرَفٍ وَ حَسَبٍ وَ نَسَبٍ فَرَمَاهُمْ بِالسَّرِقَةِ، فَاعْتَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَ عَاتَبَ قَتَادَةَ عَتَابًا شَدِيدًا فَاعْتَمَ قَتَادَةَ وَ كَانَ بِدَرِيَا. فَنَزَلَتِ الْآيَاتُ تَبْرِيءَ قَتَادَةَ وَ تَدِينُ بَنِي أَبِي بَرْقٍ، فَبَلَّغَ بَشِيرٌ مَا نَزَلَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ - وَ أَنَّهُ الْخَائِنُ - فَهَرَبَ إِلَى مَكَّةَ وَ ارْتَدَ كَافِرًا.

«١».

[١٠٨] وَ لَا تُجَادِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَ كَوْنِ النَّهْيِ لِلرَّسُولِ لَا يَنَافِي مَقَامَ الْعِصْمَةِ إِذِ النَّوَهِى تَتَوَجَّهُ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ كَمَا تَتَوَجَّهُ إِلَى سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَ الْأَوَامِرُ تَعْنِيهِ كَمَا تَعْنِي غَيْرُهُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ اخْتَانًا بِمَعْنَى خَانَ، أَيْ لَا تَخَاصِمُ عَنْ طَرَفِ الْخَائِنِينَ الَّذِينَ يَخُونُونَ أَنفُسَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا صَرَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَعْصِيَةِ فَقَدْ خَانَهَا، لِأَنَّهَا وَدِيعَةٌ يَجِبُ أَنْ تَرُدَّ، وَ رَدُّهَا بِصَرْفِهَا فِي الطَّاعَةِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَمَدُ وَ يَأْتِيَ الْأَجَلَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا هُوَ «فَعَالٌ» مِنَ الْخِيَانَةِ أَثِيماً أَيْ

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٧٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٠

[سورة النساء (٤): الآيات ١٠٨ إلى ١٠٩]

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنْتُمْ هُوَ لِأَنَّ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَ كَيْلًا (١٠٩)

عاصيا، و معنى «لا يحب» يكره، لأنه لا واسطة، فالعاصي مكروه و المطيع محبوب.

[١٠٩] يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ بِمَعْنَى كَتَمَ، أَيْ يَكْتُمُونَ أَعْمَالَهُمُ السَّيِّئَةَ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ السَّرَّاقَ فِي قِصَّةِ ابْنِ أَبِي بَرْقٍ كَانُوا يَكْتُمُونَ

عملهم من الناس خوف الفضيحة ولا يَشْتَحُونَ مِنَ اللَّهِ أَى لا- يكتمون عملهم الإ-جرامى من الله، و معنى الاستخفاء من الله عدم العمل، لا العمل مكتوما عنه، إذ لا يخفى عليه سبحانه خافية، و إنما جاءت لفظه يستخفون للمقابلة نحو: تَعَلَّمْ مَا فِى نَفْسِى وَ لَا أَعَلِّمْ مَا فِى نَفْسِكَ «١» وَ هُوَ مَعَهُمْ أَى و الحال أن الله تعالى معهم بالإحاطة و العلم فهو يعلم أقوالهم و أعمالهم إذ يَبَيِّنُونَ أَى يدبرون بالليل ما لا- يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ فَإِنْ أَبْنَاءُ أَبْرِقُ دَبْرُوا بِاللَّيْلِ أَقْوَالًا وَ طَبَخُوهَا لِيَتَظَاهَرُوا بِتِلْكَ الْأَقْوَالِ عِنْدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ الْمُسْلِمِينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا فَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى أَقْوَالِهِمْ مُحِيطٌ بِأَعْمَالِهِمْ، و معنى الإحاطة: العلم الشامل بحيث لا يفوته شىء كالمحيط بالشىء الذى لا يخرج منه جانب من جوانب الشىء المحاط.

[١١٠] ها أَنْتُمْ «ها» للتنبه هنا و فى هؤلاء هؤلاء أَى أَنْتُمْ الَّذِينَ دَافَعْتُمْ وَ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ أَى عَنِ أَوْلِيكَ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ سَرَقُوا

(١) المائدة: ١١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤١

[سورة النساء (٤): الآيات ١١٠ الى ١١١]

وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) وَ مَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١)

فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هُنَا حَيْثُ يُمْكِنُ الْإِخْفَاءُ وَ الْمَجَادَلَةُ بِمَا يَظُنُّ النَّاسُ أَنَّهُ حَقٌّ وَ هُوَ فِى الْوَاقِعِ بَاطِلٌ فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ، أَى لَيْسَ هُنَالِكَ مَنْ يُجَادِلُ عَنْهُمْ فِى مُحَضَّرِ عَدْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّذِى يُطَّلِعُ عَلَى السَّرَائِرِ وَ الْوَاقِعَاتِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَ كَيْلًا يَتَوَكَّلُ عَنْهُمْ فِى إِنْقَاذِهِمْ مِنْ عَمَلِهِمُ الَّذِى صَنَعُوهُ خَفِيًّا.

وَ الاسْتِفْهَامُ فِى مَعْنَى الْإِنْكَارِ، أَى لَيْسَ هُنَاكَ وَ كَيْلًا يَدْفَعُ عَنْهُمْ، وَ لَعَلَّ الْفَرْقَ بَيْنَ «مَنْ يُجَادِلُ» وَ «مَنْ يَكُونُ» أَنَّ الْمَجَادِلَ لَا يُلْزَمُ أَنْ يَكُونَ وَ كَيْلًا فَقَدْ يُوَكَّلُ الْإِنْسَانُ مِنْ يَدْفَعُ عَنْهُ، وَ قَدْ يَدْفَعُ عَنْهُ شَخْصٌ تَبْرَعًا.

[١١١] ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّ لَا يَأْسُ مِنَ رُوحِ اللَّهِ، وَ أَنَّ الْإِثْمَ لَا يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ انْقَطَعَتِ الصَّلَاةُ، بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يَأْتِيَانِ مَعْصِيَةً تَتَعَدَاهُ إِلَى غَيْرِهِ كَالزَّانَا وَ السَّرْقَةَ أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ لَا تَتَعَدَاهُ، كَشَرْبِ الْخَمْرِ وَ تَرْكِ الصَّلَاةِ. وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ ظَلَمٍ لِلنَّفْسِ وَ كُلِّ سُوءِ ظَلَمٍ، لَكِنْ حَيْثُ تَقَابَلَا فِى التَّعْبِيرِ فَرَقْنَا بَيْنَهُمَا بِمَا لَعَلَّهُ الْمُسْتَفَادُ مِنَ السِّيَاقِ ثُمَّ يَشْتَغِرُ اللَّهُ بِطَلْبِ غَفْرَانِهِ بِمَا أَمَرَ مِنَ التَّوْبَةِ وَ التَّدَارُكِ، إِنْ كَانَ لِلْعَصِيَانِ لَهُ تَدَارُكٌ يَجِدُ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا يَغْفِرُ ذَنْبَهُ وَ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَ الْمَنِّ.

[١١٢] وَ لَا يَظُنُّ الْإِثْمَ أَنَّهُ أَضْرُ الْغَيْرِ وَ رِيحَ نَفْسِهِ، بَلْ بِالْعَكْسِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٢

[سورة النساء (٤): الآيات ١١٢ الى ١١٣]

وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُبِينًا (١١٢) وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْطَلُّوكَ وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣)

فِيهِ مَنْ يَكْسِبُ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ إِذْ كُلُّ خَيْرٍ يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ يَعُودُ إِلَى نَفْسِهِ، وَ كُلُّ عَصِيَانٍ يَأْتِي بِهِ يَعُودُ إِلَى نَفْسِهِ، وَ إِثْمًا تُجَزَّؤْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ «١» وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِمَا يَكْسِبُهُ الْإِنْسَانُ حَكِيمًا فِى عِقَابِهِ وَ ثَوَابِهِ يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا، فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ يَعِصِي ثُمَّ يَفْرُجُ مِنْ عَدْلِ اللَّهِ، أَوْ أَنَّهُ مَا الْفَائِدَةُ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِى لَا يَعُودُ نَفْعُهُ إِلَيْهِ؟ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ حَكِيمٌ، وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْحِكْمَةَ وَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا.

[١١٣] وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا لَعَلَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا كَوْنُ الْأَوَّلِ لَا عَنْ عَمْدٍ، وَ الثَّانِي عَنْ عَمْدٍ، وَ هَذَا الْفَرْقُ إِنَّمَا هُوَ فِى الْمَقَامِ حَيْثُ



تقابلا، وإلا- فالخطيئة تطلق على كل إثم. ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً من «رمى يرمى» أى ينسب ذنبه إلى إنسان برىء، كما سبق فى قصة ابن أبيرق فَقَدْ اِحْتَمَلَ بُهْتَاناً أى إثم البهتان، وهو رمى الناس بالذنب كذباً وإثماً مُبِيناً أى معصية واضحة، فهو يتحمل إثمين إثم العمل وإثم البهتان.

وهذا لا ينافى ما احتملنا فى الخطيئة إذ الخطأ ينقلب إثماً إذا تمادى الإنسان فى توباعه، ولم يتداركه.

[١١٤] فى بعض التفاسير: أن وفدا من ثقيف قدموا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقالوا: يا محمد جئناك نبايعك على أن لا نكسر أصنامنا بأيدينا، وعلى أن نمتنع بالعزى سنه. فلم يقبل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طلبهم، وإنما قبل منهم

(١) الطور: ١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٣

الإسلام بجميع شرائطه «١»، فأَنْزَلَ اللهُ سبحانه: وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ بِتَأْيِيدِكَ مِنْ لَدُنْهِ وَتَشْيِئِكَ عَلَى الصَّحِيحِ الْحَقِّ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَى قَصَدَتْ وَأَضْمَرَتْ جَمَاعَةً مِنْ هَؤُلَاءِ- وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ إِلَى الْمُقَدَّرِ، نَحْوُ: وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ «٢»- أَنْ يُضَيِّعُوا لَكُمْ بِأَنْ تَجِيزَ لَهُمْ مَا أَرَادُوا. وَقِيلَ إِنْ آيَةُ مِنْ تَمَّتْ قِصَّةُ ابْنِ أَبِيرِقٍ وَمَا أَرَادَهُ الْمَزْكِيُّ مِنْ تَرْكِيهِ السَّرَاقِ وَإِلْقَاءِ التَّهْمَةِ عَلَى الْبَرِيِّ.

وَمَا يُضَيِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ إِذْ وَبَالَ كَلَامِهِمْ يَعُودُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَهَمْ يَزِيلُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَيَهْلِكُونَهَا، لَا أَنَّهُمْ يَزِيلُونَكَ وَيَهْلِكُونَكَ، ثُمَّ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ «لَوْ لَا» نَفْيُ تَأْثِيرِ مَا هَمَّ بِهِ أَوْلَيْكَ فِي الرَّسُولِ لَا نَفْيُ هَمِّهِمْ، فَالْمُرَادُ: أَنَّهُ لَوْ لَا فَضَّلَ اللهُ لِأَضْلُوكَ، لَا أَنَّ الْمُرَادَ: لَوْ لَا فَضَّلَ اللهُ لَهُمْ طَائِفَةٌ.. وَمَا يُضَيِّعُونَكَ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُمْ لَا يَضُرُّونَكَ- بِكَيْدِهِمْ- فِي الدُّنْيَا لِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُكَ، وَلا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ أَى عِلْمَ وَضَعِ الْأَشْيَاءِ مَوَاضِعَهَا وَتَقْدِيرِ الْأَشْيَاءِ بِأَقْدَارِهَا، فَأَنْتَ الْعَالِمُ بِالْأَشْيَاءِ الْحَكِيمُ فِي التَّطْيِيقِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ إِضْلَالُكَ- كَمَا هَمَّ أَوْلَيْكَ- فَإِنَّ الْإِضْلَالَ يَحْصُلُ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ الْأَشْيَاءَ أَوْ لَا يُمْكِنُ مِنْ وَضْعِ الْأَشْيَاءِ مَوَاضِعَهَا

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٨٨.

(٢) النساء: ١٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٤

[سورة النساء (٤): آية ١١٤]

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)

وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِجَةِ عَنْ نِطَاقِ الْكِتَابِ، فَإِنَّ الْكِتَابَ خَاصٌ بِعِلْمِ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ- حَسَبِ الظَّاهِرِ- وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَظِيمًا وَارْتِبَاطُ الْآيَةِ بِمَا قَبْلَهَا عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ- أَى كَوْنِهَا حَوْلَ وَفَدِ ثَقِيْفٍ- كَوْنِ الْقِصَّتَيْنِ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ حَيْثُ حَفِظَ اللهُ الرَّسُولَ فِي قِصَّةِ السَّرِقَةِ وَفِي قِصَّةِ الْوَفْدِ حَتَّى لَا يَقُولَ وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا بِالْحَقِّ.

[١١٥] وبنسبة الحديث عن المؤامرات التى تجرى فى السر، و يتناجى فى شأنها المبيتون، و حيث أن فى مثل هذه القضايا لا بد و أن تكثر النجوى و غالبها حول النقد و الرد و الطعن، يذكر القرآن حكم النجوى، و أنه لا خير فى كثير من نجواهم أى حديث بعضهم مع بعض سرا و ذكر «كثير» إما من باب المورد، فإنه فى مثل الموارد السابقة يكثر النجوى، و إما أن المراد: الكثير من النجوى لا خير فيه، أما القليل الذى لا بد لكل أحد حيث عنده بعض الأسرار التى يجب الإعلان عنها فلا بأس به، لكن الظاهر المعنى الأول، و أن المفهوم المطلق للنجوى كما قال سبحانه:

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ «١» إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ بِأَى قِسْمٍ مِنْهَا مِنَ الْمَالِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، أَوْ الْوَقْفِ، أَوْ الْإِحْسَانِ أَوْ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ مِنْ أَبْوَابِ الْبِرِّ الَّذِي يَعْرِفُهُ النَّاسُ - وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَعْرُوفُ مَعْرُوفًا مُقَابِلَ الْمُنْكَرِ

(١) المجادلة: ١١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٥

[سورة النساء (٤): آية ١١٥]

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)

الذى هو ما ينكره الناس - أو أمر بـ إصلاح بين الناس فإن الحاجة غالباً تدعو إلى الإسراع بهذه الأمور لتكتمل ولا يمنع عنها مانع و من يفعل ذلك أى النجوى فى هذه الأمور، أو المراد: من فعل أحد هذه الأمور ابتغاء مرضات الله أى طلب رضاه سبحانه فسوف فى القيامة تؤتية أى نعطيه أجراً عظيماً مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - كما هو كذلك فى كل طاعة -.

[١١٦] وحيث تقدم فى القصتين مخالفة الجماعتين للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما أرادوا، بين سبحانه أن عاقبة المخالفة وخيمة و من يشاقق الرسول أى يخالفه، ومعنى المشاققة أى يكون كل واحد فى شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى أى ظهر له الحق و أن الرسول لا يقول ولا يعمل إلا بالحق - أما من قبل التبيين فالمشاققة معذور لعدم تمام الحجج عليه - ويتبع غير سبيل المؤمنين أى غير طريقهم الذى هو دينهم، وهذا أعم من الأول، وإن كان فى مخالفة الدين مشاققة للرسول بالنتيجة نوله ما تولى أى نخلى بينه وبين معتقده وعمله فلا نجبره على الرجوع، لأن الدنيا للاختبار والامتحان والجبر ينافى ذلك، كما قال سبحانه: لا إكراه فى الدين «١» ونصله جهنم من «أصله»

(١) البقرة: ٢٥٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٦

[سورة النساء (٤): الآيات ١١٦ الى ١١٧]

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧)

يصلية» أى أدخله النار، أى تركه فى الدنيا على حاله و ندخله يوم القيامة النار و ساءت جهنم مصيراً أى محلاً يصير إليه المجرمون.

[١١٧] و بمناسبة ذكر مشاققة الرسول، بين سبحانه أنه لا يأس من رحمة الله تعالى، فمن تاب كان الله غفورا، فإذا أخطأ أحد فليرجع إلى الله تعالى، ليغفر ذنبه و يتوب عليه إن الله لا يغفر أن يشرك به إذا مات مشركا كما دل الدليل و يغفر ما دون ذلك أى دون الشرك لمن يشاء إن تاب و إن لم يتب فذلك رهن إرادته سبحانه، و الإرادة ليست اعتباطا، بل حسب النفسيات و الأعمال و القابليات و ما أشبهه و من يشرك بالله أى يجعل له شريكا فقد ضل ضلالاً بعيداً أى عن طريق الحق.

[١١٨] ثم بين سبحانه وجه ضلال المشركين بصورة فردية قبيحة فقال تعالى:

إِنْ يَدْعُونَ أَى مَا يدعون و يعبدون من دونه أى من دون الله إلا إناثاً جمع أنثى، فإنهم كانوا يعبدون اللات و العزى و مناة و أساف و نائلة، و كان لكل قبيلة صنم تعبده، و كانوا يسمون الأصنام أنثى فيقولون: أنثى قريش و أنثى تميم، و كان الشيطان يكلمهم منها أحيانا، كما أن قسما منهم كان يعبد الملائكة و يقول: إنها بنات الله، كما حكى سبحانه عنهم: وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا «١»

(١) الزخرف: ٢٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٧

[سورة النساء (٤): الآيات ١١٨ الى ١١٩]

لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَأَمْتِنَنَّاهُمْ وَ لَأَمْرَنَّهُمْ فَلَئِبَتَكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَ لَأَمْرَنَّهُمْ فَلَئِبَتَكُنَّ خُلُقِ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩)

وَ إِنْ يَدْعُونَ أَى مَا يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا أَى مَارِدًا، فَإِنْ «المريد و المارد و المتمرد» بمعنى واحد، و هو العاصى العاتى، و كانت

عبادتهم للشيطان عين عبادتهم للأصنام إذ هى من صنع الشيطان و أمره فلا يستشكل بأنه كيف يجمع بين النفيين؟

[١١٩] لَعَنَهُ اللَّهُ أَى طرد الله الشيطان عن رحمته و قربه، فهؤلاء يعبدون و يطيعون المطرود عن رحمة الله وَ قَالَ الشَّيْطَانُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ

حين طرده: لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ أَى عبيدك نَصِيبًا مَفْرُوضًا أَى معلوما، و المراد من اتخاذه لهم: إضلالهم و إغوائهم عن الإيمان و

العمل الصالح، و قد كان الشيطان يعلم ذلك حين قال له سبحانه:

فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ «١» وَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ «٢».

[١٢٠] وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ عن طريق الهداية، و هذا إما عطف بيان لقوله «اتخذن» أو المراد من الاتخاذ الاختصاص أَى أختص بجمله من

عبادك فأضلهم وَ لَأَمْتِنَنَّاهُمْ من الأمانة أَى أمنيتهم طول البقاء فى الدنيا و حب الرئاسة و المال حتى يعصون وَ لَأَمْرَنَّهُمْ بالوسوسة و

الإلقاء فى قلوبهم فَلَئِبَتَكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ من «بتك يبتك» بمعنى «قطع يقطع» فقد كان المشركون يقطعون آذان الأنعام علامة على

حرمة

(١) الإسراء: ٦٤.

(٢) ص: ٨٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٨

[سورة النساء (٤): آية ١٢٠]

يَعِدُّهُمْ وَ يَمْنِيهِمْ وَ مَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠)

ركوبها و أكلها و شرب لبنها، و كان ذلك حراما إذ هو من المثلة و

قد قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ «إياكم و المثلة و لو بالكلب العقور»

«١» كما أن تحريمهم كان بدعة و تشريعا محرما وَ لَأَمْرَنَّهُمْ فَلَئِبَتَكُنَّ خُلُقِ اللَّهِ من التغييرات المحرمة كإخفاء العبد و فقه عين الدابة و

التمثيل بالأحياء و الأموات و ما أشبه ذلك. و يستفاد من الآية أن كل تغيير فى الخلق حرام إلا ما دل عليه الدليل.

و بعد ما ذكر سبحانه بعض أقسام وساوس الشيطان التى كانت دارجة فى ذلك الزمان و إلى زماننا هذا، جعل الكل فى إطار عام، و

أعطى القاعدة الكلية المنطبقة على كل جزئى بقوله سبحانه: وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا يَلِي أُمُورَهُ وَ يَطِيعُ أَوَامِرَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ قِيد

توضيحى للتهويل، لا أنه من الممكن الجمع بين تولى الشيطان و تولى الله سبحانه فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا أَى خسارنا ظاهرا.

[١٢١] يَعِدُّهُمْ أَى يعد الشيطان أولياءه النصر و السعادة إن اتبعوه وَ يَمْنِيهِمْ بالأمانى الكاذبة الباطلة حتى يركنوا إلى الدنيا و يتركوا

الآخرة و يرححوا الشهوات على الأعمال الصالحة وَ مَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا فكل و عوده غرور و كذب يغرّ به البسطاء الغافلين.

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٩ ص ١٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٩

[سورة النساء (٤): الآيات ١٢١ الى ١٢٢]

أُولَئِكَ مِرَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢)

[١٢٢] أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ وَلِيًّا وَنَاصِرًا مَأْوَاهُمْ أَي مَرَجِعَهُمْ وَمَحَلَّهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا أَي عَنْ جَهَنَّمَ، فَإِنَّهَا «مُؤَنَّثَةٌ سَمَاعِيَّةٌ» مَحِيصًا أَي مَخْلَصًا وَمَهْرَبًا، مِنْ «حَاصٍ» بِمَعْنَى عَدَلٍ وَانْحِرَافٍ.

[١٢٣] هَذَا لِمَنْ اتَّخَذَ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا، أَمَا مَنْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنَ وَلِيًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَي الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ سَيُدْخِلُهُمْ قِيلًا: إِنَّ «السَّيْنَ وَ سَوْفَ» بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَقِيلَ: إِنَّ السَّيْنَ لِلْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ، وَتَسْتَعْمَلُ الْكَلِمَتَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِاعْتِبَارَيْنِ: فَبِاعْتِبَارِ أَنْ كُلَّ آتٍ قَرِيبٍ تَسْتَعْمَلُ السَّيْنَ، وَبِاعْتِبَارِ فَضْلِ الْبَرِّخِ الطَّوِيلِ تَسْتَعْمَلُ سَوْفَ جَنَّاتٍ جَمْعُ «جَنَّةٍ» وَ هِيَ الْبَسْتَانُ، سُمِّيَ بِهَا لِكَوْنِهَا مُسْتَوْرَةً بِالْأَشْجَارِ مِنْ «جَنٍّ» بِمَعْنَى سَتْرٍ، وَمِنْ «الْجَنِّ وَالْجَنِينِ وَالْجَنَّةِ» تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا انْقِطَاعَ لَهَا وَلَا زَوَالَ وَغَيْدَ اللَّهِ حَقًّا أَي وَعَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ وَعَدَا فِي حَالِ كَوْنِهِ حَقًّا، أَوْ مُتَّصِفًا بِكَوْنِهِ حَقًّا، لَا خَلْفَ فِيهِ وَلَا كَذِبَ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا أَي مِنْ حَيْثُ الْقَوْلُ، فَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ، خَيْرًا وَمَخْبِرًا، وَالِاسْتِفْهَامُ فِي مَعْنَى النِّفْيِ، أَي لَا أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ، وَالسَّبَبُ أَنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٥٠

[سورة النساء (٤): آية ١٢٣]

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ص ٥٩٩

لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣)

الإنسان مهما أوتى من الصدق، فإنه قد يجهل وقد لا يقدر وقد يشتهه، والله منزّه عن جميع ذلك.

[١٢٤] ثم يبين السياق القاعدة الكلية للعمل والجزاء، بعد ما بين ما لمن أشرك وما لمن آمن؟ فقال سبحانه: لَيْسَ أَمْرُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالسَّعَادَةِ وَالْخُسْرَانِ بِأَمَانِيَّتِكُمْ جَمْعُ «أَمْنِيَّةٍ» بِمَعْنَى رَغْبَةِ النَّفْسِ، فَلَا يَنَالُ الْإِنْسَانُ خَيْرًا بِالْأَمَانِيِّ فِيمَا إِذَا كَانَ عَمَلُهُ خِلَافَ ذَلِكَ، وَالْخَطَابُ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي «الْمَجْمَعِ» قِيلَ: تَفَاخُرَ الْمُسْلِمُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: نَبِينَا قَبْلَ نَبِيِّكُمْ وَ كِتَابُنَا قَبْلَ كِتَابِكُمْ، وَ نَحْنُ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْكُمْ. فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: نَبِينَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَ كِتَابُنَا يَقْضِي عَلَى الْكِتَابِ، وَ دِينُنَا الْإِسْلَامُ. فَتَنَزَّلَتِ الْآيَةُ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: نَحْنُ وَ أَنْتُمْ سَوَاءٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ الَّتِي بَعْدَهَا «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ .. ففَلَحَ الْمُسْلِمُونَ «١».

مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ فَإِنَّ الَّذِي يَنْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، أَمَا الْأَنْسَابُ وَالْأَحْسَابُ وَ مَا أَشْبَهَ فَلَا تَنْفَعُ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يَرْجِعُ إِلَى الْعَمَلِ أَيْضًا كَمَا

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ «المرء يحفظ في ولده»

«٢» وَ لَذَا مِنْ عَمَلٍ عَمَلًا سَيِّئًا يَجْزَى بِهِ. وَ بِمَا ذَكَرْنَا تَبَيَّنَ أَنَّ حَفِظَ نَسَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى أَتْعَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ وَ الْأَنْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَ لَا يَجِدُ الْعَامِلُ لِلْسُّوءِ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٩٧.

(٢) البحار: ج ٢٨ ص ٣٠٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٥١

[سورة النساء (٤): الآيات ١٢٤ الى ١٢٥]

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥) وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا فلا أحد يتولى أمره و ينصره.

[١٢٥] و لما كان الأمر محتملاً لأن يشمل أهل الكتاب إذا لم يعملوا سوءاً طبقاً للمفهوم من الآية السابقة، ذكر سبحانه أن من شروط قبول الأعمال الخيرة الإيمان الكامل و مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ أَى بعض الصالحات فإن الصالحات كلها لا يمكن أن يوتى بها مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ و لعل التنصيص هنا لإفادة العموم، و لدفع و هم جرى التقاليد الجاهلية، التي كانت تقضى بأكل الرجال ثمار الأعمال الطيبة للنساء، و حرمان النساء من الحقوق و هُوَ مُؤْمِنٌ بما فى الكلمة من معنى - لا إيمان ببعض الأصول دون بعض فأولئك العاملون المؤمنون يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا أَى قدر نقير، و هو النكتة الصغيرة المنخفضة فى ظهر النواة التي منها تنبت.

[١٢٦] ثم بين سبحانه فوائد الإيمان و مزاياه و أنه أحسن من جميع الطرق و المذاهب و مَنْ أَحْسَنُ دِينًا الدين هو الطريقة التي يسلكها الإنسان فى حياته لأجل نيل السعادة، و الاستفهام فى معنى الإنكار أَى ليس أحد أحسن طريقة مِمَّنْ أَسْلَمَ و أخضع وَجْهَهُ لِلَّهِ و المراد بالوجه: الذات و النفس، و إنما ذكر الوجه لأن خضوع الوجه كاشف عن خضوع الذات، و معنى إسلام الوجه الإيمان بالله حيث أنه اعترف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٥٢

[سورة النساء (٤): آية ١٢٦]

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (١٢٦)

به و خضع له و هُوَ مُحْسِنٌ أَى يحسن العمل فيتبع الأوامر و النواهي، و إنما لم يكن أحد أحسن دينا من هذا الإنسان لأن الإيمان اعتراف بالحقيقة الكبرى، و الإحسان، عمل بما هو الأصلىح، إذ ما يقرره الإله العليم الحكيم أحسن مما يقرره الإنسان الجاهل ذو الطيش و السفه و اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَى طريقته حَنِيفًا أَى فى حال كون إبراهيم عليه السلام مستقيماً فى الطريق عقيدة و عملاً فإيمان و إحسان و اتباع طريقة صحيحة. و قد تكرر فى الكتاب و السنة لزوم اتباع إبراهيم عليه السلام لأن دينه لم يكن يتطرق إليه التحريف الذى تطرق إلى كتابي الكليم و المسيح عليهما السلام بالإضافة إلى أن موسى و عيسى عليهما السلام كانا بعد إبراهيم عليه السلام و أنه عليه السلام بصفته أب المسلمين العرب، كان ذكره محفزاً لهم على الإيمان، إنه طريقته جدهم كما قال سبحانه: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ «١» وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا من الخلّة، بمعنى الحب و الود لإبراهيم عليه السلام بإطاعته لله صار خليل الله، فما يمنع الناس أن يتبعوا طريقته إبراهيم، كى ينالوا حب الله و رضاه.

[١٢٧] و أخيراً فمن الأحسن اتباع طريقة الإله الذى له كل شىء و هو العالم بكل شىء و لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فهو المالك لكل شىء، و إذا أراد الإنسان اتباع طريقة للنفع فليتبّع طريقة من له كل نفع و كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا أَى إحاطة علمية لا يعزب عنه شىء،

(١) الحج: ٧٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٥٣

[سورة النساء (٤): آية ١٢٧]

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُثَلَّى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧) و إحاطة بالقدرة، إذ المحيط بالشىء يقدر عليه.

[١٢٨] قد سبق قوله سبحانه: **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ «١»** وقد سبق الكلام في الآيات التالية حول هذا الموضوع مع شيء من الاستطراد. ثم يأتي السياق لبيان بعض أحكام النساء، فإنه من الحكم بين الناس بما أراه الله سبحانه و **يَسْئَلُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي النِّسَاءِ أَيُّ يَسْأَلُونَكَ الْفَتَى -** وهو تبين المشكل من الأحكام - فقد سألوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ عن الواجب لهن و عليهن و كيفية معاشرتهن **قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ أَيُّ فِي النِّسَاءِ وَ إِنَّمَا نَسَبَ الْجَوَابِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَتَقْوِيَهُ إِفَادَةٌ** أن الحكم لا يصح إلا من الله سبحانه، فليس لأحد أن يحكم إطلاقاً، و قد سئل مثل هذه الأسئلة في غير الأحكام فجاء الجواب بدون النسبة إليه تعالى، نحو: **وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي «٢»** **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ «٣»** **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ «٤»** و هكذا. **وَ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ عَطْفَ عَلَى «اللَّهُ»** أي أن الفتوى في باب النساء تأخذونه من الله سبحانه بما سيأتي، و تأخذونه بما تلى عليكم في القرآن سابقاً، فقد سبق في ابتداء السورة **وَ إِنِ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ «٥»**

(١) النساء: ١٠٦.

(٢) الإسراء: ٨٦.

(٣) البقرة: ٢١٦.

(٤) البقرة: ١٩٠.

(٥) النساء: ٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٥٤

**وَ آتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَ لَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ «١»** و الحاصل أن الفتوى - أي تبين مسائل النساء - يأتي فيما يقول الله و فيما سبق. **فِي يَتَامَى النِّسَاءِ أَيُّ الْبَنَاتِ الصَّغِيرَاتِ الْيَتِيمَاتِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ أَيُّ لَا تَعْطُوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ مِنَ الصَّدَاقِ** فقد كان أهل الجاهلية لا يعطون اليتيمة صداقها لتمنع هذه العادة فقوله **«فِي يَتَامَى»** متعلق ب **«ما يتلى»**، أي تأخذون الفتوى في أمر النساء من الله و مما تلى عليكم سابقاً في باب النساء اليتامى اللاتي تحرمونهن من مهورهن و تزغويون أن تنكحوهن أي تريدون نكاحهن لأكل أموالهن. ثم إن قوله **«و ما يتلى»** بصيغة المضارع للاستمرار لا الاستقبال. و ما يتلى عليكم في **الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ أَيُّ مَا تَقْدَمُ فِي بَابِ الْأَيْتَامِ**، و هو قوله سبحانه: **وَ آتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ** فإنه عام يشمل اليتيمات أيضاً و ما يتلى عليكم في **أَنْ تَقْوُمُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ أَيُّ بِالْعَدْلِ كَمَا تَقْدَمُ فِي قَوْلِهِ «وَ إِنِ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى وَ عَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ «وَ مَا يَتْلَى» إِلَى «بِالْقِسْطِ»** جملة واحدة، عطف على **«اللَّهُ»**.

و الحاصل أن الله يفتيكم، و ما تقدم في القرآن من آيات اليتامى

(١) النساء: ٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٥٥

[سورة النساء (٤): آية ١٢٨]

**وَ إِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ وَ أَحْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَ إِنِ تَحَسَّنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨)**

يفتيكم به أيضاً، ثم جمع سبحانه الكل في إطار عام فقال: **وَ مَا تَفَعَّلُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ خَيْرٍ عَدْلٍ وَ إِحْسَانٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النِّسَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا** يعلمه و يجازيكم عليه بحسن الثواب.

[١٢٩] ثم توجه السياق إلى بعض أحكام النساء إيفاء لقوله سبحانه: **«قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ»** و ذلك حكم خوف النشوز، فقد كانت

بنت محمد بن سلمة عند رافع بن خديج و كانت قد دخلت في السن و كانت عنده امرأة شابة سواها فطلقها تطليقة حتى إذا أبقى من أجلها يسيرا، قال إن شئت راجعتك و صبرت على الأثرة، و إن شئت تركتك. قالت: بلى راجعني و أصبر على الأثرة فراجعها، فنزلت و إن امرأة خافت من بعلها أى من زوجها نُشوزاً ارتفاعاً عليها بأن لا يعاملها معاملة الأزواج، بل يعاملها و كأنه أرفع منها أو إغراضاً أى يعرض عنها إطلاقاً، أو طلاقاً، و قد خافت لظهور أمارات ذلك فلا- جُنَاحَ عَلَيَّهِمَا أَى عَلَى الزوجين أَنْ يُضَيِّلِحَا بَيْنَهُمَا الضمير فى «يصلحا» راجع إلى الزوجين، أى يصطلحا فيما بينهما ضلحاً أى نوع من أنواع الصلح الجائر، فتتنازل هى عن بعض حقوقها لبقى النكاح على حاله و لا تحصل الفرقة، أو نحوها و الصلح بينهما ببقاء عقد الزواج و الألفه خيرٌ من الافتراق و الشقاق و أُخْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ الشح البخل و عدم التنازل عن الحقوق، أى أن الأنفس يخالطها الشح، فلا هى ترغب أن تتنازل عن بعض حقوقها لتبقى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٥٦

[سورة النساء (٤): آية ١٢٩]

وَلَنْ تَشِيَّطِطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَ لَوْ حَرَضْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَ إِنْ تُضَيِّلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩)

الألفه، و لا الزوج مستعد لأن يعاشرها معاشره صالحه لئلا ينتهى الأمر إلى الطلاق و إن تحسبوا يحسن أحد الزوجين إلى الآخر و تتقوا فلا تفعلوا ما يوجب سخط الله، فإن الغالب أن يرتكب أحد الطرفين الحرام، فيما إذا حدث بينهما صدام فإن الله كان بما تعملون خبيراً فيجازيكم عليه. و لا مفهوم للآية بأنه «إن لم تحسبوا فلا يعلم الله» كما هو واضح، بل الشرط أتى به للتحريض و الترغيب.

[١٣٠] ثم ذكر سبحانه حكم تعدد الأزواج، و أنه لا يمكن التسوية بينهما فى الحب و الود، فإذا كان الميل القلبي يميل كلنا إلى جهة، فاللازم حفظ العدالة بين الزوجات، لئلا يبقى بعضهن كالمعلقة و لن تشيطنوا أيها الرجال أبداً أن تعدلوا بين النساء عدالة فى المودة و الحب، فإنه ليس بأيديكم، و لا بد أن تكون بعض النساء أقرب إلى قلوبكم من بعض و لو حرضتم فى العدالة القلبية فلا تميلوا كل الميلى إلى جانب امرأة من زوجاتكم المتعددات فتذروها أى المرأة التى لا تميلون إليها كالمعلقة التى علقت فلا هى مستريحة بالزوج و لا هى مستريحة بعدم الزوج، فتكون فى عذاب و شقاء، و إذا لم يكن باستطاعتكم العدالة فباستطاعتكم عدم الميل الكلى.

و

قد روى عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أنه كان يقسم بين نسائه و يقول:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٥٧

[سورة النساء (٤): آية ١٣٠]

وَ إِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًَّ مِنْ سَعَتِهِ وَ كَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠)

«اللهم هذه قسمتى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك و لا أملك»

«١».

و

قد ورد أنه سئل الصادق عليه السلام عن الجمع بين هذه الآيه و بين قوله: «فإن خفتُم ألاً تعدلوا فواحدة» (٢) فقال أما قوله: «فإن خفتُم ألاً تعدلوا» فإنه عنى فى النفقه، و أما قوله: «و لن تشيطنوا أن تعدلوا» فإنه عنى فى المودة، فإنه لا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين فى المودة

«٣».

وَ إِنْ تُضَيِّلِحُوا بالتسوية فى القسمة و النفقه الواجبتين وَ تَتَّقُوا باجتناب المحرمات، و ذلك بترك الميل الكلى الذى نهى الله عنه فإن الله كان غفوراً يغفر ما صدر منكم من الذنوب رحيماً يرحمكم بلطفه و يسبغ عليكم فضله.

[١٣١] وَإِنْ يَتَفَرَّقَا فِيمَا إِذَا لَمْ يَصْطَلِحِ الزَّوْجَانِ، بَلْ طَالَبَتْ هَذِهِ بِكُلِّ حَقِّهَا وَ أَرَادَ الرَّجُلُ الْمِيلَ، فَخَيَّرَهَا بَيْنَ الطَّلَاقِ وَ التَّنَازُلِ عَنْ بَعْضِ حَقِّهَا، فَاخْتَارَتِ الطَّلَاقَ، فَتَفَرَّقَا وَ وَقَعَ الْإِفْتِرَاقُ يُغْنِي اللَّهُ كُلًّا مِنَ الزَّوْجَيْنِ مِنْ سَعَتِهِ أَى سَعَهُ فَضْلُهُ وَ رَحْمَتِهِ، فَلَيْسَ بِأَبِهِ مَرْتَجَا فِي وَجْهِ أَى مِنَ الطَّرْفَيْنِ، بَلِ الرَّجُلُ يَسْتَعْنِي عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بِأَمْرٍ أُخْرَى وَ عَيْشَةٍ أُخْرَى، وَ الْمَرْأَةُ تَسْتَعْنِي عَنْ هَذَا الرَّجُلِ بِرَجُلٍ أُخْرٍ وَ سَعَادَةٌ هُنَيْئَةٌ. وَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ لَفْتُهُ مُشْرَقَةٌ لِجَبْرِ انْكَسَارِ قَلْبِي الطَّرْفَيْنِ، إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَنْكَسِرُ قَلْبُهُ حِينَ الْإِفْتِرَاقِ، وَ لَوْ كَانَ هُوَ السَّبَبُ

(١) تفسير التبيان: ج ٣ ص ٣٤٩.

(٢) النساء: ٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٢٠٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٥٨

[سورة النساء (٤): الآيات ١٣١ إلى ١٣٢]

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَ إِنَّ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢) فِي الْفِرَاقِ وَ كَانَ اللَّهُ وَاسِعًا فِي فَضْلِهِ حَكِيمًا فِيمَا يَأْمُرُ وَ يَنْهَى وَ يَفْعَلُ وَ يَرِيدُ، وَ نَسَبَةُ السَّعَةِ إِلَيْهِ يَرَادُ بِهِ السَّعَةُ فِي فَضْلِهِ «مَجَازًا».

[١٣٢] ثم ذكر سبحانه أنه يملك كل شيء فهو يقدر على إغناء الزوجين من فضله ولله ما في السموات وما في الأرض قد تقدم أن المراد ب «ما في» الأعم من الظرف والمظروف ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب أي اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من قبلكم إشارة إلى كون الوصية لم تزل من القديم وإياكم أي وصيناكم أيها المسلمون أن اتقوا الله أي خافوا عقابه، فاعملوا بالأوامر والنواهي وإن تكفروا كفرا في العقيدة بإنكار الأصول، أو كفرا في الفروع بالعصيان فإن لله ما في السموات وما في الأرض فلا يضره كفركم ولا ينفعه إيمانكم وعملكم وكان الله غنيا لا يحتاج إلى إيمانكم ولا إلى أعمالكم وإنما أنتم تحتاجون إلى ذلك حميدا أي مستوجبا عليكم الحمد له لصنائه الحميدة.

[١٣٣] ثم يؤكد غناه سبحانه وأن له كل شيء بقوله: وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ لَيْسَ شَيْءٌ لِيُغَيِّرَهُ، فَإِذَا قَطَعَ عَنْكُمْ رَحْمَتَهُ لَا تَحْصُلُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٥٩

[سورة النساء (٤): الآيات ١٣٣ إلى ١٣٤]

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (١٣٣) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤)

على ما تريدون من غيره وكفى بالله وكيفا أي أنه أحسن وكيل وكفى وكيل، فلا يحتاج الإنسان إلى وكيل آخر إذا وكله سبحانه في أمره. وقد قيل في وجه التكرار في الآيتين ثلاث مرات أن الأولى:

لا يوجب طاعته، حيث له كل شيء والمالك تجب طاعته على المملوك، والثانية: لأن الخلق محتاجون إليه وهو الحميد المطلق، فن ذلك لا يكون إلا لمن له كل شيء، والثالثة: لبيان أنه يكفي توكيله مطلقا، فإن ذلك لا يكون إلا لمن يملك كل شيء.

[١٣٤] إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ فِي غِنَى عَنْكُمْ، وَ قَدْرَتُهُ تَعْمَكُمُ فَنَاءً وَ إِيجَادًا، فَإِنْ أَرَادَ أَذْهِبْكُمْ وَ أَفْنَكُمْ وَ أَهْلِكُمْ وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ أَنَا سَاءَ يُوْجِدُهُمْ مِنَ الْعَدَمِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَاذِهِ.

[١٣٥] ولقد كان المنافقون يتبعون النبي صلى الله عليه وآله وسلم للغنيمه وللتحفظ على دنياهم، و حيث تقدم أن لله ما في



السموات و الأرض، ذكّره بأن الإطاعة توجب خير الدنيا و الآخرة، فلم لا يسلكون أنفسهم في سلكها مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا أَى مَنَافِعَهَا، فَإِنَّ الثَّوَابَ مِنْ «ثَاب» بِمَعْنَى رَجَعَ، لِأَنَّ الثَّوَابَ جِزَاءُ الْعَمَلِ الصَّادِرِ مِنَ الْإِنْسَانِ، يَرْجِعُ إِلَيْهِ فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ إِذْ يَمْلِكُ الْجَمِيعَ وَ يَبْدُو أَمْرَهُ الْكُلَّ، فَلَمْ لَا يَطِيعُونَ حَتَّى يَنَالُوا الْأَمْرَيْنِ وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعاً لِأَقْوَالِهِمْ بِصِيرًا بِأَعْمَالِهِمْ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦٠

[سورة النساء (٤): آية ١٣٥]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَ الْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَ إِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)

[١٣٦] و لما ذكر سبحانه أن عنده ثواب الدنيا و الآخرة، عقّبه بالأمر بالعدل و عدم الجور كي ينالوا الثوابين، و قد سبق الأمر بالعدل في قوله: وَ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ «١» فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ تَقَدَّمَ أَنْ الْخَطَابَ إِنَّمَا خَصَّصَ بِالْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ السَّامِعُونَ، وَ إِلَّا-فَالْأَمْرُ وَ النَّوَاهِي عَامَةٌ لِلْجَمِيعِ كُونُوا قَوَّامِينَ جَمْعُ «قَوَّامٍ» وَ هُوَ كَثِيرُ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ هُوَ الْعَدْلُ، أَى كُونُوا دَائِمِينَ فِي الْقِيَامِ بِالْعَدْلِ، بَأَنَّ تَكُونَ عَادَتِكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلًا وَ عَمَلًا، وَ لَعَلَّ فِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ تَبِيهُ إِلَىٰ مَا اعْتَادَهُ النَّاسُ مِنْ أَنَّهُمْ لَا يَبْدُو أَنْ يَزِيغُوا عَنِ الْعَدْلِ إِذَا تَمَادَتْ بِهِمُ الْأَزْمَانُ، وَ لِذَا نَرَىٰ مِنَ الْحُكَّامِ مَنْ يَتَنَزَّهُ عَنِ الْجُورِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا امْتَدَّ بِهِ الزَّمَانُ زَاغَ وَ انْحَرَفَ شُهَدَاءُ جَمْعُ شَهِيدٍ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَى اشْهَدُوا بِالْحَقِّ- لِأَجْلِ أَمْرِ اللَّهِ وَ رِضَاهُ- وَ لَوْ كَانَتْ الشَّهَادَةُ فِي ضَرَرِّكُمْ وَ نَفْعِ الْغَيْرِ أَوْ عَلَىٰ الْوَالِدَيْنِ أَى فِي ضَرَرِّهِمَا لِنَفْعِ الْغَيْرِ، إِذَا كَانَ الْحَقُّ مَعَ الْغَيْرِ وَ عَلَىٰ الْمَأْقُرِينَ أَى مَنْ يَتَقَرَّبُ إِلَيْكُمْ بِنَسَبٍ، فَلَا- تَمِيلُوا عَنِ الْحَقِّ لِنِزَوَاتِ أَنْفُسِكُمْ، أَوْ مَلَا حِظَّهُ مَصْلِحَةُ الْوَالِدِينَ، أَوْ رِعَايَةُ الْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنُ الْمَشْهُودُ لَهُ أَوْ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَلَا تَشْهَدُوا لِلْغَنِيِّ أَوْ لِلْفَقِيرِ بَاطِلًا، مِرَاعَاةً لْغَنَاهُ أَوْ شَفَقَةً عَلَيْهِ لِفَقْرِهِ فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا إِنَّهُ

(١) النساء: ٥٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦١

[سورة النساء (٤): آية ١٣٦]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)

سبحانه أولى بالغنى و الفقير و أنظر لحالهما من سائر الناس، و مع ذلك فقد أمركم بالشهادة على الحق فلا بد من ملاحظته أمره، لا مِرَاعَاةَ الْغَنِيِّ لْغَنَاهُ وَ الْفَقِيرِ شَفَقَةً عَلَيْهِ فَلَا- تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَى هَوَىٰ النَّفْسِ فِي الْحُكْمِ الْجَائِرِ أَنْ تَعْدِلُوا أَى لِأَنَّ تَعْدِلُوا، قَالُوا: وَ ذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ:

«لا تتبع هواك لترضى ربك»، أَوِ الْمَعْنَى: «لا تتبعوا الهوى في أن تعدلوا من الحق» وَ إِنْ تَلَوُّوا مِنْ «لَوَى يَلْوِي»، بِمَعْنَى الْإِنْحِرَافِ، أَى أَنْ تَنْحَرِفُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- فِي حَالِ الْحُكْمِ- عَنِ الْحَقِّ أَوْ تَعْرَضُوا عَنِ الْحَقِّ إِطْلَاقًا. وَ لَعَلَّ الْفَرْقَ أَنَّ «اللَّيَّ» الْإِنْحِرَافَ الْيَسِيرَ، وَ «الْإِعْرَاضَ» الْإِنْحِرَافَ مُطْلَقًا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا فَيَعْلَمُ الْإِنْحِرَافَ وَ الْإِعْرَاضَ وَ يَجَازِيكُمْ عَلَيْهِمَا، كَمَا يَعْلَمُ إِقَامَتَكُمْ لِلْحَقِّ.

[١٣٧] ثم أنه سبحانه بعد أن ذكر لزوم القيام بالقسط، بيّن لزوم الإيمان الحقيقي عن قلب و عقيدة، و لا يكون ذلك القيام بالقسط إلا إذا توفر في الإنسان ذلك الإيمان يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فِي الظاهر، فَإِنَّ الْخَطَابَ مُوجَّهٌ إِلَىٰ كُلِّ مَنْ أَظْهَرَ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، وَ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَفِظًا فَقَطْ آمَنُوا إِيمَانًا رَاسِخًا وَ عَقِيدَةً فِي الْجَوَارِحِ وَ الْجَوَانِحِ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦٢

[سورة النساء (٤): آية ١٣٧]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدادوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧)

أى جنس الكتاب، فإن من شرائط الإيمان، الإيمان بكتب الله جميعاً ومن يكفر بالله وملائكته بأن يجحدهم أو يعاديهم أو ينزلهم عن المنزلة اللائقة بهم وكُتبه ورسوله وإن كان بجحد أحد من الرسل أو أحد من الكتب واليوم الآخر بأن جحد أو شك في الميعاد فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً عن الحق كمن يضل الطريق ويبعد عنه كثيراً، وذلك في قبال من يعمل محرماً أو ما أشبهه، فإنه قد ضل ضلالاً، لكن لا بذلك البعد.

[١٣٨] و بعد ما ذكر سبحانه لزوم الإيمان واقعا، بين حالة أولئك الذين لا يؤمنون إلا إيمانا سطحيا، ولذا يميلون مع كل جانب قوى، فإذا قوى الإسلام آمنوا وإذا ضعف كفروا، وهكذا يراوحوون بين الإيمان والكفر حتى يموتون وهم كفار لتغلب الطبيعة الكافرة فيهم إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا إما كفر باللفظ أو بالقلب، فإن كثيرا من الأشخاص الذين يقدمون على الإيمان يقدمون عليه سطحيا، وبمجرد هبوب ريح الكفر يكفرون قلبا، وإن بقوا في الظاهر مؤمنين ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا وهذا من باب المثال، وإلا فليس للتكرار أربع مرات مزية لا توجد في المرتين، أو في الست، أو ما أشبهه ثُمَّ أزدادوا كُفْرًا بأن تطبعت قلوبهم بالكفر فلم يؤمنوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ لأنهم بقوا كافرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦٣

[سورة النساء (٤): الآيات ١٣٨ الى ١٣٩]

بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيَّتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)

و إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ «١» وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا أى طريقا إلى الجنة والخلاص، كما قال سبحانه: وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا\* إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ «٢» و يحتمل أن يكون المعنى: «أنه يخذلهم في الدنيا ولا يلطف بهم عقوبته لهم على كفرهم، فلا يهتدون إلى الحق بعد ما تكرر منهم الإيمان والكفر».

[١٣٩] بَشِّرِ يا رسول الله الْمُنَافِقِينَ الذين هم يظهرون الإسلام و يبطنون الكفر - خلافا لما تقدم من قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و البشارة هنا مجاز للاستهزاء، كما يقال للزنجى: كافور بأنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا يؤلمهم جسديا و نفسيا. و لعل هذه الآية تدل على كون الآية المتقدمة فى شأن المنافقين، و أن المراد بالكفر، الكفر القلبي الذى كانوا يراوحوون فيه بين الإذعان و الكفر، مع التحفظ على ظاهرهم فى الإيمان.

[١٤٠] و بمناسبة النفاق، ذكر الله سبحانه أظهر ميزات المنافق، فقال:

الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ و أَحْبَاءَ مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أى لا يتخذون المؤمنين أولياء، بل يعاملونهم معاملة ظاهرية فقط لتأمين حياتهم، و إنما قلوبهم مع الكفار و ميلهم إليهم أَلِيَّتُهُمْ أى هل يطلبون عندهم أى عند الكفار الْعِزَّةَ

(١) النساء: ٤٩.

(٢) النساء: ١٦٩ و ١٧٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦٤

[سورة النساء (٤): آية ١٤٠]

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْبُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ و الْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)

الدينيوية، فإن الغالب أن المنافق إنما يوافق تحفظاً على دينه، أى على عزته المزعومة التى يجدها فى ضلال الكفر و بمؤاخاه و صداقة الكافرين فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً إذ بيده الدنيا بجميع ما فيها، فلو آمنوا حقيقةً لكان لهم من العزة ما ليس للمنافقين، لأن دنياهم بالإضافة إلى عزتهم الظاهرية حاصله عند المؤمنين، فإن المنافق منبوذ لا عزة له بين المؤمنين.

[١٤١] ثم ذكر سبحانه خصلة أخرى للمنافقين، فقد كانوا يجالسون أهل الكتاب، فيسخر أولئك من القرآن و الرسول، و المنافقون ساكتون حيث يوافقونهم قلباً، بخلاف المؤمنين الذين لم يكن أهل الكتاب يجرعون لمثل ذلك أمامهم، و هذه صفة المؤمن و المنافق فى كل زمان و قد نَزَلَ عَلَيْكُمْ فى الكتابِ أى فى القرآن فى قوله: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فى آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فى حَدِيثِ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ «١» بمعنى أنه إذا خاضوا فى غيره حال مجالستهم أن إذا سَمِعْتُمْ أيها المسلمون آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بها وَيَسْتَهْزَأُ بها و الفرق بينهما واضح فإن الكفر بها إنكارها، و الاستهزاء بها السخر و الاستهانة بها فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ بل قوموا و اذهبوا حَتَّى يَخُوضُوا فى حَدِيثِ غَيْرِهِ الخوض فى الحديث

(١) الأنعام: ٦٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦٥

[سورة النساء (٤): آية ١٤١]

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)

الدخول فيه كالخوض فى الماء، و «حتى» للغاية، و هى غير داخله فى المعنى، يعنى يجوز لكم مجالستهم إذا خاضوا فى حديث غير الكفر بالآيات و الاستهزاء بها إِنَّكُمْ أيها المسلمون إذا جالستم الكفار و هم يكفرون و يستهزئون إِذَا مَثَلْتُمْ حيث لم تنكروا عليهم، مع قدرتكم على الإنكار، و من رضى بعمل قوم قلباً أو تظاهراً فهو منهم إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَبْطَنُوا الْكُفْرَ وَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْكُفْرَ فى جَهَنَّمَ جَمِيعاً لأن كليهما كافر، و إن كان فى الظاهر تجرى أحكام الإسلام على المنافق.

[١٤٢] ثم وصف سبحانه المنافقين بما هى السممة الظاهرة لهم فى كل حال و زمان الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ التَّبِيعُ الانتظار و الترقب، يعنى أنهم ينتظرون لأمرهم و يراقبون أحوالهم فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ بِالظفر و الغلبة و الغنيمه قَالُوا أى أولئك المنافقون: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ أيها المؤمنون، فإننا آمننا و غزونا و صلينا و عملنا تحت لواء الإسلام، يريدون بذلك التحفظ على أنفسهم فى مستوى المؤمنين جاهاً و غنيمه و إِنَّ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ بأن تقدم الكفار أو دارت الدائرة على المؤمنين قَالُوا أولئك المنافقون للكافرين الذين كان لهم نصيب: أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ أى نسيطر عليكم و نرشدكم مواقع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦٦

[سورة النساء (٤): آية ١٤٢]

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)

صلاحيكم و نَمْنَعُكُمْ مِنْ بَأْسِ الْمُؤْمِنِينَ بدلاليتكم على مواقع الهلكة، و كنا نلقى الرعب فى قلوب المؤمنين منكم، حتى نلتهم أيها الكافرون ما نلتهم بسببنا، و لذا فلنا ما لكم، يريدون بذلك إشراك أنفسهم فى جاه الكفار و أربابهم فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ و يعطى كلًا جزاءه، ثم لا يظن المسلمون أن المنافقين يتمكنون بنفاقهم أن يحدثوا ثغرة بينهم، فإن الكافر لا يسلط على المؤمن أبداً لا فى الحجة و لا- فى غيرها، ما دام المؤمنون ملتزمين بشرائط الإيمان عقيدةً و عملاً و لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ أَبْداً لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا نعم إذا خرج المؤمنون عن شرائط الإيمان عقيدةً أو عملاً، صار للكفار عليهم سبيل. و قد نرى فى طول التاريخ أنه لم يتغلب الكفار على المؤمنين إلا إذا خرج المؤمنون عن طاعة الله و رسوله، كما رأينا فى قصة أحد حين ترك الرماة مواقعهم، و هذا لا ينافى تسلط

بعض أفراد الكفار على بعض أفراد المؤمنين قتلا و نحوه، لأن قضية «لن يجعل» طبيعية كسائر القضايا الواردة في مثل هذا المقام. [١٤٣] و لما ذكر سبحانه أن المنافقين يراوحن بين المؤمنين و الكافرين لإرضاء كليهما و لأن يهيئوا لهم حياة سعيدة مهما تقلبت الظروف و الأحوال، بين أن خداعهم هذا لا ينطلي على الله سبحانه إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ إِذْ حَفِظَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَعْرَاضَهُمْ، بينما هم كفار غير مؤمنين وَ هُوَ خَادِعُهُمْ إِذْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦٧

[سورة النساء (٤): آية ١٤٣]

مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَاءٍ وَلَا إِلَى هُوَاءٍ وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣)

يلزمهم أحكام المسلمين في الدنيا و يجازيهم جزاء الكافرين في الآخرة و من صفاتهم الظاهرة أنهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى جمع «كسلان» أى متثاقلين، لأنهم لا يعتقدون بالصلاة حتى يقوموا إليها قيام نشاط و فرح كما يقوم المؤمنون إليها يراؤون الناس أى أن أصل عملهم لأجل الرياء و أن يظهروا للمؤمنين أنهم مسلمون لأجل الله، و لذا لو تمكنوا من تركها تركوها و لا يذكرون الله إلا قليلا في مواقع الشدة و المحنة كما قال سبحانه: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ «١» بخلاف المؤمنين الذين يعتقدون بالله فإنهم ذاكرون له دائما.

[١٤٤] مُذَبِّذِينَ يُقَالُ: «ذُذِبَتْ» أى حركته، أى أن المنافقين مترددين بين ذلك المجتمع المنقسم إلى المؤمن و الكافر لا إلى هوءاء المؤمنين، أى لا- مع هوءاء تماما و لا إلى هوءاء الكافرين، و دخول كلمة «إلى» باعتبار أن من يكون مع قوم ينتهى إليهم فى حركاتهم و سكناتهم، بخلاف المنافق الذى هو فى الوسط لا ينتهى إلى أحد الجانبين و مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ و إضلاله بترك لطفه الخاص به، بعد ما أراه الطريق فلم يسلكه، و قد تقدم معنى الإضلال من الله فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا إلى الحق لأنه قد ران على قلبه ما كسبه من السيئات و الإعراض عن الإيمان بالله و العمل الصالح.

(١) العنكبوت: ٦٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦٨

[سورة النساء (٤): الآيات ١٤٤ الى ١٤٥]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)

[١٤٥] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ أى أنصارا و أخلاء يتولون شؤونكم من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ بأن تتركوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا السلطان: الحجة و المبين، بمعنى الواضح، فينكل بكم حيث انحرفتم عن طريقته إلى طريقة الكفار، إن المنافقين قد اتخذوا الكافرين أولياء، فأنتم أيها المؤمنون لا تكونوا مثلهم، لستم عليكم الحجة فيصح عقابكم لأنه جاء بعد البيان و الإنذار، و الاستفهام بمعنى الإنكار، أى لا تجعلوا لله سلطانا عليكم.

[١٤٦] إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ أى فى الطبقة السفلى، و ذلك لأن المنافق شر من الكافر، إذ هو كافر بإضافه أنه فى المسلمين فيطّلع على عوراتهم و يعين الأعداء عليهم. و فى آية أخرى قال تعالى بالنسبة إلى المنافقين: هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ «١» على نحو الحصر، و لعل السبب فى قبول المنافق بعد العلم بباطنه رجاء زوال نفاقه، و أنه لو وكل الأمر إلى الناس لأخذوا كثيرا من المؤمنين بأنهم منافقين و لَنْ تَجِدَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ أى للمنافقين نصيراً من بأس الله و عقابه.

(١) المنافقون: ٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦٩

[سورة النساء (٤): الآيات ١٤٦ إلى ١٤٧]

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧)

[١٤٧] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ نِفَاقِهِمْ وَأَصْلَحُوا نِيَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ كَسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ أَى تَمَسَكُوا بِهِ وَ أَخْلَصُوا طَرِيقَهُمْ لِلَّهِ، بِخِلَافِ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَبْغِضُ فِي طَرِيقَتِهِ، فَبَعْضُهَا لِلَّهِ وَ بَعْضُهَا لِلْأَصْنَامِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَ آخِرَتِهِمْ وَ سَوْفَ فِي الْآخِرَةِ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا هُوَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ وَ لَا اِضْمِحَالِ.

[١٤٨] وَ لَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ، بَيَّنَّ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ حَاجَةٍ لَهُ إِلَى عَذَابِ أَحَدٍ، وَ إِنَّمَا ذَلِكَ لِسُوءِ صَنِيعِهِمْ، فَلَوْ بَدَّلُوا صَنِيعَهُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَ الِاسْتِفْهَامُ فِي مَعْنَى الْإِنْكَارِ، أَى لَا حَاجَةَ إِلَى عَذَابِكُمْ إِذْ لَا يَنْتَفِعُ اللَّهُ بِذَلِكَ كَمَا لَا يَنْتَفِعُ بِتَرْكِهِ إِنْ شَكَرْتُمْ نِعْمَةَ سُبْحَانَهُ وَ آمَنْتُمْ إِيْمَانًا صَاحِحًا وَ كَانَ اللَّهُ شَاكِرًا لِمَنْ شَكَرَهُ، وَ مَعْنَى كَوْنِهِ شَاكِرًا: أَنَّهُ يَفْعَلُ فِعْلَ الشَّاكِرِ مِنَ الْحَفَاوَةِ إِلَى الْمَشْكُورِ لَهُ عَلِيمًا بِكُمْ وَ بِأَعْمَالِكُمْ، فَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْهَا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧١

تقريب القرآن إلى الأذهان الجزء السادس من آية (١٤٩) من سورة النساء إلى (٨٣) من سورة المائدة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَ عِترته الطاهرين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٣

[سورة النساء (٤): الآيات ١٤٨ إلى ١٤٩]

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨) إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩)

[١٤٩] وَ حَيْثُ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ حَوْلَ النِّفَاقِ وَ هُوَ شَيْءٌ رُبَّمَا اشْتَبَهَ فِيهِ النَّاسُ، وَ لَذَا نَرَاهُمْ يَرْمِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالنِّفَاقِ، بَيْنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَجْهَرَ الْإِنْسَانُ بِالْقَوْلِ السَّيِّئِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ الْجَاهِرَ مَظْلُومًا فَإِنَّهُ يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَجْهَرَ بِظُلَامَتِهِ فَلَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَبْدَى عَوْرَةً غَيْرَهُ حَتَّى فِيمَا إِذَا عَلِمَ، فَكَيْفَ بِمَا لَوْ ظَنَّ أَوْ تَوَهَّم؟ وَ فِي آيَةِ أُخْرَى:

اجْتَبَبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنْ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ «١» لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ يَقُولُ الْقَوْلِ السَّيِّئِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ جَهْرًا أَمَامَ النَّاسِ، وَ مَعْنَى «لَا- يَحِبُّ» أَنَّهُ يَكْرَهُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ فَإِنَّهُ يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَذْكَرَ ظُلَامَتَهُ أَمَامَ النَّاسِ وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا يَسْمَعُ مَا يَجْهَرُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الْقَوْلِ السَّيِّئِ فِي غَيْرِهِ عَلِيمًا بِصَدَقِ الصَّادِقِ وَ كَذْبِ الْكَاذِبِ فَيَجَازِي كُلًّا حَسَبَ جَزَائِهِ.

[١٥٠] وَ إِذْ ذَكَرَ تَعَالَى جَوَازَ الْجَهْرِ بِالسُّوءِ لِمَنْ ظَلَمَ، بَيْنَ أَنْ إِبْدَاءَ الْخَيْرِ وَ إِخْفَاءَ السُّوءِ أَحْسَنَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْعَفْوُ الْقَدِيرِ، الَّذِي يَعْفُو مَعَ قُدْرَتِهِ إِنْ تَبَدُّوا أَى تَظَهَّرُوا خَيْرًا أَى عَمَلًا حَسَنًا جَمِيلًا لِمَنْ أَحْسَنَ أَوْ تَخَفُوا أَى تَرَكَوا إِظْهَارَ الْخَيْرِ، أَوْ الْمَعْنَى: تَعَزَمُوا عَلَيْهِ أَى تَنَوَّهُوا. وَ لَعَلَّ الثَّانِي أَقْرَبُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَلَا تَنْتَقِمُوا مِنْ أَسَاءِ إِلَيْكُمْ مَعَ قُدْرَتِكُمْ عَلَى الْإِنْتِقَامِ، فَفِي الْمَقَامِ

(١) الحجرات: ١٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٤

[سورة النساء (٤): الآيات ١٥٠ إلى ١٥١]

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخِذُوا بَيْنَ

ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أَوْلَيْكَ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١)

لا تجهروا بالقول السيئ بالنسبة إلى من ظلمكم فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا كثير العفو عن خلقه ممن أساء و ظلم قديراً على الانتقام منهم، فما أجدد أن يتصف الخلق بصفة الخالق.

[١٥١] و لما ذكر سبحانه في الآيات السابقة حال المنافقين، أتم الكلام في الآيات التالية حول حال الكافرين و المؤمنين، فالناس ينقسمون أمام الدعوة الجديدة إلى مؤمن و كافر و منافق بين أولئك إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ و إن كان كفراً برسول واحد، و الكفر إما بالإنكار أو نحو ذلك و يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ لَعَلَّهُمْ طَائِفَةٌ أُخْرَى حيث أنهم يؤمنون بالله و يكفرون بالرسول، فهذه الصفة أنهم يفرقون بين الله بالإيمان و بين الرسل بالكفر و يَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ فَإِنَّ هُنَاكَ الْمُنْكَرَ الْمَطْلُوقَ وَ الَّذِي لَا يَنْكُرُ اللَّهَ وَ لَكِنْ يَنْكُرُ الْأَنْبِيَاءَ جَمْلَةً، و الذي يبعث في الأنبياء و يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ الْحَقِّ الْوَاقِعِ سَبِيلًا طريقاً لا الإنكار المطلق و لا الإذعان المطلق، و إنما يفعلون ذلك لأغراض نفسية و تقاليد بالية.

[١٥٢] أَوْلَيْكَ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقًّا أَى حَقِيقَةً، فلا يخرج إيمانهم ببعض عن كونهم كافرين، كما قد ينطبق على البعض الذين لا يعرفون معيار الكفر و الإيمان، فإن الكفر هو إنكار أحد الأصول و الإيمان هو الإقرار بها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٥

[سورة النساء (٤): الآيات ١٥٢ إلى ١٥٣]

وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْلَيْكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥٢) يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَ آتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣)

أجمع و اعتدنا للكافرين أَى هيننا لهم عذاباً مهيناً يهينهم و يذلهم.

[١٥٣] وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ جَمِيعًا وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ لَفْظَ «أَحَدٍ» إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ النَّفْسِ أَوْ كَانَ فِي مَعْنَاهُ أَفَادَ الْعَمُومِ، وَ لَذَا صَحَّ إِدْخَالُ «بَيْنَ» عَلَيْهِ وَ لَيْسَ كَذَلِكَ إِذَا كَانَ لِلْإِثْبَاتِ أَوْلَيْكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا يَغْفِرُ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ ذَنْبٍ رَحِيمًا يَرْحَمُ بِلَطْفِهِ وَ رَحْمَتِهِ.

[١٥٤] وَ إِذْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَنِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ وَ يَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، وَ مِنْ أَظْهَرَ مَصَادِيقِ أَوْلَيْكَ أَهْلَ الْكِتَابِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْأَنْبِيَاءِ السَّالِفَةِ وَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِحُجْجِ وَاهِيَةٍ، انْتَقَلَ السِّيَاقُ إِلَى هَؤُلَاءِ مَبِينًا أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي زَعْمِهِمُ الْإِيمَانَ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَسْئَلِهِ وَ أَعْمَالِ بَشَعِهِ، يَسْئَلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلُ الْكِتَابِ وَ الْمَرَادُ بِهِمْ هُنَا الْيَهُودُ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ كَمَا نَزَلَ عَلَى مُوسَى التَّوْرَةَ، مَكْتُوبًا جَمْلَةً، لَا أَنْ تَأْتِيَ الْآيَاتُ عَلَى نَحْوِ الْوَحْيِ.

وَ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ: أَنْ كَعَبَ الْأَشْرَفِ وَ جَمَاعَةَ مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَأَتِنَا بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ جَمْلَةً كَمَا أَتَى مُوسَى بِالتَّوْرَةِ جَمْلَةً «١»

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٦

[سورة النساء (٤): آية ١٥٤]

وَ رَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَ قُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَ قُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤) فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهَلْ آمَنُوا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَا آتَاهُمُ الْكِتَابُ مِنَ السَّمَاءِ؟ كَلَّا بَلْ سَأَلُوهُ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً حَتَّى نَشَاهِدَهُ بِأَعْيُنِنَا فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِسَبَبِ ظَلْمِهِمْ وَ تَجَرَّوْهُمْ عَلَى سَاحَةِ قُدْسِ اللَّهِ وَ جَلَالِهِ، فَقَدْ جَاءَتْ صَاعِقَةٌ وَ أَمَاتَتْهُمْ جَمِيعًا- كما تقدم فى سورة البقرة «١»- ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَهًا عَبْدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ أَى الْأَدْلَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَى الرَّبُوبِيَّةِ وَ النَّبُوَّةِ، مِنْ نَجَاتِهِمْ مِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ، وَ تَفْرِيقِ الْبَحْرِ لَهُمْ، وَ مَا رَأَوْا مِنْ مَعْجَزَاتِ الْعَصَا وَ غَيْرِ ذَلِكَ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ بِمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ مِنْ أَمْرِهِمْ بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَ لَكِنْ لَمْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ أَيْضًا بَلْ بَقُوا مَعَانِدِينَ قَسَاءَ جَفَاءٍ وَ آتَيْنَا مُوسَى أَى أَعْطَيْنَاهُ سُلْطَانًا مُبِينًا أَى حُجَّةً وَاضِحَةً تَبَيَّنَ صِدْقُهُ وَ نُبُوَّتُهُ، وَ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا.

[١٥٥] وَ رَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ أَى جَبَلَ الطُّورِ حَيْثُ اقْتَلَعَ جِزءٌ مِنْهُ وَ رَفَعَ فَوْقَ رُؤُوسِ بَنَى إِسْرَائِيلَ تَخْوِيفًا لَهُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا الْأَحْكَامَ وَ يَقْبَلُوا التَّعَالِيمَ بِسَبَبِ مِيثَاقِهِمْ أَى عَهْدِهِمْ، وَ لَعَلَّ الْمَرَادَ: حِينَ إِرَادَةَ

(١) البقرة: ٥٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٧

[سورة النساء (٤): آية ١٥٥]

فِيمَا نَقَضْتَهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَ كَفَرْتَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ قَتَلْتَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥)

أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْهُمْ وَ قَلْنَا لَهُمْ اذْخُلُوا الْبَابَ أَى بَابَ الْقَرْيَةِ سَاجِدًا أَى فِي حَالِ السُّجُودِ، اسْجُدُوا وَ ادْخُلُوا الْبَابَ وَ قَلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا أَى تَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ بِاصْطِيَادِ السَّمَكِ، فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مُحْرَمًا عَلَيْهِمْ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ أَى مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمَتَقَدِّمِ ذَكَرَهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا أَى عَهْدًا أَكِيدًا بِأَنْ يَسْمَعُوا الْأَمْرَ وَ يَنْزَجِرُوا عَنِ النَّوَاهِي. وَ قَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْكَلَامِ حَوْلَ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ.

[١٥٦] ثُمَّ ذَكَرَ سَبْحَانَهُ أَنَّ الْيَهُودَ بِأَعْمَالِهِمْ الْقَبِيحَةَ اسْتَحَقُّوا عِقَابَ الدُّنْيَا وَ عِقَابَ الْآخِرَةِ أَمَا عِقَابَ الدُّنْيَا فَتَحْرِيمَ الطَّيِّبَاتِ عَلَيْهِمْ وَ أَمَا عِقَابَ الْآخِرَةِ فَالنَّارَ الْمَهِيأَةَ لَهُمْ، فَقَوْلُهُ سَبْحَانَهُ: «فِيمَا نَقَضْتَهُمْ .. إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ» مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: «حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ ..» فِيمَا نَقَضْتَهُمْ مِيثَاقَهُمْ أَى بِسَبَبِ نَقْضِ الْيَهُودِ مَعَاهِدَتِهِمْ مَعَ اللَّهِ بِأَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا فِي التَّوْرَةِ مِنَ الْأَحْكَامِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِغَالِبِ أَحْكَامِهَا أَصُولًا وَ فُرُوعًا وَ كَفَرْتَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَقَامَهَا عَلَى صِدْقِ أَنْبِيَائِهِ كَكُفْرِهِمْ بِأَدْلَةِ نُبُوَّةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ فَإِنَّهُمْ كَلِمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا يَقْتُلُونَ وَ فَرِيقًا يَكْذِبُونَ وَ كَلِمَةُ «بِغَيْرِ حَقٍّ» لِلتَّوْضِيحِ لَا لِلتَّأَكِيدِ إِذْ قَتَلَ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَكُونُ بِالْحَقِّ أَبَدًا وَ بِسَبَبِ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ جَمَعَ «أَغْلَفٌ» أَى فِي غِلَافٍ مِنْ دَعْوَتِكَ يَا مُحَمَّدَ، فَلَا نَفْهَمُ مَا تَقُولُ، كَالشَّيْءِ الْمَغْلُفِ الَّذِي لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَارِجِ، فَقَدْ كَانُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٨

[سورة النساء (٤): آية ١٥٦]

وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦)

يَقُولُونَ ذَلِكَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حَتَّى لَا يَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى. ثُمَّ جَاءَ سَبْحَانَهُ بِجُمْلَةٍ مُعْتَرِضَةٍ فِي الْكَلَامِ رَدًا لِقَوْلِهِمْ «قُلُوبُنَا غُلْفٌ» بِقَوْلِهِ:

بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى الْحَقَّ فَأَنْكَرَهُ وَ تَكَرَّرَ مِنْهُ الْعَصِيَانُ يَكُونُ قَلْبُهُ فِي مَعْزَلٍ عَنِ الْحَقِّ، وَ صَارَ الْإِنْكَارَ كَالْمَلَكَةِ لَهُ فَإِنَّهُ يَعْرِفُ الْحَقَّ كَلِمًا رَأَاهُ لَكِنَّهُ يَنْكَرُهُ، لَا لِأَنَّهُ لَا يَرَى الْحَقَّ- لِأَنَّ قَلْبَهُ فِي غِلَافٍ- وَ عَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى بِكُفْرِهِمْ: لِسَبَبِ كُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا إِذْ قَلِمًا يَرْتَدِعُ مِنْ صَارَ الْإِنْكَارَ مَلَكَةً لَهُ بِسَبَبِ غِيهِ وَ ضَلَالِهِ، ثُمَّ إِنْ نَسَبَهُ الطَّبَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِمَّا حَقِيقَةً لِأَنَّهُ خَلَقَ الْقَلْبَ كَذَلِكَ، بِحَيْثُ يَصِيرُ الْأَمْرُ الْمَتَكَرِّرَ مَلَكَةً لَهُ، وَ إِمَّا مَجَازًا يَرَادُ بِذَلِكَ: تَرَكَّهُمْ وَ شَأْنَهُمْ.

[١٥٧] وَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِعِيسَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوِ الْمَرَادَ: الْكُفْرَ الْمَطْلُوقَ، كَزَّرَ تَأَكِيدًا أَوْ هُوَ إِرْهَاصٌ لِقَوْلِهِ «وَ قَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيَمَ» يَرِيدُ

بذلك أنهم صاروا كفاراً بسبب هذه التهمة لعظمتها وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ الصَّديقَةُ المعصومة أم المسيح عليها السَّلام بُهْتَاناً عَظِيماً حيث نسبوها إلى الزنا لما ولد عيسى عليه السَّلام منها من غير أب.  
 عن «الكلبي» أن عيسى عليه السَّلام مر برهط فقال بعضهم لبعض:  
 جاءكم الساحر ابن الساحرة. فخذفوه بأمه فسمع ذلك عيسى فقال:  
 اللهم أنت ربي ولم آتهم من تلقاء نفسي، اللهم العن من سبني و سبّ والدتي فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير  
 (١).

(١) بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٣٤٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٩

[سورة النساء (٤): الآيات ١٥٧ إلى ١٥٨]

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)  
 [١٥٨] وَبَسَّبَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَهَذَا الْقَوْلُ مَوْجِبٌ لِسُخْطِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلام رَسُولُهُ، وَقَوْلُهُ: رَسُولَ اللَّهِ إِمَّا قَوْلَ الْيَهُودِ عَلَى وَجْهِ الاسْتِهْزَاءِ، وَإِمَّا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَيْسَ «مَقُولَ قَوْلِهِمْ» وَإِمَّا أَنَّهُ اعْتِرَافٌ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ الرَّسُولُ، كَمَا اعْتَرَفَ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِأَنَّ الْحُسَيْنَ إِمَامًا وَقَتْلَهُ لَهْوَى النَّفْسِ. ثُمَّ رَدَّهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: قَتَلْنَاهُ صَلْبًا وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ بِأَنَّ أَلْقَى اللَّهُ شَبَّهُ عِيسَى عَلَى بَعْضِ الْيَهُودِ، فَقَتَلُوا ذَلِكَ الشَّبِيهَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلام لا- أَنَّهُمْ قَتَلُوا نَفْسَ الْمَسِيحِ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ أَى فِي الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلام هل أنه قتل أم لم يقتل؟ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ فَإِنَّهُمْ صَارُوا فَرِيقَيْنِ: قَسَمَ يَقُولُونَ قَتَلْنَاهُ، وَقَسَمَ يَقُولُونَ لَمْ نَقْتُلْهُ وَإِنَّمَا قَتَلْنَا شَبِيهًا لَهُ، وَلَمْ يَكُنْ قَوْلُهُمْ عَنْ يَقِينٍ وَإِنَّمَا عَنْ شَكٍّ وَتَرَدَّدَ مَا لَهُمْ بِهِ أَى لَهُؤَلَاءِ الْقَائِلِينَ بِقَتْلِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ هَذَا الاسْتِثْنَاءُ مَنْقُوعٌ، فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَسْتَشْنَى مِنْ أَصْلِ الْكَلَامِ لا- مِنْ قِيوده، فَكَأَنَّهُ قَالَ هُنَا: «مَا لَهُمْ مِنْ حَالَةٍ نَفْسِيَّةٍ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ إِلَّا- اتِّبَاعَ الظَّنِّ» فَمَنْ يَقُولُ قَتَلْنَاهُ يَظُنُّ ذَلِكَ لَا أَنَّهُ يَسْتَقِينُ. وَلَا يَخْفَى أَنَّ الشَّكَّ بِمَعْنَاهِ الْغَوْى يَلِائِمُ الظَّنَّ، وَلَيْسَ الشَّكُّ بِمَعْنَى تَسَاوَى الطَّرْفَيْنِ حَتَّى يَنَافَى الظَّنَّ الَّذِي بِمَعْنَى تَرْجِيحِ أَحَدِ الطَّرْفَيْنِ. وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا أَى: بِالْيَقِينِ وَالْقَطْعِ لَمْ يَقْتُلُوا عِيسَى.

[١٥٩] بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ أَى إِلَى مَحَلِّ تَشْرِيفِهِ وَهُوَ السَّمَاءُ، فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٨٠

[سورة النساء (٤): الآيات ١٥٩ إلى ١٦٠]

وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا- لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) فَبُظِّلِمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠)

فِي عِلْمِ الْكَلَامِ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا مَحَلَّ لَهُ. ثُمَّ إِنْ رَفَعَهُ لَهُ إِلَى السَّمَاءِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ الْكَوَاكِبِ فَإِنَّهَا- كَمَا فِي الْحَدِيثِ «مَدَنُ كَمَدَنِكُمْ»

«١» وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ذَا عِزَّةٍ وَسُلْطَةً يَتِمَكَّنُ مِمَّا أَرَادَ وَأَمْرٌ حَكِيمًا يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا وَتَقْدِيرَاتِهِ عَنْ حَكْمَةٍ وَبَصِيرَةٍ.

[١٦٠] وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَى مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ أَى بِالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلام قَبْلَ مَوْتِهِ أَى قَبْلَ مَوْتِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلام يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيَصَلِّي خَلْفَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلام فَيُؤْمِنُ بِهِ كُلُّ يَهُودِيٍّ «٢». وَفِي الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمُرَادَ بِكُلِّ يَهُودِيٍّ مَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَا كُلَّ يَهُودِ الْعَالَمِ الَّذِينَ مَاتُوا مِنْ قَبْلِ. وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ عَرَفِيَّةٌ فَيُقَالُ: يَعْرِفُ أَهْلُ الْبَلَدِ الْفُلَانِيَّ جَمِيعَهُمْ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْهَا، يَرِيدُ بِذَلِكَ: مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِيهَا، لَا كُلَّ مَنْ مَاتَ أَوْ خَرَجَ قَبْلَ رِحْلَتِهِ وَوَيْومَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلام



عَلَيْهِمْ أَى عَلَى الْيَهُودِ شَهِيداً بَأَنَّهُ قَدْ بَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، وَ أَنَّهُمْ آذَوْهُ وَ طَرَدُوهُ وَ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ.  
 وَ هُنَاكَ اِحْتِمَالٌ أَن يَعُودَ الضَّمِيرُ «بِهِ» إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ الْبَعْثِ مَعَ الْكُفَّارِ، وَ ضَمِيرُ «مَوْتِهِ» إِلَى الْكِتَابِيِّ، أَى كُلِّ كِتَابِيٍّ يُؤْمِنُ بِالرَّسُولِ قَبْلَ أَن يَمُوتَ حِينَ الْاِحْتِضَارِ حَيْثُ يَنْكَشِفُ لَهُ الْوَاقِعُ.  
 [١٦١] وَ لَمَّا ذَكَرَ سَبْحَانَهُ الْيَهُودُ قَالَ: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا أَى بِسَبَبِ

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢١٩.

(٢) العمدة: ص ٤٣٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٨١

[سورة النساء (٤): الآيات ١٦١ الى ١٦٢]

وَ أَخَذِهِمُ الرِّبَا وَ قَدْ نُهِوا عَنْهُ وَ أَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (١٦١) لَكِنَّ الرَّاَسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُتَّقِينَ الصَّلَاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً (١٦٢)

ظلم اليهود لأنبيائهم و لأنفسهم و لغيرهم. بما تقدم من أقسام الظلم حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ فَقَدْ أَحَلَّ قِسْمَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَهُمْ، لَكِنَّهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا حَرَمَ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الطَّيِّبَاتِ جِزَاءً عَلَى أَعْمَالِهِمْ. وَ الْمَحْرَمَاتُ هِيَ مَا بَيَّنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ عَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَ مَتْنِ الْبَقْرِ وَ الْغَنَمِ .. «١»، وَ بَصِيْدَهُمْ أَى بِمَنْعِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ: «فَبِظُلْمٍ» فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ التَّوْبَةِ بِدِينِ الْمَسِيحِ وَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَمَا كَانُوا يَحْرَفُونَ التَّوْرَةَ حَسَبَ رِغْبَاتِهِمْ وَ أَهْوَائِهِمْ.

[١٦٢] وَ بَ أَخَذِهِمُ الرِّبَا وَ هُوَ أَخْذُ الزِّيَادَةِ مِنَ الْمَقْتَرَضِ، فَقَدْ كَانَ حَرَاماً حَتَّى فِي شَرِيعَتِهِمْ وَ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَأْبَهُونَ بِالشَّرِيعَةِ وَ قَدْ نُهِوا عَنْهُ أَى وَ الْحَالِ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ نَهَوْا عَنْ أَخْذِ الرِّبَا وَ بَ أَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ فَقَدْ كَانُوا يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ فِي الْحُكْمِ وَ يَسَيِّرُونَ عَلَى أَمْوَالِ الْآخِرِينَ بِالْمَكْرِ أَوْ الْقُوَّةِ وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عَذَاباً أَلِيماً يُؤَلِّمُ أَجْسَامَهُمْ وَ أَرْوَاحَهُمْ.

[١٦٣] وَ لَمَّا ذَكَرَ سَبْحَانَهُ «لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ» فَهَمَّ أَن بَعْضُهُمْ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَ قَدْ

(١) الأنعام: ١٤٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٨٢

بَيَّنَّ ذَلِكَ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: لَكِنَّ الرَّاَسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ كَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ رَسَخُوا فِي الْعِلْمِ وَ ثَبَتُوا فِيهِ وَ عَرَفُوا الْعِلْمَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ وَ الْمُؤْمِنُونَ يَعْنِي أَصْحَابَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ الْمَحْتَمَلُ أَن الْمُرَادُ بِهِمْ: الْمُؤْمِنُونَ بِمُوسَى حَقِيقَةً، مُقَابِلَ سَائِرِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا إِيمَانَهُمْ مَزِيْفاً كَاذِباً يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ كِتَابِ مُوسَى وَ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِخِلَافِ الْيَهُودِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا إِطْلَاقاً، وَ كَانُوا إِيمَانَهُمْ بِالتَّوْرَةِ كَاذِباً، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالاً «١».

وَ هُنَا قَدْ يَتَسَاءَلُ الْبَعْضُ: أَن الْيَهُودَ إِنْ كَانُوا فِي طَبِيعَتِهِمْ الْاِنْحِرَافَ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ بَيْنَ النَّاسِ وَ الظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً «٢» وَ قَوْلِهِ: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ «٣» وَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ وَ بِالْأَخْصِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ لَهُمُ التَّخَلُّى عَنْ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ؟ وَ كَيْفَ يَقْبَلُونَ بِالْإِسْلَامِ إِذَا أَسْلَمُوا؟

وَ كَيْفَ يُمْكِنُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ وَ بَيْنَ مَنْ قَالَ سَبْحَانَهُ عَنْهُ «لَكِنَّ الرَّاَسِخُونَ ..»؟

و الجواب: أن اليهود لهم جهتا انحراف: الأولى طبيعتهم المتحجرة، و الثانية دينهم الباطل الذى يأمرهم بكل منكر، و تقاليدهم

(١) الجمعة: ٦.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) المائدة: ٨٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٨٣

البالية السخيفة. و من المعلوم أن اليهودى إذا أسلم روضت طبيعته و صقلت بالإسلام، كالجبان الذى يشجع نفسه حتى تصبح له ملكة الشجاعة، و الفاسق الذى يسلك الصلاح حتى تحصل له ملكة العدالة.

و كذلك تذهب تقاليدهم و دينهم المحرف فلا يكون حافز له على الاجرام و الرذيلة، بالإضافة إلى أن الانحراف ليس من طبيعة الكل مطلقاً بل الأغلب، كما لا يخفى.

و الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ عطف على «الراسخون» أى الذين يقيمون الصلاة من اليهود فإن لكل دين صلاة، و إنما عطف بالنصب و القاعدة الرفع أى «المقيمون» لأنه نصب على المدح، و هذا تفنن فى الكلام لإزالة الضجر النفسى الذى يحصل من سبك واحد. و قد كانت إقامة الصلاة الدائمة من أقوى العوامل للإيمان بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ لأنها مذكورة مستمرة توجب ملكة طيبة وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ فقد كان كل دين يأمر بالزكاة بمعناها الأعم وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ إيماناً حقيقياً لا صورياً- كما كان عند غالب اليهود- أولئك المتصفون بهذه الصفات سَيُؤْتِيهِمْ فى الآخرة أَجْرًا عَظِيمًا فى جنات النعيم التى فيها ما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين و هم فيها خالدون.

و يمكن أن يكون الكلام من قوله: «و المقيمين» استئنافاً إلى أن الراسخين فى العلم من اليهود و المؤمنين الذين يقيمون الصلاة- من المسلمين- أولئك نعتيهم الأجر العظيم، فلا يكون «المقيمين .. إلخ» من صفات اليهود الراسخين فى العلم، و ربما يؤيد هذا الوجه نصب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٨٤

[سورة النساء (٤): آية ١٦٣]

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطَ وَ عِيسَى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣)

«المقيمين» كأنه أراد بيان الانقطاع عما قبله و أنه فى حكم الضمير فى «سنؤتيهم» أى سنؤتى المقيمين .. سنؤتيهم أجراً عظيماً، كباب الاشتغال.

[١٦٤] ثم ذكر سبحانه أن مجادلات اليهود باطله و أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ أوحى إليه كما أوحى من قبله إلى سائر الأنبياء، و قولهم بإنزال الكتاب عليهم بحيث قد كثر فى الأنبياء السابقين من أوحى إليه، قال تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ «الوحي» هو الإلقاء فى القلب بواسطة ملك، أو ابتداء بدون ملك فى اليقظة أو المنام كما أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ أى من بعد نوح عليه السلام. ثم ذكر بعض الأنبياء بالاسم تعظيماً و إن كانوا داخلين فى عموم النبيين وَ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ قَدَّمَ إِسْمَاعِيلَ لأنه أرفع شأنًا فى الإيمان، و إن كان الثانى أكبر سناً- كما هو المشهور- وَ يَعْقُوبَ وَ هُوَ حَفِيدُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ إِسْحَاقَ جَدِّ الْيَهُودِ، كما أن إسماعيل جد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ وَ الْأَسْبَاطُ أى: الأنبياء المبعوثون من أولاد يعقوب، و يستمون الأسباط لأنهم أحفاد يعقوب كيوسف و غيره عليهم السلام وَ عِيسَى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ و لم يذكر موسى عليه السلام لأنه نزل عليه الكتاب من السماء الذى كان محل احتجاج اليهود- كما تقدم- وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا جمع «زبر» أى شيتا فشيئا،

و لم تنزل على هؤلاء الأنبياء كتابا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٨٥

[سورة النساء (٤): الآيات ١٦٤ الى ١٦٦]

و رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦)

كاملا بل إما وحيا و إما جزءا، كداود عليه السلام.

[١٦٥] و أرسلنا رُسُلًا بالوحي إليهم قَدْ قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ كيونس عليه السلام مِنْ قَبْلُ فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ فقد كان عدد الأنبياء - على المشهور - مائة و أربعة و عشرين ألفا «١» وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا فلم يكن كل ما أتاه بشكل الكتاب، فموسى عليه السلام الذى هو محل احتجاج اليهود كان الله قد كلمه، و الكلام قسم من الوحي، و لا يخفى أن كلام الله سبحانه إنما هو بخلق الصوت فى الفضاء لأنه سبحانه منزّه عن الجسمية و لوازمها.

[١٦٦] رُسُلًا مُبَشِّرِينَ لِمَنْ آمَنَ وَ أَطَاعَ بِالثَّوَابِ وَ مُنذِرِينَ لِمَنْ كَفَرَ وَ عَصَى بِالْعِقَابِ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ بل لله الحجة البالغة، و المراد بالناس الغالب لا الكل إذ بعضهم لم تدركه الدعوة كما هو معلوم بالضرورة، و صرحت بذلك بعض الأحاديث وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا مُقْتَدِرًا لِلْعِقَابِ وَ الثَّوَابِ حَكِيمًا يفعل الأفعال عن مصلحة و حكمة.

[١٦٧] إِنْ يَهُودٍ إِنْ لَمْ يَشْهَدُوا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالنَّبُوَّةِ بِحُجَّةٍ مُخْتَلَفَةٍ

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٨٦

[سورة النساء (٤): الآيات ١٦٧ الى ١٦٨]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَ لَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨)

لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَ شَهَادَةُ اللَّهِ هِيَ إِجْرَاءُ الْمَعْجِزَةِ عَلَى يَدِ الرَّسُولِ وَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لِلَّهِ وَ وَحْدَهُ، وَ الْفَرْقُ بَيْنَ السِّحْرِ وَ الْمَعْجِزَةِ أَنَّ السِّحْرَ يُوَصَّلُ بِالْأَسْبَابِ إِلَى مَسَبِّاتِهَا وَ لَوْ كَانَتْ الْأَسْبَابُ خَتُومًا وَ أَوْرَادًا، وَ الْمَعْجِزَةُ خَرَقَ لِنُؤَامِيسِ الطَّبِيعَةِ بِمَجْرَدِ إِرَادَةِ الرَّسُولِ وَ مِنْ آتَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ. وَ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ إِلَّا - أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ، فَالرَّسُولُ يَتِمَكَّنُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ بَيْنَمَا لَا يَتِمَكَّنُ السَّاحِرُ مِنْ ذَلِكَ وَ هَكَذَا. أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ أَى بَعَلِمِهِ أَنَّكَ أَهْلُ النَّبُوَّةِ، أَوْ أَنْزَلَهُ مُقْتَرِنًا بِالْعِلْمِ الَّذِي مِنْ لَدُنْهِ، أَوْ أَنَّ الْإِنْزَالَ كَانَ مَعْلُومًا لِلَّهِ تَعَالَى لَا كَمَا يَأْمُرُ الْأَمْرُ وَ هُوَ غَافِلٌ أَوْ جَاهِلٌ أَوْ نَاسٌ أَوْ سَاهٍ، وَ الْأَوَّلُ أَقْرَبُ وَ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ، وَ لَعَلَّ ذِكْرَ الْمَلَائِكَةِ تَشْرِيحِي، أَى بِشَهَادَةِ وَاقِعِيَّةٍ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَثَرٌ، أَوْ أَنَّ الْأَثَرَ نَصْرَةُ الْمَلَائِكَةِ كَمَا رَأَوْا فِي يَوْمِ بَدْرٍ وَ كَمَا ظَهَرَ بَعْضُ الْآثَارِ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا يَشْهَدُ بِأَنَّكَ رَسُولُهُ.

[١٦٨] ثم ذكر سبحانه جزاء الكافرين بالرسول بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَى مَنَعُوا النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ وَ مَنَعُوا الْإِسْلَامَ عَنِ التَّقَدُّمِ قَدْ ضَلُّوا طَرِيقَ الْحَقِّ ضَلَالًا بَعِيدًا مُتَبَاعِدًا عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ.

[١٦٩] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُلِهِ وَ مَا جَاءُوا بِهِ وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٨٧

[سورة النساء (٤): الآيات ١٦٩ الى ١٧٠]

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠)

بالعصيان والناس بالحرمان عن طريق الهداية لم يكن الله ليغفر لهم إذا ماتوا على الكفر، كما يظهر القيد من سائر الآيات ولا ليهديهم طريقاً والمراد طريق الجنة.

[١٧٠] إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ جِزَاءَ لِمَا فَعَلُوا مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا لَا زَوَالَ لِلْعَذَابِ وَلَا انْقِطَاعَ. وقد يتساءل البعض: ولم العذاب الدائم مقابل العمل الذي كانت له مدة محدودة له؟ والجواب: أن العذاب للشر الكامن الذي كان له مظهر، وذلك باق أبداً، ولذا قال سبحانه: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ «١»، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا لقدوته الكاملة و سلطانه المطلق.

[١٧١] ثم خاطب سبحانه جميع الناس بوجوب الإيمان والتكسب عن طريق الكفر بقوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ أَيْ مَجِيئِهِ بِالْحَقِّ، أَوْ بِالَّذِينَ الَّذِينَ ارْتَضَاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مِنْ رَبِّكُمْ أَيْ مِنْ طَرَفِهِ وَجَانِبِهِ، فَرَبِّكُمْ هُوَ الْبَاعِثُ لَهُ. وفيه تأكيد لوجوب القبول فأمنوا بما أتى به من الأصول، وأتوا خيراً لكم أي خيراً تعود فائدته إلى أنفسكم وَإِنْ تَكْفُرُوا فَلَا تَنْظُرُوا أَنْ ذَلِكَ يَضُرُّ اللَّهَ تَعَالَى

#### (١) الأنعام: ٢٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٨٨

[سورة النساء (٤): آية ١٧١]

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١)

فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلَا يَنْقُصُهُ كُفْرُكُمْ شَيْئًا وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِمُصَالِحِكُمْ وَمُفَاسِدِكُمْ، فَالرَّسُولُ آتٍ بِمَا هُوَ الصَّلَاحُ لَكُمْ حَكِيمًا فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ.

[١٧٢] ثم توجه السياق إلى أهل الكتاب الذين تقدم الكلام عنهم، لكن هنا يراد بهم النصارى فقط، فقال سبحانه: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ الغلو: هو مجاوزة الحد والارتفاع، ومنه «غلا في دينه» أي تجاوز الحد إلى الارتفاع، فقد كان المسيحيون يقولون بتعدد الآلهة:

الأب والابن وروح القدس، ويريدون بالأول هو الله، وبالثاني المسيح، وبالثلث جبرائيل عليه السلام ولا تقولوا على الله أي لا تفتروا على الله بأن تقولوا: إن الله أمرنا بعبادة آلهة ثلاثة، أو المعنى: لا تقولوا بالنسبة إلى الله ما يناهض عظمته من قولكم إن له شريكا إِلَّا الْحَقُّ وَهُوَ أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ لَمْ يَأْمُرْ إِلَّا بِذَلِكَ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ قِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَ بِالْمَسِيحِ لِأَنَّهُ كَانَ يَمْسَحُ الْأَرْضَ وَيَسِيحُ فِي الْبِلَادِ، وَ «عيسى ابن مريم» بيان لقوله «المسيح» يعني أنه ابن مريم، لا- أنه ابن الله، و «رسول الله» خبر لقوله «المسيح» وَ كَلِمَتُهُ أَيْ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَ هَذَا تَشْبِيهِ، فَكَمَا أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ إِذَا قَالَ الْقَوْلَ، حَدَّثَ مِنْهُ فِي الْخَارِجِ شَبْهَ الْإِقَاءِ، كَذَلِكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَلْقَى الْأَشْيَاءَ إِلَى الْخَارِجِ فَهِيَ كَلِمَاتُهُ، وَ لَذَا يُقَالُ لِلْمَخْلُوقَاتِ «كَلِمَاتُ اللَّهِ» وَ «إِنَّمَا» هُنَا لِلْحَصْرِ الْإِضَافِي مُقَابِلَ النَّبُوَّةِ وَ الْأُلُوهِيَّةِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٨٩

أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ أَيْ أَوْجَدَهَا فِي رَحِمِهَا الطاهرة بدون زواج واقتراب من رجل وَ رُوحٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَ «الروح» هي القوة- الطاقة- التي تتحرك و تحرك، و المعنى: أن عيسى روح من قبل الله سبحانه، و لذا يقال له: «روح الله»، و من المعلوم أن الإضافة تشريفيه نحو: بيت الله.

فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ إِيمَانًا صَحِيحًا بِالْإِذْعَانِ لَوْحَدَانِيَّتِهِ، وَ أَنَّهُ لَا-شَرِيكَ لَهُ وَلَا-وَلَدٌ، وَ أَنَّ الْمَسِيحَ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ وَلَا تَقُولُوا أَيُّهَا النَّصَارَى أَنَّ الْإِلَهَ ثَلَاثَةٌ أَبُ وَ ابْنُ وَ رُوحَ الْقُدُسِ انْتَهَوْا عَنْ هَذَا الْكَلَامِ الْبَشْعِ، وَ اتَّوَا خَيْرًا لَكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَ آخِرَتِكُمْ مِنَ التَّوْحِيدِ وَ التَّنْزِيهِ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فَلَيْسَ الْمَسِيحُ شَرِيكًا لَهُ فِي الْأُلُوْهِيَّةِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ شَرِيكَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا إِذِ الشَّرِكَةُ تَلْزِمُ التَّرْكِيبَ، وَ التَّرْكِيبُ يَلْزِمُ الْحُدُوثَ، فَإِنْ كُلُّ مَرْكَبٍ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ مَرْكَبٍ وَ أَجْزَاءٍ سَابِقَةٍ- وَ لَوْ رَتْبَةً- وَ مَا سَبَقَهُ غَيْرُهُ لَيْسَ بِإِلَهِ سُبْحَانَهُ أَى أَسْبَحَهُ سُبْحَانَهُ، بِمَعْنَى: أَنزَهَهُ تَنْزِيْهَا أَنْ يَكُونَ لَهُ وَ لَمَدٌ كَمَا قَالَ الْمَسِيحِيُّونَ مِنْ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَوْ أُرِيدَ بِالْوَلَدِ الْمَعْنَى الْمَتَعَارِفِ مِمَّا يَسْتَلْزِمُ الْوِلَادَةَ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمُمْكِنِ لَا مِنْ صِفَاتِ الْإِلَهِ، إِذْ لَا يَعْتَرِي الْإِلَهَ التَّغْيِيرَ، وَ إِلَّا كَانَ حَادِثًا، وَ لَوْ أُرِيدَ الْمَعْنَى التَّشْرِيْعِي كَمَا يَقُولُ الشَّخْصُ الْكَبِيْرُ لِبَعْضِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩٠

[سورة النساء (٤): آية ١٧٢]

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) النَّاسِ- إِذَا أَرَادَ تَشْرِيْفَهُمْ:- «فَلانِ وُلْدِي» فَإِنْ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ شَوْؤُهُ كَلْهَاقِ تَوْقِيْفِيْهِ، فَقَدْ أُذِنَ أَنْ يَقَالَ: «فَلانِ خَلِيْلُهُ» وَ لَمْ يَأْذَنَ أَنْ يَقَالَ: «ابْنُهُ أَوْ وَلَدُهُ». وَ الْمُرَادُ بِالْآيَةِ هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ.

لَهُ أَى اللَّهُ تَعَالَى مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ مَنْ يَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ مَلَكُهُ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ وَ لَدَا لَهُ، إِذِ الْوَلَدُ مِنْ جَنْسِ الْوَالِدِ، وَ هُوَ جَسْمٌ فَعَلَ اللَّهُ فَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ وَلَا-شَبِيْهُ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَ كَيْلًا لِلرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فِي نَفَاذِ أَمْرِهِ، وَ هُوَ وَعِيدٌ لِلْقَائِلِينَ بِالتَّثْلِيْثِ.

[١٧٣] ثم ذكر سبحانه أن المسيح عليه السلام يعترف بأنه عبد الله فلم يقول هؤلاء بأنه ابن الله أو شريك الله؟ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَى لَنْ يَأْنِفَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ بَلْ اعْتَرَفَ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ وَلادته بذلك قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا «١»، وَ لَمَّا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ الَّذِينَ قَرَّبَهُمْ سُبْحَانَهُ مِنْ سَاحَةِ لَطْفِهِ. وَ لَعَلَّ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى رَدِّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ أَوْلَادُ اللَّهِ كَمَا حَكَى سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا «٢»، وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ يَأْنِفُ وَ يَمْتَنِعُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرُ فَيَرَى نَفْسَهُ أَكْبَرَ وَ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَعْتَرِفَ لِلَّهِ بِالْعِبَادِيَّةِ

(١) مريم: ٣١.

(٢) الزخرف: ٢٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩١

[سورة النساء (٤): الآيات ١٧٣ الى ١٧٤]

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَ اسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا (١٧٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا الْحَشْرُ هُوَ الْجَمْعُ، أَى يَجْمَعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمِيعًا لِيَجْازِيَهُمْ بِاسْتِكْبَارِهِمْ. وَ «إِلَيْهِ» لَيْسَ لِلْمَكَانِ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَنْزَهُ عَنْهُ، بَلِ الْمُرَادُ: الْمَحَلُّ الْمَعْدُّ لِقَضَائِهِ وَ جَزَائِهِ.

[١٧٤] فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا صَحِيحًا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَى الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أَى يُعْطِيهِمْ عَطَاءً كَامِلًا تَامًا أُجُورَهُمْ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ أَى يُزِيدُهُمْ عَلَى مَا كَانَ قَدْ وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةَ تَفْضُلًا مِنْهُ وَ كَرَمًا وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْ عِبَادَتِهِ وَ طَاعَتِهِ فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا أَى مُؤَلِمًا وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا يَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ وَ يَنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَ لَا نَصِيرًا يَنْصُرُهُمْ.

[١٧٥] يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ أَى حُجَّةٌ وَ دَلِيلٌ يَدُلُّكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا أَى نُورًا وَاضِحًا وَ هُوَ الْقُرْآنُ، فَكَمَا أَنَّ النُّورَ يَهْدِي الْإِنْسَانَ إِلَى طَرِيقِهِ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَ نَحْوِهِ، كَذَلِكَ الْقُرْآنُ يَهْدِي الْإِنْسَانَ إِلَى طَرِيقِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْحَيَاةِ، وَ بِهَذَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩٢

[سورة النساء (٤): الآيات ١٧٥ الى ١٧٦]

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ اعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (١٧٥) يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَ لِمَدٍّ وَ لَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفٌ مَا تَرَكَ وَ هُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَ لَدٌّ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَ إِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَ نِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)

المعنى يعنى الله نور السماوات والأرض «١».

[١٧٦] فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ إِيْمَانًا صَحِيحًا كَمَا أَمَرَ الْعَقْلُ وَ الشَّرْعُ وَ اعْتَصَمُوا بِهِ أَى تَمَسَّكُوا بِاللَّهِ فِي أُمُورِهِمْ، أَوْ أَنَّ الضَّمِيرَ «بِهِ» يَرْجِعُ إِلَى النُّورِ فَسَيُدْخِلُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ سَبْحَانَهُ يَرْحَمُهُمْ بِهَا وَ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ بِالْجَنَّةِ وَ فَضْلٍ أَى زِيَادَةً عَلَى مَا اسْتَحَقُّوا وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ أَى يَرْشُدُهُمْ إِلَى نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى «٢»، صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا أَى جَادَةً مُسْتَقِيمَةً، فَهَمَّ يَصِلُونَ إِلَى الْحَقَائِقِ وَ السَّعَادَةِ فِي صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، حَيْثُ أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا الدَّعْوَةَ وَ لَبَّوْا الدَّاعِيَ. وَ مَفْهُومُ الْآيَةِ: أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ اعْتَصَمُوا بِسِوَاهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا وَ يَضِلُّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا. وَ مَا فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ مِنْ تَفْسِيرِ «النُّورِ» بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ أَظْهَرَ الْمَصَادِقِ، كَمَا قَدْ تَكَرَّرَ بَيَانُهُ.

[١٧٧]

فِي حَدِيثِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ كَانَ مَرِيضًا فَعَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَسَأَلَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قَائِلًا: إِنْ لِي كَلَالَةٌ - أَى أَخْوَاتٌ - فَكَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي بِالنِّسْبَةِ إِلَى مِيرَاثِهِنَّ؟ فَتَلَّتِ الْآيَةَ «٣» يَسْتَفْتُونَكَ أَى يَطْلُبُونَ مِنْكَ الْفَتْوَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَ لِهَذِهِ الْآيَةِ رُبَطٌ بِمَا سَبَقَ فِي حُكْمِ

(١) النور: ٣٦.

(٢) محمد: ١٨.

(٣) راجع كتاب فقه القرآن: ج ٢ ص ٣٣٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩٣

الْكَلَالَةِ وَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً «١»، قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ أَى يُبَيِّنُ لَكُمْ الْحُكْمَ فِي مَسْأَلَةِ الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ أَى مَاتَ، وَ لَيْسَ مَعْنَى «الهِلَاكَةِ» مَا يَتَبَادَرُ غَالِبًا مِنْ كَوْنِهِ هَلَاكًا سَيِّئًا بَلْ مُطْلَقًا، كَمَا قَالَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى إِذَا هَلَكَ «٢»، لَيْسَ لَهُ وَ لِمَدٍّ وَ لَا أَبْوَانٌ حَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ مِنْ فِي الطَّبَقَةِ الْأُولَى كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ النَّصُّ وَ الْإِجْمَاعُ وَ لَهُ أُخْتُ وَاحِدَةٌ فَلَهَا نِصْفٌ مَا تَرَكَ فَرَضًا، وَ النِّصْفُ الْآخِرُ رَدًّا وَ هُوَ يَرِثُهَا أَى الْأَخُ يَرِثُ الْأُخْتِ، لَوْ كَانَتِ الْأُخْتُ مَيْتَةً وَ الْأَخُ حَيًّا يَرِثُ جَمِيعَ أَمْوَالِهَا فَرَضًا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَ لَدٌّ وَ لَا وَالِدَانِ، وَ هَذَا مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الزَّوْجَيْنِ، وَ إِلاَّ فَهُمَا يَرِثَانِ نَصِيْبَهُمَا الْأَعْلَى وَ الْبَاقِي لِلْكَلَالَةِ.

فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ أَى كَانَ لِلرَّجُلِ الْمَيْتِ أُخْتَانِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ فَرَضًا وَ الثُّلُثُ الْآخِرُ قَرَابَةً وَ إِنْ كَانُوا أَى الْكَلَالَةُ الَّتِي تَرِثُ الْمَيْتَ إِخْوَةً أَى جَمَاعَةً أَكْثَرَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ رِجَالًا وَ نِسَاءً بَعْضُهُمْ أَخْوَانٌ وَ بَعْضُهُمْ أَخْوَاتٌ فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ لِكُلِّ أَنْثَى سَهْمٌ وَاحِدٌ وَ لِكُلِّ ذَكَرٍ سَهْمَانِ اثْنَانِ، وَ هَذَا كُلُّهُ فِي الْأَخْوَةِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ

(١) النساء: ١٣.

(٢) غافر: ٣٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩٤

أو من جانب الأب، أما الأخوة من جانب الأم فقد سبق حكمهم في أول السورة يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْأَحْكَامَ أَنْ تَصِلُوا أَي لثلاثاً تَصِلُوا، أو كراهة أن تَصِلُوا. بمعنى: تخطئوا الحكم في مسألة الكلاله وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فيعلم الصالح والفاقد ولذا يكون أمره ونهيه و تقديره عن حكمه و صلاح.

قال في «المجمع»: وقد تضمنت الآية التي أنزلها الله في أول هذه السورة بيان ميراث الولد والوالد، والآية التي بعدها بيان ميراث الأزواج والزوجات والأخوة والأخوات من قبل الأم، وتضمنت هذه الآية التي ختم بها السورة بيان ميراث الأخوة والأخوات من الأب والأم، والأخوة والأخوات من قبل الأب عند عدم الأخوة والأخوات من الأب والأم. وتضمن قوله سبحانه: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ «١»، أن تدانى القربى سبب في استحقاق الميراث فمن كان أقرب رحماً وأدنى قرابة كان أولى بالميراث من الأبعد، والله العالم «٢».

(١) الأنفال: ٧٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٥٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩٥

## ٥ سورة المائدة مدنية - آياتها ١٢١

سميت السورة بالمائدة لاشتغالها على كلمة «المائدة»، وحيث ختمت السورة المتقدمة ببيان الحكم بين الميت والحي، تبتدى هذه السورة ببيان الحكم بين الأحياء، فقال سبحانه:

[سورة المائدة (٥): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١)

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وقد كان لتكرار البسملة أول كل سورة تعليماً للناس أنهم إذا أرادوا أن يتبدوا بعمل أن يقولوا هذه الجملة المباركة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩٦

[٢] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا سَبَقَ أَنْ الْأَحْكَامَ عَامَةً، وَإِنَّمَا يَخَاطَبُ الْمُؤْمِنُونَ بِهَا لِكُونِهِمُ الْمُسْتَفِيدِينَ مِنْهَا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ «الجمع المحلَّى بأل» يفيد العموم، أي كل العقود و«عقود» جمع عقد، وهو كل التزام وmithاق بين جانبيين، فتشمل عقود الناس بعضهم مع بعض والمعاهدات الدولية والمواثيق التي بين الله وبين خلقه، وحيث كانت المواثيق بين الله والخلق أولى العهود بالوفاء، ابتداءً بها بقوله سبحانه: أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ فَإِنَّ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَسَائِرَ الْأَحْكَامِ عَقُودَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْخَلْقِ، أَنْ يَعْمَلَ الْخَلْقُ بِالْأَوْامِرِ وَيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ عَوْضَ ذَلِكَ الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: فَاسْتَبَشِّرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ «١»، وَبِالْبَهِيمَةِ مِنَ «الْبِهَامِ» يَرَادُ بِهَا كُلُّ دَابَّةٍ، وَالْأَنْعَامُ هِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَمَا أَشْبَهَهَا كَالظَّبْأِ وَالْيَحْمُورِ، وَسَمِيَتْ بِهَيْمَةٍ لِأَنَّهَا لَا تَمَيِّزُ، وَالْأَنْعَامُ مِنَ «النَّعْمِ» لِأَنَّهَا مِنْ نَعْمِ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ، وَالْمُرَادُ بِ«الْحَلِيَّةِ» الْحَلِيَّةُ ذَبْحًا وَأَكْلًا وَانْتِفَاعًا.

إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ أَي يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ مِمَّا هُوَ مُحْرَمٌ وَهُوَ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ «٢»، غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَ

أَنْتُمْ حُرْمٌ حَالٍ مِنْ «أَحَلَّتْ» أَيْ أَنْ التَّحْلِيلَ فِي حَالِ كَوْنِكُمْ لَا تَحْلُونَ الصَّيْدَ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ، وَ هَذَا الْحَالُ اسْتِثْنَاءٌ يَأْتِي بِهَذِهِ الصُّورَةَ كَمَا تَقُولُ: «يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي أَمْوَالِي فِي حَالِ

(١) التوبة: ١١١.

(٢) المائدة: ٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩٧

[سورة المائدة (٥): آية ٢]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَنْ صَبَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)

كونك لا يجوز لك التصرف في النفائس منها» تريد أن الجواز في غيرها إنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ من تحليل و تحريم و سائر الأحكام مما يراه صلاحا.

[٣] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ الشّعائر جمع شعيرة، و هي الأمر المرتبط بشيء كأنه من علائمه و مزياه، فشعائر الحج: الأمور المرتبطة بالحج، و شعائر الله الأمور المرتبطة بالله، و لعل اشتقاقها من «الشعر» بمعنى ما ينبت من الإنسان، كأن الشعيرة تلازم الشيء تلازم الشعر، أو تلازم الشعار- الذي هو الثوب الذي على الجسد مقابل الدثار الذي هو الثوب الفوقاني- لبدن الإنسان. و الشعائر في الآية- لكونها مطلقة- تشمل كل شيء كان أو أصبح من الأمور المرتبطة بالله مما لم ينه عنه، فمعالم الحج من الشعائر، كما أن تشييد القباب على أضرحة الأئمة الطاهرين من الشعائر. و المراد من عدم إحلال الشعائر: خرق حرمان الله.

و

قد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال «نزلت هذه الآية في رجل من بني ربيعة يقال له الحطم، و قيل أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله و سلم و سأله عن معالم الإيمان، ثم أخبر النبي صلى الله عليه وآله و سلم بأنه دخل بوجه كافر و خرج بعقب غادر، و لما وصل إلى سرح ساقه معه بها و أقبل في القابل حاجا قد قلد هديا، فلما قصد الرسول صلى الله عليه وآله و سلم معاقبته نزلت الآية» [١] يريد بذلك «آمين البيت الحرام».

(١) البحار: ج ١٩ ص ١٤٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩٨

وَلَا تَحِلُّوا الشَّهْرَ الْحَرَامَ بَأَنْ تَقَاتَلُوا فِيهِ، وَ الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ هِيَ: رَجَبٌ وَ ذُو الْقَعْدَةِ وَ ذُو الْحِجَّةِ وَ الْمَحْرَمُ وَ لَا تَحِلُّوا الْهَدْيَ وَ هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَهْدِيهِ الْحَاجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ لِلذَّبْحِ مِنْ إِبِلٍ أَوْ بَقَرٍ أَوْ غَنَمٍ، وَ الْمَرَادُ: لَا تَحْوِلُوا دُونَ بُلُوغِ ذَلِكَ إِلَى مَحَلِّهِ وَ لَا تَحْوِلُوا الْقَلَائِدَ وَ هِيَ جَمْعُ قَلَادَةٍ، مَا يَقْلُدُ بِهِ الْهَدْيَ مِنَ الْإِبِلِ، وَ هُوَ أَنْ يَقْلُدَ فِي عُنُقِهَا شَيْءً لِيَعْلَمَ أَنَّهُ هَدْيٌ لَا يَجُوزُ تَحْلِيلُهَا إِذْ بَعْدَ تَقْلِيدِهَا تَكُونُ لِلَّهِ وَ لَا يَجُوزُ الرَّجُوعُ فِيهَا وَ لَا تَحْوِلُوا حَالِ كَوْنِكُمْ آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ جَمْعُ «آمٍ» عَلَى وَزْنِ «مَادٍ» مِنْ «آمٍ» بِمَعْنَى قَصْدِ أَيْ لَا تَتَعَرَّضُوا لِمَنْ قَصَدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ لِأَدَاءِ الْحَجِّ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَانًا أَيْ يَطْلُبُونَ بِقَصْدِهِمُ الْحَجَّ الْفَضْلَ- أَيْ الزِّيَادَةَ فِي الثَّوَابِ أَوْ الْمَالِ أَوْ غَيْرِهِمَا- مِنَ اللَّهِ وَ رِضَاهُ مُقَابِلُ مَنْ قَصَدَ الْحَجَّ لِلْإِفْسَادِ فَإِنْ صَدَّ جَائِزٌ.

وَ إِذَا حَلَلْتُمْ عَنِ الْإِحْرَامِ فَاصْطَادُوا الصَّيْدَ الَّذِي حَرَّمَهُ الْإِحْرَامُ، وَ الْأَمْرُ هُنَا لِلْجَوَازِ لِأَنَّهُ فِي مَقَامِ تَوْهَمِ الْحَضَرِ، وَ هَذَا دَفْعٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ



قوله سبحانه: «غَيْرَ مُحْلَى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ» فقد كان السياق لبيان المحرمات، و لذا أتت الآية الثانية لبيان سائر المحرمات مما أشير إلى بعضها في الآية الأولى و هو «غَيْرَ مُحْلَى الصَّيْدِ».

ثم إنه لما أنهى سبحانه عن تحليل تلك الحرمات، بين أن هذه الحرمات لا فرق فيها بين من اعتدى عليكم و بين من لم يعتد عليكم، تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩٩

[سورة المائدة (٥): آية ٣]

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْحَنِقَةُ وَ الْمُوقُودَةُ وَ الْمُتَرَدِّدَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ مَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصْبِ وَ أَنْ تَشْتَقِيَهُمُ بِالْأَنْزَامِ ذَلِكُمْ فَسِيقُ الْيَوْمِ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)

بقوله: «و لا- يجزئكم أى لا- يحملنكم من «جرمنى فلان على أن صنعت كذا» أى حملنى شئنا أى بغضاء و عداوة قوم لكم ب أن صدوكم عن المسجد الحرام أى منعوكم عنه كما فى عام الحديبية.

أن تعتدوا عليهم بتحليل المحرمات المذكورة بالنسبة إليهم و تعاوتوا أيها المسلمون على البر أى الخير واجبا كان أو غير واجب و التَّقْوَى و هو اجتناب المحرمات، بأن يعين بعضكم بعضا فى الأعمال الخيرية و ترك الآثام و لا تعاوتوا أيها المسلمون على الإثم فإذا أراد أحد منكم أن يعمل إثما فلا تعينوه و العُيُودَانِ أى الظلم و التعدى، و هذا مرتبط بقوله: «أن تعتدوا» فقد جرت العادة أن يتعاون الناس على الإثم و الظلم، و لذا نهى الله المسلمين عنه و اتَّقُوا اللَّهَ اجتنبوا مخالفته و عصيانه إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لمن خالفه و عصاه.

[٤] و فى سياق المحرمات المرتبطة بالحج- غالبا- ذكر سبحانه قسما آخر من المحرمات و هو ما استثناه سبحانه فى الآية السابقة بقوله: «إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ» فقال: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أيها المسلمون المَيْتَةُ و هى التى لم تمت بسبب شرعى من ذبح و نحر و غيره، و ذلك مختلف فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ٦٤٩

الأنعام مثلا تحتاج التذكية إلى فرى الأوداج و سائر الشرائط، و فى الصيد رميه، و فى السمك موته خارج الماء، و هكذا.. و المراد بالتحريم: أكلها، فإن التحريم الشرعى يراد منه: بحسب الأمر المتوقع منه، فتحريم الحرير يراد به لبسه، و تحريم الأم يراد به اقترابها، و تحريم المسكن يراد به سكنه و الدَّمُ و هو ما بينه سبحانه فى آية أخرى بقوله: دَمًا مَسْفُوحًا «١»، أما المقدار المتبقى فى اللحم فلا حرمة فيه و لَحْمُ الْخِنْزِيرِ و خصص بالذكر مع كثرة تحريم اللحوم لاعتياد الناس أكله و ظنهم طيبه.

ثم لا يخفى أن المحرمات تنقسم إلى قسمين: قسم لما فيه من الإضرار.

أما ما يذكره بعض الناس- الآن من العلم الحديث- من إمكان التخلص من أضرار لحم الخنزير بالتعقيم، فليس بمحرم إذا عقم. فالجواب عنه: أنه أى دليل لعدم وجود أضرار أخرى فيه بعد التعقيم لم يكشف عنها العلم إلى الآن، كما لم يهتد العلم طيلة أربعة عشر قرنا لهذا الضرر الذى اكتشف الآن.

و قسم حرم لجهة معنوية، كالذى لم يسم عليه اسم الله سبحانه، و هذا لا يتوقف تحريمه على الضرر الجسدى بل يحرم لانحرافه عن الميزان المستقيم.

وَ مَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ الْإِهْلَالِ بِالشَّيْءِ الْإِبْتِدَاءِ بِهِ بِهْ أَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠١

الذبيحة التي ذكر اسم غير الله عليها عند الذبح - كما تقدم في سورة البقرة «١» وَ الْمُنْحَنَفَةُ وَ هِيَ مَا خَنَقَتْ بِأَى نَحْوِ كَانَ وَ الْمَوْقُودَةُ الْوَقْدُ هُوَ الضَّرْبُ، أَى التَّى ضَرَبْتَ حَتَّى مَاتَ وَ الْمُتَرَدِّئَةُ التَّرْدَى:

الوقوع من مكان عال، و المراد بها: التي وقعت من مكان عال فماتت، و قد كان أهل الجاهلية يقتلون الحيوان بهذه الكيفيات وَ التَّطْيِخَةُ وَ هِيَ التَّى يَنْطَحُهَا غَيْرَهَا فَتَمُوتُ وَ مَا أَكَلَ السَّبْعُ فَرِيَسَهُ السَّبْعِ: وَ هِيَ التَّى أَكَلَ الْحَيَوَانَ الْمَفْتَرَسَ بَعْضُهَا وَ أَبْقَى بَعْضًا، فَإِنَّهُ يَحْرَمُ أَكْلَ الْبَاقِي إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ التَّذْكِيَةَ لَغَةُ هِيَ «تَمَامُ الشَّيْءِ» وَ الْمَرَادُ بِهَا هُنَا: تَحْلِيلُ الْحَيَوَانَ بِإِجْرَاءِ السِّنَنِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَيْهِ مِنْ كَوْنِ الذَّابِحِ مُسْلِمًا، وَ التَّوْجُّهُ إِلَى الْقِبْلَةِ بِالذَّبِيحَةِ، وَ كَوْنُ آلَةِ التَّذْكِيَةِ مِنْ حَدِيدٍ، وَ ذِكْرُ اللَّهِ حَالَةَ الذَّبْحِ، وَ فَرَى الْاَوْدَاجِ الْاَرْبَعَةَ، وَ الْمَرَادُ: الْاِسْتِثْنَاءُ مِنْ «مَا أَكَلَ السَّبْعُ» وَ إِنْ كَانَ الْحَكْمُ عَامًا أَى أَنَّهُ لَوْ أُدْرِكْتُمْ مَا أَكَلَهُ السَّبْعُ فَذَكَّيْتُمُوهُ فَهُوَ حَلَالٌ. وَ إِدْرَاكُهَا مَا

عن الباقرين عليهما السلام حيث قالوا: «إن أدنى ما يدرك به الذكاه أن تدركه يتحرك أذنه أو ذنبه أو تطرف عينه» (٢).

وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ جَمْعُ «نَصَابٍ» وَ هِيَ الْحِجَارَةُ التَّى كَانُوا يَعْبُدُونَهَا، أَى التَّى تَذْبَحُ بِاسْمِ الْاَوْتَانِ تَقَرُّبًا إِلَيْهَا

(١) البقرة: ١٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٢ ص ١٠٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠٢

وَ أَنْ تَشْتَقِبَسَ مُوَا بِالْاَزْلَامِ الْاِسْتِقْسَامَ طَلَبِ الْقِسْمَةِ، وَ الْاَزْلَامُ جَمْعُ «زَلَمٌ» وَ هُوَ الْقَدْحُ أَى السَّهَامُ، فَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَشْتَرُونَ جُزُورًا ثُمَّ يَكْتَبُونَ عَلَى سَهَامٍ عَشْرَةَ اَسْمَاءٍ خَاصَّةٍ، فَلِسَهْمٍ حَصَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَ لِسَهْمٍ حَصَّتَانِ، وَ هَكَذَا إِلَى سَبْعَةِ حَصَصٍ، وَ يَتْرَكُونَ ثَلَاثَةَ اَسْهَمٍ لَا حَصَّةَ لَهَا، ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ عَشْرَةَ اَشْخَاصٍ فَيَخْرُجُ سَهْمٌ بِاسْمِ شَخْصٍ وَ يُعْطَى بِمَقْدَارِ حَصَّةِ السَّهْمِ لِذَلِكَ الشَّخْصِ وَ هَكَذَا .. بَعْدَ مَا كَانُوا يُقْسِمُونَ الْجُدُورَ ثَمَانِيَةً وَ عَشْرِينَ قِسْمًا، أَمَا ثَمَنُ الْجُزُورِ فَقَدْ كَانَ عَلَى مَنْ يَخْرُجُ بِاسْمِ السَّهَامِ التَّى لَا حَصَّةَ لَهَا. وَ هَذَا نَوْعٌ مِنَ الْقَمَارِ فَحَرَمَهُ الْاِسْلَامُ.

ذَلِكُمْ أَى الْاِسْتِقْسَامَ بِالْاَزْلَامِ أَوْ جَمِيعَ مَا سَبَقَ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ، إِتْيَانَهَا فِشَقٍّ وَ الْفَسْقُ هُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ وَ ارْتِكَابُ الْمَعْصِيَةِ الْيَوْمَ يَسَّسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ قَالَ فِي «مَجْمَعِ الْبَيَانِ»: لَيْسَ يَرِيدُ يَوْمًا بَعِينَهُ، بَلْ مَعْنَاهُ: «الآن يئس الكافرون من دينكم» «١». وَ رَوَى الْقَمِي: إِنَّهُ يَوْمَ نَصَبِ الْاِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامِ «٢» وَ هَذَا هُوَ الْاَوْقُوقُ بِمَا تَوَاتَرَتْ بِهِ النُّصُوصُ وَ ذَكَرَهُ الْمَفْسُرُونَ مِنْ شَأْنِ نَزُولِ آيَةِ الْاِكْمَالِ، فَقَدْ كَانَ الْكُفَّارُ يَتْرَقِبُونَ أَنْ يَتْرَكَ الرَّسُولُ الْاَمْرَ سَدَى حَتَّى إِذَا قَبِضَ وَ لَمْ يَقْمَ لَهُ خَلْفٌ انْقَضُوا عَلَى الْاِسْلَامِ يَهْدُمُونَهُ، فَلَمَّا نَصَبَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ الْاِمَامَ يَسُّوْا مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ كَانُوا يَعْلَمُونَ كِفَايَةَ الْاِمَامِ وَ قَدْرَتَهُ الْعَظِيمَةَ، وَ لَذَا لَمَّا مَاتَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ عِلْمُ الْكُفَّارِ وَ الْمُنَافِقِينَ بِاِغْتِصَابِ الْخِلَافَةِ انْقَضُوا عَلَى الْاِسْلَامِ يَرِيدُونَ

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٧٣.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ١٦٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠٣

اقتلاع جذوره و قد علم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ذلك حين وصى الإمام بالصبر و إقامت حروب داخلية و خارجية تذهب بالاسلام.

و هنا يتساءل البعض: كيف أن الإمام لما نهض بالأمر نكثت طائفة و مرقت أخرى و قسط آخرون؟ و الجواب: أن الظروف التي تقدمت على نهضة الإمام غيرت معالم الإسلام، و لذا احتاج الإمام إلى إرساء قواعد الدين من جديد، و ذلك مما يوجب اضطرابا و اختلافا شأن الأنبياء حين يدعون أممهم إلى الخير، لكن الخطر الخارجى كان حين ذاك بعيدا حيث أن الكفار انكمشوا و قوى الإسلام- و لو الصورى منه- و الحروب الداخلى لم تكن تؤثر شيئا بالنسبة إلى انعكاس كفة الإسلام و الكفر، لتميل الكفة الثانية على حساب خفة الكفة الأولى.

فَلَا تَخْشَوْهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ كَمَا كُنْتُمْ تَخْشَوْنَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَأَخْشَوْنَ فِي أَنْ تَرْتَكِبُوا الْعِصْيَانَ وَ تَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ وَ الرِّسَالَ. الْيَوْمَ أَيُّ يَوْمِ الْغَدِيرِ أَكْمَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ بِنَصْبِ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ خَلِيفَةً مِنْ بَعْدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ أَتَمَّمْتُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي فَإِنَّ نِعْمَةَ الْإِسْلَامِ دُونَ نِعْمَةِ الْإِيمَانِ بِالْوَلَايَةِ نَاقِصَةٌ وَ رَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَإِنَّ الْإِسْلَامَ ذُو دَرَجَاتٍ، وَ الْيَوْمَ رَقِيتُمْ الدَّرَجَةَ الْقُصْوَى فَرَضَى اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِالْحَالِ الَّتِي وَ صَلُّوا إِلَيْهَا، وَ «الرَّضَى» هُنَا لَيْسَ فِي مَقَابِلِ السَّخَطِ بَلْ فِي مَقَابِلِ النِّقْصِ الْأَثْرَى، كَمَا أَنَّ مَنْ يَرِيدُ بِنَاءَ دَارٍ إِذَا بَلَغَ مُنْتَصَفَهَا يَقُولُ: لَمْ أَرْضَ بَعْدَ، أَيُّ لَمْ يَكْمَلْ رِضَايَ، وَ إِنَّمَا يَقُولُ: رَضِيَتْ الْآنَ، إِذَا تَمَّ بِنَاءُ الدَّارِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠٤

[سورة المائدة (٥): آية ٤]

يَسِئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تَعَلَّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)

و قد كان ذلك عند نصب الرسول للإمام أمير المؤمنين خليفته الرسمى بعد منصرفه من حجة الوداع بمحضر مائة و عشرين ألف من الأصحاب من الرجال و النساء،

فصعد المنبر و خطب خطبة طويلة ثم قال: «من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله» «١» و هو آخذ بكف على.

و نزل عن المنبر و أمر المسلمين أن يسلموا عليه بإمرة المؤمنين، و بقوا هناك ثلاثة أيام حتى تمت البيعة ثم قفلوا راجعين إلى المدينة.

فَمَنْ اضْطُرَّ إِلَى أَكْلِ الْمَحْرَمَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي مَحْمَصَةٍ وَ هِيَ «الْقَحْطُ» يُسْمَى بِذَلِكَ لِإِجَابَةِ خِمَصِ الْبَطُونِ جَوْعًا غَيْرَ مُتَّجَانِفٍ أَيُّ فِي حَالِ كَوْنِ الْمُضْطَرِّ لَمْ يَمَلْ لِإِثْمٍ فَإِنَّ «الْجَنْفَ» بِمَعْنَى الْمِيلِ، فَلَا يَفْرُطُ فِي الْأَكْلِ، كَأَنَّ يَكُونُ مُحْتَاجًا إِلَى شَرْبِ نِصْفِ رَطْلِ مِنَ الْخَمْرِ - مَثَلًا - فَيَشْرَبُ رَطْلًا، وَ كَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَيْتَةِ وَ سَائِرِ الْمَحْرَمَاتِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يَسْتَرُ هَذِهِ السَّيِّئَةَ الذَّاتِيَّةَ بِمَعْنَى عَدَمِ الْعِقَابِ عَلَيْهَا رَحِيمٌ يَرْحَمُ النَّاسَ فَلَا يُجْبِرُهُمْ عَلَى التَّرْكِ حَتَّى عِنْدَ أَشَدِّ الضَّرُورَاتِ.

[٥] و بعد بيان قسم من المحرمات، يأتي السياق لبيان قسم من المحللات لتتبادل الكفتان، و قد ورد في سبب نزول هذه الآية: أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أمر بقتل الكلاب «٢»، فسنل عن الاستثناء، فنزلت الآية تحلل ما يصطاده

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٩٥.

(٢) فقه القرآن: ج ٢ ص ٢٤٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠٥

الكلاب المعلمة و التي فيها نفع، و نهت عن إمساك ما لا نفع فيه و أمرت بقتل الكلب العقور و ما يضر و يؤذى يَسِئَلُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ بِقَرِينَةِ السِّيَاقِ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ الطَّيِّبُ هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي لَا خَبْثَ فِيهِ مِمَّا لَا يَنْفِرُ

منه الطبع، و إذن الشارع فى بعض المأكولات دون بعض لهذا الميزان، و إن لم يعرف العرف أن هذا طيب و هذا خبيث، فما أباحه الشارع فهو طيب و إن ظنّه العرف خبيثا، و ما حرمه الشارع فهو خبيث و إن ظنّه العرف طيبا.

وَ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ وَ حَذَفَ الْمِضْفَأَ أَيْ «صَيْد» لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: «مِمَّا أَمْسَيْتُمْ كُنَّ عَلَيْكُمْ»، وَ «الْجَوَارِحُ» جَمْعُ جَارِحَةٍ، سُمِّيَ بِذَلِكَ الْكَلْبُ وَ سَائِرُ السَّبَاعِ لِأَنَّهَا تَجْرَحُ الصَّيْدَ، ثُمَّ خَصَّصَ سَبْحَانَهُ عَمُومَ الْجَوَارِحِ بِقَوْلِهِ: مُكَلِّبِينَ أَيْ فِى حَالِ كَوْنِكُمْ أَصْحَابَ كِلَابٍ مَعْلَمَةٍ، يُقَالُ: «كَلَّبَ الْكَلْبُ» إِذَا عَلَّمَهُ الصَّيْدَ تُعَلَّمُونَهُنَّ أَيْ الْكِلَابُ الْجَارِحَةُ.

مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَكُمْ تَعْلِيمَهُنَّ، وَ لَعَلَّ الْإِنْيَانَ بِضَمِيرِ «هَنْ» الَّذِى هُوَ لِلْمُؤْنِثِ الْعَاقِلِ لِانْسِجَامِ سِيَاقِ التَّعْلِيمِ وَ التَّعَلُّمِ مَعَ ذَلِكَ، وَ إِلاَ فَالْقَاعِدَةُ «تَعْلَمُوهَا» كَمَا أَنَّ فَائِدَةَ «مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ» لِإِيقَاطِ الضَّمِيرِ وَ تَوْجِيهِهِ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ يَرْبِطُ الْأَحْكَامَ وَ الْقِصَصَ بِذَلِكَ الرِّبَاطِ الْعَامِ وَ هُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَ سَوْقِ النَّفْسِ إِلَيْهِ فِى كُلِّ مَقَامٍ وَ مَنَاسِبَةٍ فَكُلُّوْا أَيُّهَا الصَّائِدُونَ مِمَّا أَمْسَكْنَ أَيْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠٦

حَفِظْنَ وَ اصْطَدْنَ تِلْكَ الْكِلَابِ عَلَيْكُمْ أَيْ لِأَجْلِكُمْ لِأَنَّفْسَهُنَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَيْ عَلَى «مَا أَمْسَكْنَ» حِينَ إِرسَالِ الْكَلْبِ. وَ لَا يَخْفَى أَنَّ بِهَذَا الْقَيْدِ أَيْ «مُكَلِّبِينَ» خَرَجَ صَيْدُ سَائِرِ الْجَوَارِحِ إِذَا لَمْ يَدْرِكِ الْإِنْسَانَ ذَكَاتِهِ.

رَوَى الْحَضْرَمِىُّ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ صَيْدِ الْبِزَاةِ وَ الصَّقُورِ وَ الْفُهُودِ وَ الْكِلَابِ؟ فَقَالَ: «لَا تَأْكُلْ إِلاَ مَا ذَكَيْتَ إِلاَ الْكِلَابِ». فَقُلْتُ: فَإِنَّ قَتْلَهُ؟ قَالَ: «كَلِّ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: وَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلَّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُّوا مِمَّا أَمْسَيْتُمْ كُنَّ عَلَيْكُمْ وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ» ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُلُّ شَيْءٍ مِنَ السَّبَاعِ تَمْسِكُ الصَّيْدَ عَلَى نَفْسِهَا إِلاَ الْكِلَابُ الْمَعْلَمَةُ فَإِنَّهَا تَمْسِكُ عَلَى صَاحِبِهَا»

«١» وَ إِنَّمَا تَعْدَى الْإِمْسَاكُ بِ «عَلَى» لِإِفَادَةِ الْإِمْسَاكِ ثَقَلًا وَ مَشَقَّةً، أَوْ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى «الرَّدِّ» فَالْكَلْبُ يَرُدُّ بَعْضَ الْحَيْوَانِ لِصَاحِبِهِ وَ قَدْ أَكَلَ بَعْضَهُ، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ «٢».

وَ اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ وَ نَهَاكُمْ فَلاَ تَتَنَاولُوا مَا حَرَمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ وَ إِذَا ظَنَّ طَوْلَ الْمُدَّةِ فِى الدُّنْيَا وَ أَنَّهُ بَعِيدُ جِزَاؤِهِ، لَكِنْ لَا تَمُضْ إِلاَ مُدَّةَ سِيرِهِ وَ إِذَا بِهِ يَرَى نَفْسَهُ أَمَامَ الْحِسَابِ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام «فكانهم لم يكونوا للدنيا عمارا و كأن الآخرة لم تنزل لهم دارا» «٣».

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٣ ص ٣٣٣.

(٢) الأحزاب: ٣٨.

(٣) نهج البلاغة: خطبة ١٨٦ ص ٣٨٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠٧

[سورة المائدة (٥): آية ٥]

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ وَ طَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصَنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَ لَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)

[٦] اليوم الذى تم فيه بيان كل الأحكام، و نوجز المحللات فنقول:

أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ هَذَا عَامٌ يَشْمَلُ الطَّيْبَ مِنَ الْمَأْكَلِ وَ الْمَنَاحِكِ وَ الْمَسَاكِنِ وَ الْمَلَابِسِ وَ غَيْرِهَا بِقَرِينَتِهِ «وَ الْمُحْصَنَاتُ» بِخِلَافِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ الَّتِى كَانَتْ خَاصَّةً بِالْمَأْكَلِ بِحَكْمِ السِّيَاقِ، وَ هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى كَوْنِ الْأَصْلِ فِى كُلِّ الْأَشْيَاءِ الْحَلِّ إِلاَ مَا خَبِثَ، وَ مِنْ الْمَعْلُومِ

أن الخبث لا يميز إلا بالشرع أو بالعقل نادرا وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَى الَّذِينَ أُرْسِلَ لَهُمُ الْكِتَابُ السَّمَاوِي كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ حَلٌّ لَكُمْ وَالطَّعَامُ إِذَا كَانَ مِنَ الْحَبِيبِ، كَمَا هُوَ الْمَرْبُوعُ وَالْمَتَعَارِفُ إِلَى الْيَوْمِ، فَإِنَّ كَلِمَةَ «بَاعَةُ الْأَطْعَمَةِ» أَوْ مَا أَشْبَهَهَا تَنْصَرَفُ إِلَى بَاعَةِ الْحَبِيبِ، أَوْ الْمَرْبُوعِ بِهَذَا الْمَعْنَى، أَوْ الْمَرْبُوعِ بِهَذَا الْمَعْنَى، وَقَدْ اسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ الذَّبَائِحُ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: وَمَا أَهْلٌ بِهِ لَعَيْرِ اللَّهِ «١»، وَالْحَقُّ بِهِ غَيْرُهُ إِجْمَاعًا، كَمَا اسْتَشْنَى مَا لَامَسَهُ الْكِتَابِيُّ بِرَطُوبَتِهِ لِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ «٢»، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى حُكْمُ بِنَجَاسَةِ الْمُشْرِكِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ «٣»، وَتَفْصِيلُ الْبَحْثِ فِي الْفِقْهِ «٤».

وَهَذَا سُؤَالٌ يَفْرَضُ نَفْسَهُ وَهُوَ: مَا الْفَائِدَةُ مِنْ هَذَا التَّنْصِيصِ وَالْحَالُ أَنَّ طَعَامَ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَلٌّ أَيْضًا؟ وَالْجَوَابُ: إِنَّهُ مِنْ بَابِ الْمُرَادِ وَالْقَيْدِ الْغَالِبِ لِابْتِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِهِ غَالِبًا، كَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ طَعَامَ الْمُسْلِمِ حَلٌّ حَتَّى

(١) البقرة: ١٧٤.

(٢) الأعراف: ١٩١.

(٣) التوبة: ٢٨.

(٤) موسوعة الفقه: ج ٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠٨

لِلْمُشْرِكِ الْوَثْنِيِّ، ثُمَّ لَوْ قُلْنَا: إِنَّ الْجُمْلَةَ عَامَةً لِكُلِّ طَعَامٍ، فَهَلْ مَعْنَى حَلِيَّةِ طَعَامِنَا لَهُمُ الْحَلِيَّةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا أَى أَنَّ طَعَامَهُمْ حَلٌّ لَنَا، أَوْ الْحَلِيَّةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ أَى يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَطْعَمُوهُ؟ الظاهر الثاني، وَإِنْ كَانَ لَا يَبْعَدُ الْأَوَّلُ لِأَنَّ قَاعِدَةَ «الْمُزْمَعُ بِمَا التَّزَمُوا بِهِ» تَقْتَضِي كَوْنَ الْحَرَامِ عِنْدَهُمْ مِنْ أَطْعَمَتِنَا كَذَّبَائِحِنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْيَهُودِ مِثْلًا، لَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَطْعَمُوهُ. وَفِي الْكَلَامِ مَنَاقِشَةٌ.

وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْمُحْضَيْنَاتُ أَى الْعَفِيفَاتِ اللَّائِي أَحْصَنَ أَنْفُسَهُنَّ عَنِ الْحَرَامِ مِنَ النِّسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ بِأَنَّ تَنَكُّحَهُنَّ، أَمَا الزَّانِيَاتُ غَيْرَ الْعَفِيفَاتِ فَالْمَشْهُورِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ جَوَازُ نِكَاحِنَ بِالسِّنَّةِ، وَلَا مَفْهُومٌ لِلآيَةِ حَتَّى يَمْنَعُ عَنْ ذَلِكَ، لَمَّا ثَبَتَ فِي الْأَصُولِ مِنْ عَدَمِ حُجِّيَّةِ مَفْهُومِ اللَّقْبِ وَإِنَّمَا خَصَّصْنَا لِأَنَّهُنَّ مِنَ «الطَّيِّبَاتِ».

وَالْمُحْضَيْنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَى أَعْطُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسُ - وَالْمَجُوسُ أَهْلُ كِتَابٍ عَلَى الْأَصْحَحِ - وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي جَوَازِ نِكَاحِنَ نِكَاحًا دَائِمًا بَعْدَ كَوْنِ الْمَشْهُورِ جَوَازَ نِكَاحِنَ مُنْقَطِعًا، وَلَوْ قُلْنَا بَعْدَ جَوَازِ الدَّائِمِ فَهُوَ تَخْصِيصٌ بِالسِّنَّةِ، وَقَدْ ثَبَتَ جَوَازُ تَخْصِيصِ الْكِتَابِ بِالسِّنَّةِ الْوَارِدَةِ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ أَى أُعْطِيْتُمُوهُنَّ مَهْرَهُنَّ، وَلَيْسَ مَعْنَى «الإعطاء» الإِعْطَاءُ الْفَعْلِيُّ بَلْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَلَا مَفْهُومٌ لِلآيَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحُكْمِ الْوَضْعِيِّ حَتَّى يَكُونَ: «مَنْ لَا يَرِيدُ

الإعطاء إطلاقًا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠٩

وَلَمْ يَعْطَ تَحْرِمَ عَلَيْهِ الْمَرْأَةَ الْمَرْبُوعَةَ» بَلِ الْمُرَادُ: الْحُكْمُ التَّكْلِيفِيُّ، أَى أَنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ لَا يَجُوزُ وَهَذَا تَحْرِيطٌ لِلإِعْطَاءِ. فِي حَالِ كَوْنِهِمْ مُحْضَيْنَاتٍ بِالْمُسْلِمَةِ أَوْ الْكُتَابِيَّةِ، بِأَنَّ كَانَ اقْتِرَابَكُمْ مِنْهُنَّ بِالْإِحْصَانِ وَالنِّكَاحِ غَيْرَ مُسَافِحِينَ تَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِ «مُحْصِنِينَ» وَالسَّفَاحُ هُوَ الزَّانَا وَلَا مُتَّحِدِي أَخْدَانِ الْخَدْنِ هُوَ الصَّدِيقُ، وَهُوَ أَنْ يَنْفَرِدَ الرَّجُلُ بِالْمَرْأَةِ يَزْنِي بِهَا دَائِمًا فَهِيَ وَهُوَ خَدْنَانُ، أَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُسْلِمَةِ وَالْكُتَابِيَّةِ ذَلِكَ كَمَا لَا يَجُوزُ الْعَكْسُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ شَبَهُ هَذَا فِي سُورَةِ النِّسَاءِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ جُمْلَةٌ: أَنَّ مَقَارِبَةَ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ الْعَفِيفَةِ وَالْكُتَابِيَّةِ الْعَفِيفَةِ يَجُوزُ لَكُمْ وَيَطِيبُ، وَأَعْطُوا مَهْرَهُنَّ، لَكِنَّ اللَّازِمَ أَنْ يَكُونَ الْاقْتِرَابُ بِالنِّكَاحِ لَا بِالسَّفَاحِ أَوْ بِاتِّخَاذِنَ أَخْدَانًا كَمَا يَكْثُرُ الْأَمْرَانِ عِنْدَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ إِنْ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ وَالْمَحْلَلَاتِ كُلِّهَا مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ التَّمَسُّكُ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ تَعْبِيرٌ آخَرَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الطَّاعَةِ، وَلَعَلَّ الْإِتْيَانَ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ هُنَا لِإِفَادَةِ أَنَّ الْكُفْرَ - فِي بَابِ الْمَحْلَلَاتِ وَالْمَحْرَمَاتِ - لَيْسَ بِالْأَصُولِ وَإِنَّمَا

هو بالفروع، وقد تقدم في بعض الآيات أن الكفر قسمان: كفر بالأصول هو الموجب لخروج الإنسان عن كونه مسلماً، و كفر بالفروع، كما قال سبحانه: وَمَنْ كَفَرَ «١»، وَقَالَ وَلَيْسَ كَفَرْتُمْ «٢»، وهو الموجب لكون

(١) النور: ٥٦.

(٢) إبراهيم: ٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١٠

[سورة المائدة (٥): آية ٦]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)

الإنسان فاسقاً فقد حَبَطَ عَمَلُهُ معنى «الحبط» عدم استحقاق الثواب على العمل كما قال سبحانه: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ «١»، وَهُوَ الكافر بالإيمان فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ حَيْثُ اسْتَحَقُوا الْعِقَابَ حِينَ اسْتَحَقُّ سَائِرَ الْمُطِيعِينَ الثَّوَابِ.

[٧] و في سياق ذكر الطيبات و الملاذ الجسدية يأتي دور الطيبات و الملاذ الروحية التي من أكثرها طيباً و لذّة الصلاة بما لها من طهارة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ أَى أَرَدْتُمْ إِيَّاهَا فَان الْمَرِيدَ لشيء يقوم إليه ليأتي به، ألا ترى أن الناس يقعدون إلى أشغالهم فإذا أذن المؤذن قاموا إلى الصلاة ليأتوا بها فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ مِنْ قِصَاصِ الشَّعْرِ إِلَى الذَّقَنِ طَوَلًا، و ما اشتملت عليه الإبهام و الوسطى عرضاً، بالماء الطاهر المباح، غسلاً طبيعياً، من الأعلى إلى الأسفل و اغسلوا أَيْدِيَكُمْ و لما كان المنصرف من «اليد»: تمام اليد إلى الكتف، أخرجه بقوله: إِلَى الْمَرَافِقِ فَإِنَّ الْغَسْلَ يَسْتَثْنِي مِنْهُ غَسْلُ الْعِضْدِ وَ لَذَا لَا يَسْتَفَادُ مِنْ «إِلَى» هَذِهِ كَوْنَهَا غَايَةً لِلْغَسْلِ بَلِ الْمُسْتَفَادُ كَوْنَهَا غَايَةً لِلْمَغْسُولِ، فَإِنَّكَ لَوْ قَلْتَ لِمَصَابٍ بِالْمَرَضِ: أَدَهْنُ رِجْلَكَ إِلَى الرِّكْبَةِ.

لم يستفد عرفاً منه لزوم كون التدهين من الإصبع إلى الركبة بل استفيد كون الفخذ خارجاً عن التدهين، و على هذا فاللازم الابتداء من الأعلى لأنه الغسل الطبيعي الذي وردت به السنة و امسحوا بِرُءُوسِكُمْ

(١) المائدة: ٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١١

«الباء» للتبويض أى: بعض رؤوسكم، و هو الربع المقدم من الرأس من المرفق إلى قِصَاصِ الشَّعْرِ وَ امسحوا بِرُءُوسِكُمْ و المراد بهما ظهرهما إِلَى الْكَعْبَيْنِ و هما قِبتا القدمين، و إنما قرء بالنصب مع أنه معطوف على المجرور باعتبار المحل، و قد كان الترتيب المجزى قطعاً في باب الوضوء غسل الوجه ثم اليد اليمنى ثم اليسرى ثم مسح الرأس ثم الرجل اليمنى ثم اليسرى، و المسح ببقية بلل الوضوء.

وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا «الجنب» لفظ يقع على المفرد و المثنى و الجمع، و المذكر و المؤنث، بلفظ واحد، هو من «البعث»، كأن الإنسان إذا اعترته هذه الحالة يبتعد من النظافة، و حصول الجنابة بالإنزال أو الإدخال فَاطَّهَّرُوا مِنْ «تطهر» ثم أدغمت التاء في الطاء و جىء بهمزة الوصل لامتناع الابتداء بالساكن، و التطهير هو الاغتسال بالارتماس في الماء مرة واحدة، أو الترتيب بغسل الرأس و الرقبة ثم الجانب الأيمن ثم الجانب الأيسر وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى لَا تَتِمَّكُونَ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ لِلْوَضُوءِ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَى مَسَافِرِينَ - و قد سبق أن ذكر السفر لغلبة عدم وجود الماء فيه - أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ وَ «الغائط» هو المحل المنخفض من الأرض و سمي البراز به بعلاقته الحال و المحل و ذلك كناية عن الحدث أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ وَ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْجَمَاعِ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً هَذَا مُرْتَبِطٌ بِالسَّفَرِ وَ الْحَدِثِ وَ اللَّمَسِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١٢

فَتَيَمَّمُوا مَعْنَى الْآيَةِ بِالْجَمَلَةِ: إن مريد الصلاة يلزم عليه الوضوء و الغسل إن كان جنباً. و إن كان مريضاً يضره الماء أو مسافراً أو مجامعاً، و لم يجد الماء للغسل أو الوضوء فليتيتم و يبقى قوله: «أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ» فإنه ليس في مرتبة تلك الأمور، و لعل الإتيان به لمراعاة غلبة التخلي عند إرادة الصلاة.

و قد سبق أن التيمم مصدر باب التفعّل بمعنى القصد، أى اقصدوا صعيداً أى أرضاً طيباً ليس بنجس و لا مغصوب فامسحوا بوجوهكم الباء للتبعيض، أى بعض وجوهكم، و هو من قصاص الشعر إلى طرف الأنف الأعلى و أَيْدِيكُمْ من الزند إلى رؤوس الأصابع منه أى مبتدءاً بالمسح من ذلك الصعيد، فاللازم أن يضرب باليدين على الأرض ثم يمسح بها ليصدق «منه».

ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ مِنْ ضَيْقٍ فَأَمَرَ بِالْوَضُوءِ وَ الْغَسْلِ وَ التَّيَمُّمِ لَيْسَ لِأَجْلِ التَّضْيِيقِ عَلَيْكُمْ وَ لَكِنْ يُرِيدُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ يَنْظِفَكُمْ مِنَ الْأَدْرَانِ وَ الْأَوْسَاحِ الظَّاهِرِيَّةِ وَ الْبَاطِنِيَّةِ، أما تطهير الغسل و الوضوء من الأدران فظاهر، و أما تطهير التيمم فقد ثبت فى العلم الحديث أن التراب يقتل الجراثيم بمرتبة أضعف من مرتبة الماء و لَيْتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ بإرشادكم إلى مصالحكم كلها بعد ما أرشدكم إلى أكبر النعم و هو الإيمان لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إياه بما أنعم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١٣

[سورة المائدة (٥): الآيات ٧ الى ٨]

وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)

عليكم و أرشدكم إلى مصالحكم و ما يقربكم منه سبحانه.

[٨] و إذ أتم سبحانه نعمته عليكم ف اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ اذْكُرُوا مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ أى عهده الذى عاهدكم به من الإيمان و السمع و الطاعة، فقد أخذ سبحانه ميثاق الأمم على يد الأنبياء إذ قُلْتُمْ بعد ما آمنتتم: سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا فعليكم حسب المعاهدة السمع و الطاعة و على الله الإسعاد فى الدنيا و الآخرة، و الله سبحانه فعل ما عليه فعليكم أن تفعلوا ما عليكم وَ اتَّقُوا اللَّهَ فلا تخالفوا أوامره و نواهيه إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فى «ظلال القرآن» قال: و «ذات الصدور» أى صاحبة الصدور الملازمة لها اللاصقة بها، و هى كناية عن النيات المقيمة و الأسرار الدفينة و المشاعر التى لها صفة الملازمة للقلوب و الاستقرار فى الصدور و هى على خفائها هناك مكشوفة لعلم الله و الله بها عليم.

[٩] ثم يرجع السياق إلى لزوم الجادة و عدم الاعتداء - كما سبق - فى قوله:

وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ «١»، كما تجد مثل ذلك كثيرا فى القرآن الحكيم حيث يلفظ الجوب بذكر الصلاة و نحوها ثم يرجع إلى المطلب السابق بعد ما لطف الجوب و ربطه بالطابع الإلهى العام و أخرج الكلام عن كونه مملاً. ثم إن ما يأتى هو من الميثاق الذى واثق الله

(١) المائدة: ٣

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١٤

[سورة المائدة (٥): آية ٩]

وَ عَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٩)

عباده به يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ أى كثيرى القيام لأمر الله سبحانه و رضاه شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ أى بالعدل فى كل أمر من الأمور وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ أى لا يحملنكم شَنَا نُ قَوْمٍ أى: عداؤهم لكم على أَلَّا تَعْدِلُوا فى الحكم عليهم و عند مخالطتهم، فإن الإنسان إذا

عادي شخصاً لا يعدل بالنسبة إليه - غالباً - انتقاماً و شفاء لما في صدره من الضغينة عليه، و لذا كان من أسس الإسلام قول الحق في الرضى و الغضب اعدلوا هو أى العدل أقرب للتقوى و ليس المفهوم: أن الجور قريب إلى التقوى، فإن التفضيل فى مثل المقام ينسلخ عن معناه اللغوى و اتقوا الله باجتنب نواهيهِ و الإتيان بأوامره إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير و إن شراً فشر.

[١٠] وَعِدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا أَسْمَاءَ الَّذِينَ هُمْ يُغْفِرُونَ لَدُنْهُمْ وَأَنذَرُوا أَهْلَ بَيْتِهِمْ مِنَ الطَّاغُوتِ وَأَطَاعُوا اللَّهَ فَأَدْنَىٰ إِلَيْهِمْ عَدْلَ اللَّهِ لِمَتَّعَهُمُ اللَّهُ فِي مَا هُمْ فِيهَا مُتَّبِعُونَ ﴿١٠﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١﴾

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١٥

[سورة المائدة (٥): الآيات ١٠ الى ١١]

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ تُبْشِرُوكُم بِآيَاتِهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

[١١] وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمْ يُؤْمِنُوا إِيْمَانًا صَحِيحًا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بُرَاهِينًا وَأَدْلَتْنَا الَّتِي أَقْمَنَّا عَلَيْهَا عَلَى التَّوْحِيدِ وَ سائر الأصول أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ الَّذِينَ يَصْحَبُونَ النَّارَ وَيَخْلُدُونَ فِيهَا.

[١٢] ثم ذكر المؤمنين بنعمته من نعمه سبحانه و أنه كيف و فى لهم بميثاقه حيث أنقذهم من كيد أعدائهم يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ تُبْشِرُوكُم بِآيَاتِهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ وَ الْمَرَادُ بِ «بَسَطِ الْيَدِ» إِيْذَاؤُهُمْ وَ قَتْلَهُمْ وَ اسْتِئْصَالَهُمْ. قال القمى يعنى: أهل مكة من قبل فتحها، فكف أيديهم بالصلح يوم الحديبية (١). و قيل: إن المراد بذلك العموم، أى من أراد السوء بالمسلمين. و قيل: المراد بالقوم خصوص بنى النضير حيث أَرَادُوا قَتْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ فَجِئَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مِنْ كَيْدِهِمْ. و قيل غير ذلك فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ أى منعهم من الفتك بكم بل نصركم عليهم وَ اتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَ اجْتِنَابِ زَوَاجِرِهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ يَكُونُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ أُمُورِهِمْ وَ يَجْعَلُونَهُ نَصِيرًا وَ ظَهْرًا لَهُمْ.

(١) تفسير القمى: ج ١ ص ١٦٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١٦

[سورة المائدة (٥): آية ١٢]

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾

[١٣] لو كانت الآية السابقة حول بنى النضير - وهم من اليهود - لكان الارتباط بين الآيتين واضحا، إذ بين سبحانه هنا أنهم خانوا الأنبياء مع ما تفضل الله عليهم بكل خير و نعمته، فكيف لا يريدون خيانة الرسول صلى الله عليه و آلِهِ وَ سَلَّمَ؟! و يحتمل أن يكون الارتباط من جهة الميثاق فيريد سبحانه أن يذكر المسلمين حتى لا يكونوا كاليهود الذين خانوا و نقضوا الميثاق بعد أخذه منهم إذ قد سبق قوله: وَ مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَّكُمْ بِهِ «١» وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ وَ بَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا مِنْ «النقب» وَ هُوَ الْكَشْفُ، فَكَانَ النَقِيبُ - وَ هُوَ كَفِيلُ الْقَوْمِ - يَنْقُبُ عَنْ أَسْرَارِهِمْ وَ يَكْشِفُ ضَمَائِرَهُمْ لِيَسِيرَ بِهِمْ نَحْوَ الْخَيْرِ وَ الصَّلَاحِ فِي الْمَجْتَمَعِ. أى أمرنا موسى بأن يبعث من الأسباط الاثنى عشر، اثنى عشر رجلا كالطلائع يتحسسون و يأتون بنى إسرائيل بأخبار أرض الشام و أهلها الجبارين، فاختر من كل سبط رجلا يكون لهم نقيباً - أى أميناً كفيلاً - فرجعوا يشنون قومهم عن



قتالهم لما رأوا من شدة بأسهم و عظم خلقهم إلا رجلين منهم، بن يوقنا و يوشع بن نون و قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ أَي قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، و كونه معهم بمعنى أنه يؤيدهم و ينصرهم و يهديهم لِئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكَاةَ أَي أَعْطَيْتُمُوهَا

(١) المائدة: ٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١٧

[سورة المائدة (٥): آية ١٣]

فَبِمَا نَقَضْتُمْ لَهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَ لَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اضْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)

وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ لَذَا آخِرَ الْإِيمَانِ عَنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ وَ عَزْرَتُمُوهُمْ أَي عَظَمْتُمُوهُمْ، أَوْ نَصَرْتُمُوهُمْ وَ أَفْرَضْتُمْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا أَي أَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ كَالْقَرْضِ الَّذِي يُعْطَى ثُمَّ يُؤْخَذُ، وَ الْمَرَادُ بِكُونِهِ «حَسَنًا» أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ مَنْ وَ لَا- أَدَى وَ لَا- دَوَاعٍ غَيْرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ لَمَّا كَفَرْنَا عَنْكُمْ أَي أَذْهَبْنَا، وَ مَعْنَى «التَّكْفِيرِ» التَّغْطِيَةُ، أَي أُغْطِيَ بِالْغُفْرَانِ سَيِّئَاتِكُمْ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْكُمْ، وَ هُوَ جَوَابُ «لِئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ» وَ لَأَدْخَلْنَاكُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَ بِسَاتِنِهَا فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَي بَعْدَ اخْتِذَاقِ الْمِيثَاقِ مِنْكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ أَي أَخْطَأَ وَسَطَ الطَّرِيقِ، فَإِنْ سَوَاءَ كُلِّ شَيْءٍ وَسَطُهُ.

[١٤] فَبِمَا نَقَضْتُمْ لَهُمْ مِيثَاقَهُمْ أَي بِسَبَبِ نَقْضِ الْيَهُودِ مِيثَاقَهُمُ الَّذِي كَانَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ حَيْثُ أَنْهَمُ تَرَكَوا الصَّلَاةَ وَ مَنَعُوا الزَّكَاةَ وَ كَذَبُوا بِالرُّسُلِ وَ قَتَلُوهُمْ لَعَانَهُمْ أَي طَرَدْنَاهُمْ عَنْ سَاحَةِ الْقُرْبِ وَ قَطَعْنَا رَحْمَتَنَا عَنْهُمْ حَيْثُ جَعَلْنَا بَعْضَهُمْ قَرْدَةً وَ خَنَازِيرَ وَ جَعَلْنَاهُمْ مُشْرِكِينَ مَطْرُودِينَ دَائِمًا لَا تَقُومُ لَهُمْ قَائِمَةٌ وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يَابِسَةً غَلِيظَةً تَبُو عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١٨

وَ تَمِيلُ نَحْوَ الظُّلْمِ وَ الْكُفْرِ. وَ جَعَلَهُ سَبْحَانَهُ قَاسِيَةً، بِمَعْنَى: تَرَكَهُ اللَّطْفُ بِهِمْ حَتَّى تَرَدَّتْ مَلَكَهُ أَخْلَاقُهُمْ، كَمَنْ يَعْصِي أَسْتَاذَهُ فِي أَوَامِرِهِ فَيَتَرَكَ تَدْرِيسَهُ وَ تَهْذِيبَ أَخْلَاقِهِ حَتَّى يَصْبِحَ جَاهِلًا ذَا أَخْلَاقٍ سَيِّئَةٍ.

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ جَمْعُ كَلِمَةٍ عَنِ مَوَاضِعِهَا وَ تَحْرِيفُهُمُ الْكَلِمَ عَلَى قَسَمَيْنِ: قَسَمٌ بِمَحْوِ بَعْضِ التَّوْرَةِ، وَ قَسَمٌ بِتَأْوِيلِهِ عَلَى غَيْرِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْهُ.

وَ نَسُوا حَظًّا أَي قَسَمًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ أَي مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي ذُكِّرْنَا بِهَا فِي التَّوْرَةِ فَإِنَّهُ قَدْ فَقَدَ بَعْضُ التَّوْرَةِ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَهُ لِلنَّاسِ، أَوْ الْمَرَادُ مِنَ «النَّسْيَانِ» أَنَّهُ صَارَ كَالْمَنْسَى عِنْدَهُمْ مِنْ جَرَاءِ عَدَمِ الْعَمَلِ، فَإِنَّ النَّسْيَانَ يُطْلَقُ عَلَى مَا أَهْمَلَهُ الْإِنْسَانُ يُقَالُ: «نَسَيْتُ» أَي أَهْمَلْتَنِي، وَ قَالَ سَبْحَانَهُ: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ «١»، وَ لَا تَزَالُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَطَّلِعُ بِاسْتِمْرَارٍ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ أَي طَائِفَةٌ خَائِنَةٌ، أَوْ نَفْسٌ خَائِنَةٌ، إِذَا قَالُوا قَوْلًا خَالَفُوهُ إِذَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَقَضُوهُ- كَمَا أَرَادَ بَنُو النَّظِيرِ الْغَدْرَ بِهِ وَ الْخِيَانَةَ بَعْدَ الْمِيثَاقِ- إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ إِمَّا اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْجَمِيعِ أَوْ مِنَ الْجُمْلَةِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ «قَلِيلًا مِنْهُمْ» لَيْسُوا كَذَلِكَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، أَوْ إِنْ «قَلِيلًا مِنْهُمْ» لَا يَخُونُ فَاعْفُ عَنْهُمْ أَي عَنِ

(١) التوبة: ٦٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١٩

[سورة المائدة (٥): آية ١٤]

وَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤)

هُؤُلَاءِ وَ اضْفَحْ أَي تَجَاوَزْ، فَإِنَّكَ لَسْتَ مُتَّقِمًا، وَ أَنْ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ فَإِنَّ الْعَفْوَ وَ الصَّفْحَ إِحْسَانٌ، وَ

الإحسان محبوب حتى بالنسبة إلى المجرم.

[١٥] هذا كان شأن اليهود، أما النصارى فليسوا أحسن حالا من اليهود في بعض الجهات وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى قولاً باللفظ لا اعتقاداً بالقلب، كما تقول: فلان يقول إنى مسلم، تريد بذلك أنه ليس بمسلم حقيقة بل مسلم قولاً أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ من إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و الإيمان بالرسول و اتباع أوامر الله فَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ كما نسي اليهود ذلك من ذى قبل فَأَعْرَيْنَا التَّسْلِيْطَ وَ التَّحْرِيْشَ وَ التحريضَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبُغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَإِنَّهُمْ انْقَسَمُوا إِلَى أَقْسَامٍ وَ أخذ بعضهم يعادى بعضاً عداء لا مثيل له، حتى إن عداء بعضهم بلغ إلى حد لم يبلغ عداؤهم لليهود و المسلمين و الوثنيين، و قد شهد التاريخ قديماً مذابح في فرق النصارى و معاداة الكاثوليك و البروتستانت و الأرثوذكس فعلاً لا يحتاج إلى برهان، و هذه إحدى معجزات القرآن الحكيم، كإخباره عن ذلّة اليهود ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ بَأُوْءٍ بَغَضِبٍ مِنَ اللَّهِ «١».

(١) البقرة: ٦٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٢٠

[سورة المائدة (٥): آية ١٥]

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ (١٥)

و هنا سؤال و هو: كيف يكون إلى يوم القيامة، و في زمان المهدي عليه السلام الكل يسلم وجهه إلى الله؟ ثم إن يوم القيامة إنما يكون بعد موت الناس عشرات السنوات؟

و الجواب: إن هذا معناه: بقاء العداوة ما بقوا، يعبر عن استمرار الشيء إلى الآخر بمثل هذا التعبير.

وَ سَوْفَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ أَى يخبرهم سبحانه بما كانوا يَصْنَعُونَ وَ يقف التعبير إلى هذا الحد ليرسم صورة من التهديد، كما تقول للمجرم: غدا أنبتك بما عملت اليوم، تريد بذلك تهديده بالعقاب القاسى.

[١٦] ثم خاطب سبحانه أهل الكتاب بصورة عامة لهديتهم سواء السبيل:

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ أَيها اليهود و النصارى- و لعل المجوس أيضاً داخلون فى الخطاب- قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ سبحانه التى عارضت مصالحهم فأخفوه عن الناس إبقاء على كياناتهم و انحرافهم وَ يَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا اسْتَوْجَبُوهُ مِنَ الْعِقَابِ، أو يعفو عن بعض الأحكام التى أوجبت عليهم العقوبة، كما قال سبحانه:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٢١

[سورة المائدة (٥): آية ١٦]

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يَخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)  
فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ «١»، فالفرصة سانحة الآن لتتداركوا ما فات منكم.

قَدْ جَاءَكُمْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ هو القرآن، فإنه واضح لا فى الظلمة، كذلك النور المعنوى يهتدى به إلى دروب الحياة فى ظلمات الأهواء و الجهل وَ كِتَابٌ مُبِينٌ هو القرآن، فإنه واضح لا لبس فيه و لا غموض.

[١٧] يَهْدِي بِهِ أَى بكل واحد من «النور و الكتاب»، كما قال سبحانه:

فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَسْتَنْهَ «٢» أَى كل واحد منهما الله مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ أَى من اتبع رضوان الله- أى رضاه- بقبول القرآن و نبوة محمد صلى الله عليه و آلِهِ وَ سَلَّمَ سُبُلَ السَّلَامِ أَى طرق السلامة فى كل شىء، السلامة فى الدين، و السلامة فى الدنيا، و

السلامة في الآخرة للفرد و المجتمع و يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ فَإِنَّ الحَيَاءَ ظلمات لا يدري الإنسان كيف يسير في دروبها، و بالقرآن و النبي يهتدى إلى الحق و ينير طريقه بِإِذْنِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ و لطفه و يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يوصلهم إلى

(١) النساء: ١٦١.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٢٢

[سورة المائدة (٥): آية ١٧]

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ أُمُّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧)

سعادة الدنيا و الآخرة.

[١٨] إنه يهدى إلى الصراط المستقيم في العقيدة لا الاعتقاد بأن المسيح هو الله أو الاعتقاد بأن الله أبناء لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم فإنه سواء جعلوه إلهًا واحدًا أو شريكًا له، فقد كفروا، إذ إنكار الله سبحانه و التشرية معه كلاهما كفر قل يا رسول الله في إبطال قولهم: فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أَى من يقدر على أن يدفع أمرًا من أوامر الله و إرادته من إرادته إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم و أمه و مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا إن النصارى يعترفون بذلك، و أنه بإمكان الله أن يهلك كل أولئك، فكيف يجتمع هذا الاعتراف مع الاعتقاد بالوهية المسيح؟ إن الإله لا يمكن لأحد مخالفته أمره التكويني فكيف يتمكن أحد إهلاكه؟

وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فكيف يمكن أن يكون له شريك مع أن كل شيء يتصور فهو ملك لله؟ و هل يمكن أن يكون إله مملوك؟ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إن شاء خلق من غير ذكر و لا- أنثى كآدم و حواء عليهما السلام، و إن شاء خلق من ذكر و أنثى كسائر الناس، و إن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٢٣

[سورة المائدة (٥): آية ١٨]

وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨)

شاء خلق من أنثى دون ذكر كالمسيح عليه السلام، فليس في خلقه دلالة على ألوهيته كما زعمت النصارى و الله على كل شيء قدير ليست قدرته منحصرة في شيء أو أشياء خاصة حتى إذا كان قد خلق بذلك الشكل «بشكل عيسى» دل على أنه ليس من خلقه.

[١٩] وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَمَّا حَذَرَهُمْ نَقَمَهُ اللَّهُ وَ عَذَابُهُ قَالُوا: نحن أبناءه، و الابن الحبيب لا يخاف من نقمة الأب الودود قل يا رسول الله لهؤلاء المفترين: فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِكُمْ حيث تعترفون بما حكى القرآن عنهم:

وَ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً «١»، فإن كنتم أبناء أحبباء لم يكن معنى للعذاب، و لعل المراد من «المستقبل»: الماضي، أى لم عذبكم سابقا بذنوبكم حيث جعل منكم القردة و الخنازير و أشباه ذلك؟ بَلْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ تَعَالَى إِنْ أَحْسَنْتُمْ جُوزَيْتُمْ وَ أَنْ أَسَأْتُمْ جُوزَيْتُمْ كما يجازى غيركم من الناس يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنَ الْعَاصِينَ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، لأنه لا بنوة و لا عواطف خاصة بين الله و بينكم وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فليس

(١) البقرة: ٨١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٢٤

[سورة المائدة (٥): الآيات ١٩ إلى ٢٠]

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠)

شيء من نفس الله حتى لا يملكه سبحانه- كما تدعون أنتم من كونكم أبناءه- وما بينهما من سائر المخلوقات والمراد بالسماء هنا: الكواكب وما يرى في ناحيتها- كما هو المنصرف- حتى يتصور ما بينهما، لا جهة العلو وإليه سبحانه المصير المرجع والمآل، فليس هناك غيره يملك شيء أو يرجع إليه في أمر.

[٢٠] يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُبَيِّنُ لَكُمْ الْأُصُولَ وَالْفُرُوعَ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَيْ انْقِطَاعِ مِنْهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ قَرِيبَ بَعْثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا، وَقَدْ كُنْتُمْ فِي جَهَالَةٍ وَضَلَالَةٍ، وَالْآنَ جَاءَ الْمَعْلَمُ الْمُنْقِذُ الْهَادِي. وَلَعَلَّ سِرَّ «تَبْيِينِ الْأَمْرِ» وَبُضُوحِ أَنَّ الدُّنْيَا لَا تَسْتَقِيمُ إِلَّا بِهَدْيِ السَّمَاءِ، فَإِنَّهُ لَمَّا انْقَطَعَ الْوَحْيُ فِي الْفِتْرَةِ سَادَ الْعَالَمُ خَرَابًا وَفُوضَى لَا مِثِيلَ لَهَا، وَبِذَلِكَ يَكُونُ تَجْرِبُهُ عَمَلِيًّا، وَإِنَّمَا جَاءَ الرَّسُولَ لِنَلَا تَحْتَجُّوا وَأَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ حَتَّى نَهْتَدِيَ وَنُصَلِّحَ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ لِمَنْ آمَنَ وَاتَّقَى بِالْجَنَّةِ وَنَذِيرٌ لِمَنْ كَفَرَ أَوْ عَصَى بِالنَّارِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُرْسِلَ الرَّسُولَ، فَلَيْسَ لِشَخْصٍ أَنْ يَقُولَ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا رَسُولًا؟

[٢١] وَيَرْجِعُ السِّيَاقُ إِلَى قِصَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ نَقَضُوا كُلَّ الْمَعَاهِدَاتِ وَالْمَوَاطِقِ وَلَمْ يَفُوا لِمُوسَى نَبِيِّهِمُ الْمَعْتَرَفِ بِهِ، فَكَيْفَ يَفُونَ لغيره ممن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٢٥

لَا يَعْتَرِفُونَ بِهِ عُنَادًا وَحَسَدًا؟! وَاذْكُرْ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَقَابَلُوهَا بِالْإِطَاعَةِ وَاتِّبَاعِ الْأَحْكَامِ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً فَقَدْ كَانَ سَبْعُونَ نَبِيًّا فِي عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَلَعَلَّ سِرَّ كَثْرَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي تِلْكَ الْأَزْمَنَةِ كَوْنِ الْبَشَرِ فِي مِثْلِ حَالِ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَى عِدَدٍ مِنَ الْمُرَبِّينَ، بِخِلَافِ عَهْدِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ نَضِجَ الْبَشَرُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، كَالْكِبَارِ الَّذِينَ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَّا إِلَى مُرْشِدٍ وَاعٍ.

وهنا نكتة لا بد من ذكرها وهي أن الانهزامية الغربية التي غزت نفوس المسلمين جعلتهم يفكرون فيما يخص الأنبياء عليهم السلام والأهم كما فكر «دارون» وتلاميذه القائمون بـ «نظرية التطور» مع العلم أن القرآن والسنة يكذبون ذلك وأن أول بشر على وجه الأرض كان نبياً أوتى النبوة من بين جميع أولاده وزوجته الذين بعث إليهم نبياً. وهكذا تسلسلت الأمم كلما ابتعدوا عن النبي توحشوا وكلما اقتربوا إليه ارتقوا في مدارج الإنسانية. وبنو إسرائيل كانوا أمة بعيدة عن الإنسانية والفضيلة- بأنفسهم- لا أن من هم قبلهم كانوا أكثر توحشاً كما يقول أصحاب «نظرية التطور» ويتصورون كذباً واختلافاً وتقليداً أن إنسان الغاب وقبلة تطور من القرد، ومن حسن الحظ أن علماء الغرب نقدوا رأى «دارون» وأقاموا أدله على بطلانه، لكن المنهزمين عندنا لا زالوا في هزيمتهم النكراء يلعقون قصاع «دارون».

وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا فَقَدْ كَانَ فِيهِمُ الْمُلُوكُ وَالسَّاسَةُ وَالْقَادَةُ وَآتَاكُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٢٦

[سورة المائدة (٥): الآيات ٢١ إلى ٢٢]

يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَوْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)

أى أعطاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين من إنزال المن والسلوى والتفضيل على سائر الأمم الذين فى زمانهم، يجعلهم من نسل الأنبياء، ولبث الأنبياء فيهم، وجعلهم ملوكا، وإغراق أعدائهم إلى غيرها.

[٢٢] يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة وهى أرض الشام التى قدست وطهرت من الشرك وبوركت بكثرة الأشجار والأنهار وطيب الهواء وكثرة الأنبياء فيها، وقد كانوا فى مصر عبيدا وها هم قد نجوا من أعدائهم، ويريد الله بهم أن يدخلوا الشام ليكونوا فيها سادة وملوكا التى كتبت الله لكم فيها السيادة والسعادة ولا تترددوا على أذباركم أى لا ترجعوا عن الأرض التى أمرتم بدخولها فتقلبوا خاسرين سعادة الدنيا وثواب الآخرة، بسبب تخييركم الأمكنة المريحة لكم فى الدنيا، وعدم سماع أمر الله الموجب لحرمانكم من الثواب فى الآخرة.

[٢٣] قالوا يا موسى إن فيها فى الأرض المقدسة قوماً جبارين شديدي البأس والبطش وإننا لن ندخلها أى الأرض المقدسة حتى يخرجوا أى يخرج الجبارون منها هم بأنفسهم بدون تعب أو نصب أو قتال فإن يخرجوا منها فإننا داخلون فيها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٢٧

[سورة المائدة (٥): آية ٢٣]

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَائِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فتوكلوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣)

قال فى «المجمع»- بتخليص:- قال المفسرون: لَمَّا عبر موسى وبنو إسرائيل البحر وهلك فرعون، أمرهم سبحانه بدخول الأرض المقدسة، فلما نزلوا على نهر الأردن خافوا من الدخول، فبعث موسى من كل سبط رجلا وهم الذين ذكرهم الله فى قوله: وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً «١»، فعابنوا من عظم شأنهم وقوتهم شيئا عجيبا فرجعوا إلى بنى إسرائيل فأخبروا موسى عليه السلام بذلك، فأمرهم أن يكتفوا ذلك فوفى اثنان منهم يوشع بن نون و كالب بن يوقنا وعصى العشرة وأخبروا بذلك وفشا الخبر فى الناس، فقالوا: إن دخلنا عليهم تكون نساؤنا وأهالينا غنيمته لهم، وهموا بالانصراف إلى مصر وهموا بيوشع و كالب أن يرجعوا بالحجارة، فاعتناظ لذلك موسى وقال: «إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي»، فأوحى الله إليهم: «إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَعْصِ اللَّهَ فِي ذَلِكَ». فبقوا فى التيه أربعين سنة فى ستة عشر فرسخا وهم ستمائة ألف مقاتل لا تتخرق ثيابهم وتثبت معهم وينزل عليهم المن والسلوى، ومات النقباء غير يوشع و كالب، ومات أكثرهم ونشأت ذريتهم فخرجوا إلى حرب أريما وفتحوها «٢».

[٢٤] قَالَ رَجُلَانِ هُمَا يوشع و كالب مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَتَّبِعُونَ أَوَامِرَهُ وَزَوَاجِرَهُ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا بِالَّذِينَ وَالْعَقْلُ ادْخُلُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمْ أَى عَلَى هؤلاء الجبارين الْبَابُ أَى بَاب

(١) المائدة: ١٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٠٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٢٨

[سورة المائدة (٥): الآيات ٢٤ الى ٢٥]

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥)

المدينة فإذا دخلتموها أى الباب فإنكم غائبون فقد كان أخبرهم موسى عليه السلام بالنصر وعلى الله فتوكلوا فى نصره الله لكم على الجبارين إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إيمانا حقا، فإن من توكل على الله كفاه.

[٢٥] قَالُوا أَى قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَى لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا أَى مَا دَامَ الْجَبَارُونَ

في المدينة، فقد خافوا منهم و لم يثقوا بوعد الله النصر لهم فاذهب يا موسى أنت و ربك فقاتلا الجبارين. و لعل مرادهم ليس ما ينافي نزاهة الله عن التجسيم، بل قصدوا أن الرب يدفع عنهم، كما قال سبحانه: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى «١»، و جاء ربك «٢»، و لذا لم ينكر موسى عليه السلام مقاتلتهم، أو أنهم قصدوا التجسيم و أنكر موسى لكن القرآن لم يحك ذلك لأنه ليس بصدد بيان الواقعة بكل مزاياها إنا هاهنا قاعدون ننتظر تطهير المدينة من الجبارين حتى ندخلها، أما أن نحارب الجبارين فلا طاقة لنا بذلك و لا نقدم عليه.

[٢٦] قال موسى عليه السلام معتذرا لله عن مخالفة قومه مخاطبا الله سبحانه:

(١) الأنفال: ١٨.

(٢) الفجر: ٢٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٢٩

[سورة المائدة (٥): الآيات ٢٦ الى ٢٧]

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)

رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي هَارُونَ فَأَنَا وَحْدِي الَّذِي أَطِيعُ أَوْامِرَكَ وَكَذَلِكَ أَخِي هُوَ الَّذِي يَطِيعُنِي وَ يَسْمَعُنِي إِذَا أَمَرْتَهُ بِشَيْءٍ، أما هؤلاء فليسوا كذلك، أما يوشع عليه السلام و من كان على شاكلته فلعلهم لم يكونوا حاضرين إذ ذاك عند هذا الحوار فأفرق أي افصل اللهم بيننا أنا و أخي و بين القوم الفاسقين الذين لا يطيعون الأوامر.

و المراد ب «الفرق» عدم إجراء حكم واحد عليهم في الدنيا و الآخرة، فإنهما عليهما السلام قد باينا قومهما بالإطاعة حين عصى أولئك.

[٢٧] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَ إِذْ عَصَوْنِي وَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِوَعْدِي فَإِنَّهَا أَي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ دَخُولُهَا، أَي نَمْنَعُهُمْ عَنْهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ مِنْ «تاه» إِذَا ضَلَّ وَ لَمْ يَهْتَدِ الطَّرِيقَ إِلَى مَقْصَدِهِ فِي الْأَرْضِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَمشُونَ إِلَى اللَّيْلِ فَإِذَا أَرَادُوا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي السَّفَرَ رَأَوْا أَنفُسَهُمْ فِي مَكَانِهِمُ السَّابِقِ فَلَا تَأْسَ أَي لَا تَحْزَنْ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ وَ أَنَّهُمْ كَيْفَ تَاهُوا أَرْبَعِينَ سَنَةً وَ وَقَعُوا فِي هَذِهِ الصَّعُوبَةِ.

[٢٨] إِنْ حَالَ الْيَهُودِ فِي نَفْضِ الْعَهْدِ وَ ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ بِلَا مَبْرَرٍ حَالَ ابْنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِيلَ وَ قَابِيلَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى آدَمَ

أَنْ يَدْفَعَ الْوَصِيَّةَ وَ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ إِلَى هَابِيلَ وَ كَانَ قَابِيلَ أَكْبَرَ، فَبَلَغَ قَابِيلَ فِغْضَبِ فَقَالَ: أَنَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٣٠

[سورة المائدة (٥): آية ٢٨]

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨)

أولى بالكرامة و الوصية. فأمرهما أن يقربا قربانا بوحى من الله إليه ففعلا، فتقبل قربان هابيل حيث أخلص و قدم خير ماله، و لم يتقبل قربان قابيل حيث أساء النية و قدم شر ماله. و لما رأى قابيل أن قربانه لم يقبل حسد و عمد إلى هابيل و وضع رأسه بين حجرين فشدخه فمات، و لم يدر ماذا يصنع بجثته، فجاء غرابان فقتل أحدهما الآخر و دفن جثته، فتعلم قابيل فدفن جثته هابيل و آتل أي أقرأ عليهم أي على اليهود يا رسول الله نبياً أي خبر ابني آدم هابيل الصالح و قابيل الطالح بالحق أي تلاوة بالحق و الصدق، فليس فيه كذب إذ قربا قربانا القربان هو ما يقصد به التقرب إلى الله تعالى فتقبل من أحدهما و هو هابيل و لم يتقبل من الآخر و هو قابيل، قالوا: و كانت علامة القبول أن تأتي نار من السماء فتأكل ما تقبل، فأكلت النار قربان هابيل و لم تأكل قربان قابيل قال قابيل الذي لم يتقبل

قربانه لهاييل عليه السلام: لَأَقْتُلَنَّكَ حَسداً و عناداً قال هاييل عليه السلام: و ما ذنبي؟ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ و لعل هذا كان تنبيها له لأن يتقى الله حتى يحبوه بكرامته، و لم يكن تبجحاً قطعاً.

[٢٩] ثم قال هاييل عليه السلام لقابيل: لَئِنْ بَسَطْتَ أَيْ مَدَدْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي أَيْ تَرِيدَ قَتْلِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ أَيْ مَا دِي يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ فَإِن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٣١

[سورة المائدة (٥): الآيات ٢٩ الى ٣٠]

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ (٣٠)

من يريد قتل إنسان ظلماً لا يجوز للمظلوم إلا المدافعة لا قتل الظالم، إلا إذا توقف الدفاع عليه. أو المراد: إن أردت قتلي ظلماً فإنني لست أريد قتلك كذلك إني أخاف الله رب العالمين في أن أقتل أحدا ظلماً.

[٣٠] إني أريد أن تبوء أي ترجع أنت يا قابيل بإثمي أي إثم قتلي وإثمك أي وزرك الذي عليك من غير جهة القتل، و معنى «الإرادة» هنا مجازي لأنه إرادة الفاعل، فإن الإنسان إذا أراد شيئاً يقول: أردت، و إذا لم يرد أن يفعله و أراد غيره فعله يقول: أردت أن يفعله غيري.

فالتعبير بالإرادة هنا للمقابلة نحو قوله: تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ «١»، فقولنا: «أريد أن تذب» يراد به «أني لا أذنب بل أنت تحمل الذنب» لا أنه إرادة حقيقية من المتكلم لذنب المخاطب، فلا يقال: كيف يصح أن يريد هاييل عليه السلام أن يأنم قابيل؟! فَتَكُونَ أَنْتَ يَا قَابِيلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ الْمَلْزَمِينَ لَهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَظْلُمُونَ أَنفُسَهُمْ.

[٣١] فَطَوَّعَتْ أَيْ شَجَعَتْ لَهُ أَيْ لِقَابِيلِ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ هَايِيلِ فَقَتَلَهُ قَالُوا: قَتَلَهُ غِيْلَةً فَأَصْبَحَ قَابِيلُ مِنَ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ

(١) المائدة: ١١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٣٢

[سورة المائدة (٥): آية ٣١]

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِى سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)

خسروا الدنيا و الآخرة.

[٣٢] و حين قتله لم يدر كيف يصنع بجثته لأنه لم ير من قبل ذلك ميتاً فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ أَيْ يَطْلُبُ وَ يَفْتَشُ وَ يَشِيرُ التراب ليدفن غراباً آخر قد قتله، إذ جاء غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فدفنه لِيُرِيَهُ أَيْ يَرِي الغراب قابيل كَيْفَ يُورِى أَيْ يَسْتَرِ سَوْأَةَ أَيْ جثته أَخِيهِ وَ إِنَّمَا سَمِيَ الْبَدَنُ «سَوْءَةً» لِأَنَّهُ سَاءَ وَ كَرِهَ أَنْ يَرَى بَدَنَهُ الْمَقْتُولِ قَالَ قَابِيلُ لِمَا رَأَى فَعَلَ الْغُرَابُ: يَا وَيْلَتَى أَيْ يَا وَيْلَى وَ «الويل» بمعنى الهلاك، أَيْ: يَا هَلَاكِي احضري فهذا أوانك، نحو: يَا عَجَباً أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فِي الْعِلْمِ بِكَيْفِيَةِ الْخِلَاصِ مِنْ جِثَّةِ الْمَيْتِ فَأُوَارِى أَيْ اسْتَرَ بِالتُّرَابِ سَوْأَةَ أَخِي ثُمَّ دَفَنَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ عَلَى قَتْلِهِ، وَ لَمْ يَكُنْ نَدِمَ تَوْبَةً، وَ إِنَّمَا نَدِمَ فَعَلَ، فَلَا يُقَالُ: كَيْفَ يَعَاقِبُ وَ قَدْ تَابَ؟

قال ابن عباس: لما قتل قابيل هاييل أشاك الشجر، و تغيرت الأطعمه، و حمضت الفواكه، و أمر الماء، و اغبرت الأرض، فقال آدم: قد حدث في الأرض حدث فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هاييل، فانشأ يقول:

تغيرت البلاد و من عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٣٣

[سورة المائدة (٥): آية ٣٢]

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)

تغير كل ذى لون و طعم و قلّ بشاشه الوجه الصبيح

[٣٣] و لما حكى سبحانه قصه ابني آدم و أظهر بشاعة الجريمة، ذكر جملة من الحدود على الجرائم، و ابتدأ بالقتل للمناسبة، فقال تعالى: مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ «أجل» في اللغة بمعنى الجناية- على أحد الوجوه- يقال:

«أجل عليهم شرا» أى جنى. أى من ابتداء تلك الجناية. ف «من» ابتدائية و ذلك إشارة إلى قتل قبيل هايبيل أى من وقت تلك الجناية قررنا الحكم الآتى و هو أن «من قتل نفسا» الآية. و بعض المفسرين يفسر «أجل» بالمعنى المتعارف، فالمعنى: من أجل الاعتداء الذى لا موجب له و لا مبرر على المسالمين المتورعين الذين لا يريدون شرا و لا مدافعه كُتبتنا أى فرضنا على بنى إسرائيل و ليس الحكم خاصا بهم و إنما أتى بذكرهم لأنهم مورد البحث و الكلام، و أنهم الذين عاكسوا أحكام الله و قتلوا أنبيائه. أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا أَى إِنْسَانًا قَتَلًا ظَلَمًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَى:

لا بمقابل نفس حتى يخرج قتل القاتل نفسا من موضوع الحكم أو فساد في الأرض أى لم يكن المقتول مفسدا حتى يستحق بذلك أن يقتل فكأنما قتل الناس جميعا أنه باعتدائه على حياة نفس واحدة بلا مبرر كان كمن اعتدى على الحياة كلها و من أحياها لا إحياء من تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٣٤

[سورة المائدة (٥): آية ٣٣]

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)

العدم، بل إحياء بمعنى التحفظ على حياتها و إنقاذها من الهلاك فكأنما أحيا الناس جميعا حيث أن تحفظه على حياة نفس واحدة يكون كتحفظه على الحياة كلها، لأن الحياة كل سار فى كل حى، فالتعدى على فرد تعدى على الكل، كما أن التحفظ على فرد تحفظ على الكل و لقد جاءتهم أى أتت إلى بنى إسرائيل- الذين يدور الكلام حولهم- رُسُلُنَا أَنبِيَاؤُنَا إِلَيْهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ أَى الأدلة الواضحة الدالة على صدق نبوتهم.

ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ أَى من بنى إسرائيل بَعْدَ ذَٰلِكَ أَى بعد مجيء الرسل إليهم فى الأرضِ لَمُسْرِفُونَ أَى يجاوزون الحد، فقد كانوا يستحلون المحارم و يسفكون الدماء.

[٣٤] و بمناسبة قتل النفس بغير حق، ذكر سبحانه حكم من يسعى فى الأرض فسادا. و

قد ورد فى شأن نزول هذه الآية: أن قوما من بنى ضبة قدموا على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مرضى فبعثهم إلى إبل الصدقة يشربون من أبوالها و يأكلون من ألبانها فلما برءوا و اشتدوا قتلوا ثلاثة ممن كانوا فى الإبل و ساقوا الإبل، فبعث إليهم عليا عليه السلام فأسرهم، فنزلت هذه الآية، فاختر رسول الله القطع، فقطع أرجلهم و أيديهم من خلاف.

(١)

(١) الكافى: ج ٧ ص ٢٤٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٣٥



في بعض الروايات: أنها نزلت في قطاع الطرق.

و لا منافاة بين الأمرين إنما جزاء الذين يحاربون الله أي يحاربون أوليائه فإن محاربة المتعلقين بشخص هو محاربة ذلك الشخص، كقوله تعالى:

(يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) «١»، وَرَسُولُهُ أَي يحاربون رسوله. وهذا أيضا كذلك فإن محاربة أولياء الرسول محاربة للرسول وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا بِالْإِفْسَادِ وَشَهْرِ السَّلَاحِ لِلْإِخْفَاءِ. و لا يخفى أنه لو لم نقل بعموم الآية لكل من صدق عليه هذا الموضوع، كان اللازم أن يحمل على قطاع الطريق، لما ورد به الروايات، و كأنه اعتبر محاربة الناس و إخافتهم محاربة لله و الرسول.

أَنْ يُقْتَلُوا تَقْتِيلًا، و إنما عدى ب «التفعيل» لأن المراد منه قتلهم كلهم، و باب «التفعيل» يدل على التكثير كما قال تعالى: وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ «٢»، أى غلقت كل باب أو يُصَيِّمُوا بِالْمَشْنِقَةِ و «أو» هنا للتخيير، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، و الاختيار إلى الإمام في ذلك أو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ بِأَنْ تَقَطَّعَ الْيَدَ الْيُمْنَى وَ الرَّجْلَ الْيُسْرَى، فيكون قطع كل واحدة خلاف الجهة التي يقع فيها قطع الأخرى أو يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ أَي من بلد إلى بلد حتى يتوب

(١) الأحزاب: ٥٨.

(٢) يوسف: ٢٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٣٦

[سورة المائدة (٥): الآيات ٣٤ إلى ٣٦]

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦)

و يرجع وقوله سبحانه «إنما» معناه: أن جزاءه ذلك فحسب، لا جزاء له سواه ذلك الذي ذكر أنه يفعل بهم لهم خزي في الدنيا أي عقوبة و فضيحة و لهم في الآخرة عذاب عظيم في النار.

[٣٥] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَإِنَّ التَّوْبَةَ قَبْلَ الْوَقْعِ فِي يَدِ حَاكِمِ الشَّرْعِ تَقْبَلُ، أما لو وقع ثم تاب فإنه لا تقبل توبته بالنسبة إلى درء الحد، بل يجرى عليه الحد فاعلموا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ رَحِيمٌ لا يعاقبهم لا في الدنيا و لا في الآخرة.

[٣٦] ثم يتوجه القرآن الحكيم إلى تربية الوجدان إلى جنب تربية الخارجين عن طاعته بالسيف و العقاب يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ يَا تَيَّانِ أَمْرِهِ وَ اجْتَنَابِ زَوَاجِرِهِ وَ ابْتَغُوا أَي اطلبوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ السَّبَبَ الَّذِي يَقْرَبُكُمْ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ: من فعل الخيرات و الأعمال الصالحة و جَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أَي رجاء أن تفلحوا، فإن الرجاء قائم في الفوز و الفلاح ما دتم تتقون و تجاهدون.

[٣٧] و لا تكونوا كالذين كفروا، الذين لم يتقوا و لم يجاهدوا و لا طلبوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٣٧

[سورة المائدة (٥): الآيات ٣٧ إلى ٣٨]

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٧) وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)

رضاه سبحانه و الوسيلة إليه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنَ الْمَالِ وَ الْجَاهِ وَمِثْلَهُ مَعَهُ بِأَنْ كَانَ لَهُمْ ضِعْفٌ مَا فِي الْأَرْضِ، و هذا من باب المثل، و إلا فالمراد كل شيء، فإن اللفظ قد يأتي للكثرة لا للتحديد نحو: إِنَّ تَسْبِيحَهُمْ لَمْ يَكُنْ مَرَّةً «١»،

لِيُفْتَدُوا بِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِ وَمِثْلِهِ، بِمَعْنَى: أَنْ يَجْعَلُوهُ فِدَاءَ لَهُمْ وَبَدَلًا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَنْجُوا كَمَا اعْتَادُوا الْفِدَاءَ وَالْخِلاصَ فِي الدُّنْيَا مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ الْفِدَاءُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مُؤَلَّمٌ مُوجِعٌ.

[٣٨] يُرِيدُونَ أَي يُرِيدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَتَمَنُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا حَيْثُ أَنَّ عَذَابَهُمْ دَائِمٌ لَا انْقِطَاعَ لَهُ وَلَا مَدَّةَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ دَائِمٌ ثَابِتٌ لَا يَزُولُ.

[٣٩] وَهَذَا يَرْجِعُ السِّيَاقُ إِلَى بَيَانِ الْحُدُودِ الَّتِي افْتَتَحَتْ بِقِصَّةِ ابْنِ آدَمَ وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةَ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ كَلَّا عَلَى حِدَّةٍ حَتَّى لَا يَظُنَّ أَنَّ

(١) التوبة: ٨٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٣٨

[سورة المائدة (٥): الآيات ٣٩ إلى ٤٠]

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠)

الحكم لا يشمل السارق، وقدم السارق لأنه الغالب، وفي آية الزنا قدم الزانية لامتهان بعض النساء للزنا فاقطعوا أيديهما الأربع أصابع من اليد اليمنى، واليد تطلق على مجموع العضو، وإلى المرفق، وإلى الزند، وعلى الأصابع فقط. ولم يقل «يداهما» لما استحسنت في العريضة من أنه متى اجتمع تشنيتان وهو قوله «أيديهما» مضافة إحداهما إلى الأخرى جيء بالأول بلفظ الجمع، كقوله سبحانه: فَقَدَّ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا «١»، ولعل الأصل أن الجوارح في الإنسان أكثر من واحد فتكون في إنسانين جمعاً، و«الفاء» إنما أتت في «الخبر» دلالة على الترتب والجزاء. وللقطع شروط مذكورة في الفقه جزاءً بما كسبها من السرقة نكالا من الله أي عقوبته على ما فعله والله عزيرٌ حكيمٌ يأخذ بعزته ويحكم بذلك بحكمته.

[٤٠] فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ بِأَنْ نَدِمَ عَنِ السَّرِقَةِ وَأَصْلَحَ صَارَ صَالِحًا فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ وَيَغْفِرُ ذَنْبَهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر لمن تاب و يرحم عباده العصاة إذا ندموا وأقلعوا.

[٤١] إن ما ذكر من عقاب الله و غفرانه مقتضى سلطته المطلقة أَلَمْ تَعْلَمْ

(١) التحريم: ٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٣٩

[سورة المائدة (٥): آية ٤١]

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١)

أيها الإنسان أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَهُ التَّصَرُّفُ فِي الْجَمِيعِ كَمَا يَشَاءُ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ اسْتَحَقَّ الْعِقَابَ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ حَسَبَ حِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

[٤٢] وَفِي سِيَاقِ بَيَانِ الْحُدُودِ وَذَكَرِ مَسَاوِي الْيَهُودِ يَتَعَرَّضُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ إِلَى قِصَّةِ زَنَّا وَقَعَتْ فِي الْيَهُودِ وَرَاجِعُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حُكْمِهَا. فَقَدْ

روى عن الإمام الباقر عليه السلام ما ملخصه «أن امرأة شريفة من خبير زنت وقد كان حكم زنى المحصن في التوراة الرجم، لكنهم

راجعوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رجاء أن يخفف عنهم و يأخذوا بذلك، فأفتاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالرجم، و ذكر أنه حكم التوراة أيضا، لكن جماعة من علمائهم أنكروا ذلك فجعل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «ابن صوريا» أعلمهم حكما فاعترف هو أن الحكم في التوراة هو الرجم و أنهم حرّفوا حكم التوراة فوضعوا مكانه أن يجلد أربعين جلدة ثم يسوّد وجهه و يطاف على حمار مقلوبا، تشهيرا به!»

«١».

و في بعض التفاسير: أنه كان بين بنى النضير و قريضة معاهدة في باب القتل على خلاف حكم التوراة، فقد كان حكم التوراة القتل للقاتل، و لكن كانت معاهدة بين القبيلتين أنه إن قتل بنو قريضة من بنى النضير قتل القاتل، و إن قتل بنو النضير من بنى قريضة أخذت الدية،

(١) راجع فقه القرآن: ج ٢ ص ٣٧٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤٠

فأراد بنو قريضة المراجعة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحكم ليحكم لهم بحكم التوراة و قال «ابن أبي» المنافق الصديق لهم: إن حكم محمد بما ترضون - يريد خلاف حكم التوراة - فارضوا به و إلا فلا تقبلوه «١».

أقول: و من المحتمل كون الآية إشارة إلى القصتين، و على أى حال فالله سبحانه يسأل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في مخالفة المنافقين و اليهود له فقال سبحانه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ أَيُّ لَّا يُوْجِبُ حَزْنَكَ وَ غَمَّكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ أَيُّ يَسْرِعُونَ للدخول فيه بالقيام على خلافك و عدم قبول حكمك من المنافقين الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ جَمَعَ «فوه» بمعنى «الغم» أى أن إيمانهم لفظي و بمجرد الشهادتين، لا عن قلب و عقيدة، و المقصود ابن أبي كما تقدم و لَمْ تُوْمِنْ قُلُوبُهُمْ بل بقيت على كفرها و ضلالها. وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا أَيُّ يَهُودٍ وَ الْمَرَادُ بِمَسَارَعَةِ الْيَهُودِ فِي الْكُفْرِ تَرْكُهُمْ لِأَحْكَامِ التَّوْرَةِ وَ تَمَسُّكُهُمْ بِالْأَحْكَامِ الْمَخَالِفَةِ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَإِنَّهُ كَفَرُوا فِي رَتْبَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَ إِنْ كَانَ الْيَهُودُ كَفَارًا مِنْ أَصْلِهِمْ وَ بِمَقْتَضَى بَقَائِهِمْ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَيُّ هَوْلَاءِ الْيَهُودِ - أَوْ مَعَ الْمُنَافِقِينَ - مَبَالِغُونَ فِي سَمَاعِ الْكُذْبِ وَ قَبُولِ مَا يَفْتَرِيهِ أَحْبَارُهُمْ

(١) راجع مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٣٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤١

و شياطينهم سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْهُمْ خَاضِعُونَ لِقَوْلِ غَيْرِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْتُوكَ لِتَحْكِيمِكَ فِي قِصَّةِ الزَّانَا أَوْ فِي قِصَّةِ الْقَتْلِ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ جَمَعَ «كلمة» أى كلام الله تعالى مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ أَيُّ مِنْ بَعْدِ أَنْ وَضَعَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ فِي مَوَاضِعِهِ، كَمَا حَرَفُوا حُكْمَ زِنَا الْمُحْصَنِ الَّذِي هُوَ الرَّجْمُ إِلَى الْجِلْدِ، وَ كَمَا حَرَفُوا حُكْمَ الْقَتْلِ قِصَاصًا إِلَى الدِّيَةِ يَقُولُونَ أَيُّ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنْ أُوتِيْتُمْ أَيُّ أَعْطَاكُمْ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذَا وَ هُوَ الْجِلْدُ فِي الزَّانَا وَ الدِّيَةُ فِي الْقَتْلِ فَخَذُّوهُ وَ أَقْبَلُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ هَذَا الْحُكْمَ، بَلْ حُكْمَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَا فِي التَّوْرَةِ مِنْ رَجْمِ الزَّانِي وَ قَتْلِ الْقَاتِلِ فَاحْذَرُوا عَنْ قَبُولِ قَوْلِهِ.

ثم توجه الخطاب إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تسلياً له عن نفاق المنافقين و تحريف اليهود قال سبحانه: وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ أَيُّ أَمْتَحَنَهُ، فَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ اخْتِبَارَ الْيَهُودِ وَ الْمُنَافِقِينَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ لِتَبَيُّنِ عِنَادِهِمْ وَ غِيْبِهِمْ وَ أَنْهَمَ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَ يَظْهَرُ كَذِبُهُمْ فِي قَوْلِهِمْ أَنْهُمْ مُتَدِينُونَ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أَيُّ لَنْ تَسْتَطِيعَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَدْفِعَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ شَيْئًا، بَلْ إِرَادَتُهُ نَافِذَةٌ وَ حُكْمُهُ مَاضٍ أَوْلَيْتُكَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤٢

[سورة المائدة (٥): آية ٤٢]

سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ فَإِنْ جَاؤَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢)

المنافقون و اليهود الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ، فلم يُلطف بهم اللطف الخاص - كما يُلطف بسائر المؤمنين - حتى تتطهر قلوبهم من أدران الكفر، إن الله سبحانه يبين لهم الدلائل و نصب لهم الحجج لكنهم أبوا من الرضوخ و لذا قطع الله تعالى لطفه عنهم.

لَهُمْ أَى للمنافقين و اليهود فى الدُّنْيَا خِزْيٌ فضيحة و ذلة، أما المنافقون فلظهور نفاقهم عند المؤمنين مما يوجب التنفّر منهم، و أما اليهود فبضرب الذلة عليهم إلا بحبل من الله و حبل من الناس و لَهُمْ فى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار، و اليهود معلوم حالهم هناك.

[٤٣] سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ تَكَرَّرَ لِتصوير واقعهم البشع فإن الإنسان إذا أراد أن يؤكد شيئاً قاله أكثر من مرة حتى يقع فى نفس السامع موقع القبول أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ جمع «أكال» مبالغه ل «أكل» أى كثير و الأكل للرشوة و سائر أقسام الحرام، فَإِنْ جَاؤَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِيَجْعَلَوكَ حَكَمًا فيما بينهم فى قصة الزنا و القتل فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بحكم الله سبحانه أو أَعْرِضْ عَنْهُمْ و قد جاز الإعراض لأنهم كانوا يعلمون بالحكم حيث كان مثبتاً فى التوراة فلم يكن الإعراض يسبب سحق حكم الله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤٣

[سورة المائدة (٥): الآيات ٤٣ إلى ٤٤]

وَ كَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ مَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَ الرَّايُّونَ وَ الْأَخْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنِ وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)

سبحانه و جهالة المجتمع به و إن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فلم تحكم بينهم فلن يَصُرُّوكَ شَيْئًا إذ النفع و الضرر بيد الله سبحانه لا بيد غيره و إن حَكَمْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ أى بالعدل الذى هو إجراء حكم الله من رجم الزانى المحصن و قتل القاتل شخصاً ما إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ أى العادلين الذين يعدلون فى حكمهم.

[٤٤] إن أمر هؤلاء اليهود عجيب فإنهم لا يعترفون بك رسولا و مع ذلك يحكمونك فى قضيتهم و ذلك ليس إلا أنهم يريدون فرارا من حكم التوراة إلى حكم يطابق أهواءهم و كَيْفَ يُحْكُمُونَكَ أى يجعلونك حكما يا رسول الله و عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ أى و الحال أن لديهم التوراة التى يعترفون بها كتابا فيها حُكْمُ اللَّهِ بالنسبة إلى الزنا و القتل ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ التحكيم، أو من بعد حكمك فلا يقبلون حكمك أيضا و ما أَوْلَيْكَ اليهود و المنافقون الذين حكموك، ثم تولوا بِالْمُؤْمِنِينَ بالتوراة أو بحكمك، و إنما يظهرون الإيمان كذبا و اختلاقا.

[٤٥] ثم يبين سبحانه أن التوراة التى أعرض عن حكمها فى قصة الزنا و القتل كتاب سماوى يجب العمل به، و من المعلوم أنه ليس المراد بذلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤٤

التوراة المحرّفة التى بأيدى اليهود اليوم، فقد كان قسم من التوراة محفوظا عن التحريف إلى زمان النبى صلى الله عليه و آله و سلم، كما أن المعلوم أن المراد كون التوراة فى وقتها هدى و نور، أما إذا جاء أهدي منها و أكثر نورا و نسخ قسما من أحكامها لم يعمل بالمنسوخ منها، و ذلك كما لو قلنا:

أن القرآن هدى و نور، يراد المجموع من حيث المجموع، لا أنه يعمل به حتى بالنسبة إلى الآيات المنسوخ حكمها على تقدير تسليم النسخ في القرآن.

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى يَهْتَدَىٰ بِهِ النَّاسُ إِلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ وَ نُورٌ يُنِيرُ دُرُوبَ الْحَيَاةِ الْمَظْلَمَةِ- و لعل العطف للبيان- يَحْكُمُ بِهَا أَى بِالتَّوْرَةِ النَّبِيِّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّهِ وَ أَدْعُوا لِحُكْمِهِ، و من جملة أولئك الأنبياء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ الَّذِي حَكَمَ عَلَىٰ طَبَقِهَا فِي قِصَّةِ الزَّانِي وَ الْقَاتِلِ لِلَّذِينَ هَادُوا أَى أَنَّ الْحُكْمَ إِنَّمَا كَانَ لِلَّذِينَ هَادُوا أَمَا غَيْرُهُمْ مِنَ النَّصَارَىٰ وَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّمَا يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ حَسَبَ مَعْتَقَدِهِمْ.

و قد ثبت في الشريعة جواز الحكم لكل أهل كتاب بكتابهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام «و الله لو ثبت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل القرآن بقرآنهم»

«١»، كما

ثبت قولهم عليهم السلام «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم»

«٢».

(١) بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ٦٧٢.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ٣٢٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤٥

لكن من المعلوم أنه ليس كل الأحكام كذلك، بل من الأحكام ما لا يجوز أن يحكم بها، و القاعدة الكلية: أنه كل ما أجاز الإسلام أن يحكم به الحاكم على طبق دياناتهم جاز ذلك، و كل ما لم يجز كان اللازم الرجوع إلى حكم الإسلام. و يحكم بالتوراة الرِّبَّانِيُّونَ وَ هُمُ الْمُتَدِينُونَ فَإِنَّ «رَبَّانِي» مَنْسُوبٌ إِلَى «الرَّبِّ» مِنْ غَيْرِ قِيَاسٍ وَ الْأَحْبَابُ جَمْعُ «حَبْرٍ» بِالْكَسْرِ وَ «حَبْرٌ» بِالْفَتْحِ، وَ هُوَ الْعَالِمُ، أَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَ الْأَتْقِيَاءَ وَ الْعُلَمَاءَ يَحْكُمُونَ بِالتَّوْرَةِ، وَ إِنَّمَا يَحْكُمُ هَؤُلَاءِ بِالتَّوْرَةِ بِسَبَبِ مَا اسْتِخْفِظُوا أَى اسْتَدْعَوْا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَى حَيْثُ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ جَعَلَهُمْ حَافِظِينَ لِلْكِتَابِ وَ اتَّمَنَّهُمْ عَلَيْهِ فِي أَنْ يَحْكُمُونَ بِمُوجِبِهِ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ أَى أَنَّ النَّبِيِّينَ وَ الرَّبَّانِيِّينَ وَ الْأَحْبَابَ كَانُوا شُهَدَاءَ عَلَى أَنْ مَا فِي الْكِتَابِ حَقٌّ وَ صَدَقَ. وَ الْحَاصِلُ أَنَّ هَؤُلَاءِ يَحْكُمُونَ بِالتَّوْرَةِ لِأَنَّهُ وَدِيعُهُ عِنْدَهُمْ وَ هُمْ يَشْهَدُونَ بِصَدَقِهِ.

و حيث بين سبحانه أن التوراة يحكم بها أولئك الصفوة و أنهم محل وديعة و الشهداء على صحته، بين أن مقتضى ذلك أن يكون الإنسان المتصف بهذه الصفات شجاعا في إظهار أحكامه فلا يخون و لا يكتم و لا يخشى الناس فلا تخشوا الناس في إظهار أحكام التوراة و منها مسألة رجم الزانى و قتل القاتل و اخشون في ترك أمرى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤٦

[سورة المائدة (٥): آية ٤٥]

وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)

و تحريف حكى فإن النفع و الضرر بيدى و لا تشتروا بمقابل آياتى و أحكامى ثمنا قليلا حيث أنكم إذا كتتمت الأحكام لأجل الرشوة و الرئاسة كنتم كمن يعطى السلعة ليأخذ المال، و كل شىء من المال و الرئاسة فى مقابل حكم الله ثمن قليل لأنه يزول و ينتقل و تبقى تبعه التحريف و الكتمان و الحكم بخلاف ما أنزل الله و من لم يحكم بما أنزل الله لعل وجه الإتيان بالنفى دون أن يقول «و من

حكم بغير ما أنزل الله» ليشمل الحاكم بالخلاف و الساكت الكاتم، فإن من يعلم حكم الله و يسكت و يكتم يكون مصداقاً ل «مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ و من المعلوم أن عدم الحكم كفر عملي لا كفر اعتقادي، إلا إذا رجع إلى الجحود لأصل من أصول الدين، و إنكار ضروري من ضروريات الإسلام، و يسمى كافراً لأنه ستر الحق، فإن الكفر لغه بمعنى الستر.

[٤٦] وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَيُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيهَا أَيُّ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ النَّفْسَ تَقْتُلُ بِمَقَابِلِ النَّفْسِ فَإِذَا قَتَلَ الْإِنْسَانَ شَخْصًا عَمْدًا، قَتَلَ الْقَاتِلَ فِي قَبْلِ ذَاكَ، و لعل هذه الآية تؤيد كون الآيات السابقة كانت بشأن قصة بنى النضير و بنى قريضة- كما تقدم- وَ الْعَيْنَ مَفْقُوءَةً بِالْعَيْنِ أَوْ مَعْمِيَةً بِهَا وَ الْأَنْفَ مَجْدُوعَةً بِالْأَنْفِ أَمَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤٧

ذهاب حاسة الشم فلعله خلاف الظاهر و إن كان الحكم كذلك إذا أمكن وَ الْأُذُنَ مَصْلُومَةً بِالْأُذُنِ وَ فِي ذَهَابِ السَّمْعِ مَا تَقَدَّمَ وَ السِّنَّ مَقْلُوعَةً بِالسِّنِّ وَ لِذَلِكَ كُلُّهُ شَرَايِطُ مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ الْفِقْهِ «١».

وَ الْجُرُوحُ فِيهَا قِصَاصٌ فَمَنْ جَرَحَ إِنْسَانًا جَرَحَ كَمَا جَرَحَ، وَ يَدْخُلُ فِيهِ الشَّفَةُ وَ الذَّنْبُ وَ الْبِيضَتَانِ وَ الْيَدَانِ وَ الرَّجْلَانِ وَ سَائِرُ أَقْسَامِ الْجُرُوحِ. وَ «الْقِصَاصُ» مُشْتَقٌّ مِنْ «قَصَّ» بِمَعْنَى اتَّبَعَ الْأَثَرَ، كَأَنَّ الْمَجْرُوحَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْجَارِحِ فَيَجْرَحُهُ فَمَنْ تَصَيَّدَ بِهَيْبَةٍ أَيْ بِالْقِصَاصِ بَأَنٍ عَفَا عَنْهُ وَ أَسْقَطَهُ وَ تَنَازَلَ عَنْ حَقِّهِ فَهُوَ أَيْ التَّصَدَّقُ كَفَّارَةً أَيْ حَطَّ عَنِ الذَّنُوبِ لَهُ أَيْ لِلْمُتَّصِدِّقِ الْمَجْرُوحِ.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراح أو غيره»

«٢».

وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِيهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ الظلم هو ظلم النفس و ظلم الغير، و قد اختلف التعبير هنا عن الآية السابقة «الكافرون» و الآية الآتية «الفاسقون» لإفادة أن من لم يحكم بما أنزل الله يتصف بصفات ثلاث لأنه قد ستر حكم الله و كتبه فهو «كافر» إذ الكافر بمعنى الساتر، كما تقول: الزارع كافر، لأنه يستر

(١) موسوعة الفقه: ج ٨٩.

(٢) الكافي: ج ٧ ص ٣٥٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤٨

[سورة المائدة (٥): آية ٤٦]

وَ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَصِيحًا لِمَا بَيَّنَّ يَدِيهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدِيهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٤٦)

الجنة تحت الأرض، و لأن الكافر قد ظلم نفسه لأنه عصى الله سبحانه في كتمان حكمه و ظلم المترافعين و المجتمع لأن حكم الله هو الحق و سواه انحراف و زيغ فهو «ظالم» و أنه قد خرج بحكمه ذاك أو سكرته عن الحق عن الجادة المستقيمة فهو «فاسق» إذ الفسق بمعنى الخروج و المروق.

[٤٧] و لما ذكر سبحانه اليهود، اتجه الكلام إلى ذكر النصارى مبيناً أن الأنبياء من سلسلة واحدة و أن كتبهم كلها هدى و نور، و أن بعضها يصدق بعضها و قفينا من «التقوية» أصله «القفو» بمعنى اتباع الأثر يقال: قفيتها بكذا أى اتبعته به على آثارهم أى آثار الأنبياء حيث قال سبحانه: «يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ» بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَيْ أَتْبَعْنَا عَلَى آثَارِ النَّبِيِّينَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَقَدْ بَعَثْنَا رَسُولًا مِنْ بَعْدِهِمْ مُصَدِّقًا أَيْ فِي حَالِ كَوْنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَصَدِّقُ لِمَا بَيَّنَّ يَدِيهِ أَيْ مَا تَقَدَّمَهُ مِنَ التَّوْرَةِ بَيَانِ «مَا» وَ يُقَالُ لِلسَّابِقِ الزَّمَانِيِّ: «بَيْنَ يَدَيْهِ» تَشْبِيهًا بِالسَّابِقِ الْمَكَانِيِّ الَّذِي هُوَ «بَيْنَ يَدَى الْإِنْسَانِ» أَيْ فِي قِبَالِهِ وَ آتَيْنَاهُ أَيْ أَعْطَيْنَاهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْإِنْجِيلَ أَيْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِ فِيهِ هُدًى وَ نُورٌ تَقَدَّمَ مَعْنَى ذَلِكَ وَ مَصِيحًا لِمَا بَيَّنَّ يَدِيهِ مِنَ التَّوْرَةِ فَقَدْ كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَصَدِّقُ التَّوْرَةَ، وَ كِتَابَهُ

الإنجيل يصدقها أيضا وَهُدًى أَى أَن الْإِنْجِيلِ كِتَابٌ هِدَايَةٌ وَ إِرْشَادٌ وَ مَوْعِظَةٌ أَى وَاعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤٩

[سورة المائدة (٥): الآيات ٤٧ الى ٤٨]

وَ لِيُحْكَمْ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَا جَاءَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)

يتقون الآثام، فهو يحذرهم من العقاب و يرشدهم و يحرضهم على الثواب. و قد كرر التصديق و الهداية، تأكيداً و تركيزاً.

[٤٨] وَ لِيُحْكَمْ أَى يَجِبُ أَنْ يَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَ الدَّلَالَاتِ الَّتِي مِنْهَا التَّبَشِيرُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَمٌ وَ وَجُوبُ اتِّبَاعِهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ أَى أَنَّ الدِّيَانَاتِ كُلَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ سَفَرَاءُ لَهُ وَحْدَهُ، وَ أَنَّ الْكُتُبَ كُلَّهَا مَنزَلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَمِنْ الضَّرُورِيِّ أَنَّ يَحْكُمَ الْأَنْبِيَاءَ بِالْكِتَابِ الْمَنزَلَةِ وَ يَتَّبِعُ النَّاسُ الْأَنْبِيَاءَ وَ الْكُتُبَ، أَمَا مَا حَرَّفَ مِنْهَا فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ، كَمَا أَنَّ مَا نَسَخَ مِنْهَا فَالْإِزْمَامُ تَرْكُهُ وَ اتِّبَاعُ النَّاسِخِ عَوْضُهُ.

[٤٩] وَ لَمَّا أتمَّ الْكَلَامَ حَوْلَ التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ - وَ هُمَا الْكِتَابَانِ الْمَتَدَاوِلَانِ فِي أَيْدِي النَّاسِ - ذَكَرَ سُبْحَانَهُ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْكِتَابَ أَى الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ بِالْحَقِّ كِتَابًا بِالْحَقِّ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ بَاطِلٌ، أَوْ إِنْزَالًا بِالْحَقِّ، حَيْثُ كَانَ الْمَنزَلُ وَ الْمَنزِلُ عَلَيْهِ لِهَمَا الْحَقُّ فِي ذَلِكَ، فَالْمَنزَلُ إِلَيْهِ يَحِقُّ لَهُ التَّنْزِيلُ وَ التَّشْرِيْعُ، وَ الْمَنزَلُ إِلَيْهِ رَسُولٌ يَحِقُّ لَهُ الْأَخْذُ وَ الْقَبُولُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ لِلْجِنْسِ أَى أَنَّ الْقُرْآنَ يَصْدُقُ مَا سَبَقَهُ مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ أَى أَنَّ الْقُرْآنَ مَهِيْمٌ عَلَى الْكُتُبِ الْمَتَقَدِّمِ، وَ مَعْنَى الْهَيْمَةِ السَّيْطَرَةُ، فَإِنَّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ٦٧٩

القرآن الحكيم كشاهد مسيطر يدل على مواقع الخطأ و الصواب من الكتب السابقة، كل ما حرفوه دل عليه و كل ما زادوا أو أنقصوا منهما أشار إليه، و ذلك لأن القرآن يبين كليات العقائد و أصول العبادة و المعاملة و الأخلاق، و في الكتب السابقة مواقع كثيرة قد زاغت عن الحق بأيادي أئيمه، يدل عليها القرآن و يشير إليها فأحككم يا رسول الله بينهم أَى بين أهل الكتب السالفة، أو بين اليهود بما أنزل الله من الأحكام، و منها في رجم زنا المحصن، و قتل القاتل و لا تتبع أهواءهم أَى ما يشتهون من خلاف حكم الله، فقد أحبوا أن يحكم الرسول بخلاف الحق، فيفتى بجلد المحصن الزاني، و دية القاتل عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ أَى لا- تزغ عما جاءك، فإن معنى اتباع أهوائهم: الزيف عن الحق. و كثيرا ما يشبه فعل معنى فعل آخر فيتعدي الفعل الأول بما يتعدى به الفعل الثاني، كما ذكره «المغني». و لما كان المقام يوهم اتحاد الديانات من جميع الحثيات حيث أن الآيات السابقة أفادت تصديق كل نبي و كتاب لما سبقه، فأية حاجة إذا لإيمان اليهود و النصارى بالنبي و القرآن، تعرّض السياق إلى اختلاف الشرائع و المناهج في الخصوصيات و المزاي و إن اتحد الجميع في الأصول و الجوهر لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ أَى لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنْكُمْ أَيْهَا الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى وَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا جَعَلْنَا شِرْعَةً أَى طَرِيقَهُ وَ مِنْهَا جَاءَ «الشرعة» أول الطريق، و «المنهاج» الطريق المستقيم الذي يلزمه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥١

[سورة المائدة (٥): آية ٤٩]

وَ أَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ اخْذَرَّهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩)

الإنسان في حياته ليسير عليه، و كأن وجه تقديم «جعلنا» على «منكم» أن المقام مقام الجعل، لا مقام ذكر الأمم. وقد تقرر في علم البلاغة أن المقدم من الألفاظ هو الذي سبق له الكلام، يقال: «زيد جاء» إذا كان المقام مقام ذكر زيد و أعماله، و يقال: «جاء زيد» إذا كان المقام مقام ذكر الجائين. و لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أَيُّهَا الْأُمَمُ الثَّلَاثَ أُمَّةً وَاحِدَةً بَأَنْ لَا يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ إِلَّا كِتَابًا وَاحِدًا وَ لَا يَرْسِلَ إِلَّا رَسُولًا وَاحِدًا وَ لَكِنْ جَعَلَكُمْ عَلَى شَرَائِعٍ مُخْتَلَفَةٍ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّ يَمْتَحِنُكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ أَيُّ فِيمَا فَرَضَهُ عَلَيْكُمْ وَ أَعْطَاكُمْ وَ شَرَعَ لَكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ مِنْ يَاقِبِلِ الرَّسُولِ اللَّاحِقِ وَ مِنْ لَا- يَقْبَلُ، وَ مِنْ يَعْجَلُ بِأَمْرِهِ عَمَلًا- تَامًا وَ مِنْ لَا يَعْجَلُ فَاسْتَبَقُوا أَيُّهَا الْأُمَمُ الْخَيْرَاتِ أَيُّ لِيَبَادِرَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي تَحْصِيلِ الْخَيْرَاتِ وَ الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ اللَّهُ مَرْجِعُكُمْ وَ مَصِيرُكُمْ جَمِيعًا أَيُّهَا الْأُمَمُ. وَ إِنَّمَا سُمِّيَ «مَرْجِعًا» تَشْبِيهًا لِلْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ، وَ إِلَّا فَلَا مَكَانَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ حَتَّى يَكُونَ مَبْدَأًا وَ مَرْجِعًا فَيَبْتَلِيكُمْ أَيُّ يَخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ مِنْ أُمُورِ دِينِكُمْ. وَ فِي الْإِجْمَالِ مَا لَا يَخْفَى مِنَ التَّهْوِيلِ- كَمَا يَقُولُ الْمَلِكُ لِبَعْضِ رَعِيَّتِهِ:

أعلمك بما صنعت- ثم يجازيكم حسب أعمالكم و عقائدكم.

[٥٠] ثم كرر سبحانه و جوب الحكم بين اليهود بما أنزل الله، و قد كرر ذلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٢

لأنهم حكموه صلى الله عليه و آله و سلم في قصتين قصة الزنا و قصة القتل و أن احكم عطف على قوله في الآية السابقة «فاحكم» أو عطف على «الكتاب» أي أنزلنا إليك الكتاب و أنزلنا إليك «أن احكم» بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم و ما يشتهون من خلاف الحكم و اخذتهم يا رسول الله، أي احذر اليهود أن يقتنوك أي يضلوك عن بعض ما أنزل الله إليك بأن تفتي بغير ما أنزل الله. فقد ورد أن اليهود عرضوا على الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أن يؤمنوا له إذا تصالح معهم على التسامح في أحكام خاصة، منها حكم الرجم في الزاني المحصن، و هذا التحذير للرسول صلى الله عليه و آله و سلم ليس معناه أنه كان يعمل على الخلاف، و إنما هو لبيان الحكم، كما يخاطب بقوله تعالى: أقم الصلاة «١»، و نحوه فإن تولوا أي عرضوا عن الحق و لم يقبلوا قولك و حكمك فأعلم يا رسول الله أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم فإن التمرد على الله و رسوله يوجب نكال الله سبحانه، و تمردهم عن حكمك موجب لأن يسخط الله عليهم فيأخذهم ببعض ما سلف من ذنوبهم، أو نفس التمرد نكال سببه بعض ذنوبهم السابقة. روى أن رجلا قال للإمام أمير المؤمنين عليه السلام إنى حرمت صلاة الليل؟ قال الإمام: «أنت رجل قيدتك ذنوبك».

«٢».

(١) هود: ١١٥.

(٢) عوالى الآلى: ج ٢ ص ٥١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٣

[سورة المائدة (٥): الآيات ٥٠ الى ٥١]

أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَيُّ الْخَارِجُونَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَ هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أَنْ لَا- يَغْتَمُ لِعَدَمِ نَفُوذِ حُكْمِهِ.

[٥١] أَّفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ استفهام إنكارى، أى هل يبغي هؤلاء اليهود حكم الجاهلية، و المراد بها جاهلية البشر التى لا يرجع حكمهم فيها إلى قانون ثابت بل تحكم الأهواء و القبلات و العصبية و ما أشبهه، فكل من يبتغى حكما غير حكم الله فإنه يبتغى حكم الجاهلية، حتى إذا كان الحكم أكثرية «برلمانية» و مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا أى ليس هناك حكما أحسن من حكم الله لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ



بالله و اليوم الآخر، فإنهم يعلمون أن حكم الله أحسن الأحكام لأنه خال من جميع الانحرافات التي تصيب حكم البشر.

[٥٢] و بعد ما بين سبحانه انحراف اليهود و ضلالهم، ذكر سبحانه هنا عدم جواز اتخاذ اليهود أو النصارى أولياء. و قيل فى سبب النزول: أنه لما كانت وقعة أحد اشتد الأمر على طائفة من الناس فقال رجل من المسلمين: أنا ألحق بفلان اليهودى و آخذ منه أمانا، و قال آخر: أنا ألحق بفلان النصرانى فأخذ منه أمانا، فنزلت الآية يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ فَلَا تَصَادِقُوهُمْ مِصَادِقَهُ الْوَالِي لَوْلِيهِ وَ الْحَمِيمِ لِحَمِيمِهِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فَإِنْ بَعْضُهُمْ يَنْصُرُ بَعْضًا وَ يَعِينُهُ عَلَيْهِمْ، وَ قَدْ ظَهَرَ انطباق كلامه سبحانه على الخارج طيلة أربعة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٤

[سورة المائدة (٥): آية ٥٢]

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)

عشر قرنا فإن اليهود و النصارى لم يزالا ينصر أحدهما الآخر على المسلمين على ما بينهما من العداة و البغضاء و مَنْ يَتَوَلَّاهُمْ مِنْكُمْ أَى يصادقهم و ينتصر بهم و يجعلهم أولياء له فَإِنَّهُ مِنْهُمْ فإنه كافر عملا، من أهل النار، و هو خطر على المسلمين، فالذين تولوا الكفار كانوا من أخطر الناس على المسلمين، و كانوا فى زمرة الكفار ينصرونهم و ينتصرون بهم إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الذين يظلمون أنفسهم بعد ما علموا و عرفوا، فإنه سبحانه لا يلفظ بهم أظافه الخفية.

[٥٣] و بعد هذا القرار الجازم، الذى دل عليه منطق التاريخ السابق على الإسلام، حيث أن كل موال لا بد و أن يكون هواه مع من يوالى، لا- مع مجتمعه، و الذى قد نهى عنه صريحا فَتَرَى يا رسول الله الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَى شك و نفاق. قال ابن عباس: إن المراد بذلك عبد الله بن أبى، أن عبادة بن الصامت الخزرجى أتى إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فقال: يا رسول الله إن لى أولياء من اليهود، كثير عددهم، قويه أنفسهم، شديدة شوكتهم، و أنا أبرأ إلى الله و رسوله من ولايتهم و لا مولى لى إلا الله و رسوله. فقال عبد الله بن أبى: لكن لا أبرأ من ولاية اليهود لأنى أخاف الدوائر و لا بد لى منهم.

ثم أنه شبه النفاق بالمرض لأن كليهما موجب لانحراف الإنسان، فالمرض يوجب انحراف مزاجه، و النفاق يوجب انحراف سلوكه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٥

المنبعث من انحراف روجه يُسَارِعُونَ فِيهِمْ أَى فى تولى أهل الكتاب و اتخاذهم أولياء، و لعل الإتيان بلفظة «يسارعون» لإفادة أنهم يوالونهم قبل ظهور علائم الاحتياج إليهم «من هزيمة المسلمين» فإنهم يحتاطون باتخاذهم أولياء لئلا يأتى يوم يحتاجون إليهم، و ذلك أسوأ حالا- ممن يوالونهم إذا ظهرت علامة هزيمة فى المسلمين يَقُولُونَ أَى قائلين لتبرير موقفهم نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ أَى دوران الفلك الموجب لغلبة الكفار على المسلمين فإننا نتخذهم من الآن أولياء نكون فى أمان إذا دارت الدائرة فَعَسَى اللَّهُ أَى لعل الله أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ للمسلمين بأن يفتحوا بلاد الكفار و يكون الغلب لهم على الكفار أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ غير الفتح من إعزاز المسلمين و تكثير عددهم و جلاء الكفار فَيُضْبِحُوا أَى يصبح هؤلاء المنافقون الذين والوا الكفار خوف غلبتهم و دوران الدائرة على المسلمين على ما أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ من موالاة اليهود و تمنى الغلبة لهم. و لعل ذكر «أسروا» مع أنهم أعلنوا عن ولايتهم خوف الدائرة، لإفادة أنهم كانوا قد أسروا أشياء كثيرة فى أنفسهم، كما هو شأن النفاق و المنافقين نَادِمِينَ و ليس ندمهم من جهة الحق، بل من جهة أنهم خسروا الطرفين، طرف المسلمين لأنهم عرفوا نفاقهم، و طرف الكفار لأنهم هزموا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٦

[سورة المائدة (٥): الآيات ٥٣ الى ٥٤]

وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَلْفَسُوا بِاللَّهِ جَهْدَ آيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

مَنْ يَزِدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)

[٥٤] وإذ قسم الله الفتح للمؤمنين، أو أتاهم بأمر من عنده يقول الَّذِينَ آمَنُوا إيماناً صادقاً، يقولون متعجبين من نفاق المنافقين و اجترأهم على الله بالإيمان الكاذب: أهؤلاء الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ أَى: هل هؤلاء المنافقون الذين انكشفت حقائقهم هم الذين حلفوا بالله جَهْدَ إِيمَانِهِمْ أَى جاهدوا جهد إيمانهم، بمعنى: حلفوا بأغلظ الإيمان إِنْهُمْ لَمَعَكُمْ أَى مع المؤمنين فى صدق الإيمان و المناصرة؟ كيف حلفوا بتلك الإيمان المغلظة، و قد ظهر نفاقهم خلال المعركة الحاسمة الموجبة لترجيح كفة المسلمين؟ فإن النفاق لا يظهر جيداً إلا فى المعارك و المخاوف. و هناك حيث عرف المسلمون حقيقتهم تعجبوا من إيمانهم المزيف، و إيمانهم المغلظة الكاذبة التى أرادوا بها دعم إيمانهم و إدخال أنفسهم فى زمرة المؤمنين حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ جملة مستأنفة، أى أن المنافقين ضاعت أعمالهم الإيمانية بسبب النفاق، أو: أنهم ضاعت مساعيهم فى مصانعة الطرفين بسبب انهزام الكفار فلا ظهر لهم، و كشف باطنهم للمسلمين فيتجنبون عنهم فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ دينا و آخرة.

[٥٥] ثم بعد ما بين مضرّة النفاق، توجه السياق إلى المؤمنين مبينا لهم أنهم إن ارتدوا فلا يظنوا أن ذلك يضر دين الله سبحانه فقد و كلّ الله بدينه فى كل دور أناسا يقومون بشرائط الإيمان، فالمرتد إنما يضر نفسه لا أنه يضر دين الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٧

ارتدادا إلى الكفر، أو إلى النفاق، فإن انقلاب الباطن عن الإسلام هو نوع من الارتداد أيضا فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فهو ذو صلة بهم و هم ذووا صلة به سبحانه. و لعل الإتيان بكلمة «سوف» لثلاً يظنون أن فى تأخير الأمر انقطاعا و انفضاما للإيمان، بل قد يتأخر مجيء الصلحاء بعد ارتداد قسم من الناس عن الإيمان أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَذِلَّةٌ من «الدّل» بكسر الدال: ضد الصعوبة، و قد يكون من «الدّل» بضم الدال: ضد العزة أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ أَى يكونون لئنين على المؤمنين، غلاظ شداد على الكافرين. و إنما كان ذلك مدحا لأن اللين مع الكافر موجب لبقاء الكفر، بخلاف إظهار الشدة الذى يوجب حصر الكفر على نفسه و انكماشه، و عدم تعديه إلى المؤمنين الضعاف، كما قال سبحانه فى آية أخرى: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ «١»، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ فَإِنَّ الْجِهَادَ يَلْزَمُ لَوْمَ اللَّائِمِينَ من المؤمنين و من الكافرين، أما «من الكافرين» فواضح، و أما «من المؤمنين» فلأن الآراء غالبا ما تختلف بسبب لوم بعضهم لبعض كما هو المشاهد المحسوس، و كثيرا من الناس يمنع الجهاد و الإقدام لوم اللائمين لا صعوبة الجهاد.

و قد نزلت هذه الآية فى على أمير المؤمنين عليه السلام و أصحابه الأكرمين، و إن كانت عامّة بحسب اللفظ، كما هو شأن آيات القرآن غالبا.

(١) الفتح: ٣٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٨

[سورة المائدة (٥): آية ٥٥]

إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)

و لعل وجه قوله: «يأتى» مع أن الإمام عليه السلام كان حاضرا وقت النزول، اعتبار الوصف أى قوله «يجاهدون». تقول: «سوف أتى بشخص يفعل كذا» تريد أن الفعل «سوف» يأتى لا الشخص.

ذَلِكَ المذكور فى أوصاف القوم من محبة الله لهم و محبتهم لله و لينهم مع المؤمنين و شدتهم على الكافرين و جهادهم بدون خوف

اللوم فَضْلُ اللَّهِ حَيْثُ تَفْضَلُ عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ وَ هِدَاهِمُ إِلَى الْحَقِّ يُؤْتِيهِ أَى يُعْطَى هَذَا الْفَضْلَ مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ كَانَ قَابِلًا وَ أَهْلًا وَ اللَّهُ وَاسِعٌ فَضْلُهُ فَلَا يَخَافُ نِفَادَهُ إِنْ أُعْطِيَ أَحَدًا عَلِيمٌ بِمَوْضِعِ فَضْلِهِ وَ جُودِهِ.

[٥٦] و لما ذكر سبحانه أنه لا يجوز أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء، بين ولى المؤمنين و أن اللازم أن يتخذوا الله و رسوله و من نصبه الله وليا.

و قد أجمع المفسرون بأن هذه الآية نزلت فى على أمير المؤمنين عليه السلام «١». و قد يقال أن الأئمة الأحد عشر عليهم السلام ليسوا بمشمولين للآية، لدلالة «إنما» على الحصر؟ و الجواب من وجهين:

الأول: إن الآية حصرت الأمر فى وقت النزول، و كانت ولايتهم عليهم السلام بعد ذلك.

و الثانى: و هو الأصح أن ولاية الأئمة من ولاية على عليه السلام، كما لو قال: والى بلدكم فلان، فإن من عينه الوالى للأمر كان امتدادا لولاية فلان.

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٦١ و تفسير العياشى: ج ١ ص ٣٢٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٩

[سورة المائدة (٥): آية ٥٦]

وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُوْلَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)

إِنَّمَا وَتَيْكُمُ اللَّهُ فَالله له الولاية المطلقة و السلطنة الكاملة من جميع الجهات عليكم و رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله و سلم و الَّذِينَ آمَنُوا المتصفون بكونهم الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ أَى الصدقة وَ هُمْ رَاكِعُونَ

و قد روت العامة و الخاصة أن هذه الآيات نزلت فى على أمير المؤمنين عليه السلام لما تصدق بخاتمه و هو فى الركوع. و فى بعض الأخبار أنه كان تصدق قبل ذلك أيضا فى صلاة أخرى بحلة قيمتها ألف دينار أرسلها النجاشى إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فأهداها إلى على عليه السلام. «١» [٥٧] ثم ذكر سبحانه أنه فى تولى هؤلاء النجاح و الغلبة، فمن ظن أن فى تولى غيرهم النجاح فقد اشتبه، و دل التاريخ أنه كلما التزم المسلمون بهؤلاء نجحوا و تقدموا، و كلما تولوا غيرهم خسروا و تأخروا وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ أَى يتخذ الله سبحانه وليا ياتمر بأوامره و ينتهى عن زواجه و رسوله يقتدى به فى أعماله و أقواله وَ الَّذِينَ آمَنُوا على و الأئمة من ولده عليهم السلام- حسب النزول- أو كل مؤمن حسب العموم، فى مقابل اتخاذ الكفار أولياء فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ جنده و جماعته هُمُ الْغَالِبُونَ على من سواهم من الأحزاب و الجنود، و فى قطع قوله:

(١) الكافى: ج ١ ص ٢٨٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٦٠

[سورة المائدة (٥): الآيات ٥٧ الى ٥٨]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَ لَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) وَ إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَ لَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨)

«فإن حزب الله» عن الجملة السابقة، إذ لم يقل «فإنهم الغالبون»، إفادة أن المتولى يعد من حزب الله و جماعته، فليس الأمر من ناحية العبد فقط، بل من ناحية الله أيضا.

[٥٨] قد نهى المسلمون عن اتخاذ اليهود و النصارى أولياء، ثم الآن يأتى السياق لينهى عن اتخاذ أى كافر أو كتابى- و لو لم يكن يهوديا أو نصرانيا- وليا. و قد ورد فى سبب النزول أن زيد بن تابوت و سويد بن الحارث قد أظهر الإسلام ثم كان رجال من

المسلمين يوادونهما فنزلت هذه الآية، و لو كان الأمر كذلك فالمراد، بمن ذكر في الآية أعم من المنافق يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَ لَعِبًا أَى سخرية و تلاعبا، و ذلك بأن أظهروا الإسلام باللسان و أبطنوا الكفر بالجنان، أو المراد جعله سخرية و لعب يستهزئون به مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَى أنزل عليهم الكتاب مِنْ قَبْلِكُمْ و هم أهل الأديان السابقة على الإسلام و مِنَ الْكُفَّارِ المراد بهم الأعم من المنافقين - كما سبق - و لا يخفى أن الكفار أعم من أهل الكتاب، لكن إذا ذكروا فى كلام كان المراد بالكفار غيرهم أولياء تتولونهم كاتخاذ المؤمنين لله و رسوله أولياء و اتَّقُوا اللَّهَ فَلَا تَخَالَفُوهُ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ و بما أمر به.

[٥٩] و إذا نَادَيْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَى الصَّلَاةِ إى دعوتهم إليها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٦١

[سورة المائدة (٥): الآيات ٥٩ الى ٦٠]

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِمَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبِيَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ وَ عَتِيدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠)

اتَّخَذُوا أى اتخذوا الصلاة هُزُؤًا وَ لَعِبًا مهزلة و تلاعبا فيتضحكون و يتغامزون بينهم - كما هى عادة منافق اليوم أيضا - ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أى ذلك الاستهزاء بالصلاة بسبب أن الكفار قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ منافع الصلاة و أنها موجبة للنجاة من النار.

[٦٠] و جاء قوم من اليهود يسألون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عمن يؤمن به من الرسل؟

فقال: أو من بالله و ما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق .. إلى أن ذكر عيسى عليه السلام فلما سمعوا ذلك منه جحدوا نبوته و قالوا: ما نعلم أهل دين أقل حظا فى الدنيا و الآخرة منكم، و لا دينا شرًا من دينكم، فنزلت قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِأَهْلِ الْكِتَابِ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِمَّا أى تسخطون علينا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ إيماننا لا يشوبه كفر - كإيمانكم - وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا يعنى القرآن الحكيم وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ على جميع الأنبياء وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ فَإِنْ فَسَقْتُمْ - أى خروجكم - عن دين الله هو سبب نقتكم علينا. و هذا كقولهم: «هل تنقم منى إلا - أنى عفيف و أنك فاجر»، أو: «إلا - أنى كريم و أنت بخيل»، فهو من باب الازدواج يحسن فى الكلام لتعميم المقابلة، فهو عطف على قوله: «أن آمننا».

[٦١] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُؤَلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ: هَلْ أُنبِئُكُمْ أَى أخبركم بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ أَى إن كان إيماننا شرا عندكم فأنا أخبركم بشر من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٦٢

[سورة المائدة (٥): آية ٦١]

وَ إِذَا جَاؤُكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١)

ذلك مَثُوبِيَةً عِنْدَ اللَّهِ أى جزاء من عنده سبحانه، و سَمَى «مَثُوبَةً» استهزاء بهم، و إنما سَمَى ما عند المؤمنين شرا - و إن لم يكن ما للمؤمنين إلا - الخير - للمقابلة فى الكلام مَنِ لَعَنَهُ اللَّهُ أى طرده عن رحمته، فلعنه الله لكم من شر إيماننا نحن وَ غَضِبَ عَلَيْهِ بسبب عصيانه و تمرده عن الحق وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ جمع «قرد»، كما قال سبحانه: فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ «١»، وَ الْخَنَازِيرَ بأن مسخهم على صور هذين الحيوانين النجسين وَ عَتِيدَ الطَّاغُوتِ عطف على قوله: «لعنه الله» و الطاغوت هو العجل الذى عبده أولئك اليهود الذين هذه صفاتهم شَرٌّ مَكَانًا أى أن مكانهم فى سقر الذى هو شر من مكان المؤمنين الذين نقموا منهم، و قد ذكرنا أن هذا الكلام من باب المشاكلة اللفظية و إلا فليس فى مكان المؤمنين شر وَ أَضَلُّ أى أكثر ضلالا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ أى وسط الطريق.

[٦٢] و حيث ابتدأ الكلام بعرض المنافق و أهل الكتاب فى صف واحد، ذكر سبحانه صفة من صفات المنافقين، و أنهم كيف لا يؤثّر

فيهم الوعظ و الإرشاد وَ إِذَا جَاؤُكُمْ أى جاءكم المنافقون قَالُوا آمَنَّا إيماننا كإيمانكم و لكنهم فى دعواهم تلك كاذبون، إذ

(١) البقرة: ٦٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٦٣

[سورة المائدة (٥): الآيات ٦٢ الى ٦٣]

وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ (٦٢) لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)

قَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ أَى بِالْكَفْرِ، كَأَن «الكفر» مادةٌ يحملونها معهم فهم قد دخلوا بهذه المادة حينما دخلوا فى المجلس، ثم خرجوا بهذه المادة كما دخلوا، لم تؤثر فيهم الموعظة والبلاغ، حيث كانت قلوبهم مع إخوانهم الكافرين لا معكم حتى تؤثر فيهم الموعظة واللّه أعلم منكم بما كانوا يكتمون أى يخفون من الكفر والنفاق.

[٦٣] ثم إن هؤلاء الكفار يجمعون مع كفرهم صفات أخرى ذميمة هى من مستلزمات الانحراف، أشار إليها بقوله تعالى: وَتَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ كَثِيرًا مِّنْهُمْ أَى من هؤلاء الكفار وهم الرؤساء وذوو الجاه والمنصب يسارعون فى الإثم والعُدوان فيسبق بعضهم بعضاً فى فعل الإثم والتعدى على الناس، إنهم حيث لم يؤمنوا بالله وكانت ديانتهم - المزعومة - صورية كان همهم تحصيل أكثر ما يمكن من المال والجاه، لذا يتسابق بعضهم بعضاً فى ذلك، إن الإثم لا أهميته له فى نظرهم إذ لم يعمر قلوبهم الإيمان، والتعدى من شأن من يريد إعمار دنياه وأكلهم السُّحْتَ كل مال حرام من رشوة و ربا و أكل أموال اليتامى و أكل أموال الناس بالباطل لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ فَإِن أعمالهم توجب خزي الدنيا والآخرة.

[٦٤] وهنا يتوجه السياق إلى العلماء والمتدينون منهم، كيف يسكتون على هذه المنكرات البشعة التى ظهرت فى اليهود؟ و ما شأنهم إذا سكتوا عن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٦٤

[سورة المائدة (٥): آية ٦٤]

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَاجْنَوْا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)

كل تلکم الجرائم لو لا كلمة تحضيض بمعنى «هلا» أى: لماذا لا ينهائهم أى ينهى هؤلاء الذين يسارعون فى الإثم والعدوان الربائيون جمع «رباني» وهو منسوب إلى الرب على غير القياس، أى الإلهيون الذين يتورعون من خوف الله سبحانه والأخبار جمع «حبر» بالفتح والكسر، وهو العالم عن قولهم الإثم وهو ما يقوله الإنسان بغير حق من كذب و غيبة و نميمة و تحريف و غيرها و أكلهم السُّحْتَ من الربا و الرشوة و غيرهما، و «السحت» هو أشد أنواع الحرام لبئس ما كانوا أى كان هؤلاء الربانيون والأخبار يصنعون فإن سكتهم عن الباطل و مجاملتهم لأهله نوع من الصنع.

[٦٥] ثم بين سبحانه مثلاً ل «قولهم الإثم» بقوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ لا ينفق رزقا و لا يعطى شيئا، كأنهم قالوا ذلك تبريرا لبخلهم، فإن الله لو كان لا ينفق فأجدر بهم أن لا ينفقوا، وقيل: إن سبب نزول هذه الآية: أن اليهود كانوا من أكثر الناس مالا وسعة، فلما جاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكذبه ضيق الله عليهم فقال أحد اليهود: إن يد الله مغلوله، فرد الله عليهم غلَّتْ أَيْدِيَهُمْ دعاء عليهم بأن تغل أيديهم عن الخير، أو إخبار عنهم بأن اليهود بخلاء لؤماء، أى أنهم غلت أيديهم، لا الله سبحانه و لَجْنَوْا بِمَا قَالُوا لعنهم الله و طردهم عن رحمته بسبب هذه المقالة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٦٥

بَلْ يَدَاهُ أَى يدا الله سبحانه مَبْسُوطَتَانِ كناية عن جوده و عطائه، و إنما جاء بذكر اليد للمقابلة، و ذكر «يداه» لإفادة تمام معنى الجود

يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ فليس في تضييقه على اليهود دليل على أنه مغلول اليد بل إنما ينفق سبحانه كيف يشاء حسب الحكمة و المصلحة. ثم ذكر سبحانه أن نزول القرآن و فضحهم يزيد كثيرا من اليهود انحرافا و ليزيدن كثيرا منهم أى كثيرا من اليهود، و إنما لم يذكر كلهم لأن بعضهم لا يعنيه الأمر، و بعضهم يسبب القرآن هدايتهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا و كُفراً «ما» فاعل «يزيدن» و «كثيرا» مفعول مقدم أى طغيانهم و كفرهم يزداد بسبب القرآن، أما أن كفرهم يزداد فلائنه كلما أنكروا آية و حكما ازدادوا كفرا و ستر للحق و أما أن طغيانهم يزداد، فلائنه يقاومون الدعوة أكثر فأكثر كلما رأوا تقدمها أكثر.

و ألقينا بينهم أى بين اليهود العداوة و البغضاء إلى يوم القيامة فإن طبيعتهم المتخمة بحب الذات و اعتقاد أنهم شعب الله المختار و بخلهم فى الأموال، لا بد و أن توجد بينهم العداوة و الحزارة- ما داموا يهودا يعتقدون بهذه الاعتقادات السخيفة- فإن أسباب النزاع فى العالم يدور حول المنصب و المادة غالبا، و هذان كامنان فى كل يهودى، و قد دل التاريخ على صدق ذلك، فاليهود دائما متحاربون متباغضون، حتى فى فلسطين اليوم تقوم الأحزاب اليهودية و المنظمات

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٦٦

[سورة المائدة (٥): آية ٦٥]

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥)

بأشع أنواع العداوة و البغضاء فيما بينها و قد مر سابقا تفسير «إلى يوم القيامة» و أنه كناية عن بقاء الحكم ما دام اليهود موجودين كلما أوقدوا نارا للحزب أطفأها الله أى كلما أرادوا محاربة المسلمين هزمهم الله و نصر المسلمين عليهم، و قد دل التاريخ على ذلك، فقد غلب النبى صلى الله عليه و آله و سلم على يهود بنى «قريضة» و «النضير» و «خبير» و «فدك» و غيرهم مع كثرة عددهم و عددهم، و بعد ذلك لم يتمكن اليهود من محاربة المسلمين، حتى فى يومهم هذا فى فلسطين إنما يستندون إلى «حبل من الناس». ثم ما هى إلا فترة حتى تراها قد انقشعوا انقشاع الضباب و يسرعون فى الأرض فساداً فهم المفسدون دائما، حيث يريدون العلو على الناس، و جمع الأموال، و من المعلوم أن ذلك لا يتهيأ لهم إلا بالفساد و الله لا يحب المفسدين أى يكرههم، لملازمته «كراهته» ل «عدم حبه»، فإن كل مصلح محبوب و كل مفسد مكروه.

[٦٦] وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا إيماننا بما أنزل الله و تقوى من معاصى الله لكفّرنا عنهم سيئاتهم أى سترنا سيئاتهم الماضية، لأن الإسلام يجب ما قبله و لأدخّلناهم جنات النعيم أى التى فيها أنواع النعم و الكرامة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٦٧

[سورة المائدة (٥): الآيات ٦٦ الى ٦٧]

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِي مَكْرَ مِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)

[٦٧] وَلَوْ أَنَّهُمْ أى أهل الكتاب أقاموا التوراة و الإنجيل أى عملوا بما فيهما بدون تحريف و زيادة و نقيصة و أقاموا ما أنزل إليهم من ربهم أى القرآن، و كونه منزلا- إليهم باعتبار نزوله بين أوساطهم و فى زمانهم لأكلوا من فوقهم أى السماء، فإنه سبحانه ينزل «السماء مدرارا» لمن آمن و اتقى و من تحت أرجلهم بإعطاء الأرض خيرا و بركتها، كما قال سبحانه: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ «١»، منهم أمة مقتصدة أى من هؤلاء «أهل الكتاب» جماعة معتدلون فى العمل لا غلو عندهم و لا تقصير، كما نجد أن كل أمة بعضهم معتدلون، و بعضهم متطرفون، أو المراد بهم: الذين آمنوا بالرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و إطلاق «منهم» على أولئك باعتبار الماضى و كثير منهم ساء ما يعملون أى أن أكثرهم متطرفون يعملون الأعمال السيئة.

[٦٨] يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هذه الآية نزلت بمناسبة استخلاف الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عليا خليفه من

بعده- كما أجمع عليه المفسرون- وقد كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يخشى المنافقين من ذلك، فبين

(١) الأعراف: ٩٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٦٨

[سورة المائدة (٥): آية ٦٨]

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)

سبحانه عظم الأمر بقوله: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ أَى لَمْ تَبْلُغْ خِلافَهُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامَ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ لِأَنَّ كُلَّ الرِّسَالَةِ رَهْنُ هَذَا التَّبْلِيغِ، وَذَلِكَ وَاضِحٌ إِذْ عَدَمُ الاسْتِخْلَافِ مَعْنَاهُ ذَهَابُ جَمِيعِ الْأَتْعَابِ سُدَى، وَكَانَ أَمْنُهُ اللهُ سَبْحَانَهُ مِمَّا كَانَ يَخْشَى مِنْهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ يَعْصِي مُكَ أَى يَحْفَظُكَ مِنَ النَّاسِ فَلَا يَتِمَكَّنُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالْإِنْقِلَابِ وَالْإِيذَاءِ مِمَّا كَانَ يَخْشَاهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وَحِينَ ذَاكَ،

وَعِنْدَ مَنْصَرَفِ الرَّسُولِ مِنْ حِجَّةِ الْوَدَاعِ فِي وَسْطِ الصَّحْرَاءِ، أَمْرٌ بِنَصْبِ مَنْبِرٍ لَهُ وَخُطْبَةٌ طَوِيلَةٌ بَلِيغَةٌ، ثُمَّ أَخَذَ بِكَفِّ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ وَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلَى مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْوَالِيَةِ وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ وَانصَرَ مِنْ نَصْرِهِ وَاخْذَلْ مِنْ خِذْلِهِ» ، وَأَنْشَدَ حَسَانًا:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخمّ و أسمع بالرسول مناديا

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِبِلَاغِكَ، وَمَعْنَى «لَا يَهْدِيهِمْ» أَنَّهُ لَا يَلْطَفُ بِهِمُ اللَّطْفُ الزَّائِدُ بَعْدَ مَا أَعْرَضُوا عَنِ الْحَقِّ عِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا، وَلَعَلَّ الْارْتِبَاطَ بَيْنَ الْآيَةِ وَطَرَفِهَا أَنَّهُ كَمَا أَنَّ النَّاسَ مَأْمُورُونَ بِالْقَبُولِ، فَالرَّسُولُ مَأْمُورٌ بِالْبَلَاغِ، مَعَ تَلْطِيفِ جَوِ الْكَلَامِ، بِتَغْيِيرِ الْأَسْلُوبِ فِي وَسْطِ الْمَطْلَبِ، تَفَنَّنَا فِي الْبَلَاغِ، وَتَنْشِيطًا لِلْأُذْهَانِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى مُشَابِهَةٍ.

[٦٩] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِأَهْلِ الْكِتَابِ:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٦٩

[سورة المائدة (٥): آية ٦٩]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ الصَّحِيحِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِمَا بَدُونَ تَحْرِيفٌ أَوْ تَحْوِيرٌ وَتَقِيمُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ يَعْنِي الْقُرْآنَ، وَكَانَ سَبْقُ وَجْهِ قَوْلِهِ: أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَهُوَ لَجْهَةٌ نَزُولِ الْقُرْآنِ فِي أَوْسَاطِهِمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَعَوِضُ أَنْ يَهْتَدُوا بِالْقُرْآنِ يَزِيدُهُمْ طُغْيَانًا حَيْثُ كَلِمَا رَأَوْا الْقُرْآنَ صَمَّمُوا عَلَى مَقَابَلَتِهِ وَكَفَرُوا بِكُلِّ مَا يَنْزِلُ مِنْهُ، وَلا يَخْفَى أَنَّ نِسْبَةَ الزِّيَادَةِ إِلَى الْقُرْآنِ مَجَازًا، وَإِلَّا فَهِيَ أَنْفُسُهُمْ هُوَ الَّذِي يَزِيدُهُمْ كُفْرًا فَلَا تَأْسَ أَى فَلَا تَحْزَنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ مَا عَلِمُوا الْحَقَّ، وَاعْرَضُوا عَنِ الْهُدَى بَعْدَ أَنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ.

[٧٠] وَحَيْثُ تَقَدَّمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ، مِمَّا كَانَ يَوْهَمُ أَنَّ الْكُفْرَانَ غَيْرَ قَابِلِينَ لِلْهُدَايَةِ، ذَكَرَ سَبْحَانَهُ أَنَّهُمْ إِنْ آمَنُوا- الْمَلَاظِمُ لِإِمْكَانِ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ- كَانَ لَهُمْ مَا لَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوْبَةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَانًا ظَاهِرًا بِالشَّهَادَتَيْنِ وَالَّذِينَ هَادُوا أَى الْيَهُودَ وَالصَّابِئُونَ وَهُمْ قَسَمٌ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ أَوْ غَيْرِهِمْ- كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ- وَرَفَعَ «الصَّابِئُونَ» مَعَ أَنَّهُ عَطَفَ عَلَى الْمَنْصُوبِ بِ «إِنَّ» لِلإِلْفَاتِ إِلَى أَنَّ الصَّابِئِ الَّذِي لَا يَرْجَى فِيهِ خَيْرٌ إِنْ آمَنَ قَبْلَ، فَكَيْفَ بغيره؟! فَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧٠

[سورة المائدة (٥): آية ٧٠]

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠)

محل اسم «إن» حيث كان مبتدأ قبل دخول الناسخ والنصاري ليس اعتبارا بأسمائهم و صبغتهم العامة في النجاة و الثواب، بل من آمن منهم بالله و اليوم الآخر إيماننا حقيقيا من القلب، لا يشوبه شرك و نحوه و عمل صالحاً أى عمل عملا صالحا فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون لا في الدنيا و لا في الآخرة، أما في الآخرة فواضح، و أما في الدنيا فلأن الخوف الحقيقي و الحزن الواقعي هو الذى لا يرجى دفعه و تداركه، بينما خوف هؤلاء و حزنهم ليس كذلك، فإن خوف المؤمن ليس كخوف الكافر، و كذلك بالنسبة إلى الحزن.

[٧١] إن اليهود لم يكن لهم إيمان صادق من يومهم الأول، فكيف تأس عليهم يا رسول الله إن لم يؤمنوا بك؟! ف لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل عهدهم الأكد حول الإيمان بالله و أنبيائه و اتباع أوامره و أرسلنا إليهم رسلا يهدونهم إلى الحق، لكنهم نقضوا الميثاق و خالفوا الأوامر و تجرأوا على أشع جريمة ف كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم و لا تميل إلى ما جاء به، بأن لم يكن يوافق مرادهم فريقا من الرسل كذبوا كالمسيح عليه السلام، حيث نسبوه إلى الكذب و أنهم ليسوا من قبل الله سبحانه و فريقا من الرسل يقتلون كزكريا عليه السلام.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧١

[سورة المائدة (٥): الآيات ٧١ إلى ٧٢]

وَ حَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَ صَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ قَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَ مَاوَاهُ النَّارُ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)

[٧٢] و حسبوا أى ظن هؤلاء اليهود الذين كذبوا الأنبياء عليهم السلام و قتلوهم ألا تكون فتنة أى لا يسبب قتل الأنبياء عليهم السلام و تكذيبهم فتنة، كما هو شأن كل من يقدم على جرم كبير يظن أن الأوضاع تبقى على ما يشتهى، منتهى الأمر أن ما صدر عن بعض شهوته يزول و يمحي عن الوجود مع أن الأمر بالعكس، فإن بقاء المجتمع سليما من الأخطار و الآفات إنما هو بانتهاج تعاليم الأنبياء، فإذا أزيح النبي عن القيادة و التوجيه إما بقتله أو تكذيبه، فإنه سوف تحل بالمجتمع أشد الكوارث، و تقع أعظم الفتن فعموا و صموا عن مناهج الرشد، بقتلهم الأنبياء و تكذيبهم، فإن الإنسان يبصر طريقه و يسمع الحق الذى ينفعه ما دام هناك نور يضىء، و مرشد يدعو، أما إذا أزال النور، و أزاح المرشد، فإنه يعمى عن طريقه حتى يقع فى المهالك، و يصم عن الحق حتى تحل به الكوارث ثم تاب الله عليهم بإرسال أنبياء آخرين، و المراد «التوبة» على هذا الجنس لا خصوص من قتل منهم الأنبياء ثم عموا و صموا أيضا عن الحق، بأن تركوا تعاليم الأنبياء و أخذوا يتيهون فى الضلالة كثير منهم إذ بعضهم آمن و اهتدى، و لفظه «كثير» بدل «بعض» عن «كل» لا فاعل ثان و الله بصير بما يعملون فيجازيهم على ما اقترفوا من الآثام و احتقبا من الاجرام.

[٧٣] هكذا كان حال اليهود، حيث كفروا بعد أن أرشدهم الله الطريق، أما النصارى فإنهم كإخوانهم اليهود فى العمى عن الحق بعد الرشد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧٢

[سورة المائدة (٥): آية ٧٣]

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَ مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ هَوْلَاءَ قَالُوا: إِنْ اللَّهُ اتَّحَدَ بِالْمَسِيحِ فِصَارٌ شَيْئًا وَاحِدًا، وَ لَا يَخْفَى أَنْ الْإِتِّحَادَ غَيْرَ مَعْقُولٍ إِذْ لَوْ بَقِيَ الشَّيْثَانُ اثْنَيْنِ بَعْدَ الْإِتِّحَادِ لَمْ يَكُنْ إِتِّحَادًا وَ إِنْ عَدِمَ أَحَدُهُمَا، كَانَ اللَّهُ، بَيْنَمَا الْمَسِيحُ بِنَفْسِهِ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَ



الحال أنه قال الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَإِنَّا جَمِيعًا عبيده إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ وَيَجْعَلْ لَهُ شَرِيكًا، سواء اعترف به وبالشريك، أم اتخذ إلهًا غيره، فإنه أيضا من جعل الشريك لله فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ فلا يدخله فيها أبداً و مأواه أي مصيره النَّارُ و ما لِلظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بالشرك مِنْ أَنْصَارٍ ينصرونهم من بأس الله و عذابه.

[٧٤] و هناك قسم آخر من النصارى جعلوا الآلهة ثلاثة لَقَدْ كَفَرَ النصارى الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ أي أحد آلهة ثلاثة، و هم: «الأب» أي الله، و «الابن» أي المسيح، و «روح القدس»، قالوا: هذه الثلاثة واحد، و ذاك الواحد ثلاثة، و حين يسألون: كيف يمكن ذلك و هو تناقض؟ يقولون: إنه فوق مستوى عقولنا، و لا يلزنا معرفة الكيفية.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧٣

[سورة المائدة (٥): آية ٧٤]

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤)

و هناك سؤال هو أنه ما الفرق بينكم أنتم المسلمون حيث تقولون بأن الله لا يدرك كنهه، و بين الذين قالوا إن مشكلة التوحيد و التثليث فوق مستوى عقولنا؟

و الجواب: إن الفرق من أوضح الواضحات، إذ أولئك يقولون بما لا يمكن و لا يعقل، و ما لا يدرك و ما مِنْ إلهٍ إِلَّا إلهٌ وَاحِدٌ أي ليس للكون إلا- إله واحد هو الله سبحانه و إن لَمْ يَنْتَهُوا أي لم يرجع هؤلاء النصارى القائلون بالتثليث عَمَّا يَقُولُونَ أي عن مقالته، و قولهم بالتثليث لَيْمَسَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابَ أَلِيمٍ في الدنيا و الآخرة، و إنما لم يقل «ليمنهم» لإفادة أنهم بمقاتلتهم هذه يكونون كفارا، تأكيداً لما سبق من قوله: «لقد كفر» و هذا من أساليب البلاغة، يقال: «اترك هذا الأمر و إلا لسجنت الفاعل له» عوض أن يقول: «لسجتك» لإفادة أن علة السجن هو الإتيان بذلك العمل.

[٧٥] ثم استفهم سبحانه استفهما تعجيباً، و قد تقرأ في الأصول أن أمثال هذه الاستفهامات و التعجبات إنما هي إنشاء مفهوم الاستفهام و التعجب و أمثالهما، لداعي آخر من ترغيب و إنكار و ما أشبهه، فليس استفهامه و لا تعجبه عن جهل و تعجب كما هو عندنا أَفَلَا يَتُوبُونَ هؤلاء اليهود و المسيحيون إِلَى اللَّهِ و يرجعون عن عقائدهم السخيفة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧٤

[سورة المائدة (٥): آية ٧٥]

مِمَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥)

و أقوالهم المفتعلة و يَسْتَغْفِرُونََهُ لما مضى من كفرهم و عصيانهم و اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر لهم إن تابوا أو استغفروا، و يرحمهم بفضله إن رجعوا و آبوا.

[٧٦] و بعد ما ذكر سبحانه أقوال المسيحيين حول المسيح، بين تعالى واقع المسيح و أنه ليس كما زعموا مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ أي ليس المسيح عليه السلام و ذكر «ابن مريم»، لنفى كونه ابن الله- في العبادة- إِلَّا رَسُولٌ فليس هو بآله قد خَلَتْ أي مضت و سبقت مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ فهو رسول كأحدهم، فكما ليس أولئك بآلهة، ليس هذا بآله و أمُّه مريم عليها السلام صِدِّيقَةٌ كانت كثيرة التصديق بالله و آياته، فليست هي إله كما زعم جماعة من المسيحيين فقالوا بالأب و الأم و الابن كانا المسيح و أمه يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ و ذلك من صفات المخلوق لا- الإله، إذ آكل الطعام محتاج إلى الطعام، و له جوف، و له أجزاء، و له حالات، و كل ذلك ينافي كونه إله انظُرْ يا رسول الله كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ و نوضح لهؤلاء النصارى الآيات الدالة على عدم كون المسيح إلهاً ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ أي كيف يصرفون عن الحق، يقال: «أفكه يأفكه إفكا» إذا صرفه، و «أنى» بمعنى «أين» أي أنهم أين يصرفون عن الحق الموضح بالآيات!؟

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧٥

[سورة المائدة (٥): الآيات ٧٦ الى ٧٧]

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)

[٧٧] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُؤَلَاءِ النَّصَارَى الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ وَيَجْعَلُونَهُ إِلَهًا أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيِ غَيْرِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا فَإِنْ شِئْنَا فِي الْوَجُودِ لَا يَمْلِكُ ضَرَّ أَحَدٍ وَلَا نَفْعَهُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَمَنْ أَضُرَّ أَوْ نَفَعَ بِالْوَسَائِلِ الطَّبِيعِيَّةِ - كَالْقَاتِلِ وَالْمَعْطَى - أَوْ بِالْوَسَائِلِ الْغَيْبِيَّةِ كَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَنْمَةِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ حَيْثُ جَعَلَ اللَّهُ الْمَسَبِّبَاتِ تَابِعَةً لِأَسْبَابِهَا الْخَاصَّةِ، وَسَلَطَ الْفَاعِلَ عَلَى الْأَسْبَابِ، فَهِيَ تَرْجِعُ أَيْضًا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِكُمُ الْعَلِيمُ بِضَمَائِرِكُمْ وَحَرَكَاتِكُمْ، فَاحْذَرُوا مَخَالَفَتَهُ، كَيْ لَا تَقْعُوا فِي عَقُوبَتِهِ وَنِكَالِهِ.

[٧٨] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ إِمَّا عَامٍ يَشْمَلُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، فَالْمُرَادُ بَغْلُو الْيَهُودِ: قَوْلُهُمْ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ، وَقَوْلُهُمْ أَنَّ الْمَسِيحَ لَيْسَ نَبِيًّا، فَإِنَّهُ غَلَوُ مَعْكُوسٍ، أَوِ الْمُرَادُ بِهِ النَّصَارَى فَقَطْ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ بَأَن تَقُولُوا: الْمَسِيحُ هُوَ اللَّهُ، أَوْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، أَوْ إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ عَطْفٌ بَيَانٌ، إِذْ كُلُّ غَلَوٍ هُوَ غَيْرُ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ فَإِنْ أَسْلَفَكُمْ لَوْ ضَلُّوا فِي اعْتِقَادِهِمْ وَغَلُوا، فَلَمَّا ذَا تَتَّبِعُونَهُمْ أَنْتُمْ، إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ وَقَدْ مَضُوا، فَمَا بِالْكُمْ أَنْتُمْ تَقْتَفُونَ أَثْرَهُمُ الْبَاطِلِ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَأَوْقَعُوهُمْ فِي ضَلَالِ الْكُفْرِ وَالشَّرْكِ وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧٦

[سورة المائدة (٥): الآيات ٧٨ الى ٧٩]

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)

أى الجادة المستقيمة. و التكرار إنما هو لاختلاف المتعلق، فقد تعدى أحدهما إلى «من قبل» و تعدى الآخر إلى «عن سواء السبيل» أو المراد ب «القوم» كبارهم الذين كانوا قبل النبي قائلين بألوهية عيسى، و أدركوا فلم يؤمنوا، فإنهم ضلوا من قبل بعثه النبي صلى الله عليه و آله و سلم لقولهم بالتثليث، و ضلوا بعد بعثته لكفرهم به صلى الله عليه و آله و سلم.

[٧٩] لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاللَّعْنَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ حَيْثُ لَمْ يَنْفَكُوا يَعْمَلُونَ الْقَبَائِحَ وَيَكْفُرُونَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَيَنْسُبُونَ إِلَى اللَّهِ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الزُّبُورِ وَعَلَى لِسَانِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْإِنْجِيلِ، فَقَدْ لَعَنَهُمْ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا اعْتَدُوا فِي السَّبْتِ فَصَارُوا قَرْدَةً، وَ لَعَنَهُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا كَفَرُوا بَعْدَ فَصَارُوا خَنَازِيرَ ذَلِكَ اللَّعْنِ إِنَّمَا اسْتَحَقُّوه بِمَا عَصَوْا أَيِ سَبَبِ عَصِيَانِهِمْ وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ أَيِ يَتَجَاوَزُونَ حُدُودَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

[٨٠] ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ بَعْضَ عَصِيَانِهِمْ وَاعْتِدَائِهِمْ بِقَوْلِهِ: كَانُوا أَيِ كَانُوا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَا يَتَنَاهَوْنَ أَيِ لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ فَقَدْ تَفَشَّتْ فِيهِمُ الْمُنْكَرَاتُ وَ لَمْ يَكُنْ يَنْهَاهُمْ عِلْمَاؤُهُمْ، فَاسْتَحَقَّ الْجَمِيعُ الْعِقَابَ، أَوْلَئِكَ يَا تَيَّانَ الْمُنْكَرِ، وَ هُوَ لَاءَ بِسُكُوتِهِمْ عَنِ فَاعِلِيهِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ إِتْيَانِ الْمُنْكَرِ وَ عَدَمِ التَّنَاهِي عَنْهُ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧٧

[سورة المائدة (٥): الآيات ٨٠ الى ٨١]

تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)

[٨١] تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّ تِلْكَ الطَّبِيعَةَ الْعَاتِيَةَ الْعَاصِيَةَ مَوْجُودَةٌ فِيهِمْ إِلَى الْآنِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ أَيِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - الْيَهُودَ - يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيِ يَتَّخِذُونَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ، فَقَدْ كَانَ الْيَهُودُ يَتَوَلَّوْنَ كُفَّارَ مَكَّةَ وَ يَقُولُونَ: هُوَ لَاءَ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا «١»، فِي حَيْثُ يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَعَادِيَ الْكَافِرَ الَّذِي لَا يَعْتَرَفُ بِاللَّهِ وَ قَوَانِينِهِ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَيِ لَهُؤَلَاءِ الْيَهُودَ أَنْفُسُهُمْ أَيِ بَشَسَ مَا قَدَّمُوا

لمعادهم من الأعمال السيئة أَنْ سَيَخُطَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ محلّه الرفع ب «بئس» فهو كزيد في قولك: «بئس رجلا زيد» أى بئس السخط الذى قدموه لأنفسهم وفى العذاب هُم خَالِدُونَ فالسخط يؤذى روحهم، كمن يعلم أن السلطان غاضب عليه، و النار تؤذى جسمهم كما قال سبحانه فى عكس ذلك: وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ «٢»، فَإِنِ أَهْلُ النَّارِ يَعْذِبُونَ عُذَابِينَ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ يَنْعَمُونَ نِعْمِينَ.

[٨٢] وَ لَوْ كَانُوا أَى هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إِيْمَانًا صَادِقًا وَ يُؤْمِنُونَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ

(١) النساء: ٥٢.

(٢) آل عمران: ١٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧٨

[سورة المائدة (٥): آية ٨٢]

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَ زُهَبَانًا وَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)

مَا اتَّخَذُوهُمْ أَى لَمْ يَتَّخِذُوا الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ، أَوِ الْمَرَادُ: أَنَّهُمْ لَوْ آمَنُوا بِمُوسَى وَ كِتَابِهِ إِيْمَانًا صَادِقًا، لَمْ يَتَّخِذُوا الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ، إِذِ الْإِيْمَانُ بِهِمَا يَمْنَعُ مِنَ وِلَايَةِ الْكَافِرِينَ، فَهَمُ كَازِبُونَ فِى دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ بِمُوسَى وَ كِتَابِهِ وَ لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ خَارِجُونَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ كِتَابِهِ، فَإِنَّمَا يَدْعُونَ الْإِيْمَانَ بِاللِّسَانِ، وَ قُلُوبُهُمْ خَالِيَةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ.

[٨٣] ثم ذكر سبحانه فرقا بين اليهود والنصارى، و أن اليهود طبيعتهم العامة العناد و الاستكبار و العداوة، و أن النصارى ليسوا بتلك المثابة، إذ فيهم بعض المنصفين من العلماء، و ما أصدق قوله سبحانه، فإننا نرى ذلك إلى اليوم، فقد نجد كثيرا من المسيحيين يسلمون، و لا نجد إلا الشاذ النادر من اليهود يسلمون لَتَجِدَنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا أَى لِلْمُسْلِمِينَ الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ مِنْ أَعْدَى أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَى الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّهُمْ فِى صِفِّ الْيَهُودِ - وَ بَعْدَهُمْ فِى الرِّتْبَةِ - عَدَاوَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ أَقْرَبَ النَّاسِ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا أَى حُبًّا لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى فَإِنَّهُمْ وَ إِنْ كَانُوا نَصَارَى بِصُرْفِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧٩

اللفظ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى «١»، لا- أنهم على تعاليم المسيح و دينه حقيقته، لكنهم من أقرب الناس حبا للمسلمين ذلك أى سبب كونهم أقرب بِأَنَّ مِنْهُمْ أَى مِنَ النَّصَارَى قِسِيَسِينَ أَى عُلَمَاءَ مِنَ «القس» بمعنى نشر الحديث و زُهَبَانًا أَى الزهاد أصحاب الصوامع من «رهب» بمعنى خاف و أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَ الْإِنْقِيَادِ إِلَيْهِ إِذَا عَلِمُوهُ. وَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ خَرَجَ مِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ مِنَ النَّصَارَى، فَإِنَّ الْقَيْدَ يَخْصُصُ الْمَطْلُوقَ.

(١) المائدة: ١٥.

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبَحَارِ - فِى تَلْخِيصِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، لِلْعَلَامَةِ فَيْضِ الْإِسْلَامِ، ص ١٥٩؛ عِيُونَ أَخْبَارِ الرَّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الْبَابُ ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشَعْفِهِ بأهل بيت النبي (صلواتُ الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفيء مصباحها، بل تَتَبَعَ بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشِطَتَهُ من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عِزُّهُ - و مع مساعيدته جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافتهم الثقَلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمساائل الديتية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافته على أساس معارف القرآن و اهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في أكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الديتية، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمية" [www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com) و عدّه مواقع أخر

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدّعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كَشِك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعیه و اعتباریه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الديتية كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفترق" و فائى / بنايه "القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الإلكتروني: [Info@ghaemiyeh.com](mailto:Info@ghaemiyeh.com)

المتجر الانترنتى: [www.eslamshop.com](http://www.eslamshop.com)

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميته، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الاعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً مترائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
أصبحان  
الغائمي

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

